AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد كتب
صالح الدقر

A:U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

٧ - ٨ مقا
892.7
I.7 Ch
V. 7-8
892.7109
A2195akhA
v. 7-8
المؤلف . الاصبهاني

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السابع

فى الشعراء الإسلاميين والمحدثين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

29160

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٣٤٦ / ٢٥ / ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء بنى عبد مناف

الأسود بن عمارة

هو الأسود بن عمارة بن الوليد النوفلى ، من نوفل بن عبد مناف بن قصى

من شعره قوله وفيه غناء

خليلى من سعد ألما فسلما ... على مريم لا يُبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاكِ فنعلما

وكان أبوه عمارة شاعراً أيضاً وهو الذى يقول

تلك هند تصُدّ للبين صدَّا ... أدلالاً أم هند تهجر جِدَّا

أم لتنكا به قروح فؤادى ... أم أرادت قتلى ضِراراً وعمدا

قد برانى وشفَّنى الوجد حتى ... صرت مما ألْقَى عظاماً وجلدا

أيها الناصح الأمين رسولاً ... قل لهند عني اذا جئت هندا

علم الله أن قدُ أوتيت مني ... غير مَنّ بذاكِ نصحاً وودا

ما تقربت بالصفاء لأدنو ... منك إلا ازددت نأياً وبعدا

والأسود هو الذى يقول لمحمد بن عبد الله بن كثير بن الصَّلت

ذكرناك شُرْطياً فأصبحت قاضياً ... وصرت أميراً أبشرى قحطانُ

أرى نَزَوات بينهن تفاوت ... وللدهر أحداث وذا حدثان

أقيمى بنى عمرو بن عوف أواربعي ... لكل أناس دولة وزمان

وانما خاطب بنى عمرو بن عوف لأن الكثيرى كان قد تزوج اليهم ، وانما قال أبشرى قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف قريش ، وكان محمد هذا على شرطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن على

العبلى

هو عبد الله بن عمر بن عبد الله من بنى عبد شمس بن عبد مناف

شاعر مجيد من شعراء قريش ، ومن مخضرمى الدولتين ، وقيل له العبْلى وليس منهم لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس ، سموا بذلك لأن أمهم عَبْلة بنت عبيد التميمية ولدت لعبد شمس أُمية الأصغر وعبد أُمية ونوفلاً ، والعبلى من عبد العزى بن عبد شمس ، وانما أدخلهم الناس فى العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والاسلام وكثر أشرافهم فجعل سائر بنى عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة فسمّوهم أمية الصغرى ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم

كان عبد الله فى أيام بنى أمية يميل الى بني هاشم ويذم بني أمية ولم يكن منهم اليه صنعٌ جميل فسلم بذلك في أيام بني العباس ، ثم خرج على المنصور فى أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن

قسم هشام بن عبد الملك أموالا وأجاز بجوائز فلم يعطه شيئاً فقال

خَسَّ حظى أن كنت من عبد شمس ليتنى كنت من بني مخزوم
فأفوزَ الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلُوم

فلما استخلف المنصور كتب الى السَّرِيّ بن عبد الحكم أن يوجه به اليه ففعل ، فلما قدم عليه قال له أنشدنى ما قلت فى قومك ، فاستعفاه ، فقال له لا أُعفيك ، فقال أعطني الأمان ، فأعطاه ، فأنشده

مابال عينك جائلاً أقذاؤها ... شَرِقت بعَبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقة بينها ... فطوت لذلك غُلة أحشاؤها
واعتادها ذكر العشيرة بالأسَى ... فصباحها نابٍ بها ومساؤها
شَرِك العدا فى أمرهم فتفاقمت ... منها الفتوق وفُرِّقت أهواؤها
ظلت هناك ومايعاتب بعضها ... بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
الا بمرهفَة الظُّبات كأنهـــا ... شُهُب تقلّ اذا هوت أخطاؤها
وبعُسَّل زرق يكون خضابهـا ... عَلَق النحور اذا تفيض دماؤها
فبذاكمُ أمست تعاقب بينها ... فلقد خشيت بأن يُحَمَّ فِناؤها
ماذا أؤمل ان أُمية ودعت ... وبقاء سكان البلاد بقاؤها
أهل السياسة والرياسة والندى ... وأسود حرب لايَخيم لقاؤها
غيث البلاد همُ وهم أمراؤها ... سُرُج يُضيء دُجَى الظلام ضياؤها
فلئن أمية ودعت وتتابعت ... لغَواية جميت لهـا حلفاؤها
ليودَّعن من البرية عزُّها ... ومن البلاد جمالهـا ورجاؤها
ومن البلية ان بقيتَ خلافهم ... فرداً تهيجك دورهم وخلاؤها
لهفى على حرب العشيرة بينها ... هلا نهي جهالهـا حلماؤها
هلا نُهِىَ تنهَى الغُواة عن التى ... يُخشى على سلطانها غوغاؤها
وتُقًى وأحلام لهـا مُضَرية ... فيها اذا تَدْمَى الكلوم دماؤها
لمـا رأيت الحرب توقد بينها ... وتشب نار وقودها وذكاؤها
نوهت بالملك المهيمن دعوة ... ورواح نفسي فى البلاد دعاؤها
ليرد أُلفتها ويجمع أمرهـا ... بخيارها فخيارها رحمـــاؤها
فأجاب ربى فى أمية دعوتى ... وحَمَى أمية أن يُهَدَّ بناؤها
فبنو أمية خير من وطىء الثرى ... شرفاً وأفضل ساسة أمراؤها

فقال له اخرج عني لاقرب الله دارك ، فخرج حتى قدم المدينة فألفى محمد بن عبد الله قد خرج فبايعه

كان العبلى مخفوًّا فى أيام بنى مروان ، وكان منقطعاً الى بني هاشم ، فلما أفضت الخلافة اليهم لم يُبقوا على أحد من بنى أمية ، وكان الأمر فى قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه ، فخاف العبلى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة ، فتوارى وأخذ داود بن على حرمه وماله فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح فدخل عليه فى غُمار الناس متنكراً وجلس حَجْرَة[1] حتى انفض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته فوثب اليه فوقف بين يديه وقال

ألا قل للمنازل بالسِّتار ... سقيتِ الغيث من دِمَن قفار
فهل لك بعدنا علم بسَلْمى ... وأتراب لها شبه الصُّوار[2]
أوانس لا عوابس جافيات ... عن الخلق الجميل ولا عوارى
وفيهن ابنة القُصَوّى[3] سلمى ... كهمّ النفس مُفْعَمة الإزار
تلوث[4] خمارَها بأحَمّ جَعْد ... تَضِلّ العاليات به المَدارى
بَرَهْرَهة منعمة نمتها ... أبوتها الى الحسب النُّضار
فدع ذكر الشباب وعهد سلمى ... فمالك منهما غير ادِّكار
وأَهد لهاشم غُرر القوافى ... تنحلها بعلم واختبار
لعمرك انني ولزومَ نجد ... ولا أَلقى حِباء بنى الخيار
لكالبادي لأَبْرَدَ مستهلٍّ ... بحوباء كبطن العَيْر عار
سأرحل رحلة فيها اعتزام ... وجد في رواح وابتكار
الى أهل الرسول غدت برحلى ... عُذَافرة ترامى بالصحارى

(١) أى ناحية (٢) الصوار القطيع من البقر (٣) نسبة الى قصى بن كلاب
(٤) تلفه وتعصبها والمدارى جمع مدرى بالكسر وهو المشط

تؤم المعشر الأبرار تبغي فكاكاً للنساء من الإسار
أيا أهل الرسول وصيدَ فهر وخير الواقفين على الجمار
أتؤخذ نسوتى ويحاز مالي وقد جاهرت لو أغنى جهارى
وأذعر أن دعيت لعبد شمس وقد أمسكت بالحُرَم الصوارى (١)
بنصرة هاشم شهّرت نفسي بدارى للعدا وبغير دارى
بقربَى هاشم وبحق صهر لأحمد لفه طيب النِّجار
ومنزل هاشم من عبد شمس مكان الجِيد من عليا الفقَار

فقال له السفاح من أنت ؟ فانتسب له ، فقال حق لعمرى أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها ، وكتب له الى داود باطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه واكرامه وأمر له بنفقة تبلغه المدينة

جاء العبلى الى سويقة وهو طريد بني العباس وذلك بعقب بني أمية وابتداء خروج ملكهم الى بنى العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره ، فأنشده ، فقال له أريد أن تنشدنى شيئاً مما رثيت به قومك ، فأنشده

تقول أُمامة لما رأت نشوزي عن المضجَع الأنفس
وقلة نومى على مضجعى لدى هَجْعة الأعين النُّعَّس
أبى ما عراك ؟ فقلت الهموم منعن أباك فلا تُبْلسى (٢)
عَرَوْن أباك فحبّسنه من الذل في شر ما مَحْبِس
لفقد العشيرة اذ نالها سهام من الحرب لم تبأس
رمتها المنون بلا نُصَّل ولا طائشات ولا نُكَّس

(١) صراه الله منعه وحفظه وهو صار وهى صارية والجمع الصوارى
(٢) أبلس انكسر وحزن

بأسهمها الخالسات النفوس متى ما اقتضت مهجة تَخْنِس
فصرعاهمُ في نواحى البلاد تلقَّى بأرض ولم تُرْمَس
كريم أصيب وأثوابه من العار والذم لم تَدْنَس
وآخر قد طار خوف الرَّدَى وكان الهمام فلم يَخْسِس
فكم غادروا من بواكى العيو ن مرضى ومن صبية بؤّس
اذا ما ذكرتُهمُ لم تنم لحر الهموم ولم تجلس
يُرَجِّعن مثل بكاء الحما م فى مأتم قلق المجلس
فذاك الذى غالني فاعلمى ولا تسأليني فتستنحسى
وأشياء قد ضفنني بالبلاد ولست لهن بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كُدَى وقتلى بكُثْوة لم تُرْمس
وقتلى بوَجّ وباللّابتين من يَثْرِب خير ما أنفس
وبالزَّابيين نفوس ثوت وقتلى بنهر أبى فُطْرُس
أولئك قومى تداعت بهم نوائب من زمن متعس
أذلت قيادى لمن رامنى وألزقت الرَّغم بالمَعْطِس
فما أنس لا أنس قتلاهمُ ولا عاش بعدهمُ من نسى

خرج العبلى مع محمد بن عبد الله بن حسن فولاه الطائف ثم بلغه خروج الحسن ابن معاوية من مكة فاستخلف على الطائف وخرج ليتلقى الحسن بالعَرْج فوكب البحر ومضى العبلى هارباً على وجهه الى اليمن ، فذلك حين يقول

هيجت للأَجزاع حول غُراب واعتاد قلبك عائد الأَطراب
وذكرت عهد معالم بلوَى الثرى هيهات تلك معالم الأَحباب
هيهات تلك معالم من ذاهب أمسى بحَوْض أو بحَقْل قِباب
قد حل بين أبارق ما ان له فيها مِن اخوان ولا أصحاب

شطَّت نواه عن الأليف وساقه لقرى يمانيـــة حمام كتاب
يا أخت آل أبي عديّ أقصري وذري الخضاب فما أوان خضاب
أتخضّبين وقد تخرم غالباً دهر أضرّ بها حديد الناب
والحرب تعرُك غالباً بجرانهـــا وتعضُّ وهي حديدة الأنياب
أم كيف نفسك تستلذ معيشة أو تنقعين لها ألذ شراب

كان العبلى يكره ما يجرى عليه بنو أمية من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر ويظهر الانكار لذلك ، فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك ونهوْه عنه ، فانتقل الى المدينة وقال

شرَّدوا بي عند امتداحي عليًّا ورأَوْا ذاك فيَّ داءً دَوِيًّا
فوربي ما أبرح الدار حتى تُختلَى مهجتي بحبي عليا
وبنيـــه لحب أحمد اني كنت أحببتهم بحبي النبيا
حب دين لا حب دنيا وشر الـــحب حبٌّ يكون دنياويا
صاغني الله في الذُّؤابة منهم لا زَنيماً ولا سَنيداً دعيًّا
عَدَوياً خالي صريحاً وجدي عبد شمس وهاشم أبويا
فسواء عليَّ لست أبالي عبشمياً دعيت أم هاشميا

وفد العبلى الى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بهذه القصيدة

ليلتي من كَنود بالغوْر عودي بصفاء الهوى منُ أم أسـيد
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا عهده فارجعي به ثم زيدي
قد تولى عصر الشباب فقيداً رب جارٍ يبين غير فقيد
خلق الثوب من شباب ولبس وجديد الشباب غير جديد
فاسر عنك الهموم حين تداعت بعلاة مثل الفنيق وَخُود (١)

(١) صفة من وخد يخد أسرع

عَنْتَرِيس [١] توفى الزمام بنعم ... مثل جذع الأشاءة المجرود
وارم جَوْز الفلا بها ثم سُمْها ... عجرفيَّ النجاد بالتَّوخيد
وهشاماً خليفة الله فاعمد ... واصر من مِرَّة القوىّ الجليد
تلقه مُحكم القُوَى أَرْيَحيًّا ... ذا قِرًى عاجل وسَيْبٍ عتيد
ملك يشمل الرعية منه ... بأيادٍ ليست بذات خُمود
أخضر الربع والجَناب خصيب ... أفيح المستراد للمستريد
ذكرت ناقتى البِطاح فحنت ... حين أن أُوردت قبور ثمود
قلت بعضَ الحنين ياناق سيرى ... نحو برق دعا لغيث عميد
فأغَذَّت فى السير حتى أتتكم ... وهى قَوْداء فى سَوَاهِمَ قُود
قد براها السُّرَى اليك وسيرى ... تحت حر الظهيرة الصَّيخود
وطوى طائد العرائك [٢] منها ... غول بيد تجتابها بعد بيد
وأتتكم حُدْب الظهور وكانت ... مُسْنَمات ممرها بالكديد
واطمأنت أرض الرُّصافة بالخِصْـ ... ـب ولم تُلْق رحلها بالصعيد
نزلت بامرئ يرى الحمد غُنْماً ... باذل متلف مفيد معيد
بذل العدل فى القصاص فأضحى ... لا يخاف الضعيفُ ظلمَ الشديد
من بنى النَّضْر من ذُرَى منبت النضـ ... ـر بأَوْرَى زَنْد وأكرم عود
فهو كالقلب فى الجوانح منها ... واسط سرَّ جذْمها والعديد
بين مَرْوان والوليد فبخ بخ ... للكريم المجيد غير الزهيد
لو جرى الناس نحو غاية مجد ... لرهان فى المحفل المشهود

(١) العنتريس الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم . والأشاء صغار النخل واحدها أشاءة (٢) جمع عريكة وهى السنام

لَعلاهم بسابقَيْن من المجـــد على الناس طارف وتليد
انكم معشر أبى الله إلا أن تفوزوا بدارها المحشود
لم يَرَ الله معشراً من بني مَرْ وان أولى بالملك والتسويد
قادة ســـادة ملوك بحار وبهاليـل للقروم الصِّيد
أَرْيَحون ماجدون خِضَمُّو ن حُماة عند ارتداد الجلود
يقطعون النهار بالرأى والحز م ويُحيون ليلهم بالسجود
أهل رِفْد وسُودَد وحياء ووفاء بالوعـــد والموعود
ويَرَوْن الجِوار من حرم اللَّـــه فما الجار فيهمُ بوحيد
لو بمجد نال الخلود قبيل آلَ مرْوان فزْتمُ بالخلود
يا ابن خير الأخيار من عبد شمس يا إمام الورى ورب الجنود
عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
ثم جدى الأدنى وعمك شيخى وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقَرابات بيننا واشـجات محكَمات القُوَى بحبل شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلى تلقَني للثواب غير جحود
ان ذا الجدّ من حبوت بود ليس من لا تَوَدّ بالمجدود
وبحسب امرئ من الخير يرجى كونه عند ظلك الممدود

أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط أبان بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وهو من العنابس من بني أمية ، وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص وعمرو وأبو عمرو ، وحرب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، والعويص ، فمنهم

الأعياص وهم الأربعة الأولون والأخير ، ومنهم العَنابس وهم الباقون ، وانما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعُكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالا شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال لها العنابس واحدها عنبسة ، وأم أبي مُعَيط آمنة بنت أبان العامرية ولها يقول نابغة بن جَعْدة

وشاركنا قريشاً فى تقاها وفى أنسابها شَرَكَ العِنان

بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هـذه تحت أمية بن عبد شمس فولدت العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأَرْوَى بنى أمية ، فلما مات تزوجها ابنه أبو عمرو « وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده » فولدت له أبا معيط ، فكان بنو أمية من آمنة اخوة أبى معيط وعمومته

وأسر عقبة بن أبى معيط فى يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً فقال له يامحمد أنا خاصة من قريش ؟ قال نعم ، قال فمن للصبية بعدى ؟ قال النار ، فلذلك يسمى بنوأبى معيط صبية النار ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضرب عنقه وقيل بل قتله عاصم بن ثابت ، حدث عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمر فقلت اخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رحمه الله حتي أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ؟

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه أمهما أَرْوَى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم توءمان ، وكان عقبة بن أبى معيط قد تزوجها بعد

وفاة عثمان فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء اخوة عثمان لأمه

والوليد يكنى أبا وهب وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم قال سعيد بن العاص لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة ، فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال الوليد والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدرى بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك ، فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه انه شيخ قريش فما البيتان اللذان قلتهما ؟ قال قلت

رأيت لعم المرء زُلْفَى قرابة ... دوين أخيه حادثاً لم يكن قِدْما

فأملت عمراً أن يشب وخالداً ... لكى يدعوانى تحت مَزْحمة عَمّا

يعني عمراً وخالداً ابنى عثمان ، فرق له عثمان وقال قد وليتك العراق « يعني الكوفة » ، فقدمها وعليها سعد بن أبى وقاص ، فأخبر بقدومه فقال وماصنع ؟ قال وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه ، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالامرة وجلس معه ، فقال له سعد ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال أحببت زيارتك ، قال وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال أنا أرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا الى عملهم فسرحونى اليه وقد استعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ، فمكث طويلا ثم قال لا والله ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ؟ ثم قال

خذيني فجريني ضُباع فانما ... بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

فقال أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت أجبتك ولكني أدع ذلك لما تعلم ، نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ، ثم بعث الى عماله فحبسهم وضيق عليهم ، فكتبوا الى سعد يستغيثون فكلمه فيهم ، فقال أو للمعروف عندك موضع ؟ قال نعم والله ، فخلى سبيلهم

قالوا كان الوليد شريب خمر ، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلى بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت اليهم وقال أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته

علِق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة الى عثمان فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر ، فأتى به فأمر رجلا بضربه الحد ، فلما دنا منه قال له نشدتك الله وقرابتى من أمير المؤمنين فتركه ، فخاف على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يعطل الحد فقام اليه ، فقال له الوليد نشدتك بالله وبالقرابة ، فقال على اسكت أبا وهب انما هلكت بنو اسراءيل بتعطيلهم الحدود ، فحده وقال لتدعونى قريش بعد هذا جلادها ، وقال الوليد بعد ما جلد اللهم انهم شهدوا على بزور فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميراً ، فقال الحطيئة يكذِّب عنه

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
خلعوا عِنانك اذ جريت ولو تركوا عِنانك لم تزل تجرى
ورأوا شمائل ماجد أنف يعطى على الميسور والعسر
فنُزعت مكذوباً عليك ولم تنزع الى طمع ولا فقر

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ؟ ثملا وما يدرى
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
فأبَوا أبا وهب ولو فعلوا وصلتْ صلاتهمُ الى العشر

ولما ضرب عثمان الوليد الحد قال انك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً

وكان أبو زبيد الطائى وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله

الوليد داراً لعقيل بن أبى طالب على باب المسجد فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع الى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهوسكران فذلك نبههم عليه

قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، أنا أحد منك سناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأ لكتيبة طعاناً ، فقال له على اسكت فانما أنت فاسق وقد نزل القرآن « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون »

وقال قتادة فى قوله تعالى « ان جاءكم فاسق بنبأ » هذا فى الوليد بن عقبة بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدّقاً فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبث عيونه ، فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، وروى عن الوليد أنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤسهم فجيء بى اليه وأنا مُخَلَّق فلم يمسَسنى وما منعه الا أن أمى خلقتنى بخلوق فلم يمسسنى من أجل الخلوق ، وروى الحسن أن الوليد كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل احداهما على الأخرى فتهزمها ، فقال الساحر أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها ؟ قال نعم ، وأخبر جندب بذلك فاشتمل على السيف ثم جاء فقال أفرجوا فأفرجوا فضربه حتى قتله ، ففزع الناس وخرجوا فقال يأيها الناس لاعليكم انما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم فى دينكم ، فحبسه قليلا وتركه

قدم الوليد الكوفة زائراً المغيرة بن شعبة فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون

عليه ، فقالوا والله ما رأينا بعدك مثلك ، فقال أخيراً أم شراً ؟ فقالوا بل خيراً ، قال ولكني ما رأيت بعدكم شراً منكم ، فأعادوا الثناء عليه ، فقال بعضَ ما تثنون فوالله ان بغضكم لتلف وان حبكم لصلَف ، وكان قبيصة بن جابر ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوماً والوليد وقبيصة عنده ياقبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ فقال خير يا أمير المؤمنين ، فى أولُ وصل الرَّحِم وأحسن الكلام فلا تسل عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم فاما ظالمون فنستغفر الله واما مظلومون فغفر الله له وخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فان الحديث ينسى القديم ، قال ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة وبسط الخير وكف الشر ، قال فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ، قال اسكت لاسكتّ ، فسكت وسكت القوم ، فقال له مالك لا تتحدث ؟ قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما أكره

خرج الوليد غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد ، فلقيه الروم فقاتلوه ، فقال له رجل من العرب نصرانى لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم الى نصف النهار فان رأوكم ضعفاء أفنَوْكم وان صبرتم هربوا وتركوكم ، فقال سليمان بن ربيعة يا معشر المسلمين ما عذركم غداً عند الله ان أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يعنه أحد منكم ؟ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل ، فلحقوا عتبة وأصحابه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم ، فقال الوليد

أتانى من الفَجّ الذى كنت آمناً ... بقية شُذَّاذ من الخيل ظُلَّع
عليها العبيد يضربون جُنوبها ... ونازل منا كل خِرق سَمَيْذع
فانى زعيم أن تصيح نساؤهم ... صياح دَجاج القرية المتوزع

ولما نزع عثمان الوليد من الكوفة أمر عليها سعيد بن العاصى ، فلما أقبل عامداً للكوفة جعل يرتجز فى طريقه

ويل نُسَيَّات العراق منى كأننى سَمَعْمَعَ من جن

ولما قدم الكوفة قال اغسلوا هذا المنبر فان الوليد كان رجساً ، فلم يصعده حتى غسل عيباً على الوليد ، وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعض شعرائهم

يا ويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد
ينقص فى الصاع ولا يزيد فجوِّع الاماء والعبيد

وقال آخر

فررت من الوليد الى سعيد كأهل الحِجْر اذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار تحرقنا فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار

وسعيد هذا هو صاحب القصر الذى يقول فيه أبو قطيفة

القَصْر فالنخل [1] فالجَمَّاء بينهما أشهى الى القلب من أبواب جيرون
الى البَلاط فما حازت قرائنه [2] دور نزحن عن الفحشاء والهُون
قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنونى

وهذا القصر قد صار الى معاوية ، قال مصعب بن الزبير لما حضرت سعيد بن العاصي الوفاة وهو فى قصره هذا قال له ابنه عمرو لو نزلت الى المدينة ، فقال يا بنيَّ ان قومى لن يضنوا عليَّ بأن يحملونى على رقابهم ساعة من نهار واذا أنا مت فآذنهم فاذا واريتنى فانطلق الى معاوية فانعني له وانظر في ديني واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فانى انما اتخذته نزهة وليس بمال ، فلما مات آذن الناس به فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد

(١) نخل كان لسعيد عند قصره وبين الجماء وهى أرض كانت له . وأبواب جيرون بدمشق
(٢) القرائن دور كانت لبنى سعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها ، ونزحن بعدن

مُناخة ، فعزاه الناس على قبره وودعوه ، فكان هو أول من نعاه الى معاوية ، فتوجع له وترحم عليه ثم قال هل ترك ديناً ؟ قال نعم ثلثمائة الف ، قال هى عليَّ ، قال قد ظن ذلك وأمرني ألَّا أقبله منك وأعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه ، قال فاعرض عليَّ ، قال قصره بالعرصة ، قال قد أخذته بدينه ، قال هو لك على أن تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافية ، قال نعم ، فحملها له الى المدينة وفرقها فى غرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ ، فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه ، فأرسل الى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه بكى وقال نعم هذا خطه وهذه شهادتى عليه ، فقال له عمرو من أين يكون لهذا الفتي عليه عشرون الف درهم وانما هوصُعلوك من صعاليك قريش ؟ قال أخبرك عنه ، مرَّ سعيد بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار الى منزله فوقف له سعيد فقال ألك حاجة ؟ قال لا الا أنى رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال لي ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين وقال انك لن تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا فاذا أتانا شيء فأُتنا ، فقال عمرو لا جرم والله لا يأخذها الا بالوافية أعطه إياها ، فدفع اليه عشرين ألف درهم ، وكان الرجل يأتى سعيداً يسأله فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولكن اكتب عليَّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول أترونني أخذت منه ثمن هذا ؟ لا ولكنه يجيء فيسألنى فيتردد وجهه فى وجهي فأكره رده

لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ ما كان في داره من السلاح وابل الصدقة فذلك حيث يقول الوليد

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... اذا غار نجم لاح نجم يراقبه

بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تُنْهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم لا تعجلوا باقادة ... سواء علينا قاتلوه وسالبه

فقد يجبر العظم الكسير وينبرى لذى الحق يوماً حقه فيطالبه
وإنا وإياكم وما كان منكمُ كصَدْع الصَّفا لا يَرْأَب الصدع شاعبه
بنى هاشم كيف التعاقد بيننا وعند عليّ سيفه ونجائبه
لعمرك لا أنسى ابن أَرْوَى وقتله وهل ينسينَّ الماء ما عاش شاربه
همُ قتلوه كى يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكِسْرَى مرازبه
وانى لمجتاب اليكم بجَحْفل يُصِمّ السميعَ جرْسُه وجلائبه

وقال يرثى عثمان ويحرض معاوية

فوالله ما هند بأُمك ان مضي النهار ولم يئأَر بعثمان ثائر
أيقتل عبد القوم سيدَ أهله ولم تقتلوه ليت أُمك عاقر
وانا متى نقتلهمُ لا يُقِد بهم مقيد وقد دارت عليك الدوائر

وقال وقد أبلغه بجاد مولى عثمان مقتل عثمان

طال ليلى وملَّنى عوادى وتجافى عن الضلوع مهادى
من حديث نمى إليَّ فما ير قأُ دمعى ولا أُحِسُّ رقادى
ليت أنى هلكت قبل حديث سَلّ جسمى وريعَ منه فؤادى
يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أنى هلكت قبل بجاد
وبنفسى التى أحب وأهلى وبمالي وطارفى وتِلادى
قلت لا تغضبى فذلك قولي بلسانى وما يجن فؤادى

وفد الوليد وكان جواداً على معاوية ، فقيل له هذا الوليد بن عقبة بالباب ، فقال والله ليرجعن معطياً غير معطًى فانه الآن قد أتانا يقول عليَّ دين وعليَّ كذا وكذا ، يا غلام ائذن له ، فأذن له ، فسأله وتحدث معه ثم قال والله ان كنا لنحب ايثار مالك بالوادى وقد أعجب أمير المؤمنين فان رأيت أن تهبه ليزيد فعلت ، فقال الوليد هو ليزيد ، ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية أياماً فقال له يوماً انظر

يا أمير المؤمنين فى شأنى فان علىَّ مؤونة وقد أرهقنى دين ، فقال له معاوية ألا تستحيى لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذه فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً ، فقال له الوليد أفعل ، ثم انطلق مكانه فصار الى الجزيرة فقال

فاذا سئلت تقول لا واذا سألت تقول هات
تأبى فعال الخير لا تروَى وأنت على الفرات
أفلا تميل الى نعم أو ترك لا حتى الممات

فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة فخافه وكتب اليه أن أقبل إلىَّ ، فكتب اليه

أعِفّ وأستغنى كما قد أمرتنى فأعط سواى ما بدا لك وانحَل
سأحدو ركابى عنك ان عزيمتي اذا نابنى أمر كسلَّة مُنْصُل
وانى امرؤٌ للرأى منى تطرف وليس شبَا قُفْل علىَّ بمقفل

ورحل الى الحجاز فبعث اليه معاوية بجائزة

وأبو قَطيفة يكنى أبا الوليد ، وأبو قطيفة لقب لقب به ، وأمه بنت الربيع بن ذى الخمار من بني أسد بن خزيمة

لما سار الحسين بن على عليهما السلام الى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذى أراده ولبس المُعافرىّ وشبر بطنه وقال انما بطنى شبر وما عسى أن يسع الشبر ، وجعل يظهر عيب بنى أمية ويدعو الى خلافهم ، فأمهله يزيد سنة ثم بعث اليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير ، وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفر الراكب ، وهم عبد الله بن عضاه الأشعرى ، وروْح بن زِنْباع الجُذامى ، وسعد بن حمزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبيرة السَّكونى ، وأبو كبْشة السَّكْسَكى ، وزُمّل بن عمر العذرى ، وعبد الله بن مسعدة الفزارى وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكنانى ، وعبد الله بن عامر الهمدانى ، وجعل عليهم النعمان ابن بشير فأقبلوا حتى قدموا مكة على ابن الزبير ، فكان النعمان يخلو به فى الحِجْر

كثيراً ، فقال له عبد الله بن عضاه يوماً يا ابن الزبير ان هذا الأنصارى والله ما أمر بشىء الا وقد أمرنا بمثله ، الا أنه قد أُمِّر علينا وانى والله ما أدرى ما بين المهاجرين والأنصار ، فقال ابن الزبير يا ابن عضاه مالى ولك ؟ انما أنا بمنزلة حمام من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال نعم ، وما حرمة حمام مكة ؟ ياغلام ائتنى بقوسي وأسهمى ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه فى كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال ياحمامة أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولى نعم فوالله لئن فعلت لأرمينك ، ياحمامة أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتقيمين فى الحرم حتى يستحلّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك ، فقال ابن الزبير ويحك أوَ يتكلم الطائر ؟ قال لا ولكنك يا ابن الزبير تتكلم ، أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتعرفن راية الأشعريين فى هذه البطحاء ثم لا أعظم من حقها ما تعظم ، فقال ابن الزبير أوَ يستحل الحرم ؟ قال انما يُحله من ألحد فيه ، فحبسهم شهراً ثم ردهم الى يزيد ولم يجبه الى شىء ، وقال أبو العباس الأعمى يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه

مازال فى سورة الأعراف يدرُسها حتى فؤادى مثل الخزّ فى اللين
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ثم ان ابن الزبير مضى الى صفية بنت أبى عبيد زوج عبد الله بن عمر فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله عليه السلام والمهاجرين والأنصار من أَثَرة معاوية وابنه وأهله بالفىء وسألها مسألته أن يبايعه ، فلما قدمت له عَشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنت عليه وقالت ما يدعو الا الى طاعة الله عز وجل وأكثرت القول فى ذلك ، فقال لها أما رأيت بغلات معاوية اللواتى كان يحج عليهن الشُّهْب ؟ فان ابن الزبير ما يريد غيرهن ، وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأ على ذلك أكثر الناس ، فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن

حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ونزعها عن رأسه وقال اني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ولكن عدو الله سِكّير خِمِّير ، وقال آخر خلعته كما خلعت نعلي ، وقال آخر خلعته كما خلعت ثوبي ، وقال آخر قد خلعته كما خلعت خفي حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب ، وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير حتى أرادوا اكراهه على ذلك فخرج الى مكة وكان هذا أول ماهاج الشر بينه وبين ابن الزبير ، واجتمع أهل المدينة لاخراج بني أمية عنها فأخذوا عليهم العهود ألاّ يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم فان لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا الى المدينة معهم ، فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم فان الجنود تأتيكم وتطؤكم وأعذر لكم ألاّ تخرجوا أميركم انكم ان ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على اخراجي وما أقول هذا الا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم ، فشتموه واشتموا يزيد وقالوا لا نبدأ إلا بك ثم نخرجهم بعدك ، فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ان هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى فضم عيالنا ، فقال لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء فقام وهو يقول قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً ، ثم أتى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله أن يضم أهله وثقله ، ففعل ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان الى الطائف ومعها ابناه عبد الله ومحمد ، فعرض حريث رقّاصة [1] لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضربته بعصا فكادت تدق عنقه فولى ومضى ، ومضوا الى الطائف وأخرجوا بني أمية فنخس بهم سليمان بن أبي جهم العدوي

(١) مولى لبني بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان اذا مشى كأنه يرقص فسمي رقاصة

وحريث رقاصة ، فأراد مروان أن يصلى بمن معه فمنعوه وقالوا لا يصلى والله بالناس أبداً ولكن ان أراد أن يصلى بأهله فليصل ، فصلى بهم ومضى فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهرى فقال له هلم إلىَّ يا أبا عبد الملك فلا يصل اليك مكروه ما بقى رجل من بني زُهْرة ، فقال له وصلتك رَحِم ، قومنا على أمر فأكره أن أعرضك لهم ، وقال ابن عمر بعد ذلك لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان لو وجدت سبيلا الى نصر هؤلاء لفعلت فقد ظلموا وبغى عليهم ، فقال ابنه سالم لو كلمت هؤلاء القوم ، فقال يابنى لاينزع هؤلاء القوم عما هم عليه وهم بعين الله ان أراد أن يغير غير ، فمضوا الى ذى خُشُب وفيهم عثمان بن محمد بن أبى سفيان والوليد بن عتبة بن أبى سفيان واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم ، ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه الى المدينة ، وأقامت بنو أمية بذى خُشُب عشرة أيام وسرحوا حبيب بن كُرَّة الى يزيد بن معاوية يعلمونه وكتبوا اليه يسألونه الغوث ، وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلا الى يزيد فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني بَهْز بن سليم وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بنى أمية منها فنخس حريث بمروان فكاد يسقط عن ناقته فتأخر عنها وزجرها وقال اعلي واسلمي ، فلما كانوا بالسُّويداء عرض لهم مولى لمروان فقال جعلت فداك لو نزلت فأرحت وتغديت فالغداء حاضر كثير قد أدرك ، فقال لايدعُنى رقاصة وأشباهه وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده ، ونظر مروان الى ماله بذى خُشُب فقال لا مال الا ما أحرزته العِياب ، فمضوا فنزلوا وادى القُرى ، فدخل حبيب بن كرة على يزيد وهو واضع رجليه في طست لوجع كان يجده بكتاب بنى أمية وأخبره الخبر ، فقال أما كان بنو أمية ومواليهم الف رجل ؟ قال بلى وثلاثة آلاف ، قال أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ قال كثَرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة ، فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبى الجَهْم القيني فمات قبل أن يخرج الجيش فأمر عليهم مسلم بن عقبة الذى يسمى

مسرفاً وقال لبزيد ما كنت مرسلا الى المدينة أحداً الا قصر وما صاحبهم غيرى ، انى رأيت فى منامى شجرة غرقد تصيح « على يدى مسلم » فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلم ، وكان من قصة أهل الحرّة ما كان على يده ، فقال أبو قطيفة فى ذلك لما أخرجوا عن المدينة

بكى أُحُد لما تحمل أهلُه ... فكيف بذي وجد من القوم آلِف
منَ اجل أبى بكر جلَت عن بلادها ... أميـة والأيام ذات تصارف

وقال أيضاً

بكى أُحُد لما تحمل أهلُه ... فسَلْع فدار المال أمست تَصَدَّع
وبالشام اخوانى وجل عشيرتى ... فقد جعلت نفسى اليهم تَطَلَّع

وقال

ليت شعري هل البَلاط كعهدى ... والمصلَّى الى قصور العقيق
لامني فى هواك يا أم يحيى ... من مُبين بغشه أو صديق

وكان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة الى الشام فلما طال مقامه بها قال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا ... قُباء وهل زال العقيق وحاضره
وهل بَرِحت بطحاء قبر محمد ... أراهطُ غُرّ من قريش تباكره
لهم منتهى حبى وصفو مودتى ... ومحض الهوى مني وللناس سائره

وقال

ليت شعرى وأين مني لَيْتُ ... أعلى العهد يَلْبَنَ (١) فبَرام
أم كعهدى العقيق أم غيرته ... بعدىَ الحادثات والأيام
وبأهلى بدلت عَكًّا ولَخْما ... وجُذاما وأين مني جُذام

(١) جبل قرب المدينة وبرام جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع

وتبدلت من مساكن قومى والقصور التى بها الآطام (١)
كل قصر مشيد ذي أَواس (٢) يتغنى على ذراه الحمام
اقر منى السلام ان جئت قومى وقليل لهم لدىَّ السلام
أقطع الليل كله باكتئاب وزَفير فما أكاد أنام
نحو قومى اذ فرقت بيننا الدا ر وحادت عن قصدها الأَحلام
خشيةً أن يصيبهم عنَت الدهر وحرب يشيب منها الغلام
فلقد حان أن يكون لذا الدهر عنا تباعد وانصرام

ولما بلغ ابن الزبير هذا الشعر قال أحسن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره أنه آمن فليرجع ، فأخبر بذلك فانكفأ الى المدينة راجعاً ، فلم يصل اليها حتى مات

وقال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا جَبُوب المصلَّى أم كعهد القرائن (٣)
وهل أَدْؤر حول البَلاط عوامر من الحى أم هل بالمدينة ساكن
اذا بَرَقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أَتَّركها رغبة عن بلادها ولكنه ما قَدَّرَ الله كائن
أحن الى تلك الوجوه صبابة كأَنى أسير فى السلاسل راهن

وكان يتحرق على المدينة فأتى عَبَّاد بن زياد ذات يوْم عبد الملك فقال له ان أخاً له أخبره أن العراقين قد فتحا ، فقال عبد الملك لأَبى قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة أما تسمع الى ما يقول عباد عن خاله قد طابت لك المدينة الآن فقال أبو قطيفة

(١) الآطام الدور المسطحة السقوف (٢) الآسية الدعامة وجمعها أواس ويروى ذى أواش كأنه أراد أن هذه القصور موشية أى منقوشة (٣) القرائن موضع بالمدينة والبلاط موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وسوق المدينة والجبوب الأرض الصلبة

انى لأَحمق من يمشى على قدم ان غرنى من حياتى حال عَبَّاد
أنشا يقول لنا المصران قد فتحا ودون ذلك يوم شره باد

وأُمّ أبى قطيفة أَرْوَى بنت أبى عقيل بن مسعود وهى أُمّ أخيه خالد ، وفى ذلك يقول

أنا ابن أبى مُعَيط حين أنْمِى لأَكرم ضِئْضِنِى وأعز جيل
وأَنْمِى للعقائل من قُصَيّ ومخزوم فما أنا بالضئيل
وأَرْوَى من كُرَيز قد نمتنى وأروى الخير بنت أبى عقيل
كلا الحيين من هذا وهذا لعمر أبيك فى الشرف الطويل
فعدِّد مثلهن أبا ذباب (١) فيعلم ما تقول ذوو العقول
فما الزَّرقاء (٢) لي أُمًّا فأَخزى ولا لي فى الأَزارق من سبيل

بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك ينتقصه فقال

نبئت أن ابن العَمَلَّس عابنى ومن ذا من الناس البرىء المسلم
فمن أنتمُ من أنتمُ خبروا فمن فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال ما ظننت أنا نجهل والله لولا رعايتى لحرمته لأَلحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط

طلق أبو قطيفة امرأته ثم ندم ، فقال بعد أن تزوجها رجل من أهل العراق

فيا أَسفا لفرقة أُمّ عمرو ورحلة أهلها نحو العراق
فليس الى زيارتها سبيل ولا حتى القيامة من تلاق
وعَلَّ الله يَرْجِعها الينا بموت من حليل أو طلاق
فأَرجع شامتاً وتقَرّ عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

(١) يعنى عبد الملك بن مروان (٢) الزرقاء احدى أمهاته من كندة وكان يعير بها

ورثى سعيد بن عثمان بن عفان بقوله

يا عين جودي بدمع منك تهتانا وابكي سعيد بنَ عثمان بنِ عفانا
ان ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سَيْحانا

يزيد بن معاوية

مما يغني فيه من شعره

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب
الى القَيْنَات واللذا ت والصهباء والطرب
وباطية مُكلَّلة عليها سادة العرب
وفيهن التى تبلت فؤادك ثم لم تتب

قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه فقال له ليلة ألا أُوليك خراسان ، قال بلى وسجستان ، فعقد له فى ليلته فقال

اسقنى شربة تروِّى عظامى ثم عد واسق مثلها ابن زياد
موضع السر والأَمانة منى وعلى ثغر مغنمى وجهادى

ومن قوله فى إجارته للأَخطل من الأَنصار

دعا الأَخطل الملهوف بالشر دعوة فأَيّ مجيب كنت لما دعانيا
ففرج عنه مشهد القوم مشهدى وألسنة الواشين عنه لسانيا

ومن قوله فى علة أبيه التى مات فيها

جاء البريد بقرطاس يَخُبّ به فأَوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم قال الخليفة أمسى مثبتاً وجعا
مادت بنا الأَرض أوكادت تميد بنا كأَن ما عزَّ من أركانها انقلعا
من لم تزل نفسه توفى على وجل توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق ... لصوت رملة هدّ القلب فانصدعا

وكان يومئذ غازياً غزاة الصائفة ، وسبب ذلك أن معاوية وجه جيشاً الى بلد الروم ليغزوا الصائفة ، فأصابهم جُدَرِيّ ، فمات أكثر المسلمين ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مُرَّان مع زوجته أُمّ كلثوم فقال

اذا ارتفقت على الأنماط مصطبحاً ... بدير مُرَّان عندى أُمّ كلثوم

فما أُبالي بما لاقت جنودهمُ ... بالغذْقدونة من حُمَّى ومن موم (١)

فبلغ شعره أباه ، فقال أَجَلْ والله ليلحقن بهم فليصيبنه ما أصابهم ، فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر الى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج فاذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من احداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير ، واذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى ، فسأل يزيد عنهما ، فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جَبَلَة بن الأيهم ، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها ، فقال أمَ والله لأسرنَّها ، ثم حث العسكر وحمل حتى هزم الروم فأجحرهم فى المدينة وضرب باب القسطنطينية بعود حديد كان فى يده فهشمه حتى انخرق فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه حتى اليوم

قال القَحذمى كانت مَيْسون بنت بَحْدَل الكلبية تزين يزيد بن معاوية وترجِّل جمته ، فاذا نظر اليه معاوية قال

فان مات لم يفلح مزينه بعده ... فعوض عليه يا مزينَ التمائما

قال لقيط بن نصر المحاربى كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهى فى الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرحون النصرانى مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله ، فغناه يوماً

(١) الموم البرسام وأشد الجدرى والغذقدونة اسم جامع للثغر الذى منه المصيصة وطرسوس وغيرهما

يا للرجال لمظلوم بضاعتـــه ببطن مكة نائى الأهل والنفر

فاعترته أريحية فرقص حتى سقط ، ثم قال اخلعوا عليه خلعاً يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء ، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها

خالد بن يزيد

هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه ، وكان يوصف بالعلم ويقول الشعر ، خطب رملة بنت الزبير وقال فيها

أليس يزيد السيرُ فى كل ليلة وفى كل يوْم من أحبتنا قربا

أحن الى بنت الزبير وقد علمت بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا

اذا نزلت أرضاً تحجب أهلها الينا وان كانت منازلها حربا

وان نزلت ماء وان كان قبلها مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا

تجول خلا خيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قُلبا

أقلوا عليَّ اللوم فيهـــا فاننى تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بنى العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

قال أبو زيد وزادوا فى الأبيات

فان تسلمى نُسلم وان تتنصرى تخط رجال بين أعينهم صلبا

وتزوج بنت عبد الله بن جعفر بن عليّ بن أبى طالب عليه السلام فقال فيها

جاءت بها دُهم البغال وشهبها مقنعة فى جوف حِدْج مخدر

مقابلة بين النبى محمـــد وبين عليّ والحوارى جعفر

منافية جادت بخالص ودها لعبـــد منافى أغر مشهر

العَرْجِى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية ، وأمه آمنة بنت سعيد بن عثمان ، وقيل له العَرْجى لأنه كان يسكن عَرْج الطائف ، وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منهما ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد ، حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، شبب بجيداء وهي أم محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى ، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد اياه وضربه له حتى مات في السجن فقال فى حبسه

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثَغْر

وصبر عند معترك المنايا ... وقد شرعت أسنتهم بنحرى

أجرر فى المجامع كل يوم ... فيالله مظلمتى وقسرى

كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ... ولم تك نسبتى فى آل عمرو

كان لأبى حنيفة جار بالكوفة يغني ، فكان اذا انصرف وقد سكر يغنى فى غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فلقيه العَسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من غد فأخبر ، فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب الى عيسى بن موسى فقال له ان لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه الا خيراً ، فقال عيسى سلموا الى أبى حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً ألست كنت تغنى يافتى كل ليلة « أضاعونى وأى فتى

أضاعوا » فهل أضعناك ؟ قال لا والله أيها القاضى ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك ، قال لتعد الى ما كنت فتغنيه فانى كنت آنس بك ولم أر به بأساً ، قال أفعل ، وقال الاصمعى مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغنى « أضاعونى وأى فتى أضاعوا » فقلت له أما سداد الكنيف فأنت ملىء به وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ، وكنت حديث السن فأردت العبث به ، فأعرض عني ملياً ثم أقبل على فأنشد متمثلا

وأكرم نفسى انني ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له ، فبأى شيء أكرمتها ؟ فقال بلى والله ان من الهوان لشراً مما أنا فيه ، فقلت وماهو ؟ فقال الحاجة اليك والى أمثالك من الناس ، قال الأصمعى فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس ، قال اسحاق الموصلى اختصر الأصمعى فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه والافكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذى لايجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

كانت مولاة لثقيف اسمها كلابة عند عبد الله بن القاسم الأموى العَبْلى وكان يبلغها تشبيب العرجى بالنساء وذكره لهن فى شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشدّ ما اجترأ العرجى على نساء قريش حتى يذكرهن في شعره ، ولعمرى مالقى أحداً فيه خير ولئن لقيته لأسودن وجهه ، فبلغه ذلك عنها ، وكان العبلى نازلا على ماء لبنى نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة الي مكة والعَرج أعلاها قليلا مما يلى الطائف ، فبلغ العرجى أنه خرج الى مكة فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت اليه كلابة وكان خلفها فى أهله فصاحت به اليك ويحك ، وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو الى القصر ، فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه وقالت لايوجد والله أترك عندى أبداً فيلصق بى منك عسر ، فانصرف وقال ستعلمين وقال

حُور بعثن رسولاً فى ملاطفة ... ثَقْفاً اذا عقل النَّسَّاءة الوَهَم
اليَّ أنْ إيتنا هُدْاً اذا غفلت ... أحراسنا، واقتضحنا انهمُ علموا
فجئت أمشى على هول أُجَشِّمه ... تجشمُ المرء هولاً في الهوى كرم
اذا تخوفت من شىء أقول له ... قد جفّ فامض بشىء قُدِّر القلم
أمشى كما حركت ريح يمانية ... غصناً من البان رَطْباً طَلَّه الدِّيم
فى حلة من طراز السوس مُشْرَبة ... تعفو بهُدَّابها ما أثرت قدم
خلت سبيلى كما خليت ذا عذر ... اذا رأته عتاق الخيل ينتجم
وهن في مجلس خال وليس له ... عين عليهن أخشاها ولا قدم
حتى جلست إزاء الباب مكتتما ... وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أَبدَيْن لى أعيناً نُجْلاً كما نظرت ... أُدْم هِجان أناها مُصْعَب قَطِم
قالت كُلابة من هذا ؟ فقلت لها ... أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جد بى حب فأحرضنى ... حتى بَليت وحتى شفنى السَّقَم
لا تَكِلينى الى قوم لوانّهمُ ... من بغضنا أُطعموا الحمي اذاً طَعِموا
وأنعمى نعمة تُجْزَيْ بأحسنها ... فطالما مسنى من أهلك النعم
ستر المحبين فى الدنيا لعلمهمُ ... أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا
هذى يمينىَ رهن بالوفاء لكم ... فارضَيْ بها ولأَنف الكاشح الرَّغم
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر ... هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبت أُسقى بأكواس أُعَلُّ بها ... من بارد طاب منها الطعم والنسم
حتى بدا ساطع للفجر تحسبه ... سنا حريق بليل حين يضطرم
كغُرَّة الفرس المنسوب قد حُسرت ... عنه الجلال تلالا وهو يلتجم
ودعتهن ولا شىء يراجعني ... الا البنان وإلا الأعين السُّجُم
اذا أردن كلامى عنده اعترضت ... من دونه عبرات فانثنى الكلم

تكاد اذ رمن نهضاً للقيام معى أعجازهن من الأنصاف تنقصم

فسمع ابن القاسم العبلى بالشعر يغنى به ، وكان العرجى أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه ، فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان ، وقال والله لأجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من ايقاعها تحت التُّهَمة عند ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله ، فلما سمع العبلى بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ، ثم أرسلها بعدزمان على بعير بين غرارتى بعر فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجى كذب فيما قاله ، فحلفت سبعين يميناً ، فرضي عنها وردها ، فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجى « فطالما مسني من أهلك النعم » قال كذب والله مامسه ذلك قط

وقال يشبب بامرأة من بني نصر بن معاوية اسمها عاتكة

يادار عاتكة التى بالأزهر[1] أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم ياليت أن لقاءهم لم يقدر
بفناء بيتك وابن مِشْعب[2] حاضر فى سامر عَطِر وليل مقمر
مستشعرين ملاحفاً هرَوِيَّة بالزعفران صباغها والعصفر
باتا بأنعم ليلة حتى بدا صبح تلوّح كالأغرّ الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

وقال فى أمّ الأوقص التميمية ، وكان يتعرض لها فتستتر منه فاحتال حتى رآها وقال

أقول لصاحبىَّ ومثل ما بى شكاه المرء ذو الوجد الأليم
الى الأخوين مثلهما اذا ما تأوَّبه مؤرقة الهموم
لحينى والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أختَ بني تميم
فلما أن رأت عيناى منها أسيل الخد فى خَلْق عَميم

(١) الأزهر على ثلاثة أميال من الطائف (٢) مغن من أهل مكة كان في زمن ابن سريج

وعيني جُؤذَر خرِق وثغر كلون الأُقحوان وجيدَ رِيم
حنا أترابها دونى عليها حنُوَّ العائدات على السقيم

وتزوج العرجى أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان ، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها

ان عثمان والزبير أحلا دارها باليفاع اذ ولداها
انها بنت كل أبيض قَرْم نال فى المجد من قُصَيّ ذراها
سكن الناس بالظواهر منها وتبوَّا لنفسه بَطْحاها

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أُعجب بها فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

قال عبد الله بن عمر العمرى خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفَثت فيه فأدنيت ناقتى منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ثم قالت تأمل ياعم فانني ممن عناه العرجي بقوله

أماطت كساء الخَزّ عن حُرّ وجهها وأدنت على الخدين بُرْداً مهلهلا
من اللاءِ لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبة ولـكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقلت لها أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار ، وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها اعزُبى قبحك الله ولـكنه ظَرف عباد أهل الحجاز

ومما قاله العرجى في أم محمد بن هشام

عوجى علينا ربة الهودج انك الا تفعلى تَحْرَجى
انى أتيحت لي يمانية احدى بنى الحرث من مَذْحِج
نلبَث حولا كاملا كله ما نلتقى إلا على منهج
فى الحج ان حجت وماذا منى وأهله ان هى لم تَحْجُج ؟
أيسر ما نال محب لدى بين حبيب قوله عَرِّج

نقض لحكم حاجة أو نقل هل لىَ مما بيَ من مخرج

وقال يشبب بجبرة المخزومية ، وهى زوج محمد بن هشام

عوجى على فسلمى جَبْرُ فيم الصدود وأنتمُ سفَرْ
ما نلتقى إلا ثلاث منًى حتى يفرق بيننا النَّفَرْ
الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر الا الحول والشهر

ومما قاله العرجى فى سجنه

وكم من كاعب حوراء بكر ألوف الستر واضحة التراقى
بكت جزعا وقد سُمرت كُبول وجامعة يشد بها خناقى
على دهماء مشرفة سَموق ثناها القمح مزلفة التراقى
علىَّ عباءة بلقاء ليست مع البلوى تغيب نصف ساقى
كأن على الخدود وهن شُعْث سجال الماء يبعث فى السواقى
فقلت تجلداً وحلفت صبراً الى ذا اليوم ما رفعت أماقى
سينصرنى الخليفة بعد ربى ويغضب حين يخبر عن مساقى
وتغضب لي بأجمعها قصى قطين البيت والدمث الرقاق
بمجتمع السيول اذا تنحى لئام الناس فى الشعب العماق

وكان الوليد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام فلما ولى الخلافة قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم وأشخصا اليه الى الشام ، ثم دعا بالسياط ، فقال له محمد أسألك بالقرابة ، قال وأى قرابة بينى و بينك ؟ وهل أنت الا من أشجع ؟ قال فأسألك بصهر عبد الملك ، قال لم تحفظه ، فقال ياأمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط الا فى حد ، قال فى حد أضربك وقوَد أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا

الخبر وأنا ولي ثأره ، اضرب ياغلام ، فضربهما ضرباً مبرحاً وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب اليه احبسهما مع ابن النصرانية « يعنى خالداً القَسْرى » ونفسك نفسك ان عاش أحد منهم ، فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيما ، حق لم يبق فيهم موضع للضرب ، فكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل ابراهيم لينظر فى وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معهما في يوم واحد

قال مصعب بن عبد الله أتانى أبو السائب المخزومى ليلة بعد ما رقد السامر ، فأشرفت عليه ، فقال سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا الى العقيق فتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى « باتا بأنعم ليلة » فقال أعده علىَّ ، فأعدته ، فقال أحسن والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته ، فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا اليه ووقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلىَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت منذ الليلة ، فقال انا لله وأى كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمى قاضى المدينة يريد مالاً له على بغلة له ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلىَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ قلت آنفاً ، فلما أراد المضى قلت أفتدعه هكذا ؟ والله ما آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق ، قال صدقت ياغلام

قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعه فى رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه يا غلام أوصله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته بخبره ، فقال قبحك الله فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغررتني

أنشد ابن جندب الهذلي ابنَ أبي عتيق قول العرجى

وما أَنْسَ مِ الأَشياء لا أنس قولها لخادمها قومى اسألي لي عن الوتر
فقالت يقول الناس فى ستَّ عشرةً فلا تعجلي منه فانك فى أجر
فما ليلة عندى وان قيل جمعة ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الاثنين عندى وبالحرَى يكون سواءً منهما ليلة القدْر

فقال ابن أبي عتيق أشهدكم أنها حرة من مالي ان أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب

قال مَسلمة بن ابراهيم بن هشام كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكر قول العرجى

أين ما قلتِ مت قبلك أينا أين تصديق ما وعدتِ الينا
فلقد خفت منك أن تَصْرِمى الحبل وأن تجمعى مع الصَّرْم بَيْنا
ما تقولين فى فتى هام اذ ها م بمن لا يُنال جهلاً وحينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلاً لا تَحيفى ولا يَحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهوداً أو يميناً فأَحضرى شاهدينا
خُلتى لو قدرت منك على ما قلتِ لي فى الخلاء حين التقينا
ما تحرجتِ من دمى علم اللَّه ولو كنتُ قد شهدت حُنينا

فقال أيوب لأشعب ما تظن أنها وعدته ؟ قال أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه فى شِعْبٍ من شعاب العَرْج يوْم الجمعة اذا نزل الرجال الى الطائف للصلاة

فعرض لها شغل فقطعها عن موعده ، قال فمن كان الشاهدان ؟ قال كسير وعوير وكلّ غير خير ، فند أبو زيد مولي عائشة بنت سعد وزور الفرق مولى الأنصار ، قال فمن العَدْل ؟ قال حصين بن عرير الحميرى

كان العرجى يستقى على ابله فى شملتين ثم يغتسل ويلبَس حلتين بخمسمائة دينار ثم يقول

يوْماً لأَصحابى ويوْماً للمال مِدْرَعة يوْماً ويوْماً سِرْبال

كان العَرْجى غازياً فأَصابت الناس مجاعة ، فقال للتجار أَعطوا الناس وعلىَّ ما تعطون ، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار فألزَمها العَرْجى نفسه ، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال بيت المال أحق بهذا ، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال

عبد الرحمن بن الحكم

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصي بن أمية ، يكنى أبا مطرِّف

شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه

قدم على معاوية وقد عزَل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاصى ، وكان مروان وجه به وقال القه أمامى فعاتبه لي واستصلحه ، فدخل عليه وهو يعشى الناس فأنشأ يقول

أتتك العِيس تنفخ فى بُراها تكشف عن مناكبها القطوع

بأَبيض من أمية مضْرَحىّ كأَن جبينه سيف صنيع

فقال معاوية أَزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال أىّ ذلك شئت فقال له ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عنَّ له فقال له على أىّ الظهر أتيتنا ؟ قال على فرسى ، قال وما صفته ؟ قال أجش هزِيم ، يعرض بقول النجاشى له

ونجى ابنَ حرب سابح ذو عُلالة أَجشّ هزِيم والرماح دَوان

اذا خلت أطراف الرماح تناله مرَرْته به الساقان والقـــدمان

فغضب معاوية وقال أما انه لا يركبه صاحبه فى الظـلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك ، فخجل عبـد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ؟ أَلجناية أوجبت سخطاً أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال لتدبير استصلحته ، قال فلا بأْس بذلك وخرج من عنده فلقى أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً وقال له قبحك الله ما أضعفك ، أعرّضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصف منك أحجمت عنه ؟ ثم لبس حلته وركب فرســه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه مرحباً بأبى عبد الملك لقد زُرتنا عن اشتياق منا اليك ، قال لا ها الله ما زُرتك لذلك ولا قدمت عليك فأَلفيتك الا عاقاً قاطعاً والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبى العاصى والصهر برسول الله صلى الله عليه وسـلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بنى حرب وشرفوكم وولّوْكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الأمر اليكم أبيتم الا أَثَرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة ، فرويداً رويداً قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وانما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ، ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هلم للجزاء بالحسنى وبالسُّوءى بالمِرْصاد ، فقال له معاوية عزَلتك لثلاث لو لم يكن منهن الا واحدة لأَوجبت عزلك ، إحداهن أنى أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعْدِها ، فقال له مروان أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ولـكن اذا تساوت الأَقدام علم أين موقعه ، وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه

ثم جعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله انى لتأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ستراً ، فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك ، فقال له مروان هو ذاك الآن والله انى لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدى أن يكملوا العدة ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني ، فانخزل معاوية ثم قال

فان أكُ في شراركمُ قليلاً ... فانى في خياركمُ كثير
بغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأمّ الصقر مقلات نزُور

فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية فى يده وخضع له وقال لك العُتْبَى وأنا رادك الى عملك ، فوثب مروان وقال كلا والله وعيشك لا رأيتنى عائداً اليه أبداً وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه اذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له ادن منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له ان الحكم بن أبى العاصى كان أحد من وفد مع أختي أمّ حبيبة لما زفت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى تولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدّ النظر اليه ، فلما خرج من عنده قيل له يارسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم ، فقال ابن المخزوميه ؟ ذلك الرجل اذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف لا يسمعن هذا أحد منك فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله عز وجل أمراً يكن ، فقال له معاوية فاكتمها عليَّ يا أبا بحر إذاً فقد لعمرى صدقت ونصحت

وقال عبد الرحمن فى غضب معاوية من تعريضه

أتقطر آفاق السماء له دماً ... اذا قيل هذا الطِّرْف أجرد سابح
فحتى متى لا ترفع الطَّرْف ذلة ... وحتى متى تعيا عليك المنادح

قال ابن أبى مليكة رأيت بنى أمية يتتابعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بنى أمية عن الحجاز فذهبت معهم وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده فدخلنا عليه ، فقال له عبيد الله بن عمير مالي أراك تذرف عيناك ؟ فقال له ان هذا «يعنى عبد الرحمن بن الحكم» قال بيتاً أبكانى وهو

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتى وعبد مَنَاف لم تَغُلْها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بنى أميـة وانا انما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل

ومن قول عبد الرحمن فى جارية لأخيه مروان كان يهواها واسمها شنباء

لعمر أبى شنباء انى بذكرها وان شحطت دار بها لحقيق
وانى لها لا ينزع الله مالها عليَّ وان لم ترْعَه لصـــديق
ولماذ كرت الوصل قالت وأعرضت متى أنت عن هذا الحديث مفيق ؟

لما ادعى معاوية زياداً قال ابن الحكم

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل الهجان
أتغضب أن يقال أبوك عفّ وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنهـا ولدت زياداً وصخر من سُمية غير دان

فبلغ ذلك معاوية فحلف ألاَّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنـه زياد ، فخرج الى زياد فلما دخل عليه قال إيه ياعبد الرحمن أنت القائل « ألا أبلغ » فقال لا أيها الأمير ما هكذا قلت ولـكنى قلت

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلغلة من الرجل الهجان
من ابن القرْم قرم بنى قصى أبى العاص ابن آمنة الحَصان
حلفت برب مكة والمصلى وبالتوراة أحلف والقران

لأنت زيادة فى آل حرب أحب الى من وُسْطَى بنانى
سررت بقربه وفرحت لما أتانى الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقة وعم بعون الله فى هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتَّى فما أدرى بغيب ما ترانى

فرضى عنه زياد وكتب له بذلك الى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال أنشدنى ماقلت لزياد ، فأنشده ، فتبسم ثم قال قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلت له أخيراً حيث تقول « لأنت زيادة فى آل حرب » شر من القول الأول ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه

استعمل معاوية الحرث بن الحكم على غزاة البحر فنكص واستعفى ، فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذ شاب فمضى وأبلى وحسن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن لأخيه الحرث

شنئتك اذ رأيتك حوْتكياً قريب الخُصيتين من التراب
كأنك قملة لقحت كِشافاً لبرغوث ببعرة أو صُواب
كفاك الغزوَ اذ أحجمت عنه حديثُ السن مقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهبت ضلالا وليتك عند منقطع التراب

لطم عبد الرحمن مولى لأهل المدينة حنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة ، فاستعداه الحناط عليه فأجلسه مروان بين يديه وقال له الطِمْه ، فقال الحناط والله ما أردت هذا وانما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرنى عليه وقد وهبتها لك ، قال لست أقبلها منك فخذ حقك ، فقال والله لا ألطمه ولكنى أهبها لك ، فقال مروان ان كنت ترى أن ذلك يسخطنى عليك والله لا أسخط فخذ حقك ، فقال قد وهبتها لك ولست والله لألطمه ، قال لست والله قابلها فان وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز وعلا ، فقال قد وهبتها لله ، فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان

كل ابن أم زائد غير ناقص وأنت ابن أم ناقص غير زائد

وهبت نصيبى منك يامرو كله لعمرو وعثمان الطويل وخالد

نظر عبد الرحمن الى قتلى قريش يوم الجمل فبكي وأنشأ يقول

أياعين جودى بدمع سَرِب على فتية من خيار العرب

وما ضرهم غير حين النفو س أىُّ أميرى قريش غلب

وكانت بينه وبين عبد الرحمن بن حسان مهاجاة ، وقد كانا قبل خليلين ، وسبب التهاجى أنهما خرجا الى الصيد بأكلب لهما فى امارة مروان فقال ابن الحكم لابن حسان

ازجر كلابك انها قَلَطية (١) بقع ومثل كلابكم لم تصطد

من كان يأكل من فريسة صيده فالتمر يغنينا عن المتصيَّد

فرد عليه ابن حسان

انا أناس ريِّقون وأمكم كسكلابكم فى الولغ والمتردَّد

حزناكمُ للضب تحترشونه والريفَ نمنعكم بكل مهند

ثم رجعا الى المدينة فجعلا يتقارضان فقال ابن الحكم

ومثل أمك أم العبد قد ضربت عندى ولي بغناء مزْهَر جرم

وأنت عند ذناباها تعاونها على القدور بخثى خاثر البرُم

فنقضها ابن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها

يأيها الراكب المزجي مطيته اذا عرضت فسائل عن بني الحكم

القائلين اذا لاقوْا عدوهمُ فِرُّوا فكُرُّوا على النسوان والنَّعم

وكم أمين نصيح الجيب قال لكم ألا نهيتم أخاكم يا بنى الحكم

عن رجل لا بغيض فى عشيرتكم ولا ذليل قصير الباع معتصم

(١) القلطى القصير جداً من الناس والسنانير والكلاب

وقال ابن حسان

صار الذليل عزيزاً والعزيز به ذل وصار فروع الناس أذنابا
انى لملتمس حتى يبين لكم فيكم متى كنتمُ للناس أربابا
ففارقوا طلعكم ثم انظروا وسلوا عنا وعنكم قديم العلم أنسابا
فكيف يضحك أو تعتاده ذُكر يا بؤس للدهر للانسان رَيَّابا

ولما كثر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ « وهو الخليفة » الى سعيد بن العاص « وهو عامله على المدينة » أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً قط غيره ، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه فأمسك عنهما ، ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابن حسان الى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيراً مكيناً عند معاوية

ليت شعرى أغائب أنت بالشا م خليلى أم راقد نعمان
آية ما تكن فقد يرجع الغا ئب يوماً ويوقظ الوسنان
ان عمراً وعامراً أبوينا وحراماً قِدْماً على العهد كانوا
أفهم مانعوك أم قلة الكتـــاب أم أمرى عليك هوان
يوم أنبئت أن ساقى رُضت وأتاكم بذلك الركبان
ثم قالوا ان ابن عمك يلوى من أمور أتى بها الحدثان
انما الرمح فاعلمنَّ قنـــاة أو كبعض العيدان لولا السنان

وهى قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال يا أمير المؤمنين انك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل ، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه ، قال فتريد ماذا ؟ قال أن تكتب اليه بمثل ما كتبت الى سعيد ، فكتب معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة و بعث

الى ابن حسان بحلة ، فلما قدم الكتاب على مروان بعث الى ابن حسان انى مخرجك وانما أنا مثل والدك وما كان ما كان منى اليك الا على سبيل التأديب لك واعتذر اليه ، فقال ابن حسان ما بدا له فى هذا إلا لشىء قد جاءه ، وأبى أن يقبل منه ، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجه اليه بالحلة فرمى بها فى الحُشّ ، فقيل له حلة أمير المؤمنين وترمى بها فى الحش ؟ قال نعم ما أصنع بها ؟ وجاءه قومه فأخبروه الخبر ، فقال قد علمت انه لم يفعل ما فعل الا لأمر قد حدث ، فقال الرسول لمروان ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يعفو فهلم أخاك ، فبعث مروان الى الأنصار وطلب اليهم أن يطلبوا اليه أن يضربه خمسين فانه ضعيف فطلبوا اليه فأجابهم فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك فقال له أضربك مائة ويضربه خمسين ؟ بئسما صنعت اذ وهبتها له ، قال انه عبد وانما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر ، فحمل هذا الكلام حتى شاع فى المدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه فأتى أخاه مروان بن الحكم فقال له لاحاجة لنا فيما تركت فهلم فاقتص فضرب ابن الحكم خمسين أخرى فقال ابن حسان يهجو ابن الحكم

دع ذا وعد قريض شعرك فى امرئ ... يهذى وينشد شعره كالفاجر
عثمان عمكم ولستم مثله ... وبنو أمية منكم كالآمر
وبنو أبيه سخيفة أحلامهم ... فحش النفوس لدى الجليس الزائر
أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر
هم ينظرون اذا مددت اليهم ... نظر التيوس الى شفار الجازر
خزر العيون منكس أذقانهم ... نظر الذليل الى القوى القاهر

فقال ابن الحكم

لقد أبقى بنو مروان حزناً ... مبيناً عاره لبني سواد
أطاف به صبيح فى مشيد ... ونادى دعوة يابنى سعاد
لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لاحياة لمن تنادى

أم حكيم

هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص ، أمها زينب بنت عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم الواصلة بنت الواصلة لأنهما وصلتا الجمال بالكمال ، وأمّ زينب سُعدى بنت عوف الطائية وكانت عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له ملحة وريطة ، ثم توفى عنها فخلف عليها طلحة بن عبيد الله فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فتكلم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا ، فقالت انه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة لا بد من خروجها فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهى أم أم حكيم ، وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر ابن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس فقال فيه شاعر من أهل الكوفة

أتاك البحر طمّ على قريش مُغيرى فقد زاغ ابن بشر

وقال مصعب الزبيرى هو « يعنى المغيرة » مطعم الجيش بمني وهو الى الآن يطعم عنه ، وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً ، وقد كان أعلاها قضيباً وأسفلها كثيباً ، تزوجها أبان بن مروان بن الحكم فولدت له عبد العزيز بن أبان ثم مات عنها فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا الى عبد الملك فأرسل يحيى الى المغيرة بن عبد الرحمن كم الذى تأمل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على الف دينار ولا يزيدك على خمسمائة دينار ولها عندى خمسون الف دينار ولك عندي عشرون الف دينار ان زوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك ، فغضب عليه

عبد الملك وقال دخل علىّ فى خِطبتى والله لايخطب على منبر مادمت حياً ولارأى منى ما يحب ، فأسقطه فقال يحيى

ألا لا أبالي اليوم ان أسلب ان بقيت لي كعكتان وزينب

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد تزوجها فى حياة جده عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما عقد فى مجلس عبد الملك وأمر بادخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع فدخلا وبدأ عدى لموضعه منهم فقال

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ماغابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ممن رأى هذا ومن سمعا
دام السرور له بها ولها وتهنيا طول الحياة معا

وقال جرير

جمع الأمير اليه أكرم حرة في كل ما حال من الأحوال
حَكَمية علمت الرَّوابى كلها بمفاخر الأعمام والأخوال
واذا النساء تفاخرت ببُعولة فخرتهمُ بالسيد المفضال
عبد العزيز ومن يكفِّف نفسه أخلاقه يابثْ بأكسف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة وصدقت فى نفسى لكم ومقالي
فلتهنك النعم التى خولتها يا خير مأمول وأكرم وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدى بن الرقاع بمثلها وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير ، فلم تزل عند عبد العزيز مدة ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر فملكته وأحبها وذهبت بقلبه كل مذهب فلم ترض منه الا بطلاق أم حكيم فطلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة

أيضاً وكان شديد المحبة لأم حكيم فطلق لها ميمونة اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز وقال لها هل أرضيتك منها ؟ فقالت نعم ، فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام وكان من رجالات بني امية وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد ويغرى الناس به

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب لاتكاد تفارقه ومن قولها فى ذلك

ألا فاسقياني من شرابكما الوَرْدى ... وان كنت قد أنفدت فاسترهنا بُرْدى

سِوارى ودُمْلوجى وما ملكت يدى ... مباح لكم نَهْب ولا تقطعوا وِرْدى

وكأسها الذى كانت تشرب فيه مشهور عند الناس الى اليوم وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد

عللانى بعاتقات الكروم ... واسقيانى بكأس أم حكيم

انها تشرب المدامة صرفاً ... في اناء من الزجاج عظيم

جنبونى أذاة كل لئيم ... انه ما علمت شر نديم

ثم ان كان في النداما كريم ... فأذيقوه بعض مس النعيم

ليت حظي من النساء سليمى ... ان سلمى جنينتى ونعيمى

فدعونى من الملامة فيها ... ان من لامنى لغير رحيم

فيقال ان الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم أوَ تفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت أو تصدق الفاسق فى شىء فتصدقه فى هذا ؟ قال لا ، فقالت هو كبعض كذبه

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد فقال

فحسب أبى العباس كأس وقَينة ... وزِق اذا دارت به فى الذوائب

ومن جلساء الناس مثل ابن مالك ... ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب

ان كأس العجوز كأس رِواء ... ليس كأس ككأس أم حكيم

انها تشرب الرساطون صرفاً في اناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيـــل لظلا في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلـــق فوافى لذاك غير حكيم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر وكان هشام ينوه باسمه ، وأراد أن يوليه العهد بعده وولاه الحج ، فحج بالناس ، وفيه يقول عروة بن أذينة لما وفد على هشام وفرق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً وأحبه الناس ومدحوه

أتينا نمتّ بأرحامنـا وجئنا بأمر أبي شاكر

قال اسمعيل بن مجمع كنا نخرج مافي خزائن المأمون من الذهب والفضة ونزكي عنه ، فكان فيما يزكي عنه قائم كأس أم حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا ووصفه اسمعيل فقال كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب

آدم بن عبد العزيز

هو آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو أحد من مَنَّ عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم ، وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ثم نَسَك بعد ما عمر ومات على طريقة محمودة

ومن قوله وفيه غناء

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل
قهوة في ظل كرم سُبِئت من نهر بيل
لونها أصفر صافٍ وهي كالمسك الفتيل
في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيـــل
ريحهـــا ينفح منها ساطعاً من رأس ميل
من يَنَلْ منها ثلاثاً ينس منهاج السبيل

فمتى ما نال خمسا تركته كالقتيل
ليس يدري حين ذاكم ما دَبِير من قَبيل
ان سمعى عن كلام اللائمى فيها الثقيل
لَشديد الوَقْر انى غير مطواع ذليل
قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
أنت دَعْها وارج أخرى من رحيق السلسبيل
تعطش اليوم وتسقى فى غد نعت الطلول

فلما سمع المهدي هذين البيتين قال له ويلك تزندقت ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق ؟ والمحنة فى هذا اليك ولكنه طرب غلبنى وشعر طفح على قلبى فى حال الحداثة ، فنطقت به ، فخلى سبيله ، وكان المهدى يحبه ويكرمه لظَرفه وطيب نفسه

ومن قوله

اسقنى واسق غصينا لا تبع بالنقد دينا
اسقنيها مزة الطعم تريك الشين زينا

ومنه

اسقني يا معاوية سبعة أو ثمانية
اسقنيها وغنني قبل أخذ الزبانية
اسقنيها مدامة مزة الطعم صافية

وهو الذى يقول

أحبك حبين لي واحد وآخر انك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الطباع فشىء خصصتِ به عن سواك
وأما الذى هو حب الجمال فلست أرى ذاكِ حتى أراك

ولست أمنّ بهذا عليك لك المن فى ذا وهذا وذاك

وقال لما نزع عن الخمر

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ليجزيه يوْماً بذلك قادر
شربت فلما قيل ليس بنازع نزعت وثوْبى من أذى اللوم طاهر

وآدم الذى يقول

أقول وراعني ايوان كسرى برأس معان أو ادروسنان
وأبصرت البغال مربطات به من بعد أزمنة حسان
يعز على أبى ساسان كسرى بموقفكن فى هذا المكان
شربت على تذكر عيش كسرى شراباً لونه كلون عفران
ورحت كأننى كسرى اذا ما علاه التاج يوْم المهرجان

مات آدم على توبة ومذهب جميل

الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وأُمه امّ الحجاج بنت محمد بن يوسف وهى بنت أخى الحجاج ، وفيه يقول أبو نخيلة

بين أبى العاصى وبين الحجاج يالكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

وأُمّ يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأُمها أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأُمّ عبد الله بن عامر أُمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، ولذلك يقول الوليد بن يزيد

أنا ابن أبى العاصى وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ثقيف وفهْر والعصاة الأكابر

نبيّ الهدى خالي ومن يك خاله نبيّ الهدى يقهر به من يفاخر

وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ، ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ويقول أنه نُحِله وألصق اليه والأغلب الأشهر غير ذلك

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق قال العباس يا أمير المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وارجاف وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفُتّ ذلك في أعضاد أهل الشام فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ، قال غداً ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى يزيد فقال يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال بل ولد عبد الملك ، قال فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال اذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي ، قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام ، والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة ، قال غداً أبايع له ، فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه ، فلما أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر اليه ويقول الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك ، وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة ، فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع في خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وادمانه على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به وولاه الحج ليظهر ذلك بالحرمين فيسقط ، فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين وبالشراب ، وأمر مولى له فحج بالناس ، فلما حج طالبه هشام بأن

يخلع نفسه فأبى ذلك ، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاءً شديداً ، فخرج متبدِّياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً ، وكان يرمى بالزندقة ، وحرض هشام الناس على خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام وأُمه أُمّ حكيم بنت يحيى ابن الحكم ، وكان مسلمة يكني أبا شاكر « كنى بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاكر كان ذا رأى وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به » فأجابه الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسمعيل المخزومى والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسى وغيرهم من خاصة هشام ، وكتب الى الوليد ما تدع شيئاً من المنكر الا أتيته وارتكبته غير متحاشٍ ولا مستتر ، فليت شعرى مادينك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب اليه الوليد

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
نشربها صِرْفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال يعيرنى بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضُر الصلوات ، وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال رجل من موالى أهل المدينة

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
الواهب البُزْل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

وبلغ خالداً القسرى ما عزم عليه هشام ، فقال أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغت هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سبباً لإيقاعه به ، وكان هشام يكثر تنقص الوليد فكان مسلمة بن عبد الملك يعاتب هشاماً ويكفه فمات مسلمة فغمَّ الوليد ورثاه فقال

أتانا بريدان من واسط يَخُبَّان بالكتب المعجمة
أقول وما البعد الا الرَّدَى أَمَسْلَمَ لا تبعدن مسلمة

فقد كنت نوراً لنا فى البلاد تضىء فقد أصبحت مظلمة
كتمنا لنعيك نخشى اليقين فجلّى اليقين عن الجَمْجَمة
وكم من يتيم تلافيته بأرض العدو وكم أيِّمة
وكنت اذا ما الحرب درَّت دماً نَصَبْتَ لها راية معلَمة

بينما هشام واقف بومَ توفى مسلمة بن عبد الملك اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مُطْرَف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين ان عُقْبَى من بقى لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى واختل الثغر فوَهَى ، وعلى أثر من سلف يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزَّاد التقوى ، فأعرض عنه هشام ولم يرد جواباً ، ووَجَم الناس فما هَمَسَ أحد بشىء ، فمضى الوليد وهو يقول

أهينَمة حديث القوم أم هم سكوت بعد ما متَع النهار
عُزَير كان بينهمُ نبياً فقول القوم وحى لا يحار
كأنا بعد مسلمة المرجَّى شُرُوب طوَّحت بهمُ عُقار
أوَالاف هِجان فى قيود تَلفّت كلما حَنَّتْ ظُؤَار
فليتك لم تمت وفداك قوم تزيح غبيهم عنا الديار
سقيم الصدر أو شَكِس نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

يريد بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ويعنى بالشكس هشاماً والذى لا يزُور ولا يزَار مروان بن محمد

لما أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده قال الوليد

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتَها جزاك بها الرحمن ذوالفضل والمن
رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى ولوكنت ذا حزم لهدَّمت ما تبنى
أراك على الباقين تبنى ضغينة فيا وَيْحَهم ان مت من شر ما تجنى

كأنى بهم يوماً وأكثرُ قولهم أياليت أنَّا حين ياليت لاتغنى

عتب هشام على الوليد خاصتَه فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبلق بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأغدق وخلف بالرُّصافة كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بما يحدث وأخرج معه عبدالصمد بن عبدالأعلى فشربوا يوماً فقال له الوليد يا أبا وهب قل أبياتاً نغني فيها ، فقال أبياتاً وأمر عمر الوادى فغنى فيها وهي

ألم تر للنجم اذ سبعا يبادر فى بُرْجه المرجعا
تحير عن قصد مَجْراته أتى الغَوْر والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه وقد لاح اذلاح لي مُطْمعا
لعل الوليد دنا ملكه كتأميل ذى الجَدْب أن يَمْرَعا
عقدنا له محكمات الامو رطوعاً وكان لها موضعا

فروى هذا الشعر و بلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجرى عليه وعلى أصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خِدْناً ومحدثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك ولن أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموماً فأخرجه الوليد وقال

لقد قذفوا أبا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير

فكتب الوليد الى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد واعتذر اليه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل فى الخروج اليه ، وكان من خاصة الوليد ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره ، وكان ابن سهيل من أهل النباهة وقد ولى الولايات ولى دِمَشق مراراً وولى غيرها ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مُبَرِّحاً وألبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد وقال من يثق بالناس ومن

يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع معي ما ترون ولا يعلم ان لي في أحد هوى الا أضر به ، كتب الي بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته ، وكتبت اليه في أن يأذن لابن سهيل في الخروج الي فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه ، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه الي فضربه وحبسه يضارّني بذلك ، اللهم أجرني منه ، ثم قال الوليد

أنا النذير لمُسدي نعمة أبدا ... الى المقاريف لما يَخْبُرُ الدَّخلا
ان أنت أكرمتهم ألفيتهم بطِروا ... وان أهنتهمُ ألفيتهم ذُلُلا
أتشمَخون ومنا رأس نعمتكم ... ستعلمون اذا أبصرتم الدولا
انظر فان أنت لم تقدر على مثل ... لهم سوى الكلب فاضربهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه ... حتى اذا ما استوى من بعد ما هَزَلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ... ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

وقال الوليد أيضاً يفتخر على هشام

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عُلْيا مَعَدّ مدى كري واقدامي
اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وَكِلاً ... على منار مضيآت وأعلام
حللت من جوهر الأعياص قد علموا ... في باذخ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو الى فرع طود شامخ سام

فلما سمع ذلك هشام قال والله ما علمت له معد كراً واقداماً الا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه فان كان يعني ذلك بكره واقدامه فعسى

وبلغ الوليد ان العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب فلعنهم وقال انهم ليعيبون على ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال وهو من جيد شعره ومختاره

ولقد قضيت وان تجلل لمتي شيب على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدُّمى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تأبى الهوانَ وجوههم شم الأنوف جحاجح سادات
ان يَطلبوا بتراتهم يعطَوْا بها أو يُطْلَبوا لا يُدرَكوا بترات

كتب الوليد الى هشام ، بلغنى ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو من محا من أصحابى وانه صرمنى وأهلى ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك فيَّ ، ولا ينالنى مثله منه ، ولم يبلغ استصحابى لابن سهيل ومسئلتى فى أمره أن يجرى على ماجرى ، وان كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين فبحسب العَيْر أن يقرب من الذئب ، وعلى ذلك فقد عقد الله لى من العهد وكتب لى من العمر وسبب لى من الرزق مالا يقدر أحد دونه تباركَ وتعالى على قطعه عنى دون مدته ، ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له ، فقدر الله يجرى على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا ، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم بما يستوجبون من الله العقوبة عليه ، وأمير المؤمنين أحق بالنظر فى ذلك والحفظ له ، والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له فى الأمور بقدرته ، وكتب اليه فى آخر كتابه

أليس عظيما أن أرى كل وارد حياضَك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود الرجاء مُصَرَّداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبْوة يشد عليها كفه بالأنامل

فكتب اليه هشام قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجرى عليك ولا يتخوف على نفسه اقتراف المأثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محا من صحابتك

لأمرين ، أما أحدهما فان أمير المؤمنين يعلم مواضعك التى كنت تصرف ما يجريه عليك وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دارة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم فى سفهك ، وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من اعطائه إياك باستئناف قطعه عنك ، وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لقد جعله الله لذلك أهلاً وهل زاد ابن سهيل « لله أبوك » على أن كان زَفَّانا مغنياً قد بلغ فى السفه غايته ، وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحب فى الأمور التى ينزل أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمرى أهلاً للتوبيخ فيه ، وأما ما ذكرت مما سببه الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره ، ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً وان الله ولى ذلك منه وانه لابد له من مفارقته وان الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم ، وان أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرضاية لهم فان بلاء الله أعظم عند أمير المؤمنين من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره الا بعون منه ، ولئن كان قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيل فان فى الذى هو مفض وصائر اليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا ، ولعمرى ان كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك ، فأبق على نفسك وقصر من غُلوَائها واربَع على ظَلَعك فان لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده ، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور اليه وأرضاها له ، وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت سامحت الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام

قال أبو الزبير المنذر بن عمرو وكان كاتباً للوليد، أرسل إليَّ الوليد صبيحة اليوم الذى أتته فيه الخلافة، فأتيته، فقال لي يا أبا الزبير ما أتت عليَّ ليلة أطول من هذه الليلة، عرفتني أمور وحدثت نفسى فيها بأمور، وهذا الرجل قد أُولع بى فاركب بنا نتنفس، فركب وسرت معه، فسار ميلين ووقف على تل، فجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج قد أقبل وسمع قعقعة البريد، فتعوذ بالله من شر هشام وقال ان هذا البريد قد أقبل بموت حى أو بملك عاجل، فقلت لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويبقيك اذ بدا رجلان على البريد يُقبلان أحدهما مولى لأبى سفيان بن حرب فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا، فسلما عليه بالخلافة، فوَجَم وجعلا يكرران بالخلافة، فقال ويحكم ما الخبر؟ أمات هشام؟ قالا نعم، قال فمرحباً بكما، ما معكما؟ قالا كتاب مولاك سالم بن عبدالرحمن، فقرأ الكتاب وانصرفنا، وسأل عن مولاه عياض بن مسلم الذى كان هشام ضربه وحبسه، فقالا يا أمير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار الى حال لا ترجى الحياة لمثله معها أرسل عياض الى الخُزَّان احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلن أحد الى شيء، وأفاق هشام افاقة فطلب شيئاً فمنعه فقال أرانا كنا خزاناً للوليد، وقضى من ساعته فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام، فختم الأبواب والخزائن وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن، فكفنه غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقماً حتى استعاروه، وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن اسمعيل المخزومى فأخذا بعد أن عاذ ابراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك، فقال الوليد ما أراه الا قد نجا، فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله ان الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين فخذه برد ما فى يده من مال الله، فقال صدقت، وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر، وكتب اليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا، ففعل ذلك بهما، وماتا جميعاً فى العذاب بعد أن أقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم

قالوا ولما نعى هشام للوليد قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ، ثم أنشأ يقول

طاب يومى ولذَّ شرب السُّلافة اذ أتانا نعِىّ من بالرُّصافة
وأتانا البريد ينعى هشاماً وأتانا بخاتم للخلافة
فاصطبحنا من خمر عانة صرفاً ولهونا بقَينة عزَّافة

وقال

طال ليلى فبت أسقى المداما اذ أتانى البريد ينعى هشاما
وأتانى بحلة وقضيب وأتانى بخاتم ثم قاما
فجعلت الولى من بعد فقدي يفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قَرْم قريش خير قَرْم وخيرهم أعماما

وقال

هلك الأحول المشؤ م فقد أرسل المطر
ثمت استخلف الوليد فقد أورق الشجر

وقال

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد أُترعا
كِلنا له الصاع التى كالها فما ظلمناه بها أصوعا
لم نأت ما نأتيه عن بدعة أحله الفرقان لى أجمعا

وحلف ألا يبرح موضعه حتى يغني فى هذا الشعر ويشرب عليه ، فتغنى له فيه وشرب وسكر ، ثم دخل فبويع له بالخلافة ، وسمع صياحاً فسأل عنه فقيل له هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال

انى سمعت بليل ورا المصلى برنة
اذا بنات هشام يندبن والدهنه

يندبن قَرْماً جليلاً قد كان يعضدهنه

وللوليد أشعار جياد فوق هذا الشعر ، فمنها وهو ما بَرّز فيه وجَوَّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله فى صفة الخمر

اصدع نَجِيّ الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غَضارته لا تقفُ منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها فهى عجوز تعلو على الحِقب
أشهى الى الشَّرْب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورقّ جوهرها حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهى لدى المزج سائل الذهب
كأنها فى زجاجها قَبَس تذكو ضياء فى عين مرتقب
فى فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
مافى الورى مثلهم ولا بهم مثلى ولا منتمٍ لمثل أبى

ومن قوله

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا اذا هموا باحدى هَنَاتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله

فان تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك ان بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدى
فتندم فى الذى فرطت فيه اذا قايست فى ذمى وحمدى

لما خرج زيد بن على رضى الله عنه على هشام منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة فكتب الوليد الى أهل المدينة لما استخلف

ألا أيها الركب المخبّون بلغوا سلامى سكان البلاد فأسمعوا

وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
سيوشك الحاق بكم وزيادة وأعطية تأتى تباعاً فتشفع
ضمنت لكم ان لم تصابوا بمهجتى بأن سماء الضر عنكم ستُقلع

فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ذلك

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا ستقلع
فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنا كما كنا نرجى ونطمع

بعث الوليد الى جماعة من أهله لما ولى الخلافة فقال أتدرون لم دعوتكم ؟ قالوا لا ، قال فليقل قائلكم ، فقال رجل منهم أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه ، فقال نعم ولكني

أشهد الله والملائكة الأبـــرار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتهى السماع وشرب الكا س والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى علىّ بالأقداح

وفد سعد بن مرة بن جبير ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج الى متنزه له فصاح به يا أمير المؤمنين وافدك وزائرك ومؤملك ، فتبادر اليه الحراس ليصدوه عنه ، فقال دعوه ، ادنُ اليَّ ، فدنا اليه فقال من أنت ؟ قال رجل من أهل الحجاز شاعر ، قال تريد ماذا ؟ قال تسمع منى أربع أبيات ، قال هات ، فقال

شمِن المخايل نحو أرضك بالحيا ولقين ركباناً بعُرفك قُفَّلا

قال ثم مه ؟ قال

فعمدَن نحوك لم يبُحن بحاجة الا وقوع الطير حتى ترحلا

قال ان هذا لسير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال

يعمدن نحو مُوطىء حجراته كرماً ولم تعدل بذلك معدلا

قال قد وصلت اليه فمه ؟ قال

لاحت له نيران حى تُصطلى فاخترن نارك فى المنازل منزلا

كان الوليد فى حياة أبيه متزوجاً سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فرأى أختها سلمى فوقعت بقلبه ، فلما مات أبوه طلق سعدة زوجته وخطب سلمى الى أبيها فلم يزوجه ورده أقبح رد ، وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسل ، ثم ندم على طلاقه سعدة وكان لها من قلبه محل ولم تحصل له سلمى ، فاهتم لذلك وجزع ، وراسل سعدة وقد كانت زوجت فلم ينتفع بذلك ، ومن قوله فيها

فما مسك يُعَلّ بزنجبيل ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من مُجاجة ريق سلمى ولا مافى الزقاق من القَراح
ولا والله ما أنسى حياتى وثاق الباب دونى واطراحى

وكان قد تزيا زى بائع زيت ودخل قصرها ليراها فلما رأته عرفته وقالت هو والله الفاسق الوليد

ولما طال بالوليد مابه كتب الى أبيها

أبا عثمان هل لك فى صنيع تصيب الرشد فى صلتى هديتا
فأشكر منك ما تسدى وتحيى أبا عثمان ميتة وميتا

فلم يجبه الى ذلك حتى ولي الخلافة فلما وليها زوجه اياها فلم يلبث الا مدة يسيرة حتي ماتت ، وقال فيها ليلة زفت اليه

خف من دار جيرتى يا ابن داود أنسها

وهى طويلة وفيها مما يغنى به

أوَ لا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهى لم يقض لبسها
برزت كالهلال فى ليلة غاب نحسها

بين خمس كواعب أكرم الخمس جنسها

ولما ماتت قال

ألما تعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك ياوليد لقد أجنّوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يُفدَّى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكا يريك جلادة ويُسر وجدا

ومما قاله الوليد فى سلمى وغنى المغنون فيه

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنّان عسوف الوَبْل هطال
لسلمى قرة العين وبنت العم والخال
بذلت اليوم فى سلمى خِطاراً أتلفت مالى
كأن المسك فى فيها سحيق بين جِريال

ومنها

منازل قد تحل بها سليمى دوارس قد أضر بها السنون
أميت السر حفظاً يا سليمى اذا ما السر باح به الحَزون

ومنها

أرانى قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت
اذا شئت تصبرت ولا أصبر ان شيت
ولا والله لا يصبر فى الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وان رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحبب بزَوْر زا ر من سلمى ببيروت
غزال أدعج العينين نقى الجيد واللِّيت

ومنها

عتبت سلمى علينا سفاهاً أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبى لأبى سلمى خلاف هواها
فثكِلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضى معاً وسماها
غير أنى لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وكان الوليد قد لقى سعيد بن خالد فقال له يا أبا عثمان أترد نى على سلمى ؟ وكأنى بك لو قد وليت الخلافة خطبتني فلم أجبك وان تزوجتها حينئذ فهى طالق ثلاثاً ، فقال له سعيد ان المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت فأمضَّ الوليد وتشاتما وتسامعا وافترقا ، وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وسبت الوليد ونالت منه ، فقال ما تقدم وقال أيضاً

على الدور التى بليت سفاهاً قفا يا صاحبي فسائلاها
دعتك صبابة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك مَا قِياها
وقالت عند هجوتنا إياها أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخى وعندك خلة تبغي هواها
فان رضيت فذاك وان تمادت فهبها خطة بلغت مداها

ومنه

خبرونى ان سلمى خرجت يوم المصلى

فاذا طـــير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى ؟ قال ها ثم تعلى
قلت يا طير ادنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى ؟ قال لا ثم تولى
فنكا فى القلب كلما باطناً ثم تعـــلى

وقال يعتذر من هجائه أباها

ألا أبلغ أبا عثما ن عُذرة معتِب أسفا
فلست كمن يودُّك باللســـان ويكثر الحلفا
عتبت عليَّ فى أشـيا ء كانت بيننا سرفا
فلا تشمت بي الأعدا ء والجيران ملتهفا
تودّ لو أنني لحم رأته الطير فاختطفا
ولا ترفع به رأساً عفا الرحمن ما سلفا

ومما قاله فيها

اسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكب الصبح والمجلى واستنارا
اسقني من سُلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عُقارا

ومنهـا

ســقيت أبا كامل من الأصفر البابلى
وسـقّيتها معبداً وكل فتى بازل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلى
فمـا لامني فيهمُ سوى حاسد جاهل

ومنها وهو من أملح شعره

أراني الله يا ســـلمى حياتى وفى يوم الحساب كما أراك

ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ولا تموتى ولو أُنسِى له أجل بكاك
ومن حقاً لو أُعطِى ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذاً ذاق الممات وما عصاك
أثيبى عاشقاً كلِفاً مُعَنًّى اذا خدِرت له رجل دعاك

كانت العرب تقول ان الانسان اذا خدِرت قدمه دعا باسم أحب الناس اليه فسكنت

ومنها

ويْح سلمى لو ترانى لعناها ما عنانى
متلِفاً فى اللهو مالي عاشقاً حور القيان
انما أحزن قلبى قول سلمى اذ أتانى
ولقد كنت زماناً خالي الدهر لشانى
شاق قلبى وعنانى حب سلمى وبرانى
ولكم لام نصيح فى سليمى ونهانى

ومنها

بلغا عني سليمى وسلاها لي عما
فعلت فى شأن صب دَنِف أشْعِر همّا
ولقد قلت لسلمى اذ قتلت البين علما
أنت همى يا سليمى قد قضاه الرب حتما
نزلت فى القلب قسراً منزلاً قد كان يُحمى

ومنها

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا

يا سليمى ابنة عمى يَرَد الليـــل وطابا
أيما واش وشى بى فاملئى فاه ترابا
ريقها فى الصبح مسك باشر العذب الرُّضابا

ومنهـا

أسلمى تلك حييت قفى نخبرك ان شيت
وقيلى ساعة نشكو اليك الحب أو بيتى
فما صهباء لم تكس قذًى من خمر بَيْروت
نوت فى الدن أعواماً ختيماً عنـــد حانوت

ومنهـا

يامن لقلب في الهوى متشعب بل من لقلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها دون الطريف ودون كل تَليد
ان القرابة والسعادة ألفـا بين الوليد و بين بنت سعيد
ياقلب كم كلِف الفؤاد بغادة ممكورة ريَّا العظام خريد

ومنهـا

قد تمنى معشر اذ طربوا من عُقار وسوام وذهب
ثم قالوا لى تمن واستمع كيف ننحو فى الأمانى والطلب
فتمنيت سليمى انهـــا بنت عمى من لهاميم العرب

ومنهـا

هل الى أم سعيد من رسول أو سبيل
ناصح يخـــبر أنى حافظ ود خليـــلى
يبذل الود لغيرى وأكافى بالجميـــل
لست أرضى لخليلى من وصالى بالقليل

ومنها

طاف من سلمى خيال بعد ما نمت فهاجا
قلت عُج نحوى أسائلك عن الحب فعاجا
يا خليلى يا نديمى قم فأنفث لى سراجا
بفَلاة ليس ترعى أنبتت شيحاً وحاجا

ومنها

أم سلام أثيبى عاشقاً يعلم الله يقينا ربه
أنكم من عيشه فى نفسه ياسليمى فاعلميه حسبه
فارحميه انه يَهذى بكم هائم صب قد أودى قلبه
أنت لو كنت له راحة لم يكدَّر ياسليمى شربه

ومنها

رب بيت كأنه متن سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حيت
أم سلام لا برحت بخير ثم لازلت جنتى ما حييت
طرباً نحوكم وتَوْقاً وشوقاً لادِّكار بكم وطيب المبيت
حينما كنتمُ من بلاد وسرتم فوقاك الاله ما قد خشيت

ومنها

طرقتنى وصحابى هجوع ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلت فى رؤوس الجبال
تقطع الأهوال نحوى وكانت عندنا سلمى ألوف الحِجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشة قتالة للرجال

ومنها

أنا الوليد الامام مفتخراً أنعم بالى وأتبع الغزلا

أهوى سليمى وهى تصرمنى وليس حقاً جفاء من وصلا
أسحب بردى الى منازلها ولا أبالي مقال من عذلا

وقال الوليد على لسان سلمى

اقرئ مني على الوليد السلاما عدد النجم قلَّ ذا للوليد
حسداً ماحسدت أختى عليه ربنا بيننا وبين سعيد

كانت للوليد جارية يقال لها صَدوف فغاضبها ثم لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشى من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره فبَرِم به فأنشده

أعتبت أن عتبت عليك صدوف وعتاب مثلك مثلَها تشريف
لاتقعدن تلوم نفسك دائماً فيها وأنت بحبها مشغوف
ان القطيعة لا يقوم بمثلها الاالقوى، ومن يحب ضعيف
الحب أملك للفتى من نفسه والذل فيه مسلك مألوف

فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها وأمر بقضاء حوائج القرشى كلها

ومن قوله

قامت إليَّ بتقبيل تعانقنى رَيّا العظام كأن المسك فى فيها
ادخل فديتك لايشعر بنا أحد نفسي لنفسك من داء تقديها
بتنا كذلك لانوم على سرر من شدة الوجد تدنينى وأدنيها
حتي اذا مابدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد والله عنى بحسن الفعل يجزيها

مر الوليد وهو متصيد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب فوقف عليهن واستسقاهن وحدثهن وأمر لهن بصلة ثم مضى وهو يقول

ولقد مررت بنسوة أعشينني حور المدامع من بني المنجاب

فيهن خَرْعَبَة مليح دلّها غَرْثَى الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر ما ثوت فى حَضْرها وتزين باديها من الأعراب

خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالا فأتى به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ، ثم أنشأ يقول

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمى ذاك لقد كان انذبح
أنت يا ظبى طليق آمن فاغْدُ فى الغزلان مسروراً ورُحْ

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب فقيل له ان اليوم الجمعة فقال والله لأخطبنَّهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال

الحمد لله ولى الحمد أحمده في يُسرنا والجهد
وهو الذى فى الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها ألا إله غيره إلها
ما إن له فى خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه بمهتد
وانه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله فى خلقه نذيراً وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقى لديكم حى صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد أن تزِلّوا عن قصده أو نهجه تضلوا

لا تتركُنْ نصحى فانى ناصح ... ان الطريق فاعلمُنَّ واضح
من يتق الله يجد غِب التقى ... يوم الحساب صائراً الى الهدى
ان التقى أفضل شىء فى العمل ... أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم اخوتى لعلكم ... يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل فى الأمثال لو علمتم ... فانتفعوا بذاك ان عقلتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده ... وما يقدِّم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكمُ وتوبوا ... فالموت منكم فاعلموا قريب

كان للوليد ابن يقال له مؤمن فمات فنعاه اليه سنان الكاتب فقال الوليد

أتانى سنان بالوداع لمؤمن ... فقلت له انى الى الله راجع
ألا أيها الحاثى عليه ترابه ... هُبلتَ وشلَّت من يديك الأصابع
يقولون لاتجزع وأظهر جلادة ... فكيف بما تحنى عليه الأضالع

قال يزيد بن أبى مسلحق السُّلمى مؤدب الوليد شعراً وبعث به الى النوار جارية الوليد فغنته به وهو

مضى الخلفاء بالامر الحميد ... وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو ... وخالف فعل ذى الرأى الرشيد

فكتب اليه الوليد

ليت حظى اليوم من ... كل معاش لي وزاد
قهوةٌ أبذُل فيها ... طارفى ثم تلادى
فيظَل القلب منها ... هائماً فى كل وادى
ان فى ذاك صلاحي ... وفلاحى ورشادى

قال الوليد بن يزيد يابنى أمية اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة يهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لابد فاعليه فجنبوه

النساء ، وانى لأقول ذلك على انه أحب اليَّ من كل لذة وأشهى الىَّ من الماء الى ذي الغُلة ولكن الحق أحق أن يقال

عقد الوليد ولاية العهد لابنيه عثمان ثم سعيد والحكم فقيل له ان الناس قد أنكروا مافعلت وقالوا يبايع لمن لم يحتلم فقال أفأدخل بيني وبين ابنى غيرى فيلقى منه كما لقيت من الأحول بعد أبى ؟ ثم أنشأ يقول

سرى طيف ظبي بأعلى الغُوَيـــر ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرَّق عينى على غِـــرة فبـات بحزن يقاسى السهودا
نؤمل عثمان بعـد الوليـــد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان اذ كان فى دهره يزيد يرجي لتلك الوليـدا
على انهـا شسعت شسعة فنحن نرجى لهـا أن تعودا
فان هى عادت فعاص القريـــب منها لتوئس منها البعيدا

لما انهمك الوليد على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القَصف والعسف مع المغنين كان نديمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً فكان لا يصبر عنه ، فشرب يوماً حتى غلب عليه السكر فنام فى موضعه فانصرف ابن الطويل ، فلما أفاق الوليد سأل عنه فعرف خبره حين انصرافه فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة ائتني برأســه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله فى طشت بين يديه ، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه وجعل يقلب الرأس بيده ، ثم قال يرثيه

عينيَّ للحدث الجليل جودا بأربعة همول
جودا بدمعى انه يشفى الفؤاد من الغليل
لله قـــبر ضمنت فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوى من هوا ك الى ذُرا كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً فرداً بمَدرجة السيول

ثم دخل الى جواريه فقال والله ما أبالي متي جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل ، فيقال انه لم يعش بعده الا مديدة حتى قتل والله أعلم

كان بين الحكم بن الزبير وبين بكر بن نوفل شيء فى وكالة للوليد ، يخاصم بكراً فى الرحبة من أرض دمشق وكان قد استولى عليها ، فقطع شُفره الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ، فقال الوليد فى ذلك

أيا حكمُ المتبول لو كنت تعتزى الى أُسرة ليسوا بسود زعانف
لأيقنت قد أدركت وِتْرَك عَنْوة بلاحكم قاض بل بضرب السوالف

فلما استخلف الوليد بعث الى بكر فقال ألا تعطى حكم بن الزبير حقه ؟ قال لا ، فأمر به فشُترت عينه ثم قال

يارب أمر ذي شئون جَحفل قاسيت فيه حلَبات الأحول

أهدى رجل الى هشام بن عبد الملك خيلاً فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب ، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام فنهر الرجل وشتمه وقال أتجيء بمثل هذا الى أمير المؤمنين ؟ ردوه عليه ، فردوه ، فلما خرج وجه اليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه فهو فرسه الذى يسميه السندى

خرج الوليد يوماً يتصيد وحده فانتدَب اليه مولى لهشام يريد الفتك به ، فلما بصر به الوليد صاوله فقهره بفرسه الذى كان تحته فقتله وقال فى ذلك

ألم ترَ أنى بينما أنا آمن يخُبّ بى السندي قفراً فيافيا
تطلّعت من غَور فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس وقفت له حتى أتى فرمانيا

رماني ثلاثاً ثم اني طعنته فرَوَّيت منه صَعْدتي وسنانيا

وقال في فرسه السندي

قد اغتدى بذي سَبيب هيكل (١) مشرَّب مثل الغراب أرجل (٢)

أعددته لحَلَبات الأحول وكل نقع ثائر لجَحْفل

وكل خطب ذي شئون مُعْضِل

فقال هشام لكنا أعددنا له ما يسوءه ، نخلعه ونُقْصيه فيكون مُهاناً مدحوراً مطرودا

لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسِب بها فزوجها لما مضى صدر من خلافته ، فأقامت عنده سبعة أيام فماتت ، فقال يرثيها

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دانٍ جناها موضع

أربابها شغفاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا

حتى اذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

دخل ابن الأقرع على الوليد فقال له أنشدني قولك في الخمر ، فأنشده قوله

كميت اذا شُجت وفي الكأس وَرْدة لها في عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الاناء قطوب

فقال الوليد شربتها يا ابن الأقرع ورب الكعبة ، فقال يا أمير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها

نظر الوليد الى أمّ حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها ، فسأل عنها ، فقيل ان له لها زوجاً ، فأنشأ يقول

انما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب

---

١) السبيب من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية وهيكل مرتفع

٢) الأرجل ذو الترجيل وهو بياض في احدى رجلي الدابة

نظرة قد وقرت فى القلـــب من أُمّ حبيب
فاذا ما ذقت فاها ذقت عذباً ذا غُروب
خالط الراح بمسك خلص غير مشوب

لما ظهرت المسوِّدة بخراسان كتب نصر بن سيار الى الوليد يستمده فتشاغل عنه ، فكتب اليه كتاباً وكتب فى أسفله يقول

أرى خَلَل الرَّماد وميض جمر وأَحْرِ بأن يكون له ضِرام
فان النار بالعُودين تذكى وان الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أميـــة أم نيام ؟

فكتب اليه الوليد قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أودع فانى مشغول عنك بابن سُريج ومعبد والغريض

قال عبدالصمد بن موسى الهاشمى انما أغلى الجوهر بنو أمية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقود ويغيرها فى اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً ، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به ، وكان يوْماً فى داره على فرس له وجارية تضرب الطبل قدامه فأخذه منها ووضعه على رقبته ونفر الفرس من صوت الطبل ، فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة وكان خليعاً

لما أظهر الوليد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك فى اللذات شتمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله فلما لم ينفع دبروا فى خلعه ، فكلم بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فى أن يخلع الوليد بن يزيد فنهاه العباس وقال يابنى مروان أظن ان الله قد أذن فى هلاكم ثم قال

انى أعيذكمُ بالله من فتن مثل الجبال. تَسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتُلحمن ذئاب الناس أنفسكم ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكمُ فثَمَّ لا فدية تغنى ولا جزع

فلما استجمع ليزيد بن عبد الملك أمره وهو متبد أقبل الى دمشق ، وبين مكانه الذى كان متبدياً فيه وبين دمشق أربع ليال ، فأقبل الى دمشق متنكراً فى سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزَّة ، فقال مولى لعباد بن زياد انى لبجَرود « وبين جرود ودمشق مرحلة » اذ طلع علينا سبعة معتمِّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم فرمى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوْباً ، وقالوا لي هل عندك شيء نشتريه من طعام ؟ فقلت أما بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم ، فقالوا فعجله ، فذبحت لهم دَجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت أيقظوا صاحبكم للغداء ، فقالوا هو محموم لايأكل ، فسفَروا للغداء فعرفت بعضهم ، وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفته فلم يكلمني ، ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً فى نفر من أصحابه مشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمزَّة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا يزيد بن الوليد ، فقال له معاوية ادخل أصلحك الله ، قال فى رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك ، فقال ما تريد بى أفسد ، فمشى على البساط وجلس على الفراش ، ثم كلم معاوية فبايعه ، وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان مستخفياً ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فخاف عبد الملك فخرج فنزل قنطا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير ابن عبد الله السلمى ، وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور ، وقيل لعامل دمشق ان يزيد خارج ، فلم يصدق ، وأرسل يزيد الى أصحابه بين المغرب والعشاء فى ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فكمنوا فى ميضأة عند باب القراديس ، حتى اذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوا ، وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب

المسجد الأبواب ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج ، فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبق فى المسجد الا الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً ، فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجد وأتوْا باب المقصورة وقالوا نحن رسل الوليد ففتح لهم خادم الباب ودخلوا ، فأخذ الخادم واذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد ، وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذه ، وأرسل من ليلته الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى محمد بن الحجاج فأخذهما ، وبعث أصحابه الى الخشبية فأتَوْه وقال للبوابين لا تفتحوا الأبواب غدوة الا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا ، فتركوا الأبواب فى السلاسل ، وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قبضوه فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه ، وأصبحوا وجاء أهل المزة مع حريث بن أبى الجهم فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة

اذا استُنزلوا عنهن للطعن أرقلوا الى الموت ارقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون انظروا الى هذا كان قبيل يسبح وهو الآن ينشد الشعر ، وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فوقف بباب الجابية فنادى ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم ، فبايع له الناس وأمر بالعطاء ، وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد مع عبد العزيز وقال من انتَدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل فأعطاهم وقال موعدكم دنية ، فوافى دنية ألف ومائتا رجل فقال ميعادكم مصنعة بالبرية وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد

فوافاه ثمانمائة رجل ، فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ، ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمى والأصبغ بن ذؤالة وشبيب ابن أبى مالك الغسانى وحميد بن نصر اللخمى ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد ، فقال الوليد أخرجوا إلىَّ سريراً ، فأخرجوه فصعد عليه وأتاه خبر العباس بن الوليد انى أجيئك ، وأتى الوليد بفرسين الزابد والسندي وقال أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسـد وأعَض الأفاعى ؟ وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ، ولم يكن بينهم كبير قتال ، فقتل يزيد بن عثمان الخشبي « وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار » وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتى الوليد فأرسل منصور بن جمهور فى جريدة خيل وقال انكم تلقَون العباس بن الوليد ومعه بنوه فى الشِّعب فخذوه ، وخرج منصور في تلك الخيل وتقـدموا الى الشعب واذا العباس ومعه بنوه قد تقدموا أصحابه ، فقال له اعدل الى عبد العزيز ، فشتمهم ، فقال له منصور والله لئن تقدمت لأُنفذن حِضنيك بالرمح ، فقال إنا لله ، فأقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز ، فقال له عبد العزيز بايع ليزيد ، فبايع ووقف ونصب راية وقال هذا العباس قد بايع ونادى منادي عبد العزيز من لحق بعباس فهو آمن ، فقال العباس انا لله خدعة من خدع الشيطان هلك والله بنو مروان ، فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس ، وظاهر الوليد فى درعين وقاتلهم ، وقال الوليد من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعة بعدة رؤوس ، فقال اكتبوا أسماءهم ، فقال له رجل من مواليه ليس هذا يا أمير المؤمنين يوْماً يقاتل فيه بالنَّسيئة ، ثم سمعهم يفترون عليه فدخل القصر وأغلق الباب وقال

دعوا لي سليمى والطِّلاء وقَيْنة ... وكأْساً ، ألا حسبي بذلك مالا

اذا ماصفا عيش برملة عالج ... وعانقت سلمى لا أريد بدالا

خذوا ملككم لاثبت الله ملككم ... ثباتاً يساوى ما حييت عِقالا

وخلوا عِنانى قبل غيرى وماجرى ولا تحسدونى ان أموت هُزالا

وقد أحاط الجند بالقصر فقال لهم الوليد من وراء الباب أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه ؟ فقال يزيد بن عنبسة السَّكسكي كلمني ؟ فقال له الوليد يا أخا السكاسك ما تنقِمون مني ؟ ألم أزد فى أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زَمْناكم ودفعت عنكم المؤن ؟ فقال ماننقِم عليك فى أنفسنا شيئاً ولكن ننقِم عليك انتهاك ماحرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفاف أوامر الله ، قال حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أغرقت فأكثرت وان فيما أحل الله لَسَعَة ورجع الى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ فعلوا الى الحائط ، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة ، فنزل وسيف الوليد الى جنبه فقال له يزيد نحِّ سيفك ، فقال له الوليد لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولي يزيد بن عبدالملك والسِّرى بن زياد فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربه السرى بن زياد على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه واحتز رأسه أبو علاقة القضاعى وخاط الضربة التى فى وجهه بالعقب وقدم بالرأس على يزيد قدم به روح بن مقبل وقال أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتم الأمر له ، وقال الأصبغ بن ذُؤالة الكلبي فى قتل الوليد وأخذهم ابنيه

من مبلغٌ قيساً وخِنْدِف كلها وساداتهم من عبد شمس وهاشم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد وبعنا ولي عهده بالدراهم

ولما قتل الوليد قال أيوب السختيانى ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه ، وانما قال ذلك تخوفاً من الفتنة

وروى المدائني أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبدالملك دخل على الرشيد فقال من

أنت ؟ قال من قريش ، قال من أيها ؟ فأمسك ، قال قل وأنت آمن ولو أنك مروانى ، قال أنا ابن الغمر بن يزيد ، قال رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعاً فانهم قتلوا خليفة مجمعاً عليه ، ارفع اليَّ حوائجك ، فقضاها

وذكر المهدي ليلة الوليد بن يزيد فقال كان ظريفاً أديباً ، فقال له شبيب بن شبة يا أمير المؤمنين ان رأيت ألاَّ تجرى ذكره على سمعك ولسانك فافعل فانه كان زنديقاً ، فقال اسكت فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به ، وروى أن المهدى هو الذى قال أحسبه كان زنديقاً فقام ابن علاثه الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته ، وحدثنى أنه كان اذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبة ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ثم يعود الى شربه ولهوه ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهدي صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة

نصيب

هو نُصَيب بن رَبَاح الأموى بالولاء ، مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدماً في النسيب والمدح ولم يكن له حظ فى الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال انه لم ينسب قط إلا بامرأته ، وكان أهل المدينة يدعونه النصيب تفخيما له ويروون شعره ، وكان كبير النفس مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم

قال نصيب قلت الشعر وأنا شاب فأعجبنى قولي فجعلت آتى مشيخة بنى

ضمرة ومشيخة بني خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعرى ثم أنسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون أحسن والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر ، فلما سمعت ذلك منهم علمت أنى محسن فأزمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر

خرج الى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر لأول مرة فأقصى عن بابه فرأى رجلا جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل يؤذن له اذا جاء فأخبره خبره وأنه شاعر مدح الأمير ، فقال له أنشدنى ، فأنشده فأعجبه شعره ، فقال ويحك أهذا شعرك ؟ فاياك أن تنتحل فان الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، وطلب منه أن يقول أبياتاً يذكر فيها حوف[1] مصر وفضله على غيره فقال من عنده

سرى الهم تثنيني اليك طلائعه ... بمصر وبالحوف اعترتنى روائعه

وبات وسادى ساعد قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وذكر فيها الغيث فقال

وكم دون ذاك العارض البارق الذى ... له اشتقت من وجه أسيل مدامعه

تمشى به أفناء بكر ومذحج ... وأفناء عمرو وهو خصب مرابعه

فكل مسيل من تهامة طيب ... دميث الربا تسقى البحار دوافعه

أعنى على برق أريك وميضه ... تضىء دجنّات الظلام لوامعه

اذا اكتحلت عينا محب بضوئه ... تجافت به حتى الصباح مضاجعه

هنيئاً لأم البختريّ الرّوا به ... وان أنهج الحبل الذى أنا قاطعه

ومازلت حتى قلت انى لخالع ... ولائى من مولى نمتني فوارعه

ومانح قوم أنت منهم مودتى ... ومتخذ مولاك مولى فتابعه

فسهل له الاذن ، فدخل على عبد العزيز وأنشده فأعجبه شعره ، ومما أنشده إياه

(١) الحوف بمصر حوفان الشرقى والغربى وهما متصلان أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة وحوف رمسيس موضع آخر بمصر

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامرة
فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنسُ بالمعتفين من الأُم بالابنة الزائرة
وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة الماطرة
فمنك العطاء ومنا الثناء بكل محبَّرة سائرة

فأعطاه ألف دينار فرجع الى مواليه واشترى منهم نفسه وأمه وأخته ثم اشترى ابن خالة له اسمه سحيم فأعتقه ، ثم مرَّ به يوماً وهو يَزْفِن ويَزْمِر مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره ، فقال له ان كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله مالا يكون أبداً وان كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده أزفن وأزمر وأصنع ماشئت ، فانصرف نصيب وهو يقول

انى أراني لسحيم قائلا ان سحيما لم يُثبني طائلا
نسيت إعمالي لك الرواحلا وضربي الأبواب فيك سائلا
عند الملوك أستثيب النائلا حتى اذا أنست عتقاً عاجلا
وليتني منك القفا والكاهلا أخلُقاً شَكْساً ولوناً حائلا

ومما مدح به سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم قفَا ذاتِ أَوْشال ومولاك قارب
قِفُوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من أهل وَدَّان طالب
فعاجوا فأثنَوْا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
فقالوا عهدناه وكل عشية بأبوابه من طالب العرف راكب
هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدرَ المضيءَ الكواكب

وكان اذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثى بني أمية فاذا أنشده بكى وبكى معه ، وأنشده يوماً قصيدة له مدحه بها منها

اذا استبق الناس العلا سبقتهمُ يمينك عفواً ثم صلَّت شمالها

فقال له هشام يا أسود بلغت غاية المدح فسلنى ، فقال يدك بالعطية أجود وأبسط من لسانى بمسألتك ، فقال هذا والله أحسن من الشعر ، وحباه وكساه وأحسن جائزته

دخل نصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أمير المدينة وهو جالس بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، فقال له أيها الأمير ائذن لي أن أنشدك من مراثى عبد العزيز فقال لا تفعل فتحزننى ولكن انشدنى قولك « قفا أخوى » فان شيطانك كان لك فيها ناصحاً حتى لقنك إياها ، فأنشده

قفا أخويَّ ان الدار ليست كما كانت بعهدكما تكون
ليالي تعلمان وآل ليلى قَطِين الدار فاحتَمل القَطين
فعوجا فانظرا أتُبين عما سألناها به أم لا تُبين
فظلا واقفين وظل دمعى على خدى تجود به الجفون
فلولا أن رأيت اليأس منها بدا ان كدت ترشقك العيون
فرحت فلم يلمك الناس فيها ولم تَغْلَق كما غَلِق الرهين

وكان بمَلَل امرأة ينزل الناس بها فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الملك بن زَمْعَة وعمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصَيب ، فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها اختاري ان شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك اذا قدمت وان شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك ، قالت بل الشعر أحب إليَّ ، فقال

ألا حى قبل البين أمّ حبيب وان لم تكن منا غداً بقريب
لئن لم يكن حبِّيك حباً صدقته فما أحد عندى اذا بحبيب
سهام أصابت قلبه مَلَليَّة غريب الهوى يا ويح كل غريب

فشهرها بذلك فأصابت بقوله فيها خيراً

ومن قوله

ألا ياعُقاب الوكر وكر ضَرِيَّة[1] سقتك الغَوادى من عُقاب ومن وكْر
تمر الليالي ما مررن ولا أرى مرور الليالى مُنْسياتى ابنة العَمْر
تقول صلينا واهجرينا وقد ترى اذا هجرت ألاَّ وصال مع الهجر
فلم أرض ماقالت ولم أُبد سُخطة وضاق بما جمجمت من حبها صدري
وقفت بذى دَوْران[2] أنشد ناقتى ومالي لديها من قَلوص ولا بَكْر
وما أنشد الرُّعيان إلا تَعِلَّة بواضحة الأنياب طيبة النَّشْر
أما والذى حج الملبُّون بيته وعظم أيام المناسك والنحر
لقد زادنى للجفر[3] حباً وأهله ليالٍ أقامتهن ليلي على الجفر
فهل يؤْمنِّى الله انى ذكرتها وعلاتٍ أصحابى بها ليلة النَّفْر
وسكَّنت مابى من سآمٍ ومن كَرًى وما بالمطايا من جنوح ولا فَتْر

ومن قوله في عبد العزيز بن مروان

يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول
فتى لا يَرْزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النِّيل الذى فى مصر نيل

قال قائل لنصيب أيها العبد مالك وللشعر ؟ فقال أما قولك عبد فما ولدت إلا وأنا حر ولكن أهلى ظلمونى فباعونى وأما السواد فأنا الذى أقول

وان أكُ حالكا لونى فانى بعقل غير ذى سقط وعاء
وما نزلت بى الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

(١) قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة ونجد (٢) موضع بين قديد والجحفة (٣) موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة

وقف نصيب على أبيات فاستسقى ماء ، فخرجت اليه جارية بلبن أوماء فسقته وقالت تشبب بى ، فقال وما اسمك ؟ فقالت هند ، ونظر الى جبل وقال وما اسم هذا العلم ؟ قالت قبا فأنشأ يقول

أحب قُبا من أجل هندولم أكن ... أبالى أقرباً زاده الله أم بعدا
ألا إن بالقيعان من بطن ذى قُبا ... لنا حاجةً مالت اليه بنا عمدا
أرُونى قُبا أنظر اليه فاننى ... أحب قبا انى رأيت به هندا

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أهلها وأصابت خيراً بقول نصيب فيها

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له حدثنى يانصيب ببعض ما مر عليك ، فقال نعم يا أمير المؤمنين علِقت جارية حمراء فمكثت عندها زماناً تمنينى بالأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت اليك عنى فوالله لكأنك من طوارق الليل ، فقلت لها فأنت والله لكأنك من طوارق النهار ، فقالت ما أظرفك يا أسود ، فغاظنى قولها فقلت لها هل تدرين الظرف ؟ الظرف العقل ، ثم قالت انصرف حتى أنظر في أمرك ، فأرسلت لها هذه الأبيات

فان أك حالكاً فالمسك أحوى ... وما لسواد جلدى من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء ... كبعد الأرض من جوّ السماء
ومثلى فى رجالكمُ قليل ... ومثلك ليس يُعْدَم فى النساء
فان ترضَىْ فردّى قول راض ... وان تأبَىْ فنحن على السواء

فلما قرأت الشعر قالت المال والشعر يأتيان على غيرهما فتزوجتنى

وأنشد له الأصمعى ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول قاتل الله نصيباً ما أشعره

فان يك من لونى السواد فانه ... لكالمسك لايروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى سوادى وتحتها ... لباس من العلياء بيض بَرائقه

ولا خير فى ود امرىء متكاره عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأنى مفارقه

أبطأت جائزة النصيب مرة عند عبد العزيز فقال

وان وراء ظهرى يا ابن ليلى أناساً ينظرون متى أؤوب
أمامة منهمُ ولما أقيها غداة البين فى أثرى غروب
تركت بلادها ونأيت عنها فأشبه ما رأيت بها السلوب
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا نثيبك لكنِ الله المثيب

فعجل جائزته وسرحه

ومن قوله

أراكِ طموح العين ميالة الهوى لهذا وهذا منك ود ملاطف
فان تحملى ردفين لا أك منهما فحبي فرد لست ممن يرادف

مدح نصيب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس فأمر له بعشر قلائص وكتب بها الى رجلين من الأنصار واعتذر اليه وقال له والله ما أملك إلا رزقى وانى لأكره أن أبسط يدى في أموال هؤلاء القوم ، فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً وقرآه وقالا قد أمر لك بثمانى قلائص ، ودفعا ذلك اليه ، ثم عزل ابن الضحاك وولى مكة رجل من بنى نصر من هوازن فأمر بأن يتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها ، فقال والله مادفع الىَّ إلا ثمانى قلائص ، فقال والله ماتخرج من الدار حتى تؤدى عشر قلائص أو أثمانها ، فلم يخرج حتى قبض ذلك منه ، فلما قدم على هشام سمَر عنده ليلة وتذاكروا النصرى فأنشده قوله فيه

أفى قلائص جُرْب كن فى عمل أُرْدَى وتنزع من أحشائى الكبد
ثمانياً كن فى أهلى وعندهمُ عشر فأى كتاب بعدنا وجدوا

أخانني أخوا الأنصار فانتقصا منها فعندهما النقد الذى نقدوا
وان عاملك النصرى كلفني فى غير نائرة ديناً له صفَدَ
أَذَنْبَ غيرى ولم أذنب يكلفنى أم كيف أقتل لاعقل ولا قَوَد

فقال هشام لاجرم لايعمل لى النصرى عملاً أبداً ، فكتب بعزله عن المدينة

قال عبد الملك لنصيب أنشدنى ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

ومُضمَرِ الكَشْح يطويه الضجيع به طى الحمائل لاجاف ولا فقر
وذى روادف لايلفى الإزار بها يُلْوَى ولو كان سبعاً حين يأتزر

فقال له يانصيب من هذه ؟ قال بنت عم لي نوبية لو رأيتها ما شربت من بلدها الماء ، فقال لو غير هذا قلت لضربت الذى فيه عينيك

كان نصيب يكنى أبا الحجناء فهجاه شاعر من أهل الحجاز فقال

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً ولون أبى الحجناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده وان كان مظلوماً له وجه ظالم

فقيل لنصيب ألا تجيبه ؟ فقال لا ولو كنت هاجياً لأحد لأجبته ولكن الله أوصلنى بهذا الشعر الى خير فجعلت على نفسى ألا أقوله في شر وما وصفنى الا بالسواد وقد صدق أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسى ؟ قالوا بلى فأنشدهم قوله

ليس السواد بناقصى مادام لي هذا اللسان الى فؤاد ثابت
من كان ترفعه منابت أهله فبيوت أشعارى جُعلن منابتى
كم بين أسودَ ناطق ببيانه ماضى الجنان وبين أبيض صامت
انى ليحسُدنى الرفيع بناؤه فضلَ البيان وليس بى من شامت

أنشد نصيب جريراً شيئاً من شعره فقال له كيف ترى يا أبا حَزْرة ؟ فقال له أنت أشعر أهل جلدتك ، وقال نصيب دخلت على عبد العزيز بن مروان فقال لي أنت أشعر أهل جلدتك والله مازاد عليها ، فقال له عبد الرحمن يا أبا محجن أفرضيت

منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له ودِدْت والله يا ابن أخى أن أعطانى أكثر من هذا ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك

قال محمد بن عبد ربه دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ولا أنتق ثياباً منه ولا أحسن زيًّا ، فسألت عنه فقيل هذا نصيب ، فدنوت منه فحدثته ثم قلت له أخبرنى عنك وعن أصحابك فقال ، جميل امامنا ، وعمر بن أبى ربيعة أوصفنا لربّات الحجال ، وكثير أبكانا على الدِّمن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلت ما سمعت ، فقلت له ان الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، فضحك ثم قال أفتراهم يقولون انى لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا ، فقال أفما ترانى أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ؟ قال قلت بلى ، قال فانى رأيت الناس رجلين ، اما رجل لم أسأله شيئاً فلا ينبغى أن أهجوه فأظلمه ، أو رجل سألته فمنعنى فنفسى كانت أحق بالهجاء اذ سولت لى أن أسأله وأن أطلب ما لديه

خرج نصيب هو وكثير والأحوص غِبّ يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتى العَقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتَوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرَوْن بعض ما يشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأمُّوه حتى أتَوْه فاذا وصائف ورجال من الموالى ونساء برَزات فسألنهم فاستحيَوْا أن يجيبوهن من أول وَهلة ، فقالوا لا نستطيع أو نمضى فى حاجة لنا ، فخلفنهم أن يرجعوا اليهن ، ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول ، فنزلوا ، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا ، فدخلوا على امرأة برَزَت على فرش لها فرحبت وحيَّت ، واذا كراسى موضوعة فجلسنا جميعاً فى صف واحد كل انسان على كرسى ، فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبى لنا

فنصيِّحه ونَعْرُك أذنه فعلنا وان شئتم بدأنا بالغَداء ، فقلنا بل تدعين بالصبى ولن يفوتنا الغـداء ، فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت عليها بمُطْرَف فأمسكوه عليها حتي ذهب بُهْرها ثم كشف عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم ، فقالت لها مولاتها خذى ويحك من قول النصيب عافى الله أبا محجن

ألا هل من البين المفرق من بُدّ وهل مثل أيامى بمنقطع السـعد
تمنيت أيامى أولئك والمـنى على عهد عاد ما تُعيد وما تُبدى

فجاءت به أحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبى محجن عافى الله أبا محجن

أرِق المحب وعاده سُهُده لطوارق الهمّ التى ترده
وذكرت من رقت له كبدى وأبى فليس ترق لي كبده
لا قومه قومى ولا بلدى فتـكون حيناً جيرة بلده
ووجَدت وجداً لم يكن أحد من أجله بصبابة يَجِده
ألا ابن عجلان الذى تبَلت هند فقات بنفسـه كمده

فجاءت به أحسن من الأول فكدت أطير سروراً ثم قالت لها ويحك خذي من قول أبى محجن عافى الله أبا محجن

فيا لك من ليل تمتعت طوله وهل طائف من نائم متمتع
نعم ان ذا شَجْو متى يلق شجوه ولو نائماً مستعتِب أو مودِّع
له حاجة قد طالما قد أسرها من الناس فى صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوْماً من الدهر منزع
وقد قُرعت فى أمّ عمرو لي العصا قديماً كما كانت لذي الحلم تُقْرَع

فجاءني والله شيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها هذا الغناء في شعري وماسمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها واحكامها ، ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

يأيها الركب انى غير تابعكم حتى تُلموا وأنتم بى ملمُّونا
فما أرى مثلكم ركباً كشكلكمُ يدعوهمُ ذو هوى ألَّا يعوجونا
أم خبرونى عن داء بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطَبونا

فقال نُصَيب فوالله لقد زهوت بما سمعت زَهْوًا خيل إليَّ أنى من قريش وأن الخلافة لي ، ثم قالت حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام ، فوثب الأحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمتِ شعر هذا الأسود على أشعارنا وأسمعت الغناء فيه وان فى أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا ، فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره ؟ أقولك يا أحوص ؟

يقَر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

أمْ قولك يا كثير ؟

وما حسبت ضمرية جـــدوية سوى التيس ذى القرنين أن لها بعلا

فخرجا مغضَبين واحتبستني ، فتغديت عندها وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلتين وطيب ، ثم دفعت إليَّ مائتي دينار وقالت ادفعها الى صاحبيك فان قبلاها والا فهى لك ، فأتيتهما فأخبرتهما القصة فأما الأحوص فقبلها وأما كثير فلم يقبلها وقال لعن الله صاحبتك ولعنك معها فأخذتها وانصرفت ، فسئل نصيب ممن المرأة ؟ فقال من بنى أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد

وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها سُكَر ، فقدم عليه حين نزولها رسول لعبد الملك ،

فقال له عبد العزيز ما اسمك ؟ فقال طالب بن مدرك ، فقال أوه ما أرانى راجعاً الى الفُسطاط أبداً ومات فى تلك القرية ، فقال نصيب يرثيه

أُصبت يوْم الصعيد من سُكَر مصيبة ليس لي بها قِبَل
تالله أنسى مصيبتي أبداً ما أسمعتني حنينها الابل
ولا التبكى عليـــه أعوله كل المصيباب بعده جَلَل
لم يعلم النعْش ما عليه من الـــعُرْف ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنّوه فى ضريحهمُ حتى انتهى من خليلك الأمل

دخل نصيب على عبد الملك فقال له أنشدنى بعض ما رثيت به أخي ، فقال

عرفت وجربت الأمور فما أرى كماض تـــلاه الغابر المتأخر
ولكن أهل الفضل من أهل نعمتى يمرون أســـلافاً أمامى وأغْبُرُ
فان أبكه أعذر وان أغلب الأسى بصبر فمثلي عند ما اشتد يصبر
وكانت ركابى كلما شئت تنتحى جِماحاً فتقضى نَحْبها وهى تضمر
ترى الورد يشرى والثناء غنيمة لديك وتثنى بالرضا حين تصدُر
فقد عَريت بعد ابن ليلى فانما ذراها لمن لاقت من الناس منظر
ولو كان حياً لم يزل بدفوفها مراد لغربان الطريق ومنقر
فان كن قد نلن ابن ليلى فانه هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله « فان أبكه أعذر » قال ويلك أنا كنت أحق بهذه الصفة فى أخى معك فهلا وصفتنى بها وجعل يبكى

قال عبد الله بن اسحاق البصرى لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً لفصاحته وحسن تخلصه الى جيد الكلام كقوله

فلا النفس مَلَّتها ولا العين تنتهى اليها سوى فى الطرف عنها فترجع
رأتها فما ترتَدُّ عنها سآمة ترى بدلاً منها به النفس تقنع

قال نُصَيب لأُمّ بكر الخزاعية

ألا ليت شعري ما الذى تَجدِين بى ... غدا غربة النأى المفرق والبعد

لدى أُمّ بكر حين تغترب النوى ... بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى

أتصرمني عند الذين همُ العدى ... فتُشْمِتَهم بى أم تدوم على العهد

فصاحت بل والله أدوم على العهد ، وكان نصيب ربما قدم من الشام فيطرح فى حجر أُمّ بكر أربعمائة دينار وان عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها وتشبيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كف

قال حفص الثقفى رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس مجلسنا وعليه قميص قُوهى ورداء حِبَرَة فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال ان الوادى مَسبَعَة فمن أهل المجلس ؟ قالوا ثقيف ، فعرف أنا نُبغض ابن هشام ويبغضنا ، فقال انا لله أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جَيْدَاء ، فقال له أهل المجلس يا أبا محجن أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك ؟ قال إىْ والله لربما فعلت فآمر براحلتى فيشد بها رحلى ، ثم أسير فى الشعاب الخالية وأقف فى الرِّباع المُقْوِية فيُطرب بنى ذلك ويفتح لي الشعر والله انى على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحيي الفتاة الحَيِية من إنشاده فى ستر أبيها

قال ابن أبى عتيق لنصيب انى خارج أفترسل الى سعدى بشىء ؟ قال نعم ببيتى شعر ، قال فقل ، فقال

أتصبر عن سُعدى وأنت صبور ... وأنت بحسن الصبر منك جدير

وكدت ولم أُخلق من الطير ان بدا ... سَنا بارق نحو الحجاز أطير

فأنشد ابن أبى عتيق سعدى البيتين ، فتنفست تنفسة شديدة ، فقال ابن أبى عتيق أوه أجبته والله بأجود من شعره ولو سمعك خليلك لَنعق وطار اليك

استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولى الخلافة نصيباً أَلاَّ يكون جاءه وافداً عليه مادحاً له ووجد عليه وكان نصيب مريضاً فبلغه ذلك حين بَرَأ ، فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النَّصَب ، فانشده

حلفت بمن حجت قريش لبيته ... وأهدت له بُدْناً عليها القلائد
لئن كنت طالت غيبتي عنك انني ... بمَبْلَغ حولي في رضاك لجاهد
ولكنني قد طال سقمي وأكثرت ... عليَّ العهادَ المشفقات العوائد
صريع فراش لا يزلن يقُلن لي ... بنصح واشفاق متى أنت قاعد ؟
فلما زجرت العِيسَ أسْرت بحاجتي ... اليك وذلت للسان القصائد
وانى فلا تستبطئي بمودتي ... ونصحي واشفاقي لديك لعامد
فلا تُقْصِني حتى أكون بصَرْعة ... فييأس ذو قربي ويَشْمَت حاسد
أنلني وقربني فانك بالغ ... رضاي بعفو من نداك وزائد
أبِتْ نائماً أما فؤادي فهمه ... قليل وأما مس جلدي فبارد
وقد كان لي فيكم اذا ما لقيتكم ... لِيَان ومعروف وللخير قائد
اليك رحلت العِيس حتى كأنها ... قِسِيّ السرى ذَبْلَى بَرَتْها الطرائد
وحتى هواديها دقاق وشكوها ... صَريف وباقي النِّقْي منها صرائد
وحتى ونت ذات المراح فأذعنت ... اليك وكل الراسيات الحوافد

فرق له هشام وبكى وقال ويحك يا نصيب لقد أضررنا بك وبرواحلك ووصله وأحسن صلته واحتفل به

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له وطال الحديث بينهما هل عشقت قط ؟ قال نعم أمة لبني مُدْلج ، قال فكنت تصنع ماذا ؟ قال كانوا يحرسونها مني فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير اليها بعيني أو حاجبي وفيها أقول

وقفت لها كيما تمر لعلني ... أُخالسها التسليم ان لم تسلم
ولما رأتني والوشاة تحدرت ... مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت أشترى ... جميع حياة العاشقين بدرهم

فقال له عبد العزيز ويحك فما فعلت ؟ قال بيعت ، قال فهل فى نفسك شىء منها ؟ قال نعم عقَابيل[1] أحزان

قدم نصيب على عبد الواحد النصرى وهو أمير المدينة بفرض من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بنى ضمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غِلْمة لم يحتلموا ، فردهم النصرى ، فكلمه نصيب كلاماً غليظاً ادلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار اليه ابراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكُفّ واخرج فانى كافيك ، فلما خرج لقيه نصيب فقال له أشرت إليَّ فكرهت أن أغضبك فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائى المستعتَب من أمير المؤمنين ؟ قال ابراهيم هو رجل عربى حديد غَلِق وخشيت ان جاذبته شيئاً ألاَّ يرجع عنه وأن يمضى عليه ويلَج فيه وهو مالك للأمر وله فيه سلطان ، فأردت أن تخرج قبل أن يلجّ ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضى عليه ويلج فيه فتنتظر فيفكر لتصادف منه طيب نفس ونرفِدك عنده فقال نصيب

يومان يوم لرُزَيق فَسْل ويومه الآخر سَمْح فضل

أنا جعلت فداك فاعل ذلك فاذا رأيت القول فأشر حتى أكلمه ودخل اليه نصيب عشيات ، كل ذلك يشير اليه ابن مطيع ألاَّ يكلمه حتى صادف عشية من العشيات منه طيب نفس فأشار اليه أن كلمه ، فكلمه نصيب فأصاب مَخْتِله وكلامه ثم قال انى قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه ، ثم قال

أهاج البكا ربع بأسفل ذى السدر عفاه اختلاف العصر بعدك والقطر
نعم فشفانى الوجد فاشتقت للذى ذكرت وليس الشوق الا مع الذكر
حلفت برب الموضِعين لربهم وحرمة ما بين المقام الى الحِجْر
لئن حاجتى يوماً قضيت ورِشْتنى بنَفْحة عرف من يديك أبا بشر

(١) العقابيل بقايا العشق

إذاً تعرِفَنَّ الدهر منى مودة ونصحاً على نصح وشكراً على شكر
سقى الله صَوْب المزن أرضاً عمرتها بريّ فأسقاها بلاد بنى نصر
بوجهك فاستعملت ما دمت خائفاً لربك تقضى راشداً آخر الدهر
لتنقذ أصحابى وتستر عورة بدت لك من صحبي فانك ذو ستر
فما بأمير المؤمنين الى التى سألت فأعطانى لقومى من فقر
وقد خرجت منه اليك فلا تكن بموضع بيضات الأَنوق من الوَكْر

فقال عثمان بن حيَّان المرِّى وهو عنده وكان قد جاءه بالقَوَد من ابن حزم: قد احتلم القوم أيها الأَمير واستوجبوا الفرض ورفده ابن مطيع فأحسن واشتد عليه أن شركه ابن حيان فى رفده وتشييعه ، وقال النصرى لابن مطيع وابن حيان صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يافلان « لكاتب من كتابه » ففرض لهم

أجدبت ابل لنصيب وحالت وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم فوفد على عبد العزيز بن مروان فقال له جعلنى الله فداءك انى حملت دينها فى ابل ابتعتها مجدبات حيال وقد قلت فيها شعراً ، قال أنشد ، فأنشده

فلما حملت الدين فيها وأصبحت حيالاً مُسنات الهوى كدت أندم
على حين أن راث الربيع ولم يكن لها بصعيد من تِهامة مقْضَم
ثمانية للأَسلمى وما دنا لفحش ولا تدنو الي الفحش أسلم

فقال له عبد العزيز فما دينك ويحك ؟ قال ثمانية آلاف درهم ، فلما رجع أنشد الأَسلمى الشعر فترك له ما عليه وقال الثمانية الآلاف لك

أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا ، فبينما هو كذلك اذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء واذا هن من أفصح النساء وآدبهن ، فقالت إحداهن قاتل الله جميلاً حيث يقول

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم بمختلف ما بين ساع وموجف
وعند طوافي قد ذكرتك ذكرة هي الموت بل كادت عن الموت تضعف

فقالت الأخرى بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول

طلعن علينا بين مروة والصفا يمُرْن على البطحاء مَوْر السحائب
فكدن لعمر الله يحدثن فتنة لمختشع من خشية الله تائب

فقالت الأخرى قاتل الله ابن الفاعلة نصيباً حيث يقول

ألام على ليلى ولو أستطيعها وحرمة ما بين البَنِيَّة والستر
لملت على ليلى بنفسي ميلة ولو كان في يوم التحالق والنحر

فقام نصيب اليهن فسلم عليهن فرددن عليه السلام ، فقال لهن انى رأيتكن تتحادثن شيئاً عندى منه علم ، فقلن ومن أنت ؟ فقال اسمعن أولا ، فقلن هات ، فأنشدهن قصيدته التى أولها

ويوم ذى سَلَم شاقتك نائحة ورقاء فى فَنَن والريح تضطرب

فقلن له نسألك بالله وبحق هذه البَنِيَّة من أنت ؟ فقال أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم ، نصيب ، فقمن اليه فسلمن عليه ورحبن به واعتذرت اليه القائلة وقالت والله ما أردت سوءاً وانما حملنى الاستحسان لقولك على ما سمعت ، فضحك وجلس اليهن فحادثهن الى أن انصرفن

ومن شعره من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان

أمعارف الدِّمن القفار توهم ولقد مضى حول لهن مُجَرَّم
ولقد وقفت على الديار لعلها بجواب رَجْع تحيـــة تتكلم
عن علم ما فعل الخليط فما درت أنَّى توجه بالخليط الموسم
ولقد عهدت بها سعاد وانها بالله جاهـــدة اليمين لتقسم
انى لأوجه من تكلم عندها بأَلِيَّة ومخالف من يزعم
فلها لدينا بالذى بذلت لنـــا ود يطول له العَناء ويعظم

قال أبو النجم أتيت الحكم بن المطلب فمدحته وخرج الى السقاية فخرجنا معه ومعه عدة من الشعراء، فبينا هو فى موضع أضحي به يوماً واقفاً اذا براكب يوضع فى السَّراب واذا هو نصيب، فتقدم اليه فمدحه فأمر بانزاله، فمكث أياماً حتى أتاه فقال انى خلفت صبية صغاراً وعيالاً ضعافاً، فقال ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضة، فقال له جعلني الله فداك قد أحسنت ومعي ابن أخ لي أخاف أن يثلمها علىَّ، قال ادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى، فانصرف بمائة وأربعين فريضة

قيل لنصيب قد هَرِم شعرك، قال لا والله ماهرم ولكن العطاء هرم ومن يعطينى مثل ما أعطانى الحكم بن عبد المطلب؟ خرجت وهو ساع على بعض صدقات المدينة فلما رأيته قلت

أبا مروان لستَ بخارجى ... وليس قديم مجدك بانتحال
أغرّ اذا الرّواق انجاب عنه ... بدا مثل الهلال على المثال
ترا آه العيون كما تراءى ... عشية فطرها وضح الهلال

فأعطانى أربعمائة ضائنة ومائة لقحة وقال ارفع فراشى فرفعته فأخذت من تحته مائتى دينار

قال سعيد بن بشر الخارجي انى لمع أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة فى حواء له اذ جاء كثير، فحياه، فاحتفى به ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير، وجاء رجل فسلم، فرددنا عليه السلام واستدنيناه فاذا هو نصيب فى بِزّة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشام، فأكب على أبى عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه الى الغداء فأكل مع القوم، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل، فأبى، فتركوه، وأقبل كثير على نصيب وقال والله يا أبا محجن ان أثر أهل الشام عليك لجميل، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء

فقال له نصيب لكن أثر الحجاز عليك أبا صخر غير جميل وانك لزائد النقص كثير الحماقة ، فقال كثير أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك

اذا أمسيت بطن صحاح دونى ... وعَمْق دون عزَّة فالبقيع

فليس بلائمى أحد يصلى ... اذا أخذت مجاريها الدموع

فقال نصيب أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك

خليلى ان حلت كليبة بالرُّبا ... فذى أَمَج فالشِّعب ذى الماء والحَمْض

فأصبح من حَوْران رحلى بمنزل ... يبعده من دونها نازح الأَرض

وأيأستما أن يجمع الدهر بيننا ... نخوضا بى السم المضرج بالمحض

ففى ذاك من بعض الأمور سلامة ... وللموت خير من حياة على غمض

فاقتحم اليه كثير وثبت له نصيب ، فلما نالته رجلاه رمحه نصيب بساقه رَمْحة طاح منها بعيداً عنه فما زال راقداً حتى أيقظناه عشياً لرمى الجمار

قال أنيس بن ربيعة الأسلمى غدوت يوماً الى أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة ومعه محمد بالرحبة فألفيت عنده جماعة منا ومن غيرنا ، فأتاه آت فقال ذاك النصيب بالفَرْش منذ ثلاث متململ مقلد وكأنه واله فى اثر قوم ظاعنين ، فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فاذا نصيب على المنحر من صفَر ، فلما عاينا وعرف أباعبيدة هبط ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحالهم بالفَرْش فاستولهه ذلك ، فضحك به أبو عبيدة والقوم وقالوا له انما يُهْتر اذا عشق من انتسب عُذْرياً فأما أنت فمالك ولهذا ؟ فاستحيا وسكن ، وسأله أبو عبيدة هل قلت فى مقامك شعراً ؟ قال نعم وأنشد

لعمرى لئن أمسيت بالفَرْش مُقصَداً ... وبَرَّح بى وَهْج بقلبى أو صفر

وهمت شؤنى واستهلت مدامعى ... لربع قديم العهد ينتكف الأثر (١)

(١) انتكف أثره اعترضه فى مكان سهل

دعا أهله بالشام برق فأوجفوا ولم أر متبوعاً أضر من المطر
لتستبدلن قوماً وعينا سواهما وإلا أتى قصداً حُشاشتك القدر
خليلي فيما عشتما أو رأيتما هل اشتاق مضرور الى من به أضر
نعم ربما كان الشقاء متيحاً يغطى على عقل ابن آدم والبصر

فانصرف به الى منزله وأطعمه وكساه وحمله وانصرف وهو يقول

أصاب دواء علتك الطبيب وخاض لك السلوان الربيب
وأبصر من رُقاك منفثات وداؤك كان أعرف بالطبيب

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فأنشده قصيدة امتدحه بها فطرب لها يزيد واستحسنها وقال أحسنت يانصيب سلني ماشئت ، فقال يدك ياأمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة ، فأمر به فملىء فمه جوهراً ، فلم يزل به غنياً حتى مات

دخل على ابراهيم بن هشام وهو وال على المدينة فأنشده قوله

يا ابن الهشامين لا بيتٌ كبيتكم اذا تسامت الى أحسابها مُضَر

فقال ابراهيم قم الى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها ، فقام اليها نصيب متباطئاً والناس يقولون مارأينا عطية أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل ، فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال والله انكم قلما صاحبتم الكرام وماراحلة ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما ؟

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان بمصر فوقف على الباب فاستأذن ، فلم يؤذن له ، فأرسل اليه حاجبه قيساً فقال استنشده فان كان شعره رديئاً فاردده وان كان جيداً فأدخله ، فقال نصيب ان هذا لكلام رجل ذهن ، فأدخله ، فلما واجهه أنشده قصيدته التي أولها

ألا أيها الربع المقيم بعُنْبُب سقتك الغوادي من مُراح ومعْزب
بذي هَيْدَب أما الرُّبى تحت وَدْقه فتُروى وأما كل واد فيَزْعَب[1]

(١) زعب الوادي تملأ

يقول فيها

ألا هل أتى الصقر ابن مروان أننى ... أُرد لدي الأبواب عنه وأحجب

وأنى ثويت اليوم والأمس قبله ... على الباب حتى كادت الشمس تغرب

وأنى اذا رمت الدخول تردنى ... مهابة قيس والرِّتاج المضبَّب

ومنهـا

وأهلى بأرض نازحون وما لهم ... بهـا كاسب غيرى ولا متقلب

فهـل تُلحقنِّيهم بعبل مواشك ... على الأين من نُجب ابن مروان أصهب

أبو بكرات ان أردت افتحاله ... وذو وثبات بالرديفين متعب

فقال له عبـد العزيز ادخل على المهارى فخذ منها ما شئت فلو كنت سألت غيره لأعطيتك ، فدخل فرده الجمال ، فقال عبـد العزيز دعه فانما يأخذ الذى نعت ، فأخذه

الفضل بن العباس اللهبى

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لَهَب بن عبد المطلب أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم وكان شديد الأُدمة وهو الذى يقول

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجِلْدَة فى بيت العرب

من يساجِلْنى يساجل ماجداً ... يملأ الدلو الى عقد الكَرَب (١)

انما عبـد مناف جوهر ... زيَّن الجوهر عبد المطلب

كل قوم صيغة من تِبْرهم ... وبنو عبد مناف من ذهب

نحن قوم قد بنى الله لنا ... شرفاً فوق بيوتات العرب

بنبى الله وابنى عمـــه ... وبعباس بن عبد المطلب

(١) الكرب الحبل يشد فى وسط العراق ليلى الماء فلا يعض الحبل الكبير

وهو هاشمى الأبوين امه بنت العباس بن عبد المطلب

وكان النبى صلى الله عليه وسلم زوَّجَ عتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله نبياً أقسمت عليه أمّ جميل أن يطلقها ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه وقال يا محمد اشهد أنى نصرانى قد كفرت بربك وطلقت ابنتك ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عليه كلباً من كلابه يقتله ، فبعث الله عز وجل أسداً فافترسه ، خرج الى الشام في ركب فيهم هبَّار بن الأسود حتى اذا كانوا بوادى القاصرة وهى مسبعة نزلوه ليلاً فافترشوا صفاً واحداً ، فقال عتبة أتريدون أن تجعلونى حَجْرة ؟ لا والله لا أبيت الا وسطكم ، فبات وسطهم ، قال هبار فما أنبهنى الا السبع يشَم رءوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى اليه فأنشب أنيابه فى صدغيه ، فصاح اىْ قوم قتلتني دعوة محمد ، فأمسكوه فلم يلبث أن مات فى أيديهم

مرَّ الفضل بالأحوص وهو ينشد وقد كان اجتمع الناس عليه بجُدّة ، فقال له انك يا أحوص لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تغرب ، قال انى لأبصر الناس بالغريب والإغراب ، أفتسمع ؟ قال نعم ، فقال

ما ذات حبل يراها الناس كلهمُ ... وسط الجحيم ولا تخفى على أحد

كل الحبال حبال الناس من شعَر ... وحبلها وَسْط أهل النار من مَسد

فقال له الفضل

ماذا أردت الى شتمى ومنقصتى ... ماذا أردت الى حَمَّالة الحطب

ذكرت بنت قُرُوم سادة نُجُب ... كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

فانصرف عنه ، ومرَّ الحزين بالفضل يوم جمعة وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين أتُنشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة ؟ فقال له الفضل ويحك يا حزين أتتعرض لي كأنك لا تعرفنى ؟ قال بلى والله انى لأعرفك ويعرفك كل من يقرأ سورة « تبَّتْ يدا أبى لهَب » ، وقال يهجوه

اذا ما كنت مفتخراً بجد ففرج عن أبى لَهَب قليلا
فقد أخزى الاله أباك دهراً وقَلَّد عرسه حبلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل وتبرم من جوابه ، وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه

قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً وهو خليفة فدخل عليه الفضل فشكا اليه كثرة العيال وسأله ، فأعطاه مالاً وابلاً ورقيقاً ، فلما مات الوليد وولى سليمان فحج أتاه فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال

يا صاحب العِيس التى رحلت محبوسة لعشية النَّفْر
اُمْرُر على قبر الوليد فقل له صلى الاله عليك من قبر
يا واصل الرَّحِم التي قُطعت وأصابها الحُقُرات فى الدهر
انى وجدت الخل بعدك كاذباً فبرئت من كذب ومن غدر
ولقد مررت بنسوة يَنْدُبنه بيض السواعد من بنى فِهْر
تبكي لسيدها الأَجل وما تبكين من ناب ولا بكر
يندُبنه ويقلن سيدنا تاج الخلافة آخر الدهر
ماذا لقيت جزيت صالحة من صفوة الاخوان لو تدرى ؟

قال على بن محمد النوفلى كان أبى عند الحسين بن عيسى بن على وهو والي البصرة وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كان فيهم بقية حسنة فى ذلك الدهر ، فأفاضوا فى ذكر بني هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً وذاكر فضيلة من فضائل بنى هاشم ، فقال أبى قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللَّهَبى ، ثم أنشد قوله

ما بات قوم كرام يدَّعون يداً الا لقومى عليهم منة ويد
نحن السَّنام الذى طالت شَظِيَّته فما يخالطه الأدواء والعَمَد[1]

(١) العمد داء يصيب البعير من مؤخر سنامه الى عجزه فلا يلبث أن يقتله والشظية الشظى وهو عظيم صغير مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف

فمن صلى صلاتنا وذبح ذبيحتنا عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يداً عليه بما هداه الله الى الإسلام به ونحن قومه فتلك منة لنا على الناس

قدم الفضل على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزيادى والله ما أسمع شعراً ، فلما كان العشى راح اليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال يا أمير المؤمنين

أتيتك خالاً وابن عم وعمة ... ولم أكُ شعباً لا طريدٌ مشعب
فصلِ واشجات بيننا من قرابة ... ألا صلةُ الأرحام أتقى وأقرب
ولا تجعلنّى كامرىء ليس بينه ... وبينكمُ قربى ولا متنسب
أتحدب من دون العشيرة كلها ... وأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادى هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر

لما قدم الفضل على عبد الملك أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها ، فلما قدم الأصبحى على المهدى قال المهدى لمن حضركم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهَبى لما مدحه ؟ فما أعلم هاشمياً مدحهم غيره ، فقيل له أعطاه عشرة آلاف درهم ، قال فكم أعطاه الوليد ؟ قال مثل عطية أبيه ، فأمر للأصبحى بثلاثين ألف درهم

خرج علي بن عبد الله بن عباس بالفضل اللهبى الى عبد الملك بالشام ، فخرج عبد الملك يوْماً رائحاً على نجيب له ومعه حادٍ يحدو به وعلي بن عبد الله يسايره على نجيب له ومعه بغلة تُجْنب ، فحداها حادى عبد الملك ، فقال

يأيها البكْر الذى أراكا ... عليك سهل الأرض فى مَمشاكا
ويحك هل تعلم مَنْ علاكا ... ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذى امتطاكا ... لم يعلُ بكراً مثل ما علاكا

فعارضه الفضل فحدا بعلى بن عبد الله بن عباس فقال

يأيها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا بدريّ
مقدم في الخير أبطحى أغلب فى العلياء غلّابى
ولين الشِّيمة هاشمى جاء على بَكْر له مَهْرِيّ

فنظر عبد الملك الى علي فقال هذا محتور آل أبي لهب ؟ قال نعم ، فلما أعطى قريشاً مرَّ به اسمه فخرج وقال يعطيه علي

الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس

كان من فتيان بنى هاشم وظرفائهم وشعرائهم وقد روى الحديث وحمل عنه وله شعر صالح ، ومن قوله فى عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصى وهى أخت عمرو بن شعيب الذى يروى عنه الحديث

أعابدَ ان الحب لا شك قاتلى لئن لم تقارضني هوى النفس عابدة
أعابدَ خافي الله في قتل مسلم وجودي عليه مرة قط واحدة
فان لم تريدي فيَّ هجراً ولا هوى فكم غير قتلى يا عبيدة راشدة
فكم ليلة قد بت أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقدة

ومن قوله فيها

أعابدَ حييتم على النأْى عابدا سقاك الاله المنشئات الرواعدا
أعابدَ ما شمس النهار اذا بدت بأحسن مما بين عينيك عابدا

وقد تزوج الحسين عابدة هذه وولدت منه وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاصى أموالهم فى دولة بنى العباس

كان مالك بن أبى السمح المغنى صديقاً للحسين ونديماً له وكان يتغنى فى أشعاره وله يقول الحسين

لا عيش الا بمالك بن أبى السمح فلا تَلْحَنى ولا تَلُم

أبيض كالسيف أو كما يلمع البا رق فى حِنْدِس من الظلم
يصيب من لذة الكريم ولا يهتك حق الإسلام والحرم
يارب يوْم لنا كحاشية البر د ويوْم كذاك لم يدم
قد كنت فيه ومالك بن أبى السمح الكريم الأخلاق والشيم
من ليس يعصيك ان رشدت ولا يجهل منك الترخيص فى اللمم

عبد الله بن معاوية

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وأم عبد الله بن جعفر وسائر بنى جعفر أسماء بنت عُمَيْس بن مَعْقِل من خَثْعَم وأمها هند بنت عوف امرأة من حرَس ، وهذه الحرسية أكرم الناس أحماء ، أحماؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وجعفر وحمزة والعباس وأبو بكر رضى الله تعالى عنهم ، وانما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بنات ، ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل زوج العباس وأم بنيه ، وسلمى زوج حمزة وأم ابنته ، وهن بنات الحرث ، وأسماء بنت عُمَيس أختهن لأمهن كانت عند جعفر بن أبى طالب ، ثم خلف عليها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، ثم خلف عليها على بن أبى طالب عليه السلام ، وولدت من جميعهن ، وهن اللواتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وسلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن

قال ابن عباس دخل النبى صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعليّ عليه السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالاً من وراء الستر فقال من هذا ؟ فقالت أسماء ، قال بنت عميس ؟ قالت نعم أنا التي أحرس ابنتك يارسول الله فان المرأة ليلة بنائها لابد لها من امرأة تكون قريباً منها ان عرضت لها حاجة أفضت بها اليها ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانى أسأل إلهى أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان ، وقد أدرك عبد الله بن جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ، ومرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بعبد الله وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال ما تصنع بهذا ؟ قال أبيعه ، قال ما تصنع بثمنه ؟ قال أشتري به رطباً فآكله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فى صفقة يمينه ، فكان يقال ما اشترى شيئاً الا ربح فيه

قُمِر الحزين الديلى فى العقيق فى غداة باردة فى ثيابه فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خز ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً ثم قام اليه فقال

أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

فقال وعليكم السلام ، فقال

فأنت المهذب من غالب وفى البيت منها الذى يذكر

فقال كذبت ياعدو الله ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال

فهذى ثيابيَ قد أخلقت وقد عضنى زمن منكر

قال هاك ثيابى ، فأعطاه ثيابه

وقف أعرابى على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله ، فقال يا أعرابى ماعندنا مانصلك به ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابى باب عبدالله بن جعفر فاذا ثقله قد سار نحو مكة ورحلته بالباب عليها متاعه وسيفه معلق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابى يقول

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهمُ للمسلمين طهور

أبا جعفر ان الحجيج ترحلوا وليس لرحلي فاعلمنَّ بعير

أبا جعفر ضن الأمير بماله وأنت على مافى يديك أمير

وأنت امرؤ من هاشم في صميمها اليك يصير المجد حيث تصير

فقال يا أعرابى سار الثقل فدونك والراحلة بما عليها واياك أن تخدع عن السيف فانى أخذته بألف دينار ، فأنشأ الأعرابى يقول

حبانيَ عبد الله نفسى فداؤه بأَعْيَس مِوَّار سِباط مَشافره
وأبيضَ من ماء الحديد كأَنه شهاب بدا والليل داجٍ عساكره
وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائره
فياخير خلق الله نفساً ووالداً وأكرمه للجار حين يجاوره
سأُثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكر عُرْفاً كمن هو كافره

جاء شاعر الى عبد الله بن جعفر فأنشده

رأيت أبا جعفر فى المنام كسانى من الخَزِّ دُراعة[1]
شكوت الى صاحبى أمرها فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفرىّ ومن كفه في الدهر نفاعة
ومن قال للجود لا تَعْدُنى فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه دراعتى الخز ، ثم قال له كيف لو ترى جبتى المنسوجة بالذهب التى اشتريتها بثلثمائة دينار ، فقال له الشاعر دعني اغفى اغفاءة أخرى فلعلى أرى هذه الجبة فى المنام ، فضحك منه وقال ياغلام ادفع اليه جبتى الوشى ، وكان أهل المدينة يدَّانون بعضهم من بعض الى أن يأتى عطاء عبد الله ابن جعفر

جلب رجل الى المدينة سكراً فكسد عليه، فقيل له لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر فأمر باحضاره وبسط له ، ثم أمر به فنثر ، فقال للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال جعلت فداك آخذ معهم ؟ قال نعم ، فجعل

(١) الدراعة جبة مشقوقة المقدم

الرجل يُهيل فى غرائره ، ثم قال لعبدالله أعطنى الثمن ، فقال وكم ثمن سكرك ؟ قال أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها

باع أعرابى راحلة من عبد الله بن جعفر ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر به له ، ثم عاوده ثلاثاً يقتضيه الثمن ويأمر له به فقال فيه

لاخير فى المجتدى في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدَع
تخال فيـــه اذا حاورته بَلَهاً من جوده وهو وافى العقل والورع

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر فراح يوماً الى الجمعة وهو يقول اللهم انك عودتني عادة جريت عليها فان كان ذلك قد انقضى فاقبضنى اليك ، فتوفى فى الجمعة الأخرى وهو ابن سبعين سنة فى سنة ثمانين وهو عام الجُحاف « لسيل كان بمكة جحف الحاج فذهب بالابل عليها الحمولة » وكان الوالى على المدينة يومئذ أبان بن عثمان فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذى صلى عليه ، ولما مات شهده أهل المدينة كلهم ، وكان عبد الله مأوى المساكين وملجأ الضعفاء فما تنظر الى ذى حِجًى الا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلَع والجزع ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال رحمك الله يا ابن جعفر ان كنت لرحمك لواصلاً ولأهل الشر لمبغضاً ولأهل الريبة لقالياً ، ولقد كنت فيما بينى وبينك كما قال الأعشى

رعيت الذى قد كان بينى وبينكم من الود حتى غيبتني المقابر

فرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً ، والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلكك فما أظن أن يرى بعدك مثلك ، فقام عمرو بن سعيد بن العاصى الأشدق فقال لا إله الا الله الذى برأ الأرض ومن عليها واليه ترجعون ، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر وما أسمج ما أصبح بعد ، والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك ، كان والله حديثك

غير مَشُوب بكذب وودك غير ممزوج بكَدَر ، فوثب ابن للمغيرة بن نوفل فقال ياعمرو بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث ؟ أفبابني فاطمة ؟ فهما والله خير منك ومنه ، فقال على رسلك يالُكَع أردت أن أدخلك معهم هيهات لست هناك ، والله لومت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت ، فتكلم بما شئت فلن تجدلك مجيباً ، فما هو الا أن سمعهما الناس يتكلمان فحجزوا بينهما

وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد ، وكان من رجالات قريش ولم يكن فى ولدعبد الله مثله ، ولد وأبوه عند معاوية فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال سمه معاوية ولك مائة ألف درهم ، ففعل وأعطاه المال وأعطاه عبد الله للذي بشره به ، وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ويقول ان يرد الله عز وجل بهم خيراً يتأدبوا ، فلم يُنْجب فيهم غير معاوية

كان معاوية بن عبد الله قد عود ابن هَرْمة البرّ فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً ديناً فرفع اليه مع جاريته رقعة فيها مديح له يسأله فيها أيضاً براً ، فقال للجارية قولي له أيدينا ضيقة وما عندنا شيء إلا شيئاً أخذناه بكافة ، فرجعت جاريته بذلك فأخذ الرقعة فكتب فيها

فانى ومدحك غيرَ المصيـــب كالكلب ينبح ضوء القمر

مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كالعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة الى الجارية فدفعتها الى معاوية ، فقال لها ويحك قد علم بها أحد ، قالت لا والله انما دفعها من يده الى يدى ، قال فخذى هذه الدنانير فادفعيها اليه فخرجت بها اليه ، فقال كلا زعم أنه لا يدفع إليَّ شيئاً

وكان معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة فسمى ابنه يزيد بن معاوية ، ولما حضرت عبد الله بن جعفر الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنْفاً كان فى أذنه وأوصى اليه، وفى ولده من هو أسن منه، وقال انى لم أزل أؤملك لها ، فلما توفى احتال

بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه وقسم أموال أبيه بين ولده ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عياش بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان عبد الله من فتيان بنى هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ولم يكن محمود المذهب فى دينه ، كان يرمى بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، ويكني أبا معاوية وله يقول ابن هرمة قصيدته التى أولها

عاتب النفس والفؤاد الغَوِيَّا ... فى طِلاب الصبا فلمست صبيا
عجبت جارتى لشيب علانى ... عَمْرَكَ اللهَ هل رأيت بَدِيَّا
انما يُعذَر الوليد ولا يعـــذر من عاش من زمان عتِيّا

يقول فيها يمدحه

أُحْبُ مدحاً أبا معاوية الما ... جد لا تُلْفِهِ حَصوراً عَيِيا
بل كريماً يرتاح للمجد بَسّا ... ماً اذا هزه السؤال حييا
ان لى عنده وان رَغِمِ الأَعـــداء حظاً من نفسه وقفِيا
ان أمت تبق مدحتى واخائى ... وثنائى من الحياة مَليا
يأخذ السبق بالتقدم فى الجر ... ى اذا ما الندَى تنحى عليا
ذو وفاء عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألاَّ يزال وَفِيا
فرَعَى عُقدة الوَصاة فأكرم ... بهما موصياً وهـذا وصيا
يا ابن أسماء[1] فاسقِ دلوي فقد أو ... ردتها منهلا يَثِجّ[2] رَوِيا

مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر فأتاه فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه ، قال ابن هرمة ورآنى بعض خدمه فعرفنى فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال عامتهم غرماء له ، فقلت ذلك شر ، واستؤذن لى عليه فقلت لم أعلم والله بهؤلاء

(١) يعني أمه أسماء وهى أم عون بنت عياش (٢) يسيل

الغرماء ببابك ، فقال لاعليك أنشدنى ، قلت أعيذك بالله واستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده ، فأنشدته قصيدتى التي أقول فيها

فإلاّ تُوات اليوم سلمى فربما ... شربنا بحوض اللهو غير المرَنَّق
فدعها فقد أعذرت فى ذكر وصلها ... وأجريت فيها شأْوغرب ومشرق
ولكن لعبد الله فانطق بمدحة ... يجيرك من عسر الزمان المطبق
أخ قلت للأدنَيْن لما مدحته ... هلموا وساري الليل مِ الآن فاطرُق
شديد التأنى فى الأمور مجرِّب ... متى يَعْرُ أمر القوم يفْرِ ويخلُقِ
ترى الخير يجرى فى أَسِرَّة وجهه ... كما الأُلأَت فى السيف جرية رونق
كريم اذا ما شاء عدَّ له أباً ... له نسب فوق السِّماك المحلِّق
وأماً لها فضل على كل حرة ... متى ماتسابق بابنها القوم تسبق
حلات محل القلب من آل هاشم ... فعُشّك مأوَى بيضها المتفلق
ولم تك فيها بالمعرَّى نصابه ... اليها ولا كالراكب المتعلق
فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ... ومثل أبيك الأريحى المرهَّق

فقال من ههنا من الغرماء ؟ فقيل فلان وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا وقيل لابن هرمة اتبعهما ، فأعطياه مالا كثيراً

قدم عبد الله بن معاوية الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت الشرفى بن عبد المؤمن الرياحى ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقالوا له اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه ، وقيل انما كان خروجه فى أيام يزيد بن عبد الملك ظهر بالكوفة ودعا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع اليه وبايعه بعض أهل الكوفة ولم يبايعه كلهم وقالوا ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت

وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك وجمع جموعاً من النواحى فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهَمَذان وقُمّ والرَّىّ وقُومَس وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان ، وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بنى يشكر ، فدخل دار الامارة بنعل ورداء واجتمع الناس اليه فأخذهم بالبيعة ، فقالوا علامَ نبايع ؟ فقال على ما أحببتم وكرهتم ، فبايعوا على ذلك وكتب عبد الله بن معاوية الى الأمصار يدعو الى نفسه لا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر وأخاه يزيد على شِيراز وأخاه علياً على كِرْمان وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن على ، وقصده وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم ، فممن قصده من بنى أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، فمن أراد منهم عملاً قلده ومن أراد منهم صلة وصله ، فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التي غلب عليها حتى ولى مروان بن محمد فوجه اليه عامر بن صبارة فى جيش كثيف ، فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج اليه فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَش هو واخوته قاصدين لخراسان وقد ظهر أبومسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل من التنّاء (١) ذى مروءة ونعمة وجاه فسأله معونته ، فقال له من أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أأنت ابراهيم الامام الذى يدعى له بخُراسان ؟ قل لا ، قال فلاحاجة لي فى نصرتك ، فخرج الى أبى مسلم وطمع فى نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده وجعل عليه عيناً يرفع اليه أخباره ، فرفع اليه أنه يقول ليس فى الأرض أحمق منكم يا أهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله مارضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالت « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

(١) التناء الدهاقين واحدها تانىء

الدماء ؟ » حتى قال لهم « انى أعلم مالا تعلمون » ثم كتب اليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التى يقول فيها « الى أبى مسلم من الأسير فى يديه بلا ذنب ولا خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ، ومولي صنائع وان الودائع رِعْية وان الصنائع عارية ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، ونبه للفكر قلبك واتق الله ربك ، وآثر مايلقاك غداً على مالا يلقاك أبداً ، فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ماخلفت ، وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك » فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا فلوخرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره فى قتله

وكان عبد الله بن معاوية قاسياً وكان مع قسوته من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم وهو الذى يقول

أَلا يَزَعُ القلب عن جهله ... وعما يؤنّب من أجله
فأبدل بعد الصبا حلمه ... وأقصر ذو العذل عن عذله
فلا تركبنّ الصنيع الذى ... تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرىء ... يخالف ما قال فى فعله
ولا تُتْبع الطَّرْف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله
فكم من مُقلٍّ ينال الغنى ... ويحمد فى رزقه كله

ومنه

اذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقرى
وان تَلْقَنى في الدهر مُندوحة الغنى ... يكن لأخلائى التوسع فى اليسر
فلا العسر يُزْرِى بى اذ هو نالنى ... ولا اليسر يوْماً ان ظفرت به نخرى

كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس وكان حسين

هذا وابن معاوية يرميان بالزندقة ، فقال الناس انما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله

وان حسيناً (١) كان شيئاً ملفقاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فان عرضت أيقنت ألاَّ أخاليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتك في الحاجات إلاَّ تماديا
فلست براءٍ عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وله في الحسين أشعار كلها معاتبات فمنها

قل لذي الود والصفاء حسين أقدُر الود بيننا قدره
ليس للدابغ المحلم بُدّ من عتاب الأديم ذي البَشَرة
لست ان زاغ ذو إخاء وود عن طريق بتابع أثره
بل أقيم القناة والود حتى يتبع الحق بعدُ أو يذَره

وقال له

ان ابن عمك وابن أمـك مُعْلَم شاكي السلاح
يقِص (٢) العدو وليس يرـ ضي حين يبطش بالجَناح
لا تحسبَن أذى ابن عمـك شرب ألبان اللِّقاح
بل كالشَّجا تحت اللَّها ة اذا يسوغ بالقَراح
من لا يزال يسوءه بالغيب ان يلحاك لاح

فقال حسين له

(١) في الكامل رأيت فضيلا وقوله كان شيئاً ملفقاً يريد كان أمراً مغطى والتمحيص الاختبار
(٢) وقص عنقه يقصها كسرها ودقها

أبرق لمن يخشى وأَرْ عد غير قومك بالسلاح
لســـنا نقر لقائل الا المقرظ بالصلاح

ومما يغني فيه من شعره

يهيم بجُمُل وما ان يرى له من سبيل الى جمله
كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم مَنِ الحب أودى به ومنهم مَنَ اشفى على قتله

ومنه

يا قوم كيف سَواغ عيـــش ليس تؤمن فاجعاته
ليست تزال مُطلةً تغدو عليك مُنغِّصاته
الموت هول داخل يوْماً على كره أناته
لابد للحَذِر النفو ر من أن تقنَّصه رُماته
قد أمنح الود الخليـــل بغير ما شيء رزاته
وله أقيم قناة ودي ما استقامت لي قناته

ومنه

سلا ربة الخِدْر ماشأنها ؟ ومن أيّما شأننا تعجب ؟
فلست بأول من فاته على إربه بعض ما يطلب
وكائن تعرض من خاطب فزوج غير الذى يخطب
وأنكحها بعده غيره وكانت له قبله تُحجب
وكنا حديثا صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فان شطَّت الدار عنا بها فبانت وفى الناس مستعتَب
وأصبح صدع الذى بيننا كصدع الزجاجة ما يُشْعب
وكالدَّر ليست له رجعة الى الضرع من بعد ما يحلب

حدث محمد بن يحيى أن عبد الله بن معاوية مرَّ بجده عبد الحميد في مزرعته بصُرَّام وقد عطش فاستسقاه فخاض له سويق لوز فسقاه إياه ، فقال عبد الله

شربت طَبَرْزَذًا بغَرِيض مُزْن ... كذوب الثلج خالطه الرُّضاب[1]

فقال عبد الحميد يجيبه

فما إن ماؤنا بغَرِيض مُزْن ... ولكن الملاح بكم عِذَاب
وما إن بالطَّبَرْزَذ طاب لكن ... بمسكٍ لا به طاب الشراب
وأنت اذا وطئت تراب أرض ... يطيب اذا مشيت بها التراب
لأن نَدَاك يُطفي المَحْل عنها ... وتحييها أياديك الرِّطاب

عبد الله بن الحسن

هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أُمه فاطمة بنت الحسين ، وأُمها أُمّ اسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأُمها الجرباء بنت قَسامة الطائية سميت بذلك لحسنها كانت لا تقف الى جنبها امرأة وان كانت جميلة الا استقبح منظرها لجمالها ، وكان النساء يتحامين أن يقفن الى جنبها ، فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الابل مخافة أن تُعْدِيها ، وكانت أُمّ اسحق من أجمل نساء قريش وأسوإهن خلقاً وكانت عند الحسن بن علي قبل أخيه الحسين ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين فقال يا أخي انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، فلما توفى تزوجها الحسين ، وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين فى حياة عمه وهو زوجه إياها ، خطب الى عمه الحسين وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين اختر يا بنيَّ أحبهما اليك ، فاستحيا الحسن ولم يُحِرْ جواباً ، فقال له الحسين فانى قد اخترت منهما لك ابنتى فاطمة فهى أكثر

(١) الرضاب ماء المسك ورضاب كل شيء ماؤه والطبرزذ السكر الأبيض الصلب

شبهاً بامى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون ان امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين فى الجمال ، ولما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جزع وجعل يقول انى لأجد كرباً ليس هو الا كرب الموت ، فقال له بعض أهله ما هذا الجزع ؟ تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك وعلى عليّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، فقال لعمرى ان الأمر كذلك ولكن كأنى بعبدالله ابن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء فى مضرَّجين وهو يُرَجِّل جُمَّته يقول أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمى وما به الا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فاذا جاء فلا يدخل عليَّ ، فصاحت فاطمة أتسمع ؟ قال نعم ، قالت أعتقت كل مملوك لي ان أنا تزوجت بعدك أحداً أبداً ، فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى ، فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوم ندخله وقال بعضهم لايدخل وقال قوم لايضر دخوله ، فدخل وفاطمة تصكّ وجهها فأرسل اليها وصيفاً كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال يقول لك مولاى أبقى على وجهك فان لنا فيه أرباً ، فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن ، فلما انقضت عدتها خطبها ، فقالت كيف لي بنذرى ويميني ؟ فقال نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ، ففعل وتزوجته

وكان عبد الله بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً ، وحبسه المنصور فى الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وابراهيم فمات فى الحبس ، قال مُصْعَب الزبيرى انتهى كل حسن الى عبد الله بن حسن ، وكان يقال من أحسن الناس ؟ فيقال عبدالله بن الحسن ، ويقال مَنْ أفضل الناس ؟ فيقال عبد الله بن الحسن ، وكان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدتني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وقد اجتمعت له

ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، وقال محمد بن حجازة الدهان رأيت عبد الله ابن الحسن فقلت هذا والله سيد الناس كان مكسوًّا نوراً من قرنه الى قدمه

جاء منظور بن زِبَّان الفزارى الى حسن بن حسن وهو جده أبو أُمه فقال له لعلك أحدثت بعدى أهلاً ؟ قال نعم تزوجت بنت عمى الحسين بن علي، قال بئسما صنعت أما علمت أن الأرحام اذا التقت أَضْوَت ؟ كان ينبغى ان تتزوج فى الغرب، قال فان الله عز وجل قد رزقني منها ولداً، قال أَرِنيه، فأخرج اليه عبد الله بن الحسن، فسرَّ به وقال أنجبت هذا والله ليث عادٍ ومعدوٌّ عليه، قال فان الله قد رزقني منها ولداً ثانياً، قال فأَرِنيه، فأَراه ابراهيم بن حسن

لما بنى أبو العباس بناءه بالأَنبار الذى يدعى الرُّصافة « رُصافة أبى العباس » قال لعبد الله بن حسن ادخل فانظر ودخل معه، فلما رآه تمثل

أَلم ترَ حَوْشباً أمسى يبَنِّى بناء نفعــــه لبني بُقيلة

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

فاحتملها أبو العباس ولم يبكته بها ولم تزل فى نفس أبى جعفر عليه

قال محمد بن عبدة لما استخلف أبو جعفر أَلحَّ في طلب محمد والمسألة عنه وعمن يُؤْويه، فدعا ببني هاشم رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول ياأمير المؤمنين قد علم أنك عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفســه وهو لا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية وما أشــبه هذه المقالة الا حسن بن زيد فانه أخبره خبره وقال والله ما آمن وثوبه عليك فانه لَلَّذى لا ينام عنــك فَرَ رأيك، فأَيقظ من لا ينام

وروى عقبة بن سلم أن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه فقال أنا عقبة بن ســلم بن نافع من الأَزْد من بني هُناءة، قال انى أرى لك هيئة وموضعاً وانى لا ريدك لأَمر أنا به معنى لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه إن كفيتنيه رفعتك،

فقال أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فيَّ ، قال فأَخْفِ شخصك واستر أمرك وأْتني في يوْم كذا وكذا ، فأَتيته ، فقال ان بني عمنا هؤلاء قد أَبَوْا الا كيداً لملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكُسًى وألطاف وعين حتى تأْتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسير ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأَحبب بهم والله وأَقرب ، وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر واحتراس ، فاشخص حتى تلقى عبد الله بن حسن متقشفاً متخشعاً ، فان جبهك وهو فاعل فاصبر وعاود ، فان عاد فاصبر حتى يأْنس بك وتلين لك ناحيته ، فان ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليَّ ، فشخص حتى قدم على عبد الله بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم ، فلم يزل ينصرف ويعود اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به ، فسأله عقبة الجواب ، فقال أما الكتاب فاني لا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا وكذا ، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر ، وسأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج ، فقال لا علم لي بهما حتى تغالظا ، فأَمَضَّه أبو جعفر ، فقال له يا أبا جعفر بأي أُمهاتي تُمِضُّني ؟ أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت أسد أم بفاطمة بنت حسين أم أُمّ أسحاق بنت طلحة أم خديجة بنت خويلد ؟ قال لا بواحد منهن ولكن بالجَرْباء بنت قَسامة ، فوثب المسيَّب بن زهير فقال دَعْني يا أمير المؤمنين أضرب عنقه ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال هَبْه لي يا أمير المؤمنين فأنا أستخرج لك ابنيه ، فتخلصه منه ، قال صالح صاحب المصلى اني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغدى بأَوْطاس وهو متوجه الى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس ، فأقبل على عبد الله بن حسن فقال يا أبا محمد محمد وابراهيم

أراهما قد استوحشا من ناحيتى وانى لأحب أن يأنسا بى وأن يأتيانى فأصلهما وأخلطهما بنفسى، وعبدالله مطرق طويلاً، ثم رفع رأسه وقال وحقك يا أمير المؤمنين فمالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا من يدى، فيقول أبو جعفر لا تفعل يا أبا محمد اكتب اليهما والى من يوصل كتابك اليهما، فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غدائه اقبالاً على عبدالله وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا أبا محمد، وكان أبو جعفر قال لعقبة بن سلم اذا صرت بمكان كذا وكذا لقيني بنو حسن فيهم عبد الله فأنا مبجله ورافع مجلسه وداع بالغداء، فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثُلْ بين يديه قائماً فانه سيصرف بصره عنك، فذُر حتى تَغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم حسبك، وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدى أبى جعفر فقال أَقِلْنِي يا أمير المؤمنين أَقالك الله، قال لا أَقالنى الله ان أَقلتك، ثم أمر بحبسه، قال العباس بن جعفر لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابناحسن، فانهما وإياى لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه اذ تكلم المهدى فلحن، فقال عبد الله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدِّل لسانه؟ فانه يَغْفُلُ غفل الأَمة، فلم يفهم، وغمزت عبد الله فلم ينته، وعاد لأبى جعفر فاحتفظ من ذلك وقال له أين ابنك؟ قال لا أدرى، قال لتأتينّى به، قال لو كان تحت قدمىّ ما رفعتهما عنه، قال يا ربيع قم به الى الحبس، وتوفي عبد الله فى محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة خمس وأربعين ومائة

ولعبد الله شعر يغنى فيه وهو قوله

يا هند انك لو علمت بعاذلين تتابعا
قالا فلم أسمع لما قالا وقلت بل اسمعا
هند أحب إليَّ من مالي وروحى فارجعا

ولقد عصيت عواذلي وأطعت قلباً موجعا

وهند التى عناها هي زوجته هنـد بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدية القرشية ، وكان أبو عبيدة جواداً ممدحاً ، وكانت هند قبل عبد الله ابن الحسن تحت عبد الله بن مروان فمات عنها ، قال عبد الرحمن بن جعفر زوَّجَ عبد الملك بن مروان ابنـه عبد الله هند بنت أبى عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لمـا كان يقال انه كائن في أولادهما فمات عنهما عبد الله أو طلقهما ، فتزوَّجَ هنداً عبد الله بن الحسن وتزوَّجَ رَيْطة محمد بن علي فجاءت بأبي العباس السفاح

لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منـه ، فقال عبد الله بن حسن لأُمه فاطمة اخطبى عليَّ هنداً ، فقالت إذاً تردك ، أتطمع فى هند وقد ورثت ما ورثته وأنت تَرِب لا مال لك ؟ فتركها ومضى الى أبى عبيدة أبى هند ، فخطبها اليه ، فقال فى الرحب والسَّعة أما منى فقد زوجتك ، مكانك لاتبرح ، ودخل على هند ، فقال يا بنية هـذا عبد الله بن حسن أتاكِ خاطباً ، قالت فما قلت له ؟ قال زَوَّجتُه ، قالت قد أحسنتَ قد أجزتُ ما صـنعت ، وأرسلت الى عبد الله لا تبرح حتى تدخل على أهلك ، فتزينت له ، فبات بها معرِّساً من ليلته ولا تشعر أُمه ، فأقام سـبعاً ، ثم أصبح فى يوْمِ سابعه غادياً على أُمه وعليه ردع الطيب وفى غير ثيابه التى تعرف ، فقالت له يا بنيَّ من أين لك هـذا ؟ قال من عند التى زعمت أنها لا تريدنى

كان عبد الله بن مصعب كثيراً ما كان يستنشد أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها

ان عينى تعودت كحل هند جمعت كفها مع الرفق لينا

الحسين بن علي

هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، واسم أبى طالب عبد مناف ، واسم عبد المطلب شيبة الحمد ، واسم هاشم عمرو ، وأم على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية تزوجها هاشمى ، وهى أم سائر ولد أبى طالب ، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان على سمى الحسين حرباً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين

تزوج الحسين الرباب بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية وهي أم سُكَينة وهذا لقب لها واسمها آمنة ، قالت سكينة عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال

لعمرك انى لأحب داراً تحكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وان غابوا مضيعاً حياتى أو يغيبنى التراب

وامرؤ القيس بن عدى أسلم على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما صلى صلاة حتى ولاه عمر ، وما أمسى حتى خطب اليه على عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبد الله وسكينة ، وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين فقالت ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل لسكينة أنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح ، فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة « تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » وسميتمونى باسم جدتى التي لم تدرك الاسلام « تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم »

رثت الرباب بنت امرىء القيس زوجها الحسين بن على حين قتل فقالت

ان الذى كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبطَ النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجُنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرِّحْم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوِى اليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهراً بصهركمُ ... حتى أغيب بين الرمل والطين

كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد ، فسكتت سكينة ، فقال المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت سكينة هذا أبى أو أبوك ؟ فقالت العثمانية لا أفخر عليكم أبداً

كانت سكينة تجىء يوم الجمعة فتقوم بازاء خالد بن عبد الرحمن بن الحرث بن الحكم اذا صعد المنبر فاذا شتم علياً شتمته هي وجواريها فكان يأمر الحرس يضربون جواريها

قال مصعب كانت سكينة عفيفة سليمة بَرَزة من النساء تجالس الأَجِلَّة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة ، وقالت سكينة أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة ، وقال مصعب كانت سكينة أحسن الناس شَعراً وكانت تصفف جُمّتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك ، وكانت تلك الجمة تسمى السكينية ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه

كانت سكينة مزاحة فلسعتها دَبْرة ، فقالت أمها مالك يا سيدتى فضحكت وقالت لسعتنى دُبيرة مثل الأُبيرة أوجعتني قُطيرة

تزوجت سكينة عدة أزواج منهم عبد الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عذْرتها ، ومُصْعب بن الزبير ، وعبد الله بن سليمان الحزامى ، وزيد بن عمرو بن

عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها ، وابراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف ولم يدخل بها ، ومهرها مصعب ألف ألف درهم وحملها اليه أخوها علي بن الحسين فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت من مصعب بنتاً فسمتها الرباب ، فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركته فزوجها ابنه عثمان بن عروة فماتت وهى صغيرة فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار ، قالت سعيدة بنت عبد الله بن سالم لقيت سكينة بين مكة ومنى فقلت قفى يا ابنة الحسين فكشفت عن بنتها من مصعب واذا هى قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ فقالت ما ألبستها اياه الا لتفضحه

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة أنا أجمل منك وقالت عائشة بل أنا، فاخنصمتا الى عمر بن أبى ربيعة فقال لأقضين بينكما ، أما أنت ياسكينة فأملح وأما أنت ياعائشة فأجمل منها ، فقالت سكينة قضيت لي والله ، وكانت سكينة تسمى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين

ولما تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان شرطت عليه ألا يُغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث جلتها أم منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده ، فكانت تقول له يا عثمانى اخرج بنا الى مكة ، فاذا خرج فسارت يوماً أو يومين قالت ارجع بنا الى المدينة ، فاذا رجع يومه ذلك قالت اخرج بنا الى مكة ، فقال له سليمان بن عبد الملك اعلم أنك قد شرطت لها شروطاً ان لم تف لها فطلقها ، فطلقها

قال سفيان بن حرب رأيت سكينة بنت الحسين ترمى الجمار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها

قيل ان سكينة خرجت بها سلعة فى أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعينها وعظم ما بها ، وكان درافيس منقطعاً اليها فى خدمتها ، فقالت له ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال لها أتصبرين على ما يَمَسّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت نعم ، فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها ، وكان

منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع ورد العين الى موضعها وسكينة مضطجعة لاتتحرك ولا تئن حتى فرغ مما أراد وزال ذلك عنها و برئت منه ، و بقى أثر تلك الحزازة فى مؤخر عينها فكان أحسن شيء فى وجهها من كل حلي وزينة ولم يؤثر ذلك فى نظرها ولا فى عينها

ابن رهيمة المدنى

كان يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وفيها يقول

أقصدت زينب قلبي بعد ما ذهب الباطل عني والغزل
وعلا المفرق شيب شامل واضح فى الرأس مني واشتعل

ويقول

أقصدت زينب قلبي وسبت عقلى ولبى
تركتني مستهاماً أستغيث الله ربى
ليس لي ذنب اليها فتجازيني بذنبى
ولها عندى ذنوب فى تنائيها وقربى

ويقول

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا
أصبحت من وجدى بها أدعى سقيماً مسهبا
وجعلت زينب سُترة وأتيت أمراً معجبا

ويقول

انما زينب المنى وهى الهم والهوى
ذات دل تُضني الصحيح وتُبرى من الجوى
لا يغرنك ان دعو ت فؤادى الى النوى

واحذرى هجرة الحبيـــب اذا مل وانزوى

ويقول

انمـــا زينب هى بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكـــنى ولـكنى أسمى
بأبى زينب من قا ض قضى عمداً بظلمى
بأبى من ليس لى فى قلبهـا قيراط رحم

ويقول

يا زينب الحسناء يا زينب يا أكرم الناس اذا تنسب
تَقيك نفسي حادثات الردى والأم تفديك معاً والأَب
هل لك فى ود امرىء صادق لا يمذق الود ولا يكذب
لا يبتغى فى وده محرماً هيهات منك العمل الأَريب

ويقول

فليت الذى يلحى على زينب المنى تعلقه مما لقيت عَشير
فحسبى له بالعشر مما لقيته وذلك فيما قد تراه يسير

وهذه كلها غنى فيها يونس الكاتب أصواته المعروفة بالزيانب

وقد استعدى عليه أخوها هشامَ بنَ عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأن يباح دمه ان وجد قد عاد لذكرها وأن يفعل ذلك بكل من غنى فى شىء من شعره، فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا وقال ابن رهيمة

لئن كنت أطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهي لقلّ اذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعدذا فحبى لزينب لا يذهب

عبد الله بن جحش الاسدي[1]

من قوله في صهباء الهذلية وقد تزوّجها

نعم الضجيع اذا النجوم تغورت ... بالغَوْر أُولاها على أخراها
عَذْب مقبّلهـــا وثير ردفها ... عَبْل شَواها طيب مَجْناها
صفراء يَطويها الضجيع لحينها ... طى الحمـــالة لين مَثْناها
لو يستطيع ضجيعها لأَجنَّها ... فى الجوف حب نسيمها ونَشاها[1]
يا دار صهباء التى لا أنتهى ... عن ذكرها أبداً ولا أنساها

ومن قوله

هل يبلغنها السلام أربعة ... منى وان يفعلوا فقد نفعوا
على مِسَكين[2] من جمالهم ... وعَنْتَريسَيْن فيهما سَطَع
قرب جيرانـــا جمالهمُ ... صبحاً فأَضْحَوْا بها قد انتجعوا
ما كنت أدرى بوَشْك بينهمُ ... حتى رأيت الحُداة قد طلعوا
قد كاد قلبى والعين تُبصرهم ... لما تولى بالقوم ينصدع
ساروا وخلفت بعدهم دَنِفاً ... أليس بالله بئسما صنعوا؟

ومن قوله

أَجَدَّ اليوم جيرتك الغيارا ... رَواحاً أم أرادوه ابتكارا
بعينك كان ذاك وإن يَبينوا ... يَزدك البين صَدْعاً مستطارا
بلى أبقت من الجيران عندى ... أناساً ما أوافقهم كثارا
وما ذا كثرة الجيران تغنى ... اذا ما بان من أهوى فسارا؟

---

(١) لم نتحقق من نسبة هذا الشاعر (٢) النشا نسيم الريح الطيبة (٣) المسك القوى من الناس وغيرهم والعنتريس الناقة الغليظة الوثيقة والسطع طول العنق

الطبقة الثالثة

الشعراء المحدثون

شعراء قحطان

شعراء حمير

ابن وهيب

هو محمد بن وهيب الحميري صليبة ، شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ويصف ايطانه إياها ومنشأه بها

من قوله يمدح المعتصم وفيه غناء

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

يحكى أفاعيله فى كل نائبة الغيث والليث والصِّمصامة الذكر

ومن قوله من كلمة يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك

أجارتنا ان التعفف بالياس وصبراً على استدرار دنيا بإبساس[1]

حَرِيَّان ألَّا يُقْذِيا بمذلة كريماً وألَّا يحوجاه الى الناس

أجارتنا ان القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

دخل محمد بن وهيب على أبى دلف القاسم بن عيسى فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال له أخوه مَعْقِل يا أخى فعلت بهذا ما لم يستأهله ، ما هو فى بيت من

(١) أبس الحالب بالناقة دعاها للحلب

الشرف ولا فى جمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال بلى يا أخى انه لحقيق بذلك ، أوَ لا يستحقه وهو القائل ؟

يدل على أنني عاشق ... من الدمع مستشهَد ناطق
ولي مالك أنا عبد له ... مقر بأنى له وامق
اذا ما سموت الى وصله ... تعرض لي دونه عائق
وحاربنى فيه ريب الزمان ... كأن الزمان له عاشق

لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقَّاه ودخل اليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره وعاد اليه فى الثانية ، فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها يقول فيها

وما زلت أستدعى لك الله غائباً ... وأظهر اشفاقاً عليك وأكتم
وأعلم أن الجود ما غبت غائب ... وأن الندى فى حيث أنت مخيم
الى أن زجرت الطير سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاء بالسعود مقدم
وظل يناجينى بمدحك خاطرى ... وليلىَ ممدود الرِّواقين أدْهم
وقالوا طواه الحج فاخشع لفقده ... ولا عيش حتى يَسْتَهِلّ المحرم
سيفخر ما ضم الحطيم وزمزم ... بمُطَّلب لو أنه يتكلم
وما خلقت الا من الجود كفه ... على أنها والبأْس خِدْنان تَوْءم
أعدت الى أكناف مكة بهجة ... خُزَاعية كانت تُجَلّ وتُعْظَم
ليالي سُمَّار الحَجون الى الصفا ... خزاعة اذ خلت لها البيت جُرْهُم
ولو نطقت بطحاؤها وحَجونها ... وخَيْفُ مِنًى والمَأْزِمان وزمزم
إذاً لدعت أجزاء جسمك كلها ... تنافس فى أقسامه لو تحكم
ولو رد مخلوق الى بدء خلقه ... اذا كنت جسماً بينهن تقسم

سما بك منها كل خَيْف فأبطح نما بك منه الجوهر المتقدم
وحن اليك الركن حتى كأنه وقد جئته حلَّ عليك مسلم

فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله

كان محمد بن وهيب لما قدم المأمون من خراسان مضاعاً مطرحاً انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بالحسن بن رجاء حتى أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى اليه القول استأذن فى الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده القصيدة التى أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكنوناتهن النواظر
ملكت لها طى الضمير وتحته شبَا لوعة عَضْبُ الغِرارين باتر
فأُعجم عنها ناطق وهو معرب وأعجبت العجمَ الجفون المواطر
ألم تقذنى السراء فى رتق الهوى غريراً بما تجنى على الدوائر
تسالمنى الأيام في عُنْفُوانه ويَكْلَؤُنى طرف من الدهر ناظر
الى الحسن البانى العلا حين يممت عوالي المنى حيث الحيَا المتظاهر
الى الأمل المبسوط والأجل الذى بأعدائه تكبو الجدود العواثر
ومن أنبعت عينَ المكارم كفُّه يقوم مقام القطر والروض داثر
تعصب تاج الملك فى عُنْفُوانه وأَطَّت به عصرَ الشباب المنابر
تعطفه الأيام قبل عيانه ويصدر عنه الطَّرْف والطرف حاسر
به تُجْتَدَى النعمى وتستدرك المنى وتستكمل الحسنى وترعى الأواصر
أهاب بنا داعى نوالك مؤذناً بدونك الا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأساً ونائلا فمالك موتور وسيفك واتر

ولما رأى الله الخلافة قد وهت ... دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركاناً عليها محيطة ... فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعنَ فيه للسوابغ جنة ... وسقف سماء أنشأته الحوافر(١)
لها فلك فيه الأسنة أنجم ... ونقع المنايا مستطير وثائر
أجزت قضاء الموت فى مُهَج العدا ... به فاستباحتها المنايا الغوادر
لك اللحظات الكالئات قواصداً ... بنعمى وبالبأساء فيه شوازر
ولو لم تكن الا بنفسك فاخراً ... لما انتسبت الا اليك المفاخر

فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الأرض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا تقول فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار، فأحضرت، واقتطعه الى نفسه فلم يزل فى جَنْبته أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ما تصدى لغيره

كان محمد بن وهيب قد مدح على بن هشام وتردد اليه والى بابه دفعات فحجبه، ولقيه يوماً فعرض له فى طريقه وسلم عليه فلم يرفع اليه طَرْفه وكان فيه تيه شديد، فكتب اليه رُقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت اليه خرقها وقال أى شىء يريد هذا الثقيل السيىء الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضَباً وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوصل بجاهه وسيغنى الله جل وعز عنه أما والله لأذمن فعله وقال يهجوه

أزرت بجود على خيفةُ العدم ... فصد منهزماً عن شأوِ ذى الهمم
لو كان من فارس فى بيت مكرمة ... أو كان من ولد الأملاك فى العجم
أو كان أوله أهل البطاح أو الركـ ... ـب الملبُّون اهلالاً الى الحرم
أيام تتخذ الأصنام آلهة ... فلا ترى عاكفاً إلا على صنم
لشجعته على فعل الملوك لهم ... طبائع لم تَرُعْها خيفة العدم

(١) يعنى أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها

لم تَنْدَ كفاك من بذل النوال كما ... لم يَنْدَ سيفك مذ قُلِّدتَه بدم
كنت امرأ رفعته فتنة فعلا ... أيامَهـــا غادراً بالعهد والذمم
حتى اذا انـكشفت عنا غياهبها ... ورُتِّب الناس بالأَحساب والقدم
مات التخلق وارتدَّتك مرتجعاً ... طبيعة نَذْلة الأَخلاق والشيم
كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً ... كزَّ اليدين حديث العهد بالنعم
هيهات ليس بحمال الديات ولا ... معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النقم

فلما بلغت هذه الأَبيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع وقال لعن الله اللَّجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيـه الخليل بن هشام فقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة عليَّ السيف الا وأنا مستح منه أذكر قول ابن وهيب

لم تند كفاك من بذل النوال كما ... لم يندَ سـيفك مذ قلدته بدم

ومن جيد شعره ونادره

نم فقد وكلتَ بى الأَرقا ... لاهياً تُغْرِي بمن عشقا
انما أبقيت من جسدى ... شَبَحاً غـير الذي خلَقا
كنت كالنقصان فى قمر ... ما خفى منه الذى اتسقا
وفتًى ناداك من كَثَب ... أُسعرت أَحشاؤه حُرَقا
غرقت فى الدمع مقلته ... فدعا انسانُهـا الغرقا
انمـــا عاقبت ناظره ... اذ أعاد الطرف مسترقا
ما لمن تمت محاسنه ... أن يعادى طرف من رَمَقا
لك أن تبدى لنا حسناً ... ولنـا أن نُعمِل الحَدَقا
قدحت كفاك زَنْدَ هوى ... فى سواد القلب فاحترقا

لما قدم المأمون ولقيه الحسن بن سهل دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جردت النعماء والمـنن ... فالحمد لله حَلّ العقـدةَ الزمن

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها للناس لما التقى المأمون والحسن

فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا الى أمير المؤمنين وطلب الوصول اليه مع نظرائه ، فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشده قوله

طلَلان طال عليهما الأَمد دَثَرا فلا عَلَم ولا نَضَد
لبِسا البِلى فكأَنما وجدا بعد الأَحبة مثل ماوجدوا
إمّا طواك سلو غانية فهواك لا ملَل ولا فَنَد
ان كنت صادقة الهوى فرِدي فى الحب منهلَيَ الذى أَرِد
أَدَمِي هرَقتِ وأنت آمنة أم ليس لى عقل ولا قوَد
ان كنت فتّ وخانني سبب فلربما يخطىء مجتهد

حتى انتهى الى قوله فى مدح المأمون

يا خير منتسب لمكرمة فى المجد حتى ينتج العدد
فى كل أنملة لراحته نَوْء يَسِحّ وعارض حشد
واذا القنا رَعَفت أسنته عَلَقًا وضم كعوبه قِصَد
فكأَن ضوء جبينه قمر وكأَنه فى صولة أسد
وكأنه روح تدبرنا حركاته وكأَننا جسد

فاستحسنها المأمون وأمر بأن تعد أبيات قصيدته ويعطى لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم

وله فى المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة ، من عيونها قوله للمأمون

العذر ان أنصفت متضح وشهيد حبك أدمع سُفُح
فضحت ضميرك عن ودائعه ان الجفون نواطق فُضُح
واذا تكامت العيون على إعجامها فالسر منفضح

وبما أَبيت معانق قمر ... للحسن فيه مخايل نُصُح
نشر الجمال على محاسنه ... بدعاً وأذهب همَّه الفرح
يختال فى حلل الشباب به ... مَرَح وداؤك أنه مَرِح
ما زال يُلثمني مَراشفه ... ويُعِلُّني الأَبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ... ونشا خِلال سواده وَضَح
وبدا الصباح كأَن غُرَّته ... وجه الخليفة حين يمتدح

يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها ... وتزينت بصفاتك المدح
وكأَن ما قد غاب عنك له ... بازاء طرفك عارضاً شبح
واذا سلمت فكل حادثة ... جَلَل فلا بؤس ولا ترَح

قصد محمد بن وهيب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى ، وكان له صديقاً حفياً ، وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه فأنشده قوله فيه

دماء المحبين لا تُعْقل (١) ... أما فى الهوى حكم يعدل ؟
تعبدنى حوَر الغانيات ... ودان الشباب له الأَخضل
ونظرة عين تلافيتها ... غِرارا (٢) كما ينظر الأَحول
مقسَّمة بين وجه الحبيب ... وطرف الرقيب متى يغفُل
أذم على غربات النوى ... اليك السلو ولا أَذهل
وقالوا عزاؤك بعد الفراق ... اذا حُمَّ مكروهه أَفضل
أقيدى دماً سفكته العيون ... بايماض كحلاء لا تكحل
فكل سهامك لى مُقْصِد (٣) ... وكل مواقعها مقتَل

(١) عقل القتيل وداه أى أدى ديته (٢) أى على عجل
(٣) أقصد السهم أصاب فقتل مكانه

سلام على المنزل المستحيل وان ضن بالمنطق المنزل
وعض الضريبة يلقى الخطوب يجد عن الدهر ما ينكل
تغلغل شرقاً الى مغرب فلما تبدت له الموصل
ثوى حيث لا يستهل الأريب ولا يؤلف اللقن الأحول
لدى مالك قابلته السعود وجانبته الأنجم الأفل
لأيامه سطوات الزمان وانعامه حين لا موئل
سما مالك بك للباهرات وأوحدك المربأ الأطول
وليس بعيداً بأن تحتذى مذاهب آسادها الأشبل

فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ثم استأذنه فى الانصراف فلم يأذن له وزاد فى ضيافته وجدد له صلة فأقام عنده برهة أخرى ثم دخل اليه فأنشده

ألا هل الى فيء العقيق وظله الى قصر أوس فالحزير معاد ؟
وهل بأكناف المصلَّى فسفحه الى السور مغدًى ناعم ومراد ؟
فلا تُنسني نهرَ الأُبُلَّة نية ولا عرصات المربَدين بعاد
هنالك لا تبني الكواكب خيمة ولا تتهادى كلثم وسعاد
أجدّى لا ألقى النوى مطمئنة ولا يزدهيني مضجع ومهاد

فقال أبيت الا الوطن والنزاع اليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وأوقر له زورقاً من طُرف الموصل وأذن له

كان يتردد الى مجلس يزيد بن هرون فلزمه عدة مجالس يملى فيها كلها فضائل أبى بكر وعمر وعثمان ولم يذكر شيئاً من فضائل على فقال فيه ابن وهيب

آتى يزيد بن هرون أداجله في كل يوم ومالي وابن هرون
فليت لي ببزيد حين أشهده راحاً وقصفاً ونَدماناً تسليني
أغدو الى عصبة صمَّت مسامعهم عن الهدى بين زنديق ومأفون

لا يذكرون علياً فى مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامين
انى لأعلم أنى لا أحبهمُ كما همُ بيقين لا يحبونى
لو يستطيعون من ذكرى أبى حسن وفضله قطعونى بالسكاكين
ولست أترك تفضيلى له أبداً حتى الممات على رغم الملاعين

كان يأتى محمد بن القاسم بن يوسف فقال له يوماً انك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن نعرف مذهبك فنوافقك أو نخالفك ، فقال فى غد أبين لك أمري ، فلما كان من غد كتب اليه

أيها السائل قد بينت ان كنت ذكيا
أحمد الله كثيراً بأياديه عليا
شاهداً ألاَّ إله غيره مادمت حيا
وعلى أحمد بالصد ق رسولاً ونبيا
ومنحت الود قربا ه ووالیت الوصيا
وأتانى خبر مطَّرح لم يك شيا
أن على غير اجتماع عقدوا الأمر بَدِيًّا
فوقفت القوم تيماً وعَدِيًّا وأُمَيّا
غير شتام ولكنى توليت عليا

شعراء كندة

اسمعيل القراطيسى

هو اسمعيل بن مَعْمَر الكوفي مولى الأشاعثة ، وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون

ومن شعره وفيه غناء

ويلى على ساكن شط الصَّراة [1] من وجنتيه شِمْت برق الحياة
ما ينقضى من عجب فكرتى فى خَصْلَة فرَّط فيها الولاة
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاة
وقد أتانى خبر ساءنى مقالها فى السر واسوءتاه
أمثل هذا يبتغى وصلنا أما يرى ذا وجهه فى المرآة

وفى معنى قوله وقد أتانى البيتين قبل

جارية أعجبها حسنها فمثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها أنى محب لها فأقبلت تضحك من منطق
والتفتت نحو فتاة لها كالرشأ الوسنان فى قَرطق
قالت لها قولي لهذا الفتى انظر الى وجهك ثم اعشق

مدح الفضل بن الربيع فحرمه ، فقال

ألا قل للذى لم يهده الله الى نفع
لئن أخطأتُ فى مدحيك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أحلت حاجاتى بواد غير ذي زرع

(١) الصراة نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى ويصب فى دجلة

شعراء مذحج

سليمان بن وهب

هو أخو الحسن بن وهب ، كان أخوه الحسن بن وهب ينتمى الى بنى الحرث بن كعب ، استوزره المهتدى ولقبه الوزير حقاً لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مستقل بها ، ولما ولاه قام اليه رجل من ذوى حرفته فقال أعز الله الوزير خادمك المؤمل دولتك ، السعيد من أيامك ، المطوىّ القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر

وفيت كل أديب ودنى ثمناً ... الا المؤمل دولاتى وأيامى

فاننى ضامن ألاّ أكافئه ... الا بتسويغه فضلى وانعامى

وانى لكما قال القَيْسِىّ : ما زلت أمتطى النهار اليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى اذا جنَّنى الليل فقبض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والاجتهاد واذ بلغتك فهو مرادى فقط ، فقال له سليمان لا عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى كفايتك ولست أؤخر عن أمرى النظر فى أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك

لما استوزر سليمان جلس للناس ، فدخل اليه شاعر يقال له هرون بن محمد البالسى فذكر مظلمة له ببلده ، ثم أنشده

زيد فى قدرك العلىّ علوّ ... يا ابن وهب من كاتب ووزير

أسفر الشرق منك والغرب عن ضو ... ء من العدل فاق ضوء البدور

أنشر الناسَ غيثُكم بعد ما كا ... نوا رُفاتاً من قبل يوم النشور

شَرَّد الجَوْرَ عدلُكم فسرحنا بينكم بين روضه وسرور

فوقع فى ظلامته ووصله بمائتى دينار

قال احمد بن الخصيب لمَهدي بيزيد بن محمد المهلَّبى عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهدى وقد أجلسه الى جانبه وهو ينشد قوله

وهبتم لنا يا آل وهب مودة فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثل

فمن كان للآثام والذل أرضه فأرضكمُ للأجر والعز منزل

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد سألوكم فوق ما كان يسأل

يقصر عن مسعاكم كل آخر وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغت الذى قد كنت أملته لكم وان كنت لم أبلغ بكم ما أؤمل

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له يا أبا خالد فأنت والله عندى كما قال عمارة ابن عَقيل لابنه

أُقهقه مسروراً اذا أُبْتَ سالماً وأبكى من الاشفاق حين تغيب

فقال له يزيد فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله ، وتم فقال

ومالي حق واجب غير أنني بجودكمُ فى حاجتي أتوسل

وأنكمُ أفضلتمُ وبَرِرْتمُ وقد يستتم النعمةَ المتفضل

وأوليتمُ فعلاً جميلاً مقدماً فعودوا فان العود بالخير أجمل

وكم مُلْحِف قد نال ما رام منكمُ ويمنعنا من مثل ذاك التجمل

وعودتمونا قبل أن نسأل الغنى ولا بذل للمعروف والوجه يبذل

فقال له سليمان لا تبرح والله الا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت ، ولو لم أستفد من كتبة أمير المؤمنين الا شكرك لرأيتُ جنابى بذلك مُمْرِعاً وغرسى مثمراً ، ثم وقع له في رقاع كثيرة

قال على بن الحسين الاصبهانى حضرت أبا عبد الله الباقطانى وهو يتقلد ديوان

المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل ماسندان ومهرجان قذق [1] وجاءه يأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين والعمال، فقال ابن أبي السلاسل كأنك استكثرت هذا العمل أيضاً قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة ثم صرت صاحب ديوان، فقال له الباقطاني يا جاهل يا مجنون لولا أنه قبيح عليَّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير أيده الله في أمرك حتى أزيل يدك، ومن لي أن أجد مثل أبي ثوابة في هذا الوقت فأكتب له ولا أريد الرياسة؟ ثم أقبل علينا يحدثنا فقال دخلت مع أبي العباس بن ثوابة الى المهتدي وكان سليمان بن وهب وزيره، وكان يدخل اليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته فيوقع اليهم في الأعمال، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة الى جماعة من العمال، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال له أنت اليوم أحدّ ذهناً مني فهلم نتعاون، فدخلا بيتاً ودخلت معهما وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر، فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان وما احتاجا الى نسخة وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي فقال له وقد قرأها أحسنت ياسليمان ونعم الرجل أنت لولا العجل والمؤجل، وكان سليمان اذا ولي عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً وأجل له مالاً الي أن يتسلم عمله، فقال له يا أمير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً، فان كان باطلاً فليس مثلك من يقوله، وان كان حقاً وقد علمت أن الاصول محفوظة فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل اليهم من بر من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال؟ فقال اذا كان هكذا فلا بأس، ثم قال له اكتب الى فلان العامل بقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده وبباقي ماعليه من المصادرة، فقال له أبو العباس بن ثوابة كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب

(١) كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان في تلك الجبال

فى حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنمضى ما تأمر به على ماخيلت أم نقول الحق ؟ قال بل قل الحق يا أحمد ، فقال يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك، أفترى أن أزيل اليقين بالشك ؟ قال لا ، قال فقد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا ؟ فتجعل المصادرة صلحاً ، فاذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك ، فقال له صدقت ، ولكن كيف الوصول الى المال ؟ فقال له أنت لابد لك من عمال على أعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رزقه ورفقه الى منزله فاجعله أحد عمالك ليصرف أحد هذين الوجهين الي ماعليه ويسعفه معاملوه فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود اليك مالك ، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك ، فلما خرجا عن حضرة المهتدى قال له سليمان عهدى بهذا الرجل عدوك وكل واحد منكما يسعى على صاحبه فكيف زال ذلك حتي نبت عنه فى هذا الوقت نيابة أحييته بها وتخلصت نفسه ونعمته ؟ فقال انما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منى فأما وهو فقير الىَّ فهذا مما يَحظُره الدين والصناعة والمروءة ، فقال له سليمان جزاك الله خيراً ، أما والله لأشكرن هذه النية لك ولأعتقدنك من أجلها أخاً وصديقاً ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً مابقى ، ثم قال الباقطانى فمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من يكتب له ؟

ومن قوله وقد نكبه الواثق وفيه غناء

نوائب الدهر أدبتني وانما يوعظ الأديب
قد ذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرَّ بؤس ولا نعيم إلا ولي فيهما نصيب

كتب اليه على بن يحيى فى جفوة نالته منه

جفانى أبو أيوب نفسى فداؤه فعاتبته كيما يريغ ويُعتبا
فوالله لولا الظن مني بوده لكان سهيل من عتابيه أقربا

فكتب اليه سليمان

ذكرت جفائى وهو من غير شيمتى ... وانى لدان من بعيد تقربا
فكيف بخلٍّ لي أضَن بوده ... وأصفيه وداً ظاهراً ومغيبا
على بن يحيى لاعدمت اخاءه ... فما زال فى كل الخصال مهذبا
ولكن أشغالاً غدت وتواترت ... فلما رأيت الشغل عاق وأتعبا
ركنت الى عذر الأخلاء انهم ... كرام وان كان التواصل أوجبا
فان يَطَّلب منى عتابك أوبة ... ببر تجـــدنى بالأمانة مُعتبا

جاءته رقعة من بعض أصحابه وفيها

هبنى رضيت منك بالقليل ... أكان فى التأويل والتنزيل
أو خـبر جاء عن الرسول ... أو حجة فى فِطر العقول
مستحسن من رجل جليل ... عال له حظ من الجميل
يَنقُص ما أشاع بالتطويل ... والقول دون الفعل بالتحصيل

ليس كذا وصف الفتى النبيل

فكتب له بولاية ناحية وأنفذ اليه مائتي دينار وكتب فى رقعة

ليس الى الباطل من سبيل ... الا لمن يعدل عن تعديل
وقد وفينا لك بالتحصيل ... فاطو الذى كان عن الخليل
فضلاً عن الخليط والنزيل ... وعد من القول الى الجميل
وعِفَّ في الكثير والقليل ... تحظ من الرتبة بالجزيل

أهدى الى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته وكتب اليه يقول

اذن الأمير بفضـله ... وبجوده وبنبـــله
لوليـــه في بره ... بجنـاه سكر نخـله
فبعثت منـه بسلة ... تحكي حلاوة عدله

كتب سليمان بقلم صلب فاعتمد عليه اعتماداً شديداً فصر القلم فى يده فقال

اذا ما حددنا وانتضينا قواطعاً أصمَّ الذكيَّ السمع منها صريرها
تظَل المنـايا والعطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضى أمورها
تساقط في القرطاس منها بدائع كمثـــل اللآلي نظمها ونثيرها
تقود أبيَّات البيان بفطنة يكشف عن وجه البلاغة نورها

ومن قوله يرثى أخاه الحسن

مضى مذ مضى عز الليالي وأصبحت لآلي الحجي والقول ليس لها نظم
وأضحى نجيّ الفـكر بعد فراقه اذا هم بالافصاح منطقه كظم

ومن قوله وفيه غناء

أمين الخالق البـارى وراعى كل مخلوق
أدر راحك فى المعشو ق من راحة معشوق

لما قبض الموفق علي سليمان بن وهب وابنه عبد الله تذاكر جماعة أنه انما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بُغا وودائعه فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما فقال ابن الرومى وكان حاضراً

ألم تر أن المال يُتلف ربه اذا جُمَّ آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجَمّه وسد مغيض الماء فهو غريقه

ومات سليمان فى محبسه وهو مطالب

شعراء أنمار

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير الرِّياشى يقال أنه مولى لهم ويقال أنه منهم صليبة وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم

شاعر ظريف من شعراء المحدَثين متقلل لم يفارق البصرة ولا وفد الى خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده وصحبة طبقته وكان ماجناً هجاء خبيثاً

من قوله يصف بستاناً له

لي بســـتان أنيق زاهر ... ناضر الخضرة رَيَّان يَرِف[1]

راسخ الأعراق رَيَّان الثَّرى ... غَدِق[2] تربته ليست تَجِف

لمجارى المـــاء فيه سنن ... كيفما صَرَّفته فيه انصرف

مشرق الأنوار ميَّاد الندى ... منثن فى كل ريح منعطف

تملك الريح عليـــه أمره ... فاذا لم يؤنس الريح وقف

يكتسى فى الشرق ثوبى يُمْنة ... ومع الليل عليها يلتحف

ينطوى الليل عليه فاذا ... واجه الشرق تجلى وانكشف

صابر ليس يبالي كثرة ... جُزَّ بالمنجل أو منه نتف

كلما ألحق منـــه جانب ... لم يتلبث منه تعجيل الخلف

لا ترى للكف فيه أثراً ... فيه بل ينمى على مسّ الأَكُف

فترى الأطباق لا تمهله ... صادرات واردات تختلف

---

(١) رف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٢) عشب غدق مبتل ريان

فيه للخارف من جيرانه كلما احتاج اليه مخترَف
أُقْحوان وبَهار مونق وسوى ذلك من كل الطُّرَف
وهو في الأيدى يحيَّوْن به وعلى الآناف طوراً يستشف

طلب محمد بن بشير من ابن أبي عمر المديني فراخاً من الحمام الهندي فوعده أن يأخذها له من المثنى ابن زهير، ثم نور عليه أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه فقال ابن بشير

يا رب ربَّ الرائحين عشية بالقوم بين مِنًى وبين ثَبير
والواقفين على الجبال عشية والشمس جانحة الى التغوير(١)
حتى اذا طفَلَ(٢) العشيّ ووجهت شمس النهار وآذنت بغؤور
رحلوا الي جيف نواحلَ ضمها طول السِّفار وبعد كل مسير
ابعث على طير المديني الذى قال المحال وجاءنى بغرور
ابعث على عجل اليها بعد ما يأخذن زينتهن فى التحسير(٣)
فى كل ماصفوا المراحل وابتدَوا فى المبتدين بهن والتكسير
ومَضَيْن عن دور الخُرَيبة(٤) زُلْفة دون القصور وحمرة الماخور
مع كل ريح يعتري بهبوبها فى الجو بين شواهن وصقور
من كل أكْلَفَ(٥) بات يدْجُن ليله فعدا بعدوة ساغب ممطور
ضَرِم(٦) يقلب طرفه متناسياً شيئاً فكان له من التقدير
يأتى بهن ميامناً ومياسراً صكا بكل مزلق ممكور(٧)

(١) غورت الشمس غربت (٢) طفلت الشمس دنت للغروب وغارت الشمس غؤراً غربت (٣) التحسير خرجت من الريش العتيق الى الحديث وحسرها أبان ذلك ثقلها لانه فعل فى مهلة (٤) الخريبة موضع بالبصرة (٥) الاكلف مالونه الكلفة وهى حمرة كدرة تعلو الوجه (٦) الضرم الجائع (٧) الممكور الأسد المتلطخ بدماء الفرائس كأنه صبغ بالمكر وهو المغرة بفتحتين

من طائر متحير عن قصده ... أو ساقط خَلِج الجناح كسير
لم ينج منه شريدهن فان نجا ... شيئاً فصار بجانبات الدور
لمشمِّرين عن السواعد حُسَّراً ... عنها بكل رشيقة التوتير (١)
سُدّ (٢) الأكف الى المقاتل صُيَّب ... سُحْت الجيوف بجؤجؤ ونحور
ليس الذى تُخْطِى يداه رَمِيَّة ... منهم بمعدود ولا معذور
يتسرعون وتمتطى أيديهمُ ... في كل طائفة الجدار بتُور
عُطَف السيّات (٣) دوائر فى عِطفها ... تُعْزَى صناعتها الى عصفور
ينفين عن حُدْب الأكف نواقبا ... متشابهات القِدِّ والتدوير
تجرى بها مهج النفوس وانها ... لنواضل سُلَّت من التحبير
ما ان تقصِّر عن مَدًى متباعد ... فى الجو تَحسِر طرف كل بصير
حتى تراه مُزَمَّلاً بدمائه ... فكأنه متضمخ بعبير
فيظَلَّ يومهمُ بعيش ناصب ... نصب المراجل معجل التنوير
ويؤوب ناجيهن بين مُضَرَّج ... بدم ومخلوب الي ميسور
عارى الجَناح من القوادم والقرا ... كاس عليه مائر (٤) التامور
فيؤوده متيقن فى مشيه ... خُطُفٌ (٥) المؤخر مُشْبَع التصدير
ذو حُلْكة مثل الدُّجى أو غُبْشة ... شَغَب شديد الجد والتيسير
فيمر منها في البرارى والقُرَى ... من كل أعْبل كالسِّنان هصور
فى حين تُؤْذيها المبايت مَوْهِناً ... أو بعد ذلك آخر التحسير
يختص كل سليل سابق غاية ... مَحْض النِّجار مجرَّب مخبور

(١) وتر القوس شد وترها (٢) سد جمع الأسدّ وهو المصيب والجؤجؤ الصدر
(٣) سية القوس طرف قابها وقيل رأسها وقيل ما اعوج من رأسها (٤) مار الدم على وجه الأرض انصب فتردد عرضاً والتامور القلب (٥) الخطف الضمر

عجل عليه بما دعوت له به أَرِه بذاك عقوبة التنوير
حتى يقول جميع من هوشامت هذى اجابة دعوة ابن بشير
فلأُلفينك عند حالَيْ حسرة وتأسف وتلهف وزفير
ولتُلفَيَنَ اذا رمتك بسهمها أيدى المصائب منك غير صبور

وأنشد لنفسه فى مجلس أبى محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض

ويل لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه
واغفلتا فى كل يوم مضى يذكرنى الموت وأنساه
من طال فى الدنيا به عمره وعاش فالموت قُصاراه
كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار الى ربه يرحمنا الله وإياه

ومن قوله

ماذا يكلفك الرَّوْحاتِ والدُّلَجا البَرَّ طوراً وطوراً تركب اللُّججا
كم من فتى قَصُرت فى الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فُلِجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
ان الأمور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أَخْلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته ومُدْمن القرع للأبواب أن يلجا
فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زَلَقًا عن غِرَّة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا
لا يُنْتَج الناس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً اذا نُتِجا

ومن شعره وقد رأى قوماً من أهل الجدل يتصايحون فى المقالات والحجج

يا سائلى عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء والبدع
دع عنك ذكر الأهواء ناحية فليس ممن شهدتَ ذو ورع

كل أناس بَدِيُّهم حسن ثم يصيرون بعد للسَّمَع
أكثر ما فيه أن يقال لهم لم يك فى قوله بمنقطع

هوى قينة فكتبت اليه زوجته تعاتبه فكتب اليها

لا تذكرى لوعة إثرى ولا جزعا ولا تقاسين بعدى الهم والهَلَعا
بل ائتسي تجدى ان ائتسيت أُسًى بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
ما تصنعين بعين عنك قد طمَحت الي سواك وقلب عنك قد نزعا
ان قلت قد كنت فى خفض وتكرمة فقد صدقت ولكن ذاك قد نزعا
وأى شىء من الدنيا سمعت به الا اذا صار في غاياته انقطعا
ومن يطيق خليعاً عند صبوته أم من يقوم لمستور اذا خلعا

وكان له صديق يقال له داود وكان اذا انصرف من مجلس أخذه معه فيمشى قدامه فان كان فى الطريق طين أو بئر أو أذى لقى داود شره وحذره ابن بشير، فمات داود، وانصرف ابن بشير ليلة وهو سكران فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل فى رجله عظم ولقى عنتاً فقال يرثى ابن داود

أقول والأرض قد غشَّى وجللها ثوب الدجى فهو فوق الأرض ممدود
وسد كل فروج الجو منطبقاً وكل فرج به فى الجو مسدود
وفى الوداع وفى الأبداء[1] لي عنت دون المسير وباب الدار مسدود
من لي بداود فى ذى الحال يرشدنى من لي بداود ؟ لهفى، أين داود ؟
لهفى على رجله ألاَّ أقدمها قدام رجلى فتلقاها الجلاميد
اذ لا أزال اذا أقبلت ينكبني حرف وجرْف ودكان واخدود
فان تكن شوكة كانت تحل به أو نكبة فى سواد الليل أو عود

(١) البدء والبدىء البئر التى حفرت فى الاسلام حديثة وليست بعادية

هجمت شاة منيع البقال على دار ابن بشير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال فى ذلك

قل لبُغاة الآداب ما صنعت منها اليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صحف الدفاتر بالحبـــر وحسن الخطوط أوعوها
فان عجزتم ولم يكن عَلَف يسيغها عندكم فبيعوها

قال القاسم بن حسن كنا فى مجلس ومعنا محمد بن بشير وعمرو القصافي وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة [١] تغني غناءً حسناً ، فكنا معها فى أحسن يوْم ، وكان القصافي يَعين [٢] فى كل شيء يستحسنه ويحبه ، فما برحنا المجلس حتى عانها ، فانصرفت محمومة شاكية العين ، فقال ابن بشير

ان عمراً جنى بعينيه ذنباً قل مني عليه فيه الدعاء
عان عيناً ، فعينه للتى عا ن فدى ، وقل منه الفداء
شرّ عين تَعِين أحسنَ عين تحمل الأَرض أو تُقِلّ السماء

استعار ابن بشير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له يمضى عليه فى حاجة أرادها ، فمنعه ، فمضى اليها ماشياً وكتب الى عمرو القصافى وكان جاراً للهاشمى وصديقاً يشكوه اليه ويخبره بخبره

ان كنتُ لا عَيْر لي يوْماً يبلغني حاجي وأقضي عليه حق اخوانى
وضن أهل العواري حين أسألهم من أهل ودى وخُلْصانى وجيرانى
فان رجليَّ عندي لا عدِمتهما رجلا أخى ثقة مذ كان جولان
يبلغاني حاجاتي وان بعدت ويدنيانَى مما ليس بالدانى
كأَن خلفى اذا ما جدَّ جدّهما إعصارَ عاصفة مما يُثيران

(١) الشهلة أن يشوب سواد العين زرقة وقيل أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه
(٢) عان أصاب بالعين

رِجلاىَ لم يألما نَكْباً كأنهما قطًّا وقدًّا وادماجاً مدَا كان (١)

ان يبعثا فى دَهاس (٢) يبعثا رَهَجاً أو فى حزون ذكا فيها شهابان

فالحمد لله يا عمرو الذى بهما عن العوارى وعن ذا الناس أغنانى

قال محمد بن سعد كنا فى حلقة التوّزى فلما تقوضت أنشدنا محمد بن بشير لنفسه

جهد المقلّ اذا أعطاه مصطبر أو مكثر من غنًى سيّان فى الجود

لا يعْدَم السائلون الخير أفعله اما نوال واما حسن مردود

فقلنا له ما هذا التكارم وقمنا الى بيته فأكلنا من جِلّة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها ، فكتب الى والي البصرة عمرو بن حفص

يا أبا حفص بحرمتنا أعِدْ نفساً حين تُنْتَهَك

خذ لنا ثاراً بجِلّتنا فبك الاوتار تُدَّرك

زارنا زَور فلا سلموا وأصيبوا أيَّة سلكوا

أكلوا حتى اذا شبعوا أخذوا الفضل الذى تركوا

فبعث الينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم وأخذ من كل واحد منا جِلّة تمر ودفع ذلك اليه

حدث القاسم بن الحسن قال خرجنا مع بعض ولد النُّوْشَجانى الى قصر له فى بستانهم بالجعفرية ومعنا محمد بن بشير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فاذا هو قد خرب واختل ، فقال فيه ابن بشير

ألا يا قصر قصر النُّوشَجانى أرى بك بعد أهلك ما شجانى

فلو أُعفِى البلاء ديارُ قوم لفضلٍ منهمُ ولعُظْم شان

لما كانت ترى بك بينات تلوح عليك آثار الزمان

---

(١) المداك حجر يسحق عليه الطيب (٢) الدهاس مكان لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين والرهج الغبار أو ما أثير منه

كان محمد بن بشير صديقاً لدُواد بن احمد بن أبي دواد كثير الغشيان له ، ففقده أهله أياماً وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزهون ، فجاؤا الى دواد بن احمد يسألونه عنه ، فقال لهم اطلبوه فى منزل حُسن المغنية ، فان وجدتموه والا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خُمار التركى ، فلما كان بعد أيام جاءه ابن بشير فقال له إيه أيها القاضى كيف دللت عليَّ أهلي ؟ قال كما بلغك ، قال وقد قلت فى ذلك أبياتاً ، قال أوَ فعلت ذلك أيضاً ؟ زدنى من برك هات إيش قلت ؟ فأنشده

ومرسلةٍ توجه كل يوْم إليَّ وما دعا للصبح داع
تسائلني وقد فقدوه حتى أرادوا بعده قسم المتاع
اذا لم تلقه فى بيت حسن مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرَ فى طريق بني سَدوس يخط الأرض منه بالكُراع
يدِق حزونها بالوجه طوراً وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى فلا تغلط حَبِيسَ أبي شجاع

فجعل ابن بشير يضحك ويقول أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره ، ثم لم يبرح حتى أعطاه دواد مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه

كان ابن بشير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ، من ذلك قوله

اذا ما غدا الطلاب للعلم مالهم من الحظ الا ما يدوَّن فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهمُ فمحبرتى أُذْنى ودفترها قلبى

كان ابراهيم بن رَباح اذا حزَبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن بشير

تخطى النفوس مع العِيا ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيق فى الفضا ء ومَخْرَج بين الأَسِنَّة

كان يعاشر ولد جعفر بن سليمان فأخذ منه قُثَم بن جعفر ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل ، فقال في ذلك

أبقت الأَلواح اذ أخذت حرقة في القلب تضطرم
زانها فصان من صَدَف واحمرار السير والقلم
وتولى أخذها قُثَم لا تولى نفعها قثم

كان يعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمى لملال كان فيه ، فكتب اليه ابن بشير

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني حتى انبسطت اليك ثم قبضتني
أذكرتني خلق النفاق وكان لي خلقاً فقد أحسنت اذ أذكرتني
لو دام ودك وانبسطتُ الى امرىء فى الود بعدك كنتَ أنت غررتني
فهلمَّ نجتذب التذاكر بيننا ونعود بعدُ كأننا لم نفطِن

قال عبد الله بن محمد بن بشير كان أبى مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشراب وما بات قط الا وهو سكران وما نبذ قط نبيذاً وانما كان يشربه عند اخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوْماً على مطر هادىء ولم تمكنه معه الحركة الى قريب من اخوانه ولا بعيد ، وكان يجن اذا فقد النبيذ ، فكتب الى والي البصرة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان

كم فى عِلاج نبيذ التمر لي تعب الطبخ والدلك والمعصار والعَكَر
وان عدلت الى المطبوخ معتمداً رأيتني منه عند الناس أشتهر
نقل الدِّنان الى الجيران يفضحني والقِدْر يتركني فى القوم أعتذر
فصرت فى البيت أستسقى وأطلبه من الصديق ورسلي فيه تبتدر

فمنهمُ باذل سَمْح بحاجتنـــا ومنهمُ كاذب بالزور يعتـذر
فسقِّنى رِىّ أيام لتمنعـــني من الدَّساتيج لا يُزْرِى بها السفر
وان تكن حاجتى ليست بحاضرة وليس فى البيت من آثارها أَثَر
فاستسق غيرك أوفاذكر له خبرى ان اعتراك حياء منك أوحَصَر
ما كان من ذلكم فَلْيَأْتنى عجلاً فاننى واقف بالباب أنتظر
لا لي نبيذ ولا حر فيـدعونى وقد حمانيَ من تطفيليَ المطر

فضحك لمـا قرأها وبعث اليه بزق نبيذ ومائتى درهم ، وكتب اليه اشرب النبيذ وأنفق الدراهم الى أن يُمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى أعوزك مكان فاجعلني فَيْئَةً لك والسلام

شعراء طيء

أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائى ، مولده ومنشؤه مَنْبِج بقرية منها يقال لها جاسم شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعانى غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الإكثار فيه والسلوك فى جميع طرقه ، والسليم من شعره النادر لا يتعلق به أحد ، وله أشياء متوسطة ورديئة رذلة جداً ، وفى عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القِحَة والمكابرة فى ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتميزه الا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا ما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سبباً للترفع وطلباً للرياسة ، وليست إساءة من أساء في القليل وأحسن فى الكثير مسقطة احسانه ، ولو كثرت إساءته أيضاً ثم أحسن لم يقل له عند الاحسان أَسأْت ولا عند الصواب أَخطأْت ، والتوسط في كل شىء أجمل والحق أحق أن يتبع ، وقد روى عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها الا فى بيت واحد ، فقال له يا أبا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب ، فقال له أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلو فى نفسه فهو وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هَوِيَ بقاء المتقدم لم يَهْوَ موت المتأخر ، واعتذاره بهذا ضد ما وصف به نفسه فى مدحه الواثق حيث يقول

جاءتك من نظم اللسان قلادة سِمْطان فيها اللؤلؤ المكنون
حُذِيت حذاء الحَضرمية أرهفت وأجابها التخصير والتلسين
انسية وحشية كثرت بها حركات أهل الأرض وهي سكون
ينبوعها خَضِل وحَلْيُ قريضها حلى الهدى ونسيجها موضون
أما المعانى فهى أبكار اذا نُصَّت ولكن القوافى عُون
أحذاكها صَنَعَ الضمير يمده جفر اذا نَضَب الكلام معين
ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن هو بابنه أو شعره مفتون

فلو كان يسيء بالاحسان ظناً ولا يفتتن بشعره كنا فى غنى عن الاعتذار له، وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون وان جدوا آثاره، وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا له فى جده نظيراً ولا شكلاً، ولولا أن الرواة قد أكثروا فى الاحتجاج له وعليه وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه فى التسطير برديئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفاً ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه

أخبرنى عمى قال حدثني أبى قال سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول أشعر الناس طراً الذى يقول

وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمى

فأحببت أن أستثبت ابراهيم بن العباس وكان في نفسى أعلم من محمد وآدب فجلست اليه وكنت أجرى عنده مجرى الولد فقلت له من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال الذى يقول

مطر أبوك أبو أَهِلَّة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا
نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
ورثوا الأبوة فالحظوظ وأصبحوا جمعوا جدوداً فى العلا وجدودا

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه

قدم عمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس اليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار ، فقال بعضهم ههنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طراً ويزعم غيرهم ضد ذلك ، فقال أنشدوني قوله ، فأنشدوه

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مرقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه ... صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الاشفاق دمعاً مورداً ... من الدم يجرى فوق خد مورد

هى البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تودد

ثم قطع المنشد ، فقال له عمارة زدنا من هذا ، فوصل نشيده وقال

ولكننى لم أحو وفراً مجمعاً ... ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الأيام نوماً مسكناً ... ألذ به الا بنوم مشرّد

فقال عمارة لله درّه لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه اليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب الاغتراب هيه ، فأنشده

وطول مقام المرء فى الحىّ مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعانى واطراد المراد واتساقه الكلام فان صاحبكم هذا أشعر الناس

وكان على بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله ، فقال رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا ، فقال ان لم يكن أخاً بالنسب فانه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول

ان يكدِ مطّرف الأخاء فاننا ... نغدُو ونسرى فى إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلفْ بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

جرى ذكر أبي تمام في حلْقة دعبل فقال كان يتبع معانيَّ فيأخذها ، فقال له رجل في مجلسه وأي شيء من ذلك أعزَّك الله ؟ قال قولي

وان امرأً أسدى إليَّ بشافع اليه ويرجو الشكر مني لأحمق
شفيعك فاشكر في الحوائج انه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل فكيف قال أبو تمام ؟ فقال قال

فلقيت بين يديه حلو عطائه ولقيت بين يديَّ مُرّ سؤاله
واذا امرؤٌ أسدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولي به منك وان كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ، فغضب دعبل وانصرف

وكان محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله ويقول لولم يقل الا مرثيته التي أولها

أصمَّ بك الناعي وان كان أسمعا وأصبح مغْنَى الجود بعدك بلقعا

وقوله

لو يقدرون مشَوْا على وَجَناتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفاه ، وقال عبيدالله بن عبد الله بن طاهر كان عمارة بن عقيل عندنا يوْماً فسمع مؤدباً كان لولد أخي يروِّيهم قصيدة أبي تمام

الحق أبلج والسيوف عَوار فحذار من أسد العَرين حَذار

فلما بلغ الى قوله

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السَّموم مَدارعاً من قار
بكرواأَسْرَوْا في بطون ضوامر قِيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة لله دَرُّه ما يعتمد معنى الا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه

قال ابراهيم بن العباس ما اتكلت فى مكاتبتى قط الاعلى ماجاش به صدرى الا أنى قد استحسنت قول أبى تمام

اذا مارقُ بالغدر حاول غَدْرة ... فذاك حَرِيّ أن تئيم حلائله

فان باشر الإصحارَ فالبِيض والقَنا ... قِراه وأحواض المنايا مناهله

وان يبن حيطاناً عليه فانما ... أولئك عُقَّالاته لا معاقله

والا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فان الخوف لا شك قاتله

فأخذت هذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت ما كان يُحرزهم يُبْرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم ، ثم قال ان أبا تمام اخترِم وما استمتع بخاطره ولا نزح رَكِيّ فكره حتى انقطع رِشاء عمره

قال محمد بن جابر الأزدى ، وكان يتعصب لأبى تمام ، أنشدت دعبل بن على شعراً لأبى تمام ولم أعلمه أنه له ، ثم قلت له كيف تراه ؟ قال أحسنُ من عافية بعد يأس ، فقلت انه لأبى تمام ، فقال لعله سرقه

وقال يزيد المهلبي ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهماً بالشعر فى حياة أبى تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه

لما قدم أبو تمام خُراسان اجتمع الشعراء اليه وسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدنى الأمير أن أنشده غداً وستسمعونني ، فلما دخل على عبد الله أنشده

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعَزْماً فقِدْماً أدرك السؤلَ طالبه

فلما بلغ الى قوله

وقلقل نابى من خُراسان جأشُها ... فقلت اطمئني أنضرُ الروض عازبه

وركبٍ كأطراف الأسنة عرَّسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس ما يستحق هذا الشعر غير الأمير حفظه الله ، وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير ، فقال بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا ، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الف دينار فلقطها الغلمان ولم يَمَسّ منها شيئاً ، فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمته ، فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك ، فقال أبو تمام

لم يبق للصَّيف لا رسم ولا طلل ولا قشيب فيستكسى ولا سَمَل
عَدَل من الدمع أن يبكى المصيف كما يُبكَى الشباب ويبكى اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت يسراه وهى لباس بعده بدل

فدخل أبو العميثل شاعر آل طاهر الى عبد الله فقال أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لولم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقى لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقداً بك أمله مُعْمِلاً اليك ركابه متعباً فيك فكره وجسمه وفى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولولم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله

يقول فى قومس صحبى وقد أخذت منا السُّرى وخطا المهرِيَّة القُود
أمطلعَ الشمس تبغى أن تؤُمَّ بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

لكفى ، فقال له عبد الله نبهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبى تمام العُتْبَى ، وأمر له بألفى دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته الى آخر عمله

قال جابر الكرخى انه حضر أبا دلف وعنده أبو تمام وقد أنشده قصيدته

على مثلها من أربُع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ الي قوله

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ماوُطدت من مناقب

فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دُلَف يامعشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها اليه ، فقال أبو دُلَف قد قبلها منكم وأعاركم لبسها وسأنوب عنكم فى ثوابه ، تم القصيدة يا أبا تمام ، فتممها فأمر له بخمسين الف درهم وقال والله ماهى بازاء استحقاقك وقدرك فاعذِرْنا ، فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألاَّ يفعل ، ثم قال له أنشدنى قولك فى محمد بن حميد

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلَّت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده ... اليه الحِفاظ المر والخُلُق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخصمك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الاوأكفانه الأجر

كأن بنى نَبْهان يوم مُصابه ... نجوم سماء خر من بينها البدر

يعزَّوْن عن ثاوٍ يعزى به العلا ... ويبكى عليه الجود والبأْس والشعر

فأنشده إياها ، فقال والله لَودِدت أنها فيَّ ، فقال بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم ، فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر أو مثله

خرج أبو تمام الى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال تكون العشرة الآلاف موفورة فان أردت الشخوص فاعْجَلْ وان أردت المقام عندنا فلك الحِباء والبر ، قال بل أشخَص ، فودعه ، ومضت أيام وركب خالد يَصيد فرآه تحت شجرة وبين يديه رِكْوَة فيها شراب وغلام يغنيه بالطنبور ، فقال أبو تمام ؟ قال خادمك وعبدك ، قال ما فعل المال ؟ فقال

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئاً لديَّ من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرةً كقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتنيه من سنتك
فلست أدري من أين تُنفق لو لا أن ربي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف أخرى فأخذها وخرج

قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء فاستنشده قصيدته اللامية التي مدحه بها فلما انتهى الى قوله

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة العذال
عطفت ملامتها على ابن ملمة كالسيف جاذب الصبر شَخْت الآل
عادت له أيامه مسودة حتى توهم أنهن ليال

فقال له الحسن والله لا تسود عليك بعد اليوم ، فلما قال

لا تنكري عُطْل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري حيث الركاب يَنصها محيي القريض الى مميت المال

فقام الحسن على رجليه وقال والله لا أتممتها إلا وأنا قائم ، فقام أبو تمام لقيامه وقال

قد قلت وهي تنال من عُرض الفلا بملاطس[1] في الوَخْد غير أوال
أحوامل الأثقال انك في غد بفناء أحملَ منك للأثقال
لما وردنا ساحة الحسن انقضى عنا تعجرف دولة الإمحال
أحيا الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال
أغلى عذارى الشعر ان مهورها عند الكرام وان رخصن غوال
ترد الظنون بنا على تصديقها ويحكم الآمال في الأموال
أضحى سمي أبيك فيك مصدقاً بأجل فائدة وأيمن فال

(١) الملاطس الأخفاف والوخد الاسراع وأوال أوائل

ورأيتني فسألت نفسك سيبها لِيَ ثم جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس له أريد نواله أولم يُرَد بُدّ من التهطال

فتعانقا وجلسا ، فقال له الحسن ما أحسن ماجلوت هذه العروس ، فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها

كان دِعْبل عند الحسن بن رجاء يضع من أبي تمام ، فقال له قائل يا أباعلي اسمع مني ماقاله فان أنت رضيته فذاك والا وافقتك على ما تذمه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده

أما انه لولا الخليط المودع ومغنًى عفا منه مصيف ومربع

فلما بلغ الى قوله

هو السيل ان واجهته انقَدْت طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع
ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ولم أر ضراً عند من ليس ينفع
مَعاد الورى بعد الممات وسَيْبه مَعاد لنا قبل الممات ومرجع

فقال له دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على من يتقدمه ، وتنسبون اليه ما قد سرقه ، فقال له احسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً

أنشد أبو تمام أبا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل

أسقى ديارهم أجشُّ هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة ، فلما كان من غد كتب اليه أبو تمام

قد كسانا من كسوة الصيف خِرْق مُكْتَسٍ من مكارم ومساع
حلة سابِرِيَّة[1] ورداء كسحا القيض أورداء الشجاع

(١) سابرية رفيعة جيدة والسحا النواحي والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة

كالسَّراب الرَّقراق فى النعت إلا انه ليس مثلَه فى الخداع
قصبياً تسترجف الريح متنيه بأمر من الهبوب مطاع
رَجفاناً كأنه الدهرَ منه كبدُ الضب أو حشا المرتاع
يطرد اليوم ذا الهجير ولو شبّه فى حره بيوم الوداع
لازماً ما يليه تحسبه جزءاً من المتنين والأضلاع
حلة من أغرّ أروعَ رَحْبِ الصد ر رحب الفؤاد رحب الذراع
سوف أكسوك ما يعفى عليها من ثناء كالبُرْد برد الصَّناع
حسن هاتيك فى العيون وهذا حسنه فى القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم ومن لا يعطى على هذا ملكه ؟ والله لا بقى فى دارى ثوب الا دفعته الى أبى تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت

جاء دعبل الى الحسن بن وهب فى حاجة بعد وفاة أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس يا أبا على أنت الذى تطعن على من يقول

شهدت لقد أقوت مغانيكمُ بعدي ومحّت كما محت وَشائع من برد
وأنجدتمُ من بعد اتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكني نجد

فصاح دعبل أحسن والله ، وجعل يردد « فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد »

ثم قال رحمه الله لوكان ترك لي شيئاً من شعره لقلت انه أشعر الناس

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد فدخل عليه أبو تمام فأنشده

ما زالت الأيام تخبر سائلاً أن سوف تفجع مُسْهِلا أو عاملا
ان المنون اذا استمر مريرها كانت لها جثث الأنام مقاتلا
فى كل يوم يعتبطن نفوسنا عبط المنجب جلّة وأفائلا
ما ان ترى شيئاً لشيء محيياً حتى تلاقيه لآخر قاتلا
من ذاك أجهد أن أراه فلا أرى حقاً سوى الدنيا يسمى باطلا

لله أية لوعة ظلمتـــا بها تركت بكيّات العيون هواملا
مجد تأوب طارقاً حتى اذا قلنا أقام الدهرَ أصبح راحلا
نجمان شاء الله ألاّ يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضراً لأجلّ منها بالرياض ذوابلا
لو يُنْسَآن لكان هذا غاراً للمكرمات وكان هـذا كاهلا
لهفى على تلك المخايل منهما لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكوتهما حجىً وصباهما حِلْماً وتلك الأريحية نائلا
ولأعقب النجم المرزّ بديمة ولعاد ذاك الطَّل جَوْداً وابلا
ان الهلال اذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

قال الواثق لأحمد بن أبى دؤاد بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائى فى قصيدة مدحك بها ألف دينار ، قال لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكنى أعطيته خمسمائة دينار للذي قاله للمعتصم

فاشدد بهارون الخلافة انه سَكَن لوحشتها ودار قرار

فتبسم وقال انه لحقيق بذلك ، وتمام الأبيات

بفتى بني العباس والقمر الذي حفَّته أنجم يَعرُب ونزار
كرم الخؤولة والعمومة مجده سلفا قريش فيه والأنصار
هو نَوء يمن فيهمُ وسعادة وسراج ليل فيهمُ ونهار
فاقمع شياطين النفاق بمهتد ترضى البرية هديه والباري
ليسير في الآفاق سيرة رأفة ويسوسها بسكينة ووقار
فالصين منظوم بأندلس الى حيطان رومية فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك مِعْضَم ما كنت تتركه بغير سوار
فالأرض دار أقفرت ما لم يكن من هاشم رب لتلك الدار

سُوَر القرآن الغر فيكم أنزلت ولكم تصاغ محاسن الأشعار

قال ميمون بن هارون مر أبو تمام برجل يقول لآخر جئتك فاحتجبت عني ، فقال له السماء اذا احتجبت بالغيم رجي خيرها ، فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى ليضمنه في شعره ، فما لبثنا الا أياماً حتى أنشدت قوله

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً ان السماء ترجَّى حين تحتجب

قال محمد بن موسى بن حماد كنا عند دعبل أنا والقاسم في سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام فذكرنا أبا تمام فثلبه وقال هو سروق للشعر ، ثم قال لغلامه يا ثقيف هات تلك المخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يمرها على يده حتى أخرج منها دفتراً فاذا فيه قال مُكْنِف أبو سُلْمى من ولد زهير بن أبي سلمى يرثي ذُفَافة العبسي

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر وما بعده للدهر عُتْبَى ولا عذر
ولو عوتب المقدار والدهر بعده لما أعتبا ما أورق السَّلَم النَّضْر
ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى تَعَسْتَ وشَلَّت من أناملك العشر
أتنعى فتى من قيس عيلان صخرة تفلق عنها من جبال العدى الصخر
اذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولا مسها طُهْر
ولا أمطرت أرضاً سماء ولاجرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر
كأن بني القعقاع يوم وفاته نجوم سماء خرَّ من بينها البدر
توفيت الآمال بعد ذُفَافة وأصبح في شغل عن السفر السَّفْر
يعزُّوْن عن ثاوٍ تعزَّى به العلا ويبكى عليه المجد والبأس والشعر
وما كان الا مال من قلَّ ماله وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

ثم قال سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في قصيدته

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

البحترى

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى البُحْتُري الطائى من بُحْتُر بن عتود ثم من طيء ويكنى أبا عبادة

شاعر فاضل حسن المذهب نقى الكلام مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل نقى فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نَزْرة ، وجيده منه قليل ، وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شيء قلته فى الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه ، ثم قال له يا بنيَّ هذا شيء قلته فى وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحاً فعل بى وقد انقضى أربى فى ذلك وان بقى روى ، وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لي منه ، قال فعلمت أنه قد نصحني وأشفق عليَّ فأحرقته ، والذى وجدناه وبقى فى أيدى الناس من هجائه فأكثره ساقط لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه فى الهجاء ، وكان البحتري يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه خير من وسط أبى تمام ورديئه وكذا حكم هو على نفسه

ومن شعر البحتري يمدح محمد بن على القُمِّي

أمواهب هاتيك أم أنواء ... هُطُل ؟ وأخذ ذاك أم اعطاء ؟
ان دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا ... ذهب السخاء فلا يُحَسّ سخاء
ليس الذى حلَّت تميم وسطه الدَّ ... هْناء لكن صدرك الدهناء

ملك أغر لآل طلحة مجده كفاه أرض سمحة وسماء
وشريف أشراف اذا احتكت بهم جُرْب القبائل أحسنوا وأساؤا
لهم الفِناء الرَّحب والبيت الذى أُدَد أواخ حوله وفناء
وخؤلة فى هاشم ود العدى أن لم تكن ولهم بها ما شاؤا
بين العواتك والفواطم منتمى يزكو به الأخوال والآباء
أمحمد بن على اسمع عُذرة فيها شفاء للمسىء وداء
مالي اذا ذكر الوفاء رأيتني مالي مع النفر الكرام وفاء
يضفو على العذال وهو مقارب ويضيق عني العذر وهو فضاء
انى هجرتك اذ هجرتك وحشة لا العَوْد يذهبها ولا الابداء
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالبر حتى اننى متوهم ألَّا يكون لقاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة عجبٌ، وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لي النعماء
فتظَلّ تحسُدك الملوك الصِّيد بى وأظَلّ يحسدنى بك الشعراء

أنشد البحتري أبا تمام يوْماً شيئاً من شعره، فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مُقرِم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال له نعيت والله إليَّ نفسي، فقال أعيذك بالله من هذا القول، فقال ان عمري لن يطول وقد نشأ فى طيء مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب ابن شَبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنيَّ لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لأنَّا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات من قبله، فقال بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك ومات أبو تمام بعد سنة

وما يعرف له هجاء جيد الا قصيدتين إحداهما فى ابن أبى قماش قوله

مرَّت على عزمها ولم تقف مبدية للشَّنآن والشغف

يقول فيها له

قد كان حقاً عليك أن تعرف المكنون من سر صدرها الكَلِف

بما تعاطيت فى الغيوب وما أوتيت من حكمة ومن لطف

فكيف أخطأت يا أخىّ ولم تفزع الى ما سطرت فى الصحف

وكيف ما دلك القِران على ما فيه من ذاهب ومؤتنف

هلا زجرت الطير العليـة أو عفت لها أو نظرت فى الكتف

حملتها والفراق محتشد لراكب منكما ومرتدف

ورحتما والنحوس تنبىء عن حال من الرائحين مختلف

أما أرتك النجوم أنكما فى حالتى ثابت ومنصرف

وما رأيت المريخ قد جاسد الزهرة فى الجد منه والشرف

يخبر فى ذاك أن زائرة تشفى مزُوراً من لاعج الدَّنَف

من أين أغفلت ذا وأنت على التقويم والزيج جد معتكف

وهى طويلة ولم يكن مذهبى ذكرها الا للاخبار عن مذهبه فى هذا الجنس ، وقصيدته فى يعقوب بن الفرج النصرانى فانها وان لم تكن فى أسلوب هذه وطريقتها فانها تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعانى وهى

تظن شجونى لم تعتلج وقد خلج البين من قد خلج

قال عبد الله بن الحسين بن سعد « وقد أنشد البحترى شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله » أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال كلا والله ان أبا تمام لَلرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به ، فقال له المبرد لله دَرّك يا أبا الحسن فانك تأبى الا شرفاً من جميع جوانبك

قيل للبحترى ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ، فقال والله ماينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز الا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ولكنى والله تابع له آخذ منه لائذ به ، نسيمى يَرُ كُدعند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه

قال البحترى كان أول أمري فى الشعر ونباهتي أن صرت الى أبى تمام وهو بحِمْص ، فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يَعْرِضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليَّ وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدنى فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خَلة ، فكتب الى أهل مَعَرَّة النعمان وشهد لي بالحذق فى الشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم ، فصرت اليهم ، فأكرمونى بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكان أول مال أصبته ، وكانت نسخة كتاب أبى تمام « يصل كتابى هذا على يد الوليد بن عبادة الطائى وهو على بذاذته شاعر فأكرموه »

قال البحتري أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى

أأفاق صب من هوًى فأُفيقا ... أم خان عهداً أم أطاع شفيقا
ان السلو كما تقول لَراحة ... لو راح قلبي للسلو مطيقا
هذا العقيق وفيه مرأًى مونِق ... للعين لو كان العقيق عقيقا
أشقيقةَ العلَمين هل من نظرة ... فتبُلّ قلباً للغليل شقيقا
وسَمتك أردية السماء بديمة ... تحيي رجاء أو ترد عشيقا
ولئن تناول من بشاشتك البلى ... طَرَفاً وأوحش أنسك الموموقا
فلرب يوْم قد غنينا نجتلى ... مغْناك بالرَّشأ الأنيق أنيقا
علّ البخيلة أن تجود بها النوى ... والدار تجمع شائقاً ومشوقا

كذب العواذل أنت أقتل لحظة وأغض أطرافاً وأعذبُ ريقا
ماذا عليك لو اقتربت لموعد يُنْئي الجوى وسقيتنا الترنيقا
غدت الجزيرة فى جناب محمد رَيَّا الجناب مغارباً وشروقا
برقت مخايله لهـــا وتخرقت فيها عزَالِي جوده تخريقا
صفحت له عنها السنون وواجهت أطرافُها وجه الزمان طليقا
رفع الأمير أبو سـعيد ذكرها وأقام فيهـــا للمكارم سوقا
يستمطرون يداً يفيض نوالها فيُغَرِّق المحروم والمرزوقا
يقظ اذا اعترض الخطوب برأيه ترك الجليل من الخطوب دقيقا

الى أن انتهى منها ، فسرّ بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وأجدت ، وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل عليَّ وقال يا فتى أما تستحيي مني ؟ هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد أحقاً تقول ؟ قال نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً ، فأقبل عليَّ أبو سعيد فقال يا فتى قد كان فى قرابتك وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف له بكل مُحَرِّجة الأيمان أن الشعر لي ما سبقنى اليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد وفظع بى حتى تمنيت أنى سخت فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى فخرجت فما هو الا أن بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل عليَّ الرجل فقال الشعر لك يا بنيَّ والله ما قلته ولا سمعته الا منك ولكننى ظننت أنك تهاونت موضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى وتكاثرنى حتى عرَّفنى الأمير نسبك وموضعك ولودِدت ألَّا تلد أبداً طائية الا مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعانى أبو تمام وضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى

ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ، ثم حظى البحترى بأبى سعيد وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده ورثاهما بعد مقتلهما فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه ، فقال كنا نعمل للرَّجاء ونحن اليوم نعمل للوفاء وبينهما بعد

كان البحترى من أوسخ خلق الله ثوْباً وآلة وأبخلهم على كل شىء ، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى اليها بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأطال اجهادكما

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال لها ما اسمك ؟ قالت برهان ، قال ولمن هذا الماء ؟ قالت لستى قبيحة ، قال صبيه فى حلقى ، فشربه على آخره ، ثم قال للبحترى قل فى هذا شيئاً ، فقال

ما شربة من رحيق كأْسها ذهب ... جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوْماً بأطيب من ماء بلا عطش ... شربته عبثاً من كف برهان

قدم البحترى النِّيل على احمد بن على الاسكافي مادحاً له فلم يُثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها

ما كسبنا من احمد بن على ... ومن النِّيل غير حُمَّى النيل
وضلال منى وخسران سعى ... طلبي النَّيل عند غير منيل
يا أبا الصقر كم يد لك عندي ... ذات عَرْض فى المكرمات وطول
كشفاء السَّقام فى عقب يأْس ... من تلافيه أو شفاء الغليل
اكفنى دقة اللئام بتخفيـــفك ما آد من خراجى الثقيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها

قصة التَّل فاسمعوها عُجابة ... ان فى مثلها تطول الخطابة

ادعى التل فرقتان تلاحَوا ... آل عبد الأعلى وآل ثَوابة
حكم العادل الجنيدى فيهم ... بصواب فلا عدمنا صوابه
احفروا التل يا بنى عبد الأعلى ... وأثيروا صخوره وترابه
ان وجدتم فيه شباك أبيكم ... كنتمُ دون غيركم أربابه
أو وجدتم محاجماً ان حفرتم ... زال شك العطاية المرتابة
فبدت جَونة من الخوص فيها ... آلة الشيخ وهو حد لبابة
خالد لا سقى الاله صداه ... فبنوه اللئام شانوا الكتابة

فجمع الى هجائه إياه هجاء أبى ثوابة ، فبلغ ذلك أحمد بن ثوابة ، فبعث اليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فرده اليه وقال قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم ، فكتب اليه ، أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة والحسنات يذهبن السيئات وما يأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته عليَّ وأضعفته ، فان تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وان لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فقبل ما بعث به وكتب اليه ، كلامك والله أحسن من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني وحملتني ما أثقلني وسيأتيك ثنائى ، ثم غدا اليه بقصيدة أولها

ضلال لها ماذا أرادت الى الصد ... ونحن وقوف من فراق على حد
مزاولة أن تخلط الود بالقِلَى ... ومغرمة أن تلحق القرب بالبعد
رأت لِمَّة عُلِّي بياضاً سوادُها ... تعاقب مبيض عليها ومسود
فلا تسألا عن هجرها ان هجرها ... جنى الصبر يسقى مرُّه من جنى الشهد
ولا تعجبا من بخل دعد بنيلها ... وفى النفر الأَعْلَيْن أبخل من دعد
أضنُّ أَخلاء وضن أحبة ؟ ... فلا خلة تصفى ولا خلة تجدى

يقول فيها

رحيل اشتياق مبرِح وصبابة ... الى قرية النعمان والسيد الفرْد

الى سابق لا يعلق القوم شأوه بسعى ولا يهدون منه الى قصد
الى أبيض الأخلاق ما مرّ أبيض من الدهر الا عن جدًى منه أو رفد
جدير اذا ما زرته عن جنابة وان طال عهد أن يكون على العهد
وان أنا أهديت القريض مجازياً فلن يوكس المهدَى اليه ولا المهدى
حزايدة منى ومنه وكلنا الى أمد دانى النصيب من البعد
تشذب من يعطى الرغائب دونه وبان به ما بان بالكوكب السعد
فمن أين جئنا جمة من عطائه وردنا وسير العيس خمس الى الورد
يغض عن المرفوع من درجاته وان زيد فى سلطان ذى تُدْرَإٍ نجد
ويخشى شذاه وهو غير مسلط وقد يتوقى السيف والسيف فى الغمد
اذا قارعوه عن عُلَى الأمر قارعوا صَليب الصفَا من دونها خشن الحد

وقال فيه بعد ذلك

برق أضاء العقيقُ من ضَرَمه يكشف الليل عن دجى ظُلَمه
ذكرنى بالوَميض حين سرى من ناقض العهد ضوء مبتسمه
ثغر حبيب اذا تألق فى لمَاه عاد المحب فى لمَمه
مهفهف يعطف الوِشاح على ضعيف مَجْرَى الوشاح منهضمه
يجذبه الثقل حين ينهض من ورائه والخفوق من أممه
اذا مشى أدمجت جوانبه واهتز من قرنه الى قدمه
قد حال من دونه البعاد وتشـ ـريق صدور المطى فى لقمه

يقول فيها

متى تسلْ عن بنى ثوابة يخبر ك السحاب المحبوك عن ديمه
تُبِلّ من مَحْلها البلاد بهم كما يُبِل المريض من سقمه
أقسمت بالله ذى الجلالة والعـ ـز ومثلى من بَرَّ فى قسمه

وبالمصلى ومن يطيف به والحَجَر المبتغى ومستلمه
اذا اشرأبُّوا له فملتمس بكفه أو مقبّل بفمه
ان المعالى سلكن قصد أبى العباس حتى عُدِدن من شيمه
معظَّم لم يزل تواضعه لآمليه يزيد فى عظمه
غير ضعيف الوفاء ناقصه ولا ظنين التدبير متهمه
ما السيف عضباً يضىء رونقه أمضى على النائبات من قلمه
حامى على المكرمات مجتهداً جهد المحامى عن ماله ودمه
ما خالف الملك حالتيه ولا غيَّر عز السلطان عن كرمه
تم على عهده القديم لنا والسيل يجرى على مَدَى قدمه
يدنو الينا بالأُنس وهو أخ للنجم فى بَأْوه وفى بُذُمه
اذا رأينا ذوى عنايته لديه خلناهمُ ذوى رحمه
وان نزلنا حريمه فلنا هناك أمن الحمام فى حرمه
كان له الله حيث كان ولا أخلاه من طَوْله ومن نعمه
حاجتنا أن تدوم مدته وسؤلنا أن نعاذ من عدمه
له أياد عندى ولي أمل ما زال فى عهده وفى ذمه

وقال فيه أيضاً

أن دعاه داعي الهوى فأجابه ورمى قلبه الصبا فأصابه
عبت ما جاءه ورب جهول جاء ما لايعاب يوماً فعابه
ليت شعرى غداة يُغْرَى بسُعدى أي شىء من الرباب أرابه
أهو الجد من صريمة عزم أم هو الهزل فى الهوى والدُّعابه
خون عين لم أحتسبه وقلب لم أخف يوم رامتين انقلابه
بات يخشى على البعاد اجتنابى شق نفس قد كنت أخشى اجتنابه

صافحاً عن خفي ذنبي وقد صا فحت في ساعة الوداع خضابه
رَشأ ان أعاد كر بلحظ أشعل القلب مُضنياً أو أذابه

يقول فيها

قد مدحنا ايوان كسرى وجئنا نستثيب النعمى من ابن ثوابة
بيت فخر كان الغنى لو يوافى زائر البيت عنده أربابه
واذا ما أخل بالحق قوم فمن الحق أن تنوب القرابة
أنتمُ منهمُ خلا ما لبستم بعدهم من مُعار زِيّ الكتابة
همم في السماء تذهب علوا ورباع مغشية منتابة
ورجال ان ضيع الناس أمراً حفظوا المجد أن يضيعوا طِلابه
ما سعَوْا يخلفون غير أبيهم كل ساع منا يريد نصابه
جمعتهم أكرومة لم يجوزوا منتهاها جمع القِداح الربابة
خلق فيهمُ تردد فيهم وليته عصابة عن عصابة
كالحسام الجُراز يبقى على الدهر ويفني في كل عصر قرابه

ولم يزل ابن ثوابة يصله بعد ذلك ويتابع بره لديه حتي افترقا

كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعاعَبرتي تجرى على الجَوْر والقصد أظن نسيماً قارف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه فيا عجبا للدهر فقد على فقد

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره الى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفُق عنده الأدب ، فاذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يَهَبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره

حدث البحترى قال قال لي أبو تمام بلغني أن بني حُميد أعطوك مالاً جليلاً

فيما مدحتهم به فأنشدنى ، فأنشدته بعض ما قلته فيهم ، فقال لي كم أعطوك ؟ فقلت كذا وكذا ، فقال ظاموك والله ماوفوك حقك فلم أستكثر مادفعوه اليك والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم قال لعمرى لقد استكثرت واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب ، أنت والله يابنى أمير الشعراء غداً بعدي ، فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له والله لهذا القول أسر لقلبي وأقوى لنفسي مما وصل اليّ من القوم

حدث أبو العَنْبَس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشد

عن أى ثغر تبتسم ... وبأى طرف تحتكم
حسن يَضَن بوصله ... والحسن أشبه بالكرم
أفديه من ظلم الوشا ... ة وان أساء وان ظلم
يهنيك أنك لم تذق ... سُهُداً وانيَ لم أنم
وكأن فى جسمي الذى ... فى ناظريك من السقم
أقسمت بالبيت الحرا ... م وحرمة الشهر الأصم
وعلى أمير المؤمنيـ ... ـن فانها حق القسم
لقد اصطفى رب السما ... ء له الخلائق والشيم
ملك غدا وجبينه ... شمس الضحى بدر الظلم
قل للخليفة جعفر الـ ... ـمتوكل بن المعتصم
المرتضى ابن المجتبي ... والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهى من ... أمنات عدلك فى حرم
نعم عليها في بقا ... ئك فلتتمّ لها النعم
يا بانى المجد الذي ... قد كان قُوض فانهدم
اسلم لدين محمد ... فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

وكان البحترى من أبغض الناس انشاداً ، يتشادق ويتزاور فى مشيه ، مرة جانباً ومرة القهقرى ، ويهز برأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لاتقولون أحسنت ؟ هذا والله مالايحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علىَّ وقال أما تسمع ياصيمَرى ما يقول ؟ فقلت بلى ياسيدى فمرنى فيه بما أحببت ، فقال بحياتى اهجُه على هذا الروى وأنشدنيه ، فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة أن قلت

أدخلت رأسك فى الرحم وعلمت أنك تنهزم
يا بحتري حذار ويـــحك من قَضاقضة ضُغُم
فلقد أسلت بوالديـــك من الهجاسيل العَرِم
فبأي عرض تعتصم وبهتكه جف القلم
والله حلِفة صادق وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما م ابن الامام المعتصم
لأُصيرنك شهرة بين المسيل الى العلم
حيث الطلول بذى سلم حيث الأَراكة والخيم
يا ابن الثقيلة والثقيـــل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبيـــر ابن الموالي والحشم

فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به « وعلمت أنك تنهزم » والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه ، قال أحمد بن زياد فحدثني أبى قال جاءنى البحترى فقال يا أبا خالد أنت عشيرتى وابن عمي وصديقي وقد رأيت ماجرى علىَّ أفتأذن لى أن أخرج الى مَنْبِج بغير اذن ؟ فقد ضاع العلم وهلك الأَدب ، فقلت لاتفعل

من هذا شيئاً فان الملوك تمزح بأعظم مما جرى ومضيت معه الى الفتح فشكا اليه ذلك فقال له نحواً من قولي ووصله وخلع عليه فسكن الى ذلك

ومن شعره وفيه غناء

كم ليلة فيك بت أسهرها ... ولوعة من هواك أضمرها
وحرقة والدموع تطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعرها
يا علو علّ الزمان يعقبنا ... أيام وصل نظلّ نشكرها
بيضاء رُود الشباب قد غُمست ... فى خجل دائبا يعصفرها
مجدولة هزها الصبا فشجا ... قلبك مسموعها ومنظرها
لا تبعث العُود تستعين به ... ولا تبيت الأوتار تخفرها
الله جار لها فما امتلأت ... عينى الا من حيث أبصرها

ومن قوله يرثى سليمان بن وهب

أأخىّ نهنه دمعك المسفوكا ... ان الحوادث ينصرمن وشيكا
ما أذكرتك بمُتْرِح صَرْف الجوى ... الا ثنتـــه بمفرح ينسيكا
الدهر أنصف منك فى أحكامه ... اذ كان يأخذ بعض ما يعطيكا
وقليل هذا السعى يَكْسبك الغنى ... ان كان يغنيك الذى يكفيكا
نلقى المنون حقائقاً وكأننا ... من غِرَّة نلقى بهن شكوكا
لا تركنن الى الخطوب فانها ... لُمَع تسرك مرة وتسوكا
هذا سليمان بن وهب بعدما ... طالت مساعيه النجوم سُموكا
وتَمَصَّف الدنيا يدبر أهلها ... سبعين حولاً قد تمن دكيكا[1]
أغرت به الأقدار بَغْت ملمة ... ما كان رسم حديثها مأفوكا
فكأنما خَضَد الحِمام بيومه ... غصناً بمنخرق الرياح نهيكا

(١) دكيك تام

بلغ عبيد الله فارع مذحج ... شرفاً ومعطى فضلها تمليكا
ما حق قدرك أن أحمل مرسلاً ... غيرى اليك ولو بعثت ألوكا[1]
أنت الذى لو قيل للجود اتخذ ... خلاً أشار اليك لا يعدوكا
وكأنما آليت والمعروف لا ... تألوه مصطفياً ولا يألوكا
ان الرزيئة فى الفقيد فان هفا ... جزع بصبرك فالرزيئة فيكا
ومتى وجدت الناس إلا تاركاً ... لحميمه فى الترب أو متروكا
بلغ الارادة أن فداك بنفسه ... ووددت لو تفديه لا يفديكا
لو ينجلى لك ذخرها من نكبة ... جلل لأضحكك الذي يبكيكا
ولحال كل الحول من دون الذى ... قد بات يسخطك الذى يرضيكا
ما يوم أمك وهو أروع نازل ... فاجك الا دون يوم أبيكا
كلم أعيد على حشاك ولمحة ... مما عهدت الحادثات تريكا
وفجيعة الأيام قسم سويت ... فيه البرية سوقة وملوكا
عبء توزعه الأنام تخفّ ... ألاّ تزال تصيب فيه شريكا

(١) الألوك الرسالة

شعراء حكم

أبو نُواسى (١)

هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمِي من حكم بن سعد العشيرة بن مالك اخوة طيء ، وأبو نواس كنيته ونواس من أسماء ملوك اليمن

نشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحَضْرمى ، فلما حذَق القرآن رمى اليه يعقوب بخاتمه وقال اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وكان حسن الوجه رقيق اللون أبيض حلو الشمائل ، وكان فى رأسه سماحة وتسفيط ، وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً ، وكان نحيفاً وفى حلقه بُحَّة لا تفارقه ، قال الجاحظ ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبى نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة لاستكراه

ثم كبر وتأدب وصحب أهل المجد والمجَّان واشتهى الكلام فقعد الى أصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ثم دعاه ذلك الى الزندقة ، ثم مَجَن فى شعره وشخص الي مدينة السلام فأقام بها وعاشر الملوك فحط منه مجونه ووضعه خبث لسانه وكثرة شَغَبه وعبثه

وكان ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلْقَ مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادم القاسم ابن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكرهت له ففارقه

ثم جلس أبو نواس الى الناشىء الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرُّمَّة فأقبل الناشىء على أبيه هانىء وقال له ان عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان شتوم

ثم اتصل بوالبة بن الحُباب الأسدى ، لقيه بدار النجاشى الأسدى والى الأهواز للمنصور ، فقال له والبة انى أرى فيك مخايل فلاح وأرى أنك لا تضيعها

(١) من ترجمة أبى نواس المحفوظة بدار الكتب الملكية لابن منظور

وستقول الشعر وتعلو فيه فاصحبنى حتى أخرجك ، فقال ومن أنت ؟ قال أبو أسامة ، قال والبة ؟ قال نعم ، قال أنا والله جعلت فداك فى طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال ولماذا ؟ قال شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال وماهى ؟ فأنشده

ولها ولا ذنب لهـــا حب كأطراف الرماح
جرحت فؤادي بالهوى فالقلب مجروح النواحى
سـلّ الخليفة صارماً هو للفساد وللصـلاح
أجداه كف أبى الوليـــد يدا مباريةَ الرياح
ألقى بجانب خصره أمضى من الأجل المُتاح
وكأنما ذَرّ الهبـــا عليه أنفاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأله أن يخرج الي البادية مع وفد بنى أسـد ليتعلم العربية والغريب فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بغـداد

جاء أبو نواس الى بشار فأنشده قصـيدته اللامية التى يصف فيها النخل فاستحسنها ، فلما خرج قال بشار لقد حسدت هذا الغلام على هذا وما أخرج منه عن قول شاعر الكوفة « يعني والبة »

وكان أبو نواس متكلماً جَدِلاً راوية فحلاً رقيق الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف ، ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره منها قوله

وذات خـد مورَّد فضـــيّة المتجرد
تأمّلُ العـين منها محاسـناً ليس تنفد
فبعضـه قد تناهى وبعضـــه يتولد
والحسن فى كل شىء منها معـاد مردد

ومنها قوله

يا عاقد القلب عنى هلا تذكرت حلاً
تركت غيي قليلاً من القليل أقلاً
يكاد لا يتجزى أقل فى اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة اسمها حسن

ان اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا في غيرها جمعا
فهى اذا سميت فقد وصفت فيجمع الاسم معنيين معا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة

قل لزهير اذا حدا رشدا أقلل أو اكثر فأنت مهذار
سَخُنْتَ من شدة البرد حتى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتى كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند فانهم يقولون ان الشيء اذا أفرط في البرودة انقلب حاراً ، وقالوا ان الصندل يحك منه اليسير فيَبْرُدُ فاذا أكثر منه سخن

قالوا كان أبو نواس دعياً يخلط فى دعوته فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة

ألا كل بصري يرى انما العلا مكمَّهة سُحْق لهن جَرين [1]
فان تغرسوا نخلاً فان غراسنا ضراب وطعن فى النحور سخين
فان أك بصرياً فان مهاجري دمشق ولكن الحديث فنون
مجاور قوم ليس بيني وبينهم أواصر الا دعوة وظنون
اذا مادعا باسمى العريف أجبته الى دعوة مما علىَّ تهون

ثم هجا اليمن فى هذه القصيدة بقوله

(١) المكمهة الغراس الكثيرة والسحق الطويلة يريد النخل والجرين الحب المحصود

لأزد عمان بالمهلب نزوة اذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر ترى أن النبوة أنزلت على مسمع فى الرحم وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أن واحداً كأحنفنا حتى الممات يكون
فما لمت قيساً بعدها فى قتيبة وفخر به ان الفخار فنون

وانما نشأ أبو نواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد

ومما هجا به اليمن أيضاً قوله لهاشم بن حديج

وردنا على هاشم مصره فبارت تجارتنا عنده

يقول فيها

رأيتك عند حضور الخوان شديداً على العبد والعبدة
وتحتدّ حتى يخاف الجليس شذاك عليه من الحدة
وتختم ذاك بفخر عليه بكندة فاسلح على كندة
فان حديجاً له هجرة ولكنها زمن الردة
وما كان ايمانكم بالرسول سوى قتلكم صهره بعده
تعدونها في مساعيكمُ كعد الأهلة معتدة
وما كان قاتله في الرجال بحمل لطُهْر ولا رِشدة
فلو شهدته قريش البطاح لما محشت ناركم جلده (١)

وقوله أيضاً

ما منك سلمى ولا أطلالها الدُّرُس ولا نواطق من طير ولا خُرُس
يا هاشم بن حديج لو عددت أباً مثل القَلَمَّس لم يعلق بك الدنس
اذ صبح الملكَ النعمان وافده ومن قُضاعة أسرى عنده حُبُس
فابتاعهم باخاء الدهر ما عمَروا فلم ينل مثلها من مثلهم أنَس

١) المحش قشر الجلد عن اللحم

أو رحت مثل حُوَيّ فى مكارمه هيهات منك حُوَيّ حين يلتمس
أو كالسَّمَوْءَل اذ طاف الهمام به فى جَحْفَل لَجِب الأَصوات يرتجس
فاختار ثُكْلاً ولم يغدِر بذمته اذ قيل أشرف ترَ الأَوداج تنبجس
ما زاد ذاك على تيه خصصت به وكيف يعدل غير السوءة الغَرس

وقوله

يا هاشم بن حديج ليس فخركمُ بقتل صهر رسول الله بالسَّدد
أدرجتمُ فى إهاب العَيْر جثته فبئس ما قدمت أيديكمُ لغد
ان تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت حُجْرًا بدارة مَلحوب بنو أسد
وطرَّدوكم الي الأجبال من أجإٍ طرد النعام اذا ما تاه فى البلد
وقد أصاب شَراحيلا أبو حَنَش يوْمَ الكُلاب فما دافعتمُ بيد
ويوْمَ قلتم لزيد وهو يقتلكم قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
وكل كندية قالت لجارتها والدمع ينهلّ من مثنَى ومنفرد
ألهى امرأَ القيس تشبيب بغانيه عن ثأْره وصفات النَّوْء والوتد

وكان أبو نُواس في أول دعوته ادعى أنه من ولد عبيد الله بن زياد بن ظَبيان من بنى عامر بن تيم اللات بن ذُهْل بن ثعلبة ، فقيل لأَبى نواس ان الرجل الذى تدعى اليه لا عقب له فلو قلت انك من ولد أخيه أبان بن زياد قلنا معك ، فاستحيا أبو نُواس وهرب من بني تيم اللات وقد كان يراقبهم ، ثم طلب الأخبار واستعد وتفرغ عن المثالب والأنساب لمكان هذه القضية وأقام لهذه الغلطة بالبصرة فى العطارين ، فاذا كان العشى أتى أبا عبيدة يسأله أخبار العرب وأيام الناس ، ثم اختلف الى أبى محمد خَلَف الأحمر مولى الأشعريين فكان يسأله عن الشعر ومعانيه ، ورثى خلفا بعد موته بقصائد من شعره منها قصيدته التى أولها قوله

لو كان حيّ وائلاً [١] من التلف ... لواءلت شغواء فى أعلى شعف
أم فُريخ أحرزته فى لَجَف [٢] ... مزغّب الألغاد لم يأكل بكف
كأنه مستقعد من الخرَف ... هائيك أو عصماء فى أعلى شرف
تروغ فى الطُّبّاق [٣] والنَّدْع الألفّ ... أودى جميع العلم مذ أودى خلَف
من لا يعُدّ العلم الا ما عرف ... قَلَيْذَم [٤] من العياليم الخُسُف
كنا متى نشاء منه نغترف ... رواية لا تُجتنى من الصحف

ومنها قوله يرثيه

لا تئل العُصْم فى الهِضاب ولا ... شغْواء تغذو فرخين في لَجَف
يُكنّها الجو فى النهار ويُؤْ ... ويها سواد الدجى الى شَرَف
تحنو بجُؤشوشها [٥] على ضَرِم ... كقعدة المنحني من الخرَف
ولا شبوب [٦] باتت تؤرقه النـ ... ـنْرة منها بوابل قصِف
دان على الأرض والوَصيد [٧] وفى ... بَهْو أمين الإياد ذى هدَف
دَيْدَنه ذاك طول ليلته ... حتى اذا انجاب عنه حاجب السَّدَف
غدا كوقف الهلوك ينهفت القـ ... ـقِطْقِط [٨] من منبتيه والكتف

---

(١) ناجيا والشغواء العقاب لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل والشعف رءوس الجبال
(٢) اللجف الغار فى الجبل وزغب صار ذا زغب وهو صغار الريش والالغاد جمع لغد بالضم وهو لحمة فى الحلق (٣) الطباق والندع نوعان من الشجر (٤) القليذم البئر الغزيرة والعياليم جمع عيلم وهو البئر الكثيرة الماء والخسف جمع خسيفة وهى البئر التى حفرت في حجارة فنبع منها ماء غزير لا ينقطع (٥) الجؤشوش الصدر والضرم فرخ العقاب (٦) الشبوب الشاب من الثيران والغنم والنثرة منزلة من منازل القمر (٧) الوصيد بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة للمال أى الغنم وغيرها في الجبال والاياد التراب يجعل حول الحوض أو الحباء يقوى به أو يمنع ماء المطر والهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل (٨) القطقط المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر وقيل هو دون الرذاذ وقيل البرد أو صغاره وانهفت انخفض واتضع

كأن شذراً وهت معاقده بين صلاه فلعب الشنف
وأخدرىّ صُلْب النواهق صلـــصال أمين الفصوص والوُظُف
منفرد فى الفلاة توســـعه رياً وما يختليه من علف
ما ترك الموت من أولى شبحا بادت بتلك القلال والشعف
لما رأيت المنون آخذة كل شديد وكل ذى ضعف
بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمعى إلاَّ يفِضْ يكف
أنسى الرزايا ميت فُجعت به أمسى رهين التراب فى جدف
كان يُسَبِّى (١) برفقه غُلُقا فى غير عىّ منـــه ولا عنف
يجوب عنك التى عشيت بها من قبل حتى يشفيك فى لطف
لا يهم الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لامهـــا مع الألف
ولا يعمّى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف
وكان ممن مضى لنا خلفاً فليس منه اذ بان من خلف

واختلف أبو نواس الى أبى زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد وأزْهَر السمَّان وغيرهم فلم يتخلَّف عن أحد وأدرك الناس فعلم ، ثم قدم بغداد بعد ذلك

وكان أيضاً يتنزر ويدعى للفرزدق ثم وقع بينه وبين الحكم بن قَنْبَر المازنى فهجاه الحكم وذكر بريه العود وبغى عليه ونكبه ، ولما قال أبو نواس قصيدته التى يهجو بها خِنْدِف وهى

ألم تربَع على الطلل الطِّماس (١) عفاه كل أسْحَم ذى ارتجاس
وذارى الترب مُرْتكم حصاه نسيج الميْث مِعْنَقة الدَّهاس (٢)

(١) سناه تسنية سهله وفتحه (٢) طماس بالكسر دارسة والأسحم السحاب والارتجاس الرعد (٣) المعنقة حبل من الرمل

سوى سُفْعٍ أعارتها الليالى سواد الليل من بعد اغبساس[١]
وأورق حالفَ المثواة هابٍ كضاوِىّ الفراخ من الهُلاس[٢]
منازل من عُفَيْرة أو سليمى أو الدَّهماء أخت بني الحِماس
كأن معاقد الأوضاح منها بجيد أغنَّ نوّم فى الكِناس
وتبسِم عن أغرّ كأن فيه مُجاجَ سلافة من بيت راس
فمن ذا مبلغٌ عمراً رسولاً فقد ذكّرت ودك غير ناس
فلم أهجرك هجر قِلًى ولكن نوائب لا تزال لها نقاسى
نوائب تعجز الأدباء عنها ويعيا دونها اللَّقِن النِّطاسى
وقد نافحت عن أحساب قوم هُمُ ورثوا مكارم ذى نُواس
فان تك أوقدت للحرب نار فماغطيت خوف الحرب راسى
سأُبلى خير ما أبلى محام اذا ما النبل أُلجم بالقِياس[٣]
وسَمْت الوائلين بفاقرات بهن وسَمْت رهط أبى فِراس
وقالت كاهل وبنو قُعَيْن حنانك اننا لسنا بناس
فما بال النعاج ثَغَت بشتمى وفى زَمَعاتهن دم الفراس
وماحامت عن الأحساب الا لترفع ذكرها بأبى نُواس

عارضه الحكم وهجاه فانقلب على النزارية وادعى أنه من حاء وحَكَم، فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له أنت خُوزى فمالك ولحاء وحكم؟ فقال له أنا مولى لهم، فتركوه، وقال بعضهم لبعض انه لظريف اللسان غزير العلوم فدعوه، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكايد عنا ويهجو النزارية، فكان كما قلوا وكما ظنوا، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبى فراس واكتنى بأبى نُواس تشبهاً

(١) الاغباس بياض فيه كدرة والسفع يريد بها الاثافى (٢) الهلاس الضمور والضاوى وهاب لونه لون الهباء (٣) جمع قوس

بكنية ذى نُواس كما كانت اليمن تكتنى ، وندم على هجاء اليمن ووجدهم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكِنْدِى من هجائه ومدح اليمن فقال

أهاشم خذ مني رضاك وان أتى ... رضاك على نفسي فغير مَلوم
فأقسم ما جاوزت بالشتم والدى ... وعرضى وما مزقت غير أديمي
فعُذت بحَقْوَى هاشم فأعاذنى ... كريم أراه فوق كل كريم
وان امرأً أغضى على مثل زَلَّتى ... وان جرحت فيه لجِدّ حليم
تطاول فوق الناس حتى كأنما ... يَرَوْن به نجماً أمام نجوم
اذا امتازت الأحساب يوماً بأهلها ... أناخ الى عادِيَّة وصميم
الى كل معصوب به التاج مقْوَل ... اليـــه أيادى عامر وتميم

وكان قبل أن ينتمي لليمن ويدعى لنزار يتعاجم في شعره ، فمن ذلك قوله

فاسقنيها وغن صو ... تاً ، لك الخير ، أعجما
ليس في نعت دِمْنة ... لا ولا زجر أشأما

وقوله

ودار نَدَامَى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاث رَيحان جَنىّ ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم ... وانى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به ... بشرقىّ ساباطَ الديار البَسابس
أقمنا بها يوْماً ويوْماً وثالثاً ... ويوْماً له يوْم الترحل خامس
تدار علينا الراح فى عسجديَّة ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قوارتها كسرى وفى جنَباتها ... مَهَى تدَّريها بالقِسِى الفوارس
فللخمر[1] ما زُرَّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليـه القلانس

(١) يعنى أن الخمر مصبوب فيها الى حلوق الصور صرفاً وقوله وللماء يعنى انهم صبوا الماء فى مزجها حتى علا رءوسها

وقوله يصف كَرْمة وعبر عنها بالهَجمة وهو يريد الدنان

لنا هَجمة لا يدرك الذئب سَخْلها ... ولا راعها نَزْو الفِحالة والخَطْر

اذا امتحنت ألوانها مال صفوها ... الى الكُمْت الا أن أوبارها خضر

وان قام فيها الحالبون أتتهمُ ... بنجلاء[1] تثقب الجوف دِرتها الخمر

مسارحها الغربيّ من نهر صَرْصر ... فقُطْرُبُّل فالصالحيـــة فالعَقر

تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن ... مواريث ما أبقت تميم ولا بكر

قصرت بها ليـلى وليل ابن حرة ... له حسب زاكٍ وليس له وَفْر

وفي تعاجم أبي نواس فى شعره يقول الرَّقاشي يهجوه

نَبَطِيّ فاذا قيـــل له ... أنت مولى حَكَم قال أَجَل

هو مولى الله اذ كان به ... لاحقاً فالله أعلى وأجل

واضعاً نسبته حيث اشتهى ... فاذا ما رابه ريب رَحَل

فقال أبو نواس يهجوه

هجوت الفضل دهرى وهو عندى ... رقاشي كما زعم المســـول

فلما سوئلت عنه رَقاش ... لنعـــلم ما تقول وما يقول

ولما أن نصصناه اليها ... لتعـــلم ما يقال وما نقول

وجدنا الفضل أبعد من رقاش ... من الأُتْن ادعت فيها الفُيول

وجدنا الفضل أكرم من رقاش ... لأن الفضل مولاه الرسول

يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا مولى من لا مولى له

وقال أيضاً يهجوه

قل للرَّقاشى اذا جئتـــه ... لو مِتَّ يا أحمق لم أَهجُكا

(١) يريد بالنجلاء البزال وهو موضع سيل الشراب من المبزل

لأنني أكرم عرضي ولا أقرنه يوماً الى عرضكا
ان تهجني تهج فتى ماجداً لا يرفع الطرف الى مثلكا
دونك عرضي فاهجه راشداً لا تدنس الأعراض من هجوكا
والله لو كنتُ جريراً لما كنت بأهجى لك من أصلكا

وقال أيضاً يهجوه

يا عربياً من صنعة السوق وصنعة السوق ذات تشقيق
ما رأيكم يا نزار في رجل يدخل فيكم من خلق مخلوق
ويحمل الوطب والعِلاب ولا يصلح الا لحمل ابريق
لقد ضربنا بالطبل أنك في القوم صحيح وصيح في البوق
قد أخذ الله من رَقاشَ على تركهم المجد بالمواثيق
فالناس يسعَون للعلا قُدُماً وهم وراء مكسر السوق
هذا كذاكم وفي الهياج اذا هِيج فما شئت من بواشيق

وقال أيضاً يهجوه

أصبح الفضل ظاهر التيه وذاك مذ صرت أهاجيه
لله شعري أيّ مِفْوَاهة لكل مَنْ دوني قوافيه
كم بين فضل منذ هاجيته وبينه قبلَ أهاجيه
فالحمد لله وان كنت لم أحفل بقومٍ نصحوا فيه
رضيت أن يشتمني ساقط شِسْعى خيرٌ من مواليه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث ويخفي نسبه واسم امه لئلا يهجى، وذلك مشهور عنه ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم، والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكميين يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم، فلذلك قال في العجم ما قال

وصف العلماء لشعره

كان أبو عبيدة يقول ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله ، امرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله ، وكان يقول ذهبت اليمن بجيد الشعر فى قديمه وحديثه ، امرؤ القيس في الأوائل وأبو نواس في المحدَثين ، وكان يقول شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس ، وقال أيضاً أبو نواس فى المحدَثين مثل امرىء القيس في المتقدمين فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه ، وكان يقول يعجبنى من شعر أبى نواس قوله

بنينا على كسرى سماء مُدَامة مكلَّلة حافاتهـــا بنجوم
فلو رُدَّ في كسرى بن ساسان روحه إذاً لاصطفانى دون كل نديم

وسئل يعقوب بن السِّكِّيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال اذا أردت من الجاهليين فلامرىء القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدَثين فلأبى نواس فحسب ، وقيل للعتبى من أشعر الناس ؟ قال عند الناس أم عندى ؟ قيل عند الناس ، قال امرؤ القيس ، قيل فعندك ، قال أبو نواس

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبى نواس فليس بتام الأدب ، وسئل من أشعر المحدَثين ؟ فقال الذى يقول

كأن ثيابه أطلعـــن من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتيـــر من أجفانها الحورا
ووجه سابريّ لو تصوَّب ماؤه قطرا
وقد خطَّت حواضنه له من عنبر طُرُرا

وقال ابراهيم بن العباس الطويل اذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبى نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه

وكان أبو نواس يقول عن نفسه ، سفلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معى ومن يجيء بعدى فأنا نسيج وحدى

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهد أبا نواس قالوا كان أقل ما فى أبى نواس قول الشعر وكان فحلاً راوية عالماً

وقال أبو عبيدة بلغنى أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقانى وهو سكران ماطرَّ شاربه بعد ، فقلت له كيف فلان عندك ؟ فقال ثقيل الظل ، جامد النسيم ، فقلت زد ، فقال مظلم الهواء منتن الفِناء ، فقلت زد ، فقال غليظ الطبع بارد الشكل ، قلت زد ، فقال وَخْم الطلعة عسر القلعة ، قلت زد ، قال نائى الجَنَبَات بارد الحركات ، قال فخففت عنه ، فقال زدنى سؤالاً أزدك جواباً ، فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق

وقال سليمان بن أبى سهل لأبى نواس ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال أشعارى في الخمر لم يقل مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى ان لم يزاحم غزلي ما قلته فى الطرد ، وكان يقول ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخَنْساء وليلى فما ظنك بالرجال ؟ وانى لأروى سبعمائة أرجوزة ما تعرف ، وكان قد استأذن خَلَفاً فى نظم الشعر فقال لا آذن لك في عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، فغاب عنه مدة وحضر اليه فقال له قد حفظتها ، فقال أنشدها ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر ، فقال له لا آذن لك الا أن تنسي هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له هذا أمر يصعب على فانى قد أتقنت حفظها ، فقال له لا آذن لك الا أن تنساها ، فذهب الى بعض الدِّيَرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ، فقال له الآن فانظم الشعر

وكان أبو نواس يقول لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسى طيبة وأكون في بستان مونق وعلى حال ارتضيها من صِلة أوصَل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها ، وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ولا يسره كل ما يقذف به خاطره ، وكان يهمه الشعر فى الخمر فلا يعمله الا في وقت نشاطه ، ولم يكن فى الشعر لا بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى

وكان الأصمعى يقول يعجبني من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو

ضعيفة كَرّ الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالافاقة من سقم

وانى لآتى الأمرَ من حيث يتقى ويعلم سهمى حين أنزع من أرمى

قال العتابى لرجلين تناظرا فى شعر أبى نواس والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد

وقال أبو عمرو الشيبانى أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس

قال محمد بن عمر لم يكن شاعر في عصر أبى نواس الا وهو يحسُده لميل الناس اليه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيته وظَرْف لسانه

وقال أبو حاتم سئل أبو نواس عن شعره فقال اذا أردت أن أجِدّ قلت مثل قصيدى « أيها المنتاب عن عفُره » واذا أردت العبث قلت مثل قصيدى « طاب الهوى لعميده » فأما الذى أنا فيه وحدى وكله جيد فاذا وصفت الخمر

وقال أبو ذكوان كنا عند التوَّزي فذكرت عنده أبا نواس فوضع منه بعض الحاضرين ، فقال له التوزي أتقول هذا لرجل يقول

يخافه الناس ويرجونه كأنه الجنة والنار

ويقول

ما فاته جود ولاحل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

ويقول

فتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

قال ابن الاعرابى يوماً لجلسائه ما أشعرُ ماقال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم

اذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال آخر

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء درّ على أرض من الذهب

وقال آخر

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغرب

وقال آخر

فكأن الكؤس فينا نجوم دائرات بروجها أيدينا

وقال آخر

صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

فقال ابن الأعرابى ان هذا كله لشاعر انفرد بالاحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله

لا ينزل الليل حيث حلت فدهر شُرَّابها نهار

قال مسلم بن بهرام لقيت أبا العتاهية فقلت له من أشعر الناس ؟ قال تريد جاهليتها أو اسلاميها أو مولدها ؟ قال كُلاً أريد ، قال الذى يقول فى المديح

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذى نثنى

وان جرت الألفاظ يوماً بمِدْحة لغيرك انساناً فأنت الذى نعنى

والذى يقول فى الزهد

ألا رب وجه فى التراب عتيق ويا رب حسن فى التراب رقيق

ويارب حزم في التراب ونجدة ... ويا رب رأى فى التراب وثيق
فقل لقريب الدار انك راحل ... الى منزل نائى المحل سحيق
وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

وكان يقول سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددْت انى سبقته اليها بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها منها قوله

يا كبير الذنب عفو اللّـــه من ذنبك أكبر

وقوله

من لم يكن لله متهماً ... لم يُمس محتاجاً الى أحد

وقوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

ثم قال قلت فى الزهد ستة عشر الف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات

وقال الجاحظ سمعت النَّظام يقول وقد أنشد شعراً لأبى نواس ، كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه ، وقال بعضهم كأن المعانى حبست عليه فأخذ حاجته وفرق الباقى على الناس

وقال أبو حاتم كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس

ورد على العتابى بحلب عدة من الكبار من أهل قِنَّسْرين فدخلوا وسلموا وكان فى يده رقعة ينظر اليها ، فقال لهم لقد سلك صاحب هذه الرقعة وادياً ماسلكه أحد قبله ، فنظروا فاذا هو شعر أبى نواس فى جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفى وهو قوله

ربعُ الكَرَى بين الجفون مُحيل ... عَفَّى عليه بكى عليك طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته حتى تشحَّط بينهن قتيل
أحللت قلبي من هواك محلة ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي من دونها يتخير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والقصيرة فوقها دون السمين ودونها المهزول

ومما أنشده العتابي لأبي نواس فقال أحسن وأجاد

متتايه بجماله صَلِف لا يستطاع كلامه تِيها
للحسن في وجناته بدع ما إن يَمَلّ الدرس قاريها
لو كانت الأشياء تعقله أجْلَلْنه اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لانقبضت حتى يصير جميعه فيها

وقوله

ان السحاب لتستحي اذا نظرت الى ندالك فقاسته بما فيها
حتى تهُم باقلاع فيمنعها خوف من السخط من اجلال منشيها

وأنشد محمد بن صالح بن بيهس الكلابي قوله في الزهد

أخي ما بال قلبك ليس ينقى ؟ كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنُوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام اذا ما استكملت أجلاً ورزقا
وما أحد بزادك منك أحظى ولا أحد بذنبك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد اذا جعلت الى اللّهوات ترقى

وقوله في رثاء محمد الأمين

طوى الموت ما بيني وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر
فلا وصل الا عَبرة تستديمها أحاديث نفس مالها الدهرَ ذاكر
لئن عَمِرت دور بمن لا أوَدّه لقد عمرت ممن أحب المقابر

وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

فقال بحق ماغلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره

قال محمد بن جعفر كنا عند أبي نعيم فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين ذكرت شعر لبيد يرثي أخاه أربد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتاً ، قلنا أنشدناها فقال

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفاً في أراذل النسناس

في أناس نعدّهم من عديد فاذا فتشوا فليسوا بناس

كلما جئت أبتغي الفضل منهم بدرني قبل السؤال بياس

وبكوا لي حتى تمنيت أني مُفْلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا لا ، قال للحسن بن هانيء

قال أبو عبد الرحمن الضرير رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولاها فسألني عمن خلفت من الشعراء ، فقلت له أما من الكوفيين فأبو نواس وهو مقدم عندهم ، فقال ويحك كيف يتقدم وهو يقول « رويدك يا انسان لا أنت تقفز » أرأيت قوله تقفز خرجت من بين فكي شاعر قط ؟ ثم قال ويلك وكيف يكون كذلك وهو يحيل ويتخطى من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت مثل ماذا من قوله ، قال أما فيما أحال فكقوله

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا من الاغراق المستحيل في العقول ومما ليس على مذهب القوم ، وأما في تخطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله

يجلّ أن تلحق الصفات به فكل خلق تخلقه مثل

وكقوله

برىء من الأشباه ليس مثل

ومما قيل عن أبي نواس ان الشعر انما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لايحسنهما ، وأجود شعره فى الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وانما سرقه ، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبني عليه حتى يجيء به قبيحاً مثل قوله « وداوني بالتي كانت هى الداء » أخذه من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » والذى أخذه منه أحسن ، ومنها أيضاً قوله « ان الشباب مطية الجهل » أخذه من قول النابغة الجعدى « فان مطية الجهل الشباب » وقوله « كطلعة الأشمط من إهابه » أخذه من قول أبي النجم « كطلعة الأشمط من كسائه » ولكن رزق أبو نواس فى شعره أن سار وحمله الناس وقدمه أهل عصره وان له على ذلك لأشياء حساناً لا يدفعها ولا يطرحها الا جاهل بالكلام أو حاسد

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزة يمدح الفضل بن الربيع

أعيا مُجاريك الخطَر أبوك جلَّى عن مُضَر
يوْم الرواق المحتضر والخوف يفْرِى ويذر
لما رأى الأمر اقمطَرّ[1] قام كريماً فانتصر
كهَزَّة العَضْب الذكر ما مس من شيء هبَر
وأنت تقتاف الأثر من ذى حُجول وغُرُر
معيد وِرْد وصَدَر وان علا الأمر اقتدر
فأين أصحاب الغمَر اذ شربوا كأس المقِر[2]
وقصروا فيمن قصر هيهات لايخفى القمر
أصحرت[3] اذ دبُّوا الخمَر شكراً وحُرّ من شكر

(١) اشتد (٢) المر (٣) أصحرت أى برزت الى الصحراء ودبوا الخمر أى مشوا مختفين والخمر ما سترك من شجر أو بناء أو نحوه

فالله يعطيك الشَّبَر (١) وفى أعاديك الظَّفَر
والله من شاء نصر وأنت ان خفنا الحَصَر (٢)
وهرَّ دهر وكشَر عن ناجذيه وبَسَر
أغْنَيت ما أغنى المطر وفيك أخلاق اليَسَر
فان أَبَوْا الا العَسَر أمررت (٣) حبلاً فاستمر
حتى ترى تلك الزُّمَر تَهْوِى لأذقان الثُّغَر (٤)
من جد ألوي (٥) لو نَتَر اليه طود لانأطَر (٦)
صعب اذا لاقى أَبَر وان هفا القوم وَقَر
أو رهبوا الأمر جَسَر ثم تسامى ففغر
عن شِقْشق ثم هدَر ثم تناجى فخطر
بذى سبيب وعُذَر يمضع أطراف الوبر
هل لك والهَلّ خيرَ فيمن اذا غبت حضر
أو نالك القوم ثأَر وان رأى خيراً شكر
أو كان تقصير عذَر

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع

ساد الملوك ثلاثة ما منهمُ ان حصِّلوا الا أغرّ قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد الأمين بالأموال والقضيب والخاتم حين مات الرشيد ، وقد اشتد فرح الأمين به فقربه وألطفه وقلده الأمور

(١) الخير والقوة (٢) ضيق الصدر (٣) أى أحكمت فتله (٤) جمع ثغرة وهى نقرة النحر (٥) الألوى الشديد الخصومة (٦) اعوج وانثنى

وفوض اليه ما وراء بابه فهو الذى يولي ويعزل ويحل ويعقد عن محمد الأمين

لعمرك ما غاب الأمين محمد عن الأمر يعنيه اذا شهد الفضل
ولولا مواريث الخلافة انها له دونه ما كان بينهما فضل
لئن كانت الأجساد فيها تباينت فقولهما قول وفعلهما فعل
أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً كما السهم فيه الريش والفوق والنصل

وقال وأجاد

ياقلب ويحك جدَّ منك ذا الكلف ومن كلفت به جافٍ كما تصف
وكان فى الحق أن يهواك مجتهداً كذاك خبر منا الغابرَ السلف
قل للمليح أما تروى الحديث بما خالفت فيه وقد جاءت به الصحف ؟
ان القلوب لأجناد مجندة لله فى الأرض بالأهواء تختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

وقال فى الاعتذار

رسولي قال أوصلت الكتابا فما ردوا عليك له جوابا
فقلت أليس قد قرؤا كتابى فقال بلى فقلت الآن طابا
فأرجو أن يكون همُ جوابى بلا شك اذا عرفوا خطابا
أجيد لك المنى يا قلب كيلا تموت على غمًّا واكتئابا

وقال يعتذر الى رحمة بن نجاح حين مرض ولم يعده

انى حُمت ولم أشعر بحمَّا كا حتى تحدث عوادى بشكوا كا
فقلت ما كانت الحمى لتعهدنى من غير ما علة الا لحمَّا كا
وخصلة هى أيضاً يستدل بها عافانى الله منها حين عافا كا
أما اذا اتفقت نفسى ونفسك في هذا وذاك وفي هذا وفي ذا كا
فكن لنا رحمة نفسى فداك ولا تكن خلافاً لما ذو العرش سما كا

فقد علمت يقيناً أو ستعلمه ... صنيع حبك في قلبي وذكراكا

وله في عزة النفس

ومستعبد اخوانه بثرائه ... لبست له كِبْراً أبَرّ على الكِبْرِ
اذا ضمني يوْماً وإياه مَحْفِل ... يرى جانبي وَعْراً يزيد على الوعر
أخالفه في شكله وأجره ... على المنطق المبرور والنظر الشَّزْر
وقد زادني تيهاً على الناس أنني ... أراني أغناهم وان كنت ذا فقر
فوالله لا يبدي لساني لَحَاجة ... الى أحد حتى أُغَيَّب في قبري
فلا يطمعن في ذاك منيَ طامع ... ولا صاحب التاج المحجب في القصر
فلو لم أَرِثْ فخراً لكانت صيانتي ... عن الناس حسبي من سؤالي من الفخر

وله أيضاً في معنى ذلك

لا أعير الناس سمعي ... ليعيبوا لي حبيبا
لا ولا أحفظ منهم ... لأخلائي العيوبا
فاذا ما كان كون ... قمت بالغيب خطيبا
أحفظ الاخوان كيما ... يحفظوا مني المغيبا

وقال يعاتب عمرا الوراق

يا من جفاني وملاَّ ... نسيت أهلاً وسهلا
ومات مَرْحَبُ لما ... رأيت مالي قَلاَّ
انى أظنك تحكى ... فيما فعلت القِرِلَّى[1]
تلقاه في الشر ينأى ... وفي الرخا يتدلى

(١) القرلى مولى كان لحمير وكان لا يسمع لأحد شيئاً الا جاء اليه وداخله ولا يتخلف عن طعام لأحد واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوفى عليه ، القرلى

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد قبل أن يتهاجيا

أأبان نكّب عن عداوتنا ... لك غير قَرْع صفاتنا لَهْو
انى يزيدك أن تصيِّر لي ... شغلاً هجاءك انني خلو

وقال يصف نديماً

ومستطيل على الصهباء باكرها ... في عصبة باصطباح الراح حُذَّاق
حتى حساها فلم يلبث وما لبثت ... أن خرَّ ميتاً صريعاً ماله واق
فكل كف رآها ظنها قدَحاً ... وكل شخص رآه ظنه الساقي

لما عمل أبو نواس قصيدته التى أولها « مستعبد اخوانه بثرائه » بلغت الأمين فبعث اليه وعنده سليمان بن أبى جعفر ، فلما دخل عليه افترى عليه وقال يا مدعى ولاء حاء وحكم أتدري من توليت ؟ والى من ادعيت ؟ الى أَلْأَم قبيلتين في اليمن علوج باغين ، أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللئام وتقول « ولا صاحب التاج المحجب فى القصر » أما والله ما نلت مني شيئاً بعد ذلك أبداً ، فقال له سليمان بن أبى جعفر إِيْ والله ثم هو مع هذا من كبار الثنوية « وكان يرمى بذلك » ، فقال له الأمين وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مطير ، فوضع قدحه تحت السماء فى المطر ، فوقع فيه المطر ، فقالوا له ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة مَلَك ، فكم ترانى أشرب الساعة من الملائكة ؟ ثم شرب ما فى القدح ، فغضب الأمين وأمر به الى السجن ، وذلك قول أبى نواس

يارب ان القوم قد ظلموني ... وبلا اقتراف معطِّل حبسوني
والى الجحود بما عرفت خلافَه ... ربى اليك بكذبهم نسبوني
ما كان الا الجرى فى ميدانهم ... فى كل خزى والمجانة ديني
لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدى ... منهم ولا يرضَوْن حلف يميني

ما كان لو يدرون أول مخبأ في دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه عني فمن لي اليوم بالمأمون ؟

فبلغت أبياته المأمون فقال والله لئن لحقته لأغنينه غنى لا يؤمله ، فمات قبل دخول الأمين بغداد

وقال يصف نديماً

وغرير الشباب محتبك الحسـ ـن على جيده مناط التميم
قد غذاه النعيم فاحمرت الوجـ ـنة منه على فساد الحلوم
فهو عفّ الجفون فى النظر العمـ ـد حذاراً على فؤاد النديم
يتثنى اذا مشى فهو لدْن فى اعتدال بجودة التقويم
أندبت كفّه الزجاجة وَهْناً فهى فيها جراح تلك الكلوم
فهو الراحل المطى الينا من أباريق قهوة الخُرْطوم
بنت كَرْم أباحها كرم الجو هر منه ورقة فى الأديم
تلحق الظبي والظليم من الجر ى وتزرى بكربة المغموم
ونديم فديته من نديم وجهه جالب لكل نعيم
مج في الكأس ريقه وسقانى من شراب معتق مختوم

ومن قوله يعاتب عمرا الوراق

يا واضعاً بَيْض القطا تحت الزمامج [1] للفراخ
لو أيقنت ما تحتها لم تأْلُ من نقر السِّباخ [2]
يا غارساً بيمينه شجر الحِفاظ على السباخ
فسد الخلائق كلهم فانظر لنفسك من تؤاخى

(١) الزمامج جمع زمجى كزمكى أصل ذنب الطائر (٢) هو الصماخ

وقاله أيضاً يعاتبه

يا مادح القوم اللئـا م وطالباً رِفْد الشِّحاح
اشغل قريضك بالنسيـــب وبالفُكاهة والمزاح
حدثت وجوه ليس تأ لم غير أطراف الرماح
وأكف قوم ليس ينـــبط ماءها غير المساحى
ما شئت من مالٍ حِمًى يأوِى الى عرض مُماح

عزم عيسى بن أبى جعفر المنصور على أبى نواس أن يقيم معه بالقُفْص أسبوعاً وحمله وخلع عليه ووصله ، فلما أقاموا الاسبوع وأرادوا الانصراف قال له بحياتى عليك صف مجلسنا هذه الأيام كلها التى أقمناها ، فأنشأ يقول

يا طيبنا بقصور القُفْص مشرقة فيها الدَّساكر والأنهار تطَّرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية كأنها النار وسط الكاس تتقد
جاءتك من بيت خمار بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد
فقام كالغصن قد شدت مناطقه ظبي يكاد من التهييف ينعقد
فاستلَّها من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
فلم نزل فى صباح السبت نأخذها والليل أجمعه حتى بدا الأحد
ثم ابتدأنا الطِّلا باللهو من أمَم فى نعمة غاب عنها الضيق والنكد
حتى بدت غرة الاثنين واضحة والسعد معترض والطالع الأسد
وفى الثلاثاء أعملنا المطي بها صهباء ما قرَّعتها بالمزاج يد
والأربعاء كسرنا حَدّ سَوْرتها والكأس يضحك في تيجانها الزَّبَد
ثم الخميس وصلناه بليلته قصفاً وتم لنا بالجمعة العدد
يا حسننا وبحار القَصف تغمرنا فى لجة الليل والأوتار تغترد
في مجلس حوله الأشجار محدقة وفى جوانبه الأنهار تطرد

لا نستخف بساقينا لغِرته ولا يرد علينا حكمه أحد
عند الأمير أبي عيسى الذي كملت أخلاقه فهي كالأوراق تنتقد

ولما أنشد الأمين قصيدته التي يقول فيها

أيا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالي بها حتى اذا ما ملكتها أهنت لاكرام الخليل مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر عنها حتى ما تقِلّ جفونها
تروع بنفس المرء عما يسوءه ويخذله ألاّ يزال قرينها
كأن يواقيتاً روا كد حولها وزرق سنانير تدير عيونها
وشمطاء حل الدهر منها بنجوة دلفت اليها فاستللت جنينها
كأنا حلول بين أكناف روضة اذا ما سلبناها مع الليل طينها

قال له ألم أنهك عن شرب الخمر؟ قال بلى والله يا أمير المؤمنين والله ما شربتها مذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها وأنا الذى أقول

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما
نالني بالملام فيها امام لا أرى لى خلافه مستقيما
فاصرفاها الى سواى فانى لست الا على الحديث ندبما
كُبُرْحظى منها اذا هى دارت أن أراها وأن أشمّ النسيما
فكأنى وما أزين منها قَعَدِىّ يحسّن التحكيما
كلّ عن حمله السلاح الى الحـــرب فأوصى المقيم ألاّ يقيما

وأنشده يمدحه

ألا يا خير من رأت العيون نظيرك لا يحسّ ولا يكون
وفضلك لا يحد ولا يجارى ولا تحوى حيازتها الظنون

فأنت نسيج وحدك لا شبيه نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشيء فأنت الفوق والثقلان دون
كأن الملك لم يك قبل شيئاً الى أن قام بالملك الامين

ومن قوله يصف حراقة ركبها الأمين وكانت على مثال الأسد

سخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن بحراً سار في الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يعدو أهزت الشدق كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو رة ليث تمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحين تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما استعجلوها بجيئة وذهاب
بارك الله للأمين وأبقا ه وأبقى له رواء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه هاشمي موفق للصواب

قال الحسن بن أبي المنذر لما قال أبو نواس

ديار نوار ما ديار نوار كسونك شجواً هن منه عوار

يمدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر أنشدت للرشيد الى أن سمع قوله

يقولون في الشيب الوقار لأهله وشيبي بحمد الله غير وقار

فأمر الرشيد باحضاره وقال له ويلك أتخالف الاسلام في شيء من أمرك ؟ قال وماذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يشيب الرجل المؤمن شيبة في الاسلام الا كانت له حجاباً من النار » وتقول أنت كذا وكذا ؟ وما أظنك الا على غير دين الاسلام ، فمن أين زعمت انه غير وقار ؟

فقال يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انظر الى البيت الذى بعده ، فقال ماهو ؟ قال

اذا كنت لا أنفك عن أَرْيَحيّة الى رَشَأ يسعي بكأْس عُقار

انما قلت « وشيبي بحمد الله غير وقار » اذا كنت على هذه الحال وأشباهها لما أجاوز به من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة ، قال أنت أعلم بخبث لسانك وسريرتك وقبح عملك فمن ثم شهدت بما شهدت به على نفسك

دخل أبو نواس بعد مانسك على قوم من اخوانه عندهم شراب ومغن فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب

اذا لم تنه نفسك عن هواها وتحسن صونها فاليك عني

فاني قد شبعت من المعاصى ومن ادمانها وشبعن مني

ومَنْ أسوا وأقبح من لبيب يري متطنزاً في مثل سني ؟

ومن شعر أبي نواس

عفَّى المصلَّى وأقوت الكُثُب مني فالمِرْبدان فاللهب

منازل قد عمرتها يفَعا حتى بدا في عذارى الشهب

في فتية كالسيوف هزهمُ شَرْخ شباب وزانهم أدب

ثم أراب الزمان فانقسموا أيدى سبَا في البلاد فانشعبوا

لن يخلف الدهر مثلهم أبداً علىَّ هيهات شأنهم عجب

لما تيقنت أن روحتهم ليس لها ما حييت منقلَب

أبليت صبراً لم يُبْلِهِ أحد واقتسمتني مآرب شعب

لذاك اني اذا رزئت أخاً فليس بيني و بينه نسب[1]

قُطْرُبُّل مربعي ولي بقرى الكَرْ خ مصيف وأمي العنب

ترضعني درها وتلحفني بطلَها والهجير يلتهب

(١) يريد أن مواخاته على المجون فلا يبكي صاحبه

اذا ثنته الغصون جلّلني فينان [1] مافى أديمه جرب
تبيت فى مأتم حمائمه كما تراءى الفواقد السُّلُب
يهب شوقى وشوقهن معا كأنما يستخفنا الطرب
فقمت أحبو الى الرضاع كما تحامل الطفل مسه السَّغَب
حتى تخيرت بنت دَسكرة قد عجمتها السنون والحِقب
هتكت عنها والليل معتكر مهلهل النسج ماله هُدُب
من نسج خرقاء لاتشد لها أخيّة فى الثرى ولا طُنُب
ثم توجأت خصرها بشبا الإ شفى فجاءت كأنها لهب
فاستوسق الشرب للندام وأجراها عليهن اللجين والضرب
أقول لما تحاكيا شبهاً أيهما للتشابه الذهب
هما سواء وفرق بينهما انهما جامد ومنسكب
ملس وأمثالها محفرة صور فيها القسوس والصلب
يتلون انجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها حبَب
كأنها لؤلؤ تبدده أيدى عذارَى أفضى بها اللعب

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر وذلك أن المأمون أمر الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبى نواس ويقولون هو جليسه ونديمه وينشدون على المنابر شعره فمنعه الأمين فقال

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من سُلاف كأنه كل طيب يتمنى مخبر أن يكونا
أكل الدهر ما تجشم منها وتبقى لسانها المكنونا
ثم شُجّت فاستضحكت عن لآل لو تجمعن فى يد لاقتنينا

(١) الفينان الظل الكثيف والجرب أى لاخلل فيه

واذا ما لمستها فهبـــاء يمنع الكف ما يبيح العيونا
فى كؤوس كأنهن نجوم باديات كأنهـا أيدينا
طالعات مع السقاة علينا فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشَّرب حولها من بعيد قلت قوم من قرَّة يصطلونا
وغزال يديرها ببنـان ناعمات يزيدها العسر لينا
ذاك عيش لو دام لى غير أنى عفته مكرهاً وخفت الأمينا
أدر الكاس حان أن يسقينا وانقُر العود انه يُلهينا
ودع الذكر للطلول اذا ما دارت الكأس يَسْرة ويمينا

ومن قول أبى نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر

غرد الديك الصَّدوح فاسقني طاب الصَّبوح
اسقني حتى ترانى حسناً عندى القبيح
قهوة تذكر نوحاً حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيها ويأبى طيب عَرْف فيفوح
فكأن القوم نهبى بينهم مسك ذبيح
أنا فى دنيا من العبـــاس أغدو وأروح
هاشمى عبـــدلى عنده يغلو المديح
علَّم الجود كتاب بين عينيه يلوح
كل جود يا أميرى ما خلا جودك ريح
انما أنت عطايا أبداً ما تستـــريح
جَّ صوت المال مما منك يشكو ويصيح
ما لهذا أحد فو ق يديد أو نصيح

جدتَ بالأموال حتى قيل ما هذا صحيح
فهو بالمال جواد وهو بالعِرْض شحيح
صور الجود مثالاً وله العباس روح

قال محمد بن عيينة لقيت أبا نواس بعسكر مُكْرَم فقلت له أحب أن تنشدني من شعرك شيئاً تَضنّ به على غيري فأنشدني

يكفي الكريمَ من الكلا م لمن يحادثه أقله
والشيء شيء لم يزل بأدقه يأتي أجلّه
ان لم يصبك من الكريم الحر وابله فطلّه
يبدي مكارمه كما يبدي فِرِنْد السيف سلّه
والنذل يوقع نفسه متعمداً فيما يُذِله
والحر يكرم نفسه بالصفح عمن لا يجله

وقال أبو نواس يمدح الأمين

صبيت على الأمين ثياب مدحي فكل الناس حسّن واستجادا
ولولا فضله ما جاد شعري ولا أعطتنيَ الفطن القيادا
وقالوا قد أجدت فقلت اني وجدت القول يمكنني فجادا

ومن خمرياته

ذكر الصَّبوح بسُحْرَة فارتاحا وأملّه ديك الصباح صياحا
أوفي على شرف الجدار بسُدْفة غَرِداً يصفق بالجناح جَناحا
فأدر صباحك بالصَّبوح ولا تكن كمسوِّفين غدَوْا عليك شِحاحا
ان الصبوح جلاء كل مخمر بدرت يداه بكأسه الاصباحا
وخَدينِ لذات معلل صاحب تقتات منه فُكاهة ومزاحا
نبهته والليل ملتبس به وأزحت عنه نعاسه فانزاحا

قل ابغني المصباح ، قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها عُطُلاً فألبسها المزاج وشاحا
شك البُزال فؤادها فكأنها أهدت اليك بريحها تفاحا
صفراء تفترس الفِراس فلا ترى منها بهن سوى السُّبات جراحا

ومنهـا

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت فى حلق شاربها أجدْته حمرتَها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بد
لي نشوتان وللنَّدمان واحدة شيء خصصت به من دونهم وحدى

كان الأصمعى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة

أما ترى الشمس حلت الحملا وطاب وقت الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كَمَلا
واكتست الأرض من زخارفها وَشْيَ ثياب تخاله حُلَلا
فاشرب على جِدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقتبلا
من قهوة تذهب الهموم فلا أرهب فيها الملام والعذَلا
كرْخية تترك الطويل من العيـــش قصيراً وتبسط الأملا
تلمع لمعَ السَّراب فى قدح القـــوم اذا ما حبا بها انفصلا
يقول صَرّف اذا مزجت له من لم يكن للكثير محتملا
فسقّ هـــذا بقدر طاقته واحمل على ذا بقدر ما احتملا
عجنا بشيئين من طبائعها حسن وطيب ترى به المثلا

كان أبو نواس لا يستنشد شيئاً من شعره الا أنشد هذه القصيدة

وخَيْمة ناطور (١) برأس مُنيفة ... تهُمّ يدا من رامها بزَليل
اذا عارضتها الشمس فاء ظلالها ... وان واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الأثقال فلّ (٢) هَجيرة ... عَبُورية تذكى بغير فتيل
تأنت (٣) قليلاً ثم فاءت بمَذْقة ... من الظل فى رَثّ الأباء ضئيل
كأنا لديها بين عطْفَي نعامة ... جفا زَوْرها عن مَبْرَك ومقيل
حلبت لأصحابى بها درة الصبا ... بصهباء من ماء الكروم شَمُول
اذا ما أتت دون اللَّهاة من الفتى ... دعا همُّه من صدره برحيل
فلما توفى الشمس جنح من الدجى ... تصابيت واستجملت غير جميل
وعاطيت من أهوى الحديث كما بدا ... وذللت صعباً كان غير ذليل
فغنى وقد وسَّدْت يسراى خده ... ألا ربما طالبت غير مُنيل
وأنزلت حاجاتى بحَقْوَى مساعد ... وان كان أدنى صاحب وخليل
وأصبحت أَحْمَى السكر والسكر محسن ... ألا رب احسان عليك ثقيل
كفى حزناً أن الجواد مقتَّر ... عليه ولا معروف عند بخيل
سأبغى الغنى إما جليس خليفة ... يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جَنانه ... اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر ... أخى بطنة للطيبات أكول
ألم ترَ أن المال عون على الندى ... وليس جواد مقتر كبخيل

---

(١) الناطور حافظ النخل والكرم والزرع (٢) أى منهزمى هاجرة وعبورية نسبها الى الشعرى العبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد (٣) يعنى الشمس أى توقفت فى الجو عند زوالها وفاءت بمذقة أى دخلت عليهم من تلك الخيمة الخلقة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس عليهم ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل فشبهت بالممذوق من اللبن أى الممزوج

فان استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمالَ اذا ارتديت به ومشيت أخطِر صيت النعل
كان البليغَ اذا نطقت به وأصاخت الآذان للمملى
كان المشفع فى مآربه عند الفتاة ومدرك النَّبْل
والآمرى حتى اذا عزمت نفسى أعان يدىّ بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبا رحلى
والراح أهواها وان رزأت بُلَغَ المعاش وقلت فضلى
صفراء مجّدها مَرازبها جلت عن النظراء والمثل
ذخرت لآدم قبل خلقته فتقدمته بخطوة القبـــل
فأتاك شيء لا تلامسه الا بحسن غريزة العقل
فترود منها العين فى بشر حُرّ الصفيحة ناصع سهل
فاذا علاها المـاء ألبسها حبباً شبيه جلاجل الحجْل
حتى اذا سكنت جوامحها خطت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع غُفْل من الإعجام والشكل
فاعـذِرْ أخاك فانه رَجل مَرَنت مسامعه على العذل

ومن طيب شعره والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدُّمينة

أعاذل ما على وجهى قُتوم ولا عرضى لأول من يسوم
يفضلني على الفتيان أنى أبيت فلا ألام ولا ألوم
أعاذل ان يكن بُرْدَاى رَثَّا فلا يَعْدَمْك بينهما كريم
شُقّقت من الصبا واشتُقّ مني كما اشتقت من الكَرَم الكروم
فلست أسوم للذات نفسى مياومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالى ... له في كل مكرُمة قديم
رفعت له النداء بقُمْ فخذها ... وقد أخذت مطالعها النجوم
بتفدية تزال النفس فيها ... وتمتهن الخؤولة والعموم
فقام وقمت من أخوين هاجا ... على طرب وليلهما بهيم
أجر الزِّق وهو يجر رجلا ... يجور به النعاس ويستقيم
سل النَّدمان ما أولته منها ... وسلها ما احتوى منها الكريم
كلا الشخصين منتصف ولكن ... قضت وَطَراً وذامنها سقيم

وقال

انى صرفت الهوى الى قمر ... لم تبتذله العيون بالنظر
اذا تأملته تعاظمك الـ ... إقرار انه من البشر

ومن قوله

يا شقيق النفس من حَكَم ... نمتَ عن ليلى ولم أنم
فاسقنى البكر التى اختمرت ... بخِمار الشيب في الرحم
نمت انصات الشبات لها ... بعد ما جازت مدى الهرم
فهي لليوم التى بُزِلت ... وهي ترب الدهر فى القدم
عتُقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الأُمم
فرعتها بالمزاج يد ... خلقت للسيف والقلم
فى نَدامَى سادة زهر ... أخذوا اللذات من أَمم
فتمشت فى مفاصلهم ... كتمشى البرء في السقم
فعلت في البيت اذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها ... كاهتداء السَّفْر بالعلم

ومن طرديات أبي نواس في صفة الكلب

أنعت كلباً أهلُه من كَدّه ... قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رِفده
يظَلّ مولاه له كعبده ... يبيت أدنى صاحب من مهده
وان عري جلّله ببرده ... ذا غُرة محجلاً بزنده
تَلَذّ منه العين حسن قده ... يا حسن شدقيه وطول قده
تلقى الظباء عنتاً من طرده ... يشرب كأساً شدها من شده
يا له من كلب نسيج وحده

أبو نواس وجنان

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة ، ويقال ان أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها ، وقيل له يوماً ان جنان قد عزمت على الحج فكان هذا سبب حجه وقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وعاد

ألم تر أنني أفنيت عمري ... بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً اليها ... يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان ... فيجمعني واياها المسير

قال من شهده حين حج مع جنان وقد أحرم لما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب ، فغنى به كل من سمعه وهو قوله

الهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والليل لما أن حَلَك

والسابحات في الفلك على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك كل نبى ومَلَك
وكل من أهلّ لك سبح أو لبى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك ان الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لاشريك لك

وفيها يقول

جفن عينى قد كاد يسقط من طول ما اختلج
وفؤادي من حرّ حبك والهجر فد نَضَج
خبرينى فدتك نفسى وأهلى متى الفرج
كان ميعادنا خرو ج زياد فقد خرج
أنت من قتل عائذ بك في أضيق الحرج

كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبى نواس ، فانصرفت منه وهو جالس مع أصحابه فرآها فأنشدهم بديهاً قوله

شهدت جَلْوَة العروس جنان فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوها مادهانا بها سوالكِ عمارة (١)

غضبت جنان من كلام كلها به أبو نواس ، فأرسل يعتذر اليها ، فقالت للرسول قل له « لابرح الهجران رَبْعك ، ولا بلغت أملك من أحبتك » فرجع اليه الرسول فسأله عن جوابها فلم يخبره ، فقال

فديتك فيم عتبك من كلام نطقت به على وجه جميل

(١) هى زوج عبد الرحمن الثقفى وهى مولاة جنان

وقولك للرسول عليكَ غيرى فليس الى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار وحالٌ ما عليها من قبول
ولو ردت جنان مَرَدَّ خير تبين ذاك في وجه الرسول

وكان أبو نواس صادقاً في محبة جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه ، وكان لها محباً ولم تكن تحبه ، فما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد نُبُوِّها عنه قوله

جِنان ان جُدْت يا منای بما آمل لم تقطر السماء دما
وان تَمادَيْ ولا تماديت فى منعك أُصبح بقفرة رِمما
عَلِقت من لو أتى على أنفس الـــماضين والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه الى حجر وَلَّد فيه فتورها سقَما

مرَّت به امرأة ممن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جنان وألحف فى المسألة واستقصى ، فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع « ويحك قد آذانى هذا الفتى وأبرمني وأحرج صدري وضيق عليَّ الطرق بحِدّة النظر وتهتكه ، فقد لهِجَ قلبى بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته » ، ثم التفت فأمسكت عن الكلام ، فسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلما قامت المرأة أنشأ يقول

يا ذا الذى عن جنان ظل يخبرنا بالله قل وأَعِدْ ياطيب الخبر
قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت به أراه من حيث ما أقبلت فى أثرى
ويُعمل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليُخجِلني من حِدّة النظر
وان وقفت له كيما يكلمني فى الموضع الخلو لم ينطق من الحَصَر
مازال يفعل بى هـذا ويُدْمنه حتى لقد صار من همى ومن وطَرِى

مرَّ به محمد بن حفص التيمى وقد خلا بامرأة يكلمها وكانت قد جاءته برسالة جنان ، فقال له اتق الله ، قال انها حرمتى ، قال فصنها عن هذا الموضع ، وانصرف عنه ، فكتب اليه أبو نواس

ان التى أبصرتهـــا بُكَراً أكلمها رسول
أدت إليَّ رسالة كادت لها نفسى تسيل
من ساحر العينين يجـــذب خَصْره ردف ثقيل
متقلد قوس الصِّبا يرمى وليس له رسيل
فلوَ آن أذنك بيننا حتى تسمع ما تقول
لرأيت ما استقبحت من أمرى هو الأمر الجميل

ثم وجه بها ، فألقيت فى الرقاع بين يدى القاضى ، فلما رآها ضحك وقال ان كانت رسولاً فلا بأس

كان أبو عثمان أخا أبى أمية مولى جنان ، وكانت له بحَكَمان [1] ضيعة كان ينزلها هو وابن عم له يقال له أبو مية ، فقال أبو نواس فيه قوله

أسأل القادمين من حَكَمان كيف خلفتما أبا عثمان
وأبا ميَّة المهـــذب والما جد المرتجى لريب الزمان
فيقولان لي جنان كما سر ك فى حالها فســل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يُغْن عندهم كتمانى

قال أبو نواس يذكر مأتماً بالبصرة حضرته جنان

يا منسىَ المأتم أشـجانه لمـــا أتاهم فى المعزِّينا
سرت قناع الوَشْى عن صورة ألبسها الله التحاسينا

(١) اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاصى الثقفى وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً

فاستفتنهنَّ بتمثالها فهن للتكليف يبكينا
حق لذاك الوجه أن يزدهى عن حزنه من كان محزونا

أشرف أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفى يدها خضاب ، فقال

يا قمراً أبرزه مأتم يندُب شجواً بين أتراب
يبكي فيذري الدم من عينه ويلطم الورد بعُنَّاب
لا تبكِ ميتاً حلَّ فى حفرة وابكِ قتيلاً لك بالباب
أبرزه المأتم لي كارهاً برَغْم دايات وحجاب
لازال موتاً دأب أحبابه ولا تزل رؤيتـــه دابى

وجهت جنان الى أبى نواس قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة ، ففعل وكتب اليها

انا اهتجرنا الى الناس اذ فطنوا وبيننا حين نلتقى حسن
ندافع الأمر وهو مقتبل فشب حتى عليه قد مرَنوا
فليس تَقْذَى عين معاينَة له وما إن تَمُجُّه أذن
ويح ثقيف ماذا يضرهمُ ان كان لي في ديارهم سكن
يُسَرُّ ما بيننا الحديث فان زدنا ينمّوا وما لذا ثمن

وكتب اليها من بغداد

كفى حزناً ألاَّ أرى وجه حيلة أزور بها الأحباب في حَكَمان
وأقسم لولا أن تنال معاشر جناناً بما لا أشتهى لجنان
لأصبحت منها دانى الدار لاصقاً ولكنَّ ما أخشى فديت عدانى
فواحزناً حزناً يؤدِّي الى الرَّدَى فأصبح مأثوراً بكل لسان

أرانى انقضت أيامُ وصلي منكمُ وآذن فيكم بالوداع زمانى

بلغ أبا نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر ، فقال

وأبأَبى من اذا ذكرت له وطول وجدي به تنقصني
لو سألوه عن وجه حجته في سبه لي لقال يعشقُني
نعم الى الحشر والتناد نعم أعشقه أو ألَفّ في كفني
أصيح جهراً لا أستسر به عنفني فيه من يعنفني
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا ان جناناً صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجرته ، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته ، فكتب اليها

اذا التقى في النوم طيفانا عاد لنا الوصل كما كانا
يا قُرَّة العين فما بالُنا نَشْقَى ويلتذ خيالانا
لوشئتِ اذ أحسنتِ لي في الكَرَى أتممت إحسانك يقظانا
يا عاشقين اصطلحا في الكرى وأصبحا غَضْبَى وغضبانا
كذلك الأَحلام غدارة وربما تصدق أحيانا

رآها يوْماً في ديار ثقيف ، فجبهته بما كره ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت اليه رسولاً تصالحه ، فرده ولم يصالحها ورآها فى النوم تطلب صلحه فقال

دسَّت له طيفها كيما تصالحه فى النوم حين تأَبَّى الصلح يقظانا
فلم يجد عند طيفى طيفها فرجاً ولا رثى لتشكيه ولا لانا
حسبت أن خيالي لا يكون لنا أكون من أجله غضبان غضبانا
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا فلم يكن هيناً منك الذى كانا

ومما قاله فيها

أما يَفْنَى حديثك عن جنان ولا تبقى على هذا اللسان
أكل الدهر قلت لها وقالت فكم هذا ؟ أما هذا بفان ؟
جعلت الناس كلهمُ سواء اذا حدثت عنها في البيان
عدوك كالصديق وذا كهذا سواء والأَباعد كالأَدانى
اذا حدثت عن شأْن توالت عجائبه أتيتهمُ بشان
فلو موهت عنها باسم أخرى علمنا اذ كنيت منَ أنت عان

قدم رجل البصرة فاشترى جنان من مواليها ورحل بها ، فقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها بين استباق العِيس والركبان
وضعوا سياط الشوق فى أعناقها حتى اطَّلعن بهم على الأَوطان

وكتب اليها

أكثري المحو فى كتابك والمحـــيه اذا محوته باللسان
وامرريـــه بالمحاء بين ثنايا ك العِذاب المفلَّجات الحسان
انني كلمـــا مررت بسطر فيه محو لطعته بلسانى
تلك تقبيلة لـكم من بعيد أُهديت لي وما برحت مكانى

قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي دخلنا على أبى نواس نعوده في علته التي مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمى يا أبا على أنت فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب الى الله عز وجل ، فبكى ساعة ثم قال ساندونى ساندونى ، ثم قال أَأَخوف بالله عز وجل وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـكل نبى شـفاعة وانى اختبأت شفاعتى لأهل الـكبائر من أمتى يوم القيامة ، أفترانى لا أكون منهم ؟

ومن قوله فى مرض موته

دب فيَّ السقام علواً وسفلاً وأرانى أموت عضواً فعضوا
ليس تمضى من لحظة بىَ الا نقصتني بمرها فيَّ جزْوا
ذهبت جدتى بحاجة نفسى وطلبت طاعة الله نضوا
لهف نفسي على ليال وأيا م تجاوزتهن لعباً ولهوا
قد أسأنا كل الإساءة فالا ـــهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ثم قال

شعر حي أتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى كاد عن عين الخلائق يخفى
لو تأملتني لتبصر وجهي لم تبن من كتاب وجهي حرفا
ولكررت طرف عينيك فيمن قد براه السقم حتى تعفى

وكان عمر أبى نواس تسعاً وخمسين سنة وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين (سنة ١٩٨)

شعراء الازد

أبو الشيص

هو محمد بن رزين بن سليمان الخزاعى الأزدى القحطانى وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل بن على بن رزين لَحّا

شاعر من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم ابن الوليد وأشجع وأبى نواس فخمَل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى وكان أميراً على الرَّقَّة فمدحه بأكثر شعره فقلما يروى له فى غيره وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره ، ولأبى الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً صالح الشعر وكان منقطعاً الى محمد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج الى الناس

قال أبو خالد العامرى لابن المعتز من أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه، والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان، وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك ، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر فى ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده ، ومن قوله في ذلك

يا نفس بكِّي بأدمع هُتُن ... وواكف كالجُمان فى سنن

على دليلى وقائدى ويدى ... ونورِ وجهى وسائس البدن

أبكى عليها بها مخافة أن ... يقرننى والظلام فى قرن

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل فى مجلس فقالوا لينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل كان معهم فقال اسمعوا منى

أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، قالوا هات ، فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت

اذا ما علت منا ذؤابة واحد وان كان ذا حلم دعته الى الجهل
هل العيش الا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

فقال له مسلم صدقت ، ثم أقبل على أبي نواس فقال له كأني بك يا أبا علي قد أنشدت

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بُد

فقال له صدقت ، ثم أقبل على دعبل فقال يا أبا علي فكأني بك تنشد قولك

اين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

قال صدقت ، ثم أقبل على أبي الشيص فقال له وأنت يا أبا جعفر كأني بك تنشد

لا تنكري صدى ولا اعراضي ليس المقل عن الزمان براض

فقال لا ما هذا أردت ولا هذا بأجود شيء قلته ، قالوا فأنشدنا ما بدا لك ، فأنشدهم قوله

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدّم
أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم
أشبهتِ أعدائي فصرت أحبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وله وهو مما غنى فيه

بالله قل يا طلل أهلك ماذا فعلوا
فان قلبي حذر من أن يبينوا وَجِل

وله في جارية سوداء

لم تنصفى يا سميـة الذهب تتلف نفسى وأنت فى لعب
يا ابنة عم المسك الذكى ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك فى السواد وفى الريـــح فأكرم بذاك من نسب

ومن مدائحه في عقبة قصيدته التى أولها

لا تنكرى صدى ولا اغراضى ليس المقل عن الزمان براض

ومنهـا

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض

قيل لأبى نواس من أشعر طبقات المحدثين ؟ قال الذى يقول

يطوف علينا بهـا أحور يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبى الشيص

ومن قوله

وشادن كالبدر يجلو الدجى في الفرق منه المسك مذرور
يحاذر العين على صـدره فالجيب منه الدهرَ مزرور

كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن سليمان بن اسحق الهاشمى وهما حينئذ مملقان فنال محمد بن اسحق مرتبة عند سلطانه واستغنى فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب اليه

الحمـد لله رب العـالمين على قربى وبعدك منى يا ابن اسحق
ياليت شعرى متى تُجدى عليّ وقد أصبحت رب دنانير وأوراق
تجدى علىّ اذا ما قيل مَنْ راق والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمرى تهم الناسَ أنفسُهم وليس ينفع فيه رقيـة الراقى

دعبل

هو دِعْبِل بن على بن رزين الخُزاعى الأَزدى يكني أبا على

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهه أحسن اليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد ، وكان شديد التعصب على النِّزارية للقحطانية وقال قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد ويناقضه فى قصيدته المذهبة التى هجا بها قبائل اليمن ـ ألا حييت عنا يامدينا ـ وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه وقصيدته « مدارس آيات خلت من تلاوة » من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام وقصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه فأعطاه بها أهل قُمّ ثلاثين الف درهم فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم انها انما تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم ، فدفعوا اليه ثلاثين الف درهم فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه فردكمّ فكان من أكفانه

قال ابراهيم بن المهدى للمأمون قولا فى دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال انما تحرضنى عليه لقوله فيك

يا معشر الأَجناد لا تقنطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَوْن حُنَيْنية (١) ... يلتذها الأَمرد والأَشمط
والمَعْبَدِيَّات (٢) لقوادكم ... لاتدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده ... خليفة مصحفه البَرْبَط
قد ختم الصَّك بأرزاقكم ... وصح العزم فلا تسخطوا

(١) يريد أصواتاً منسوبة الى حنين الحيرى المغنى (٢) يريد أصواتاً منسوبة الى معبد المغنى

بَيْعة ابراهيم مشؤومة يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

فقال له ابراهيم فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال دع هذا عنك فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك ، ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم دعبل يجسر على أبى عباد في الهجاء ويحجم عن أحد فقال له وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين قال لا ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم وأصفح والله ما رأيت أبا عباد مقبلا الا أضحكنى قول دعبل فيه

أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عباد
خَرِق على جلسائه فكأنهم حضروا لملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته فمضمَّخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل مُفْلِت حَرِد يجر سلاسل الأقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه فأصحُّ منه بقيةُ الحداد

وكان بقية هذا مجنوناً فى المارستان

قال مهرويه لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكُمَيت بن زيد فكان ذلك مما وضعه

قال أبو خالد الخزاعى لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ، فقال ويحك انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيداً اذا لم يُخَف شره ولَمَنْ يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب اليك فى تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ان الهجاء

المُقْذِع آخذ بضَبُع الشاعر من المديح المضْرِع ، فضحك أبو خالد وقال هذا والله مقال من لا يموت حتفَ أنفه

قال دعبل قال لي أبي رزين ما قلت من الشعر قط الا هذين البيتين

خليلي ماذا أرتجي من غد امرىء طوى الكَشْح عني اليوم وهو مَكين

وان امرأً قد ضَنَّ منه بمنطق يسد به فقر امرىء لضنين

وبيتين آخرين وهما

أقول لما رأيت الموت يطلبني يا ليتني درهم فى كيس مياح

فياله درهماً طالت صيانته لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعَتَمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكسبه الى منزله ، فلما طلع مقبلاً اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمه فاذا هى ثلاث رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ، ومات الرجل مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان فى ذلك ، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد

قال أحمد بن خالد كنا يوماً بدار صالح بن على من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح ما نصنع به ؟ قلنا نذبحه ، فذبحناه وشويناه ، وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أسر المؤذنَ صالح وضيوفه أسر الكميّ هفا خلال المأقِطِ
بعثوا عليه بنيهمُ وبناتهم من بين ناتفة وآخر ساملط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا خاقان أو هزموا قبائل ناعط[1]
نهشوه فانتزعت له أسنانهم وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل، ثم أنشدت الشعر وقال لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه الا اشتريته وبعثت به الى دعبل والا وقعنا فى لسانه، ففعلت ذلك

قال أحمد بن أبي كامل كان دعبل ينشدنى كثيراً هجاء له فأقول له فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد وليس له صاحب فاذا وَجِدَ على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه فى الشعر

بلغ اسمعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلاً هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان اسمعيل على الأهواز فهرب من زيد بن موسي بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض فى أيام أبي السَّرايا، فقال دعبل يعير اسمعيل بذلك

لقد خلَّف الأهواز من خلف ظهره يريد وراء الزَّاب من أرض كَسْكَرِ
يهوِّل اسمعيلُ بالبيض والقَنا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفر
وعاينته فى يوم خلَّى حريمه فيا قبحها منه ويا حسن منظر

كان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وهو خرَّجه وفهَّمه وأدَّبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه، فقال يهجوه

يا بُؤْس للفضل لو لم يأت ما عابه يستفرغ السم من صماء قرِضابه

(١) قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه جهلاً لأعراض أهل المجد عيابه
ان عابني لم يعب الا مؤدبه ونفسه عاب لما عاب أدّابه
فكان كالكلب ضرّاه مكلّبه لغيره فعدا فاصطاد كلاّبه

وقال يهجو جعفر بن محمد

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي بخير أبوة من عثعث
عبثاً رأيتك بي تمارس حية سوارة ان هجتها لم تلبث
لو يعلم المغرور ما قد حاز من خزى لوالده اذاً لم يعبث

فلقيه عثعث ، فقال له عليك لعنة الله أى شيء كان بيني و بينك حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء ؟ فضحك وقال لا شيء والله الا اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث فى القافية أوَ لا ترضى أن أجعل أبك وهو أسود خيراً من أباء الأشعث بن قيس

كان دعبل يقول ما كانت لأحد قط عندي منة الا تمنيت موته

دخل دعبل الرّيّ فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم يَرَوْا مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً وكتبه فى رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعـــر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرّيّ بعد ما سكن البر د وقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه اللّـــه ثوباً من كُرْسف [1] محلوج

فألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى

فخرَ قوم من خزاعة على دعبل يقال لهم بنو مكلم الذئب وكان جدهم جاء الي النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه ، فلما غشيه بالسيف قال مالي ولك تمنعني رزق الله ؟ قال فقلت ياعجباً لذئب يتكلم ، فقال أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم ، فقال دعبل يهجوهم

(١) الكرسف القطن

يهتم علينا بأن الذئب كلمكم ... فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث الهصور إذاً ... أفنيتم الناس مأكولاً ومشروبا
هذا السنيدي لا أصل ولا طرف ... يكلم الفيل تصعيداً وتصويبا

قال دعبل فى الفضل بن مَرْوان

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل ... وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرةً ... ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيى مواعظ ... اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فأبق جميلاً من حديث تفز به ... ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل
فانك قد أصبحت للملك قيِّماً ... وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشعر قبلها ... جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هى أنشدت ... سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفنى خيرك وشرك

كان دعبل جالساً بالبصرة وعلى رأسه غلامه نفنف فمر به اعرابى يرفل فى ثياب خز، فقال لغلامه ادع لي هذا الأعرابى، فأومأ اليه الغلام فجاءه، فقال له دعبل من الرجل؟ قال من بنى كلاب، قال من أى ولد كلاب أنت؟ قال من ولد أبى بكر، فقال أتعرف القائل

ونبئت كلباً من كلاب يسبني ... ومحض كلاب يقطع الصلوات
فان أنا لم أعلم كلاباً بأنها ... كلاب وانى باسل النقمات
فكان اذاً من قيس عَيْلان والدي ... وكانت أمى اذاً من الحَبَطات

وهذا الشعر لدعبل يقوله فى عمرو بن عاصم الكلابى، فقال له الأعرابى من أنت؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم، فقال أنا أنتمي الى القوم الذين يقول فيهم الشاعر

أناس عليّ الخير منهم وجعفر وحمزة والسجاد ذو الثفنات
اذا نخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول مالى الى محمد وجبريل والفرقان والسورات مُرْتقى

سأل دعبل نصر بن منصور بن بسام حاجة فلم يقضها لشغل عرض له دونها ، فقال يهجو بنى بسام

حواجب كالحبال سود الى عثانين كالمخالى
وأوجه جَهمة غلاظ عُطْل من الحسن والجمال

كتب دعبل الى أبى نَهْشَل بن حُميد الطوسى قوله

انما العيش فى منادمة الاخوا ن لا فى الجلوس عند الكِعاب
وبصِرْف كأنها ألسن البر ق اذا استعرضت رقيق السحاب
أن تكونوا تركتمُ لذة العيـ ـش حذار العقاب يوم العقاب
فدعونى وما ألَذّ وأهوى وادفعوا بى فى صدر يوم الحساب

دخل دعبل على على بن موسى الرضا فقال له أنشدنى شيئاً مما أحدثت فأنشده

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مُقْفِر العَرَصات

حتى انتهى الى قوله

اذا وُتروا مدوا الى واتريهمُ أكُفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى حتى أغمي عليه وأومأ اليه خادم كان على رأسه أن اسكت ، فسكت ساعة ، ثم قال له أعد ، فأعاد حتى انتهى الى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الاولى وأومأ الخادم اليه أن اسكت ، فسكت ، فمكث ساعة أخرى ثم قال له أعد ، فأعاد حتى انتهى الى آخرها فقال له أحسنت ثلاث مرات ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن وقعت الى أحد بعد ، وأمر له من فى منزله بحلى كثير أخرجه اليه الخادم ، فقدم العراق فباع كل درهم منها

بعشرة دراهم اشتراها منه الشيعة فحصل له مائة الف درهم فكان أول مال اعتقده

قال دعبل كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أنهاه عنه اذا أنشدنى ، فأنشدنى يوماً

ان ذا الحب شديد ليس ينجيه الفرار
ونجا من كان لا يعشـــق من ذل المخازي

فقلت له هـذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثانى على الزاى ، فقال لا تنقطه ، فقلت له فالأول مرفوع والثانى مخفوض ، فقال أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله

قال محمد بن زكريا الفَرْغانى سمعت دعبلا يقول فى كلام جرى « لَيْسك » فأنكرته عليه فقال دخل زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يازيد ما وصف لي رجل الا رأيته دون وصفه لَيْسك ، يريد غيرك

قال على بن عبد الله بن سعد قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى الحربى

زُنَّاره فى خصره معقود كأنه من كبدى مقدود

فقال والله ما أعلمنى حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكراً على قوله « كأنه من كبدى مقدود »

قال دعبل مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذَرّ شارقه الا وأنا أقول فيه شعراً

قال عمرو بن مسعدة حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قل له المأمون أي شيء تَرْوِى لأخى خُزاعة ياقاسم ؟ فقال وأى أخى خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبى الشيص وداود بن أبى رزين ، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله ، فقال ومن عسى من

هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل ؟ هات أى شيء عندك فيه ، فقال وأي شيء أقول فى رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم فقرن احسانهم بالاساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل حتى جعل كل حسنة منهم بازاء سيئة ، قال حين يقول ماذا ؟ قال حين يقول فى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو أصدق الناس له وأقربهم منه وقد وفد اليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه ولم يمنعه ذلك أن قال فيه

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً ... بلؤم مطلب فينا وكن حكما

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تحس لها لؤماً ولا كرما

فقال المأمون قاتله الله ما أغوصه وألطفه وأدهاه وجعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال أى شيء تحفظ ياعبد الله لدعبل ؟ فقال أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها ويحك فأنشده

سقيا ورعيا لأيام الصبابات ... أيام أَرْفُل فى أثواب لذاتى

أيام غصنى رطيب من ليانته ... أصبو الى غير جارات وكِنَّات

دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ... واقذف برجلك عن متن الجهالات

واقصد بكل مديح أنت قائله ... نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون انه قد وجد والله مقالاً فقال ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله فى وصف غيرهم

قال أبو شراعة قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز فصادفت ببابه دعبل بن على وجماعة من الشعراء وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة فكتب اليه

المال والعقل شيء يستعان به ... على المقام بأبواب السلاطين

وأنت تعلم انى منهما عطل ... اذا تأملتنى يا ابن الدَّهاقين

هل تعلم اليوم بالأهواز من رجل ... سواك يصلح للدنيا وللدين

فوعدنا وعداً قربه ثم تدافع فكتب اليه

آذنت جبتى بأمر قبيح من فراق للطيلسان القبيح
فكأنى بمن يزيد على الجبـــة فى ظل دار سهل بن نوح
أنت روح الأهواز يا ابن رجاء أى شىء يعيش الا بروح

فأذن له وللجماعة وقضى حوائجنا

كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى فلم يرض ما فعلاه به ، فقال يهجوهما

ما زال عصياننا لله يرذلنا حتى دُفعنا الى يحيى ودينار
وغدين علجين لم تقطع ثمارهما قد طال ماسجدا للشمس والنار

وكان منحرفاً عن آل طاهر مع ميلهم اليه وأياديهم عنده فقال فيهم

وأبقى طاهر فينا ثلاثاً عجائب تُستخف لها الحلوم
ثلاثة أعبد لأب وأم تميز عن ثلاثتهم أروم
فبعض فى قريش منتماه ولا غِيَر ومجهول كريم
وبعضهم يُهَشّ لآل كسرى ويزعم انه علج لئيم
فقد كسرت مناسبهم علينا وكلهمُ على حال زنيم

قال دعبل حججت أنا وأخى رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة الى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج ، فما زال يحدثنا ويؤنسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع ، ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعراً ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن نقول فى المطلب قصيدة ننحله اياها ، فقال ان شئتم وأرانا بذلك سروراً وتقبلا له ، فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب وانك تنتفع بها ، فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا الى المطلب وأوصلنا اليه كتباً كانت معنا وأنشدناه ، فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له

فدخل عليه ونحن نظن انه سينشد القصيدة التى نحلناه إياها ، فلما مثل بين يديه عدل عنه وأنشده

لم آت مطلباً الا بمطلب ... وهمة بلغت بى غاية الرتب
أفردته برجاء أن تشاركه ... فيَّ الوسائل أوألقاه فى الكتب

وأشار الى كتبي التى أوصلتها اليه وهى بين يديه فكان ذلك أشد من كل شيء مرَّ بى منه عليَّ ، ثم أنشد

رحلْت عِيسِي الي البيت الحرام على ... ما كان من وَصَب فيها ومن نَصَب
ألقى بها وبوجهى كل هاجرة ... تكاد تقدح بين الجلد والعَصَب
حتى اذا ماقضت نُسْكي ثنيت لها ... عطف الزمام فأمّت سيد العرب
فأممتك وقد ذابت مفاصلها ... من طول ماتعب لاقت ومن نصب
انى استجرت باستارين[1] مستلماً ... ركنين مطلباً والبيتَ ذا الحجب
فذاك للآجل المأمول ألمَسه ... وأنت للعاجل المرجو والطلب
هذا ثنائى وهذى مصر سانحة ... وأنت أنت وقدناديت من كثب

فصاح مطلب لبيك لبيك ، ثم قام فأخذ بيده وأجلسه معه وقال يا غلمان البِدَر ، فأحضرت ، ثم قال الخلع ، فنشرت ، ثم قال الدواب ، فقِيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمه ايانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له به وخرجنا صِفْراً ، وكانت التى مدح بها دعبل المطلب قصيدته التى يقول فيها

أبعد مصر وبعد مطلب ... ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته ... أو واحدونا جئنا بمطلب

(١) هذا على معنى استار كذا واستار كذا

ثم ولي دعبل بن علي بعد ذلك على أسوان ، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال

أمطلب أنت مستعذِب ... حُمَيًّا الأفاعى ومستقتل
فان أشْفِ منك تكن سُبَّة ... وان أعفُ عنك فما تفعل
ستأتيك إمّا وردت العراق ... صحائف يأثِرها دعبل
منمقة بين أثنائهـــا ... مَخَازٍ تُخَطّ فلا ترحل
وضعت رجالاً فما ضرهم ... وشرفت قوماً فلم ينبُلوا
فأيّهم الزين وسط الملا ... عطية أم صالح الأحول
أم الباذجانى أم عامر ... أمين الحمام التى تزجل
تنوَّط مصر بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل
ويوم الشُّراة تحسَّيتها ... يطيب لدى مثلها الحنظل
توليت ركضاً وفتياننا ... صدور القنا فيهمُ تَعْمِل
اذا الحرب كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يقتلوا
فمنك الرءوس غداة اللقاء ... وممن يحاربك الأنصل
شعارك فى الحرب يوم الوغى ... اذا انهزموا، عجلوا عجلوا
هزائمك الغُرّ مشهورة ... يقرطس[1] فيهن من ينْضل
فأنت لأولهـم آخر ... وأنت لآخرهم أول

وبلغ المطلب هجاؤه اياه بعد أن ولاه فعزله عن أسوان فأنفذ اليه كتاب العزل مع مولى له وقال انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فاذا علاه فأوصل الكتاب اليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه ، فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل دعنى أخطب فاذا نزلت قرأتم ، قال لا

(١) قرطس أصاب القرطاس أى الغرض

قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً

ومن قول دِعْبل وفيه غناء

أين الشباب وأيَّةً سلكا ... لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

يا ليت شعري كيف يومكما ... يا صاحبيَّ اذا دمى سفكا

لا تأخذوا بظُلامتي أحداً ... قلبي وطرفي فى دمى اشتركا

أخذ البيت الثانى من قول مسلم بن الوليد

مستعبر يبكي على دمنة ... ورأسه يضحك فيه المشيب

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه ، وقال الأصمعى سرقه من قول الحسين بن مُطَير الأسدي

أين أهل القِباب بالدَّهناء ... أين جيراننا على الأَحْساء

فارقونا والأرض مُلْبَسة نَوْ ... ر الأَقاحى تُجادُ بالأَنْواء

كل يوم بأقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماء

قال ابراهيم بن المدبر لقيت دعبل بن على فقلت له انت أجسر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول

انى من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقْعَد

رفعوا محلك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحَضِيض الأَوْهد

وأولها

أخذ المشيب من الشباب الأَغيد ... والنائبات من الأَنام بمرصد

فقال يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها

وقال دعبل بن على يرثى ابن عم له من خزاعة نعى اليه ، قال محمد بن يزيد ولقد أحسن فيها ما شاء

كانت خُزاعة ملء الأرض فاتسعت ... فقَصَّ مرّ الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوى ببَلْقَعة ... تَسفِى الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ألاَّ هبوب به ... وقد تكون حسيراً اذ يُباريها
أضحى قِرًى للمنايا اذ نزلن به ... وكان فى سالف الأيام يَقْرِيها

مدح عبد الرحمن بن خاقان وطلب منه بِرْذَوْناً فحمله اليه غامراً ، فكتب اليه

حملتَ على قارح غامر ... فلا للركوب ولا للثمن
حملتَ على زَمِن ظالع ... فسوف تكافا بشكر زَمِن

فبعث اليه ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه وألفى درهم

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشُّراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويواكلونه ويشاربونه ويبَرونه ، وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نفنف وشعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه ، وأنشد دعبل لنفسه فى بعد اسفاره

حللت محلا يقصر البرق دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

قال البحترى دعبل بن على أشعر عندى من مسلم بن الوليد لأن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له

كان المعتصم يُبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشتات الدين مكتئب صَبّ ... وفاض بفرط الدمع من عينه غَرْب
وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لُب
وما كانت الأنباء تأتى بمثله ... يُمَلَّك يوماً أو تَدِين له العُرْب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضين اذ عظم الخَطْب

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان يثلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شعب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك الا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما ... خلقك الا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من ... أضر بالمسلمين والدين

وقال في ذلك وفي قيام الواثق

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسفر الذين تحملوا ... الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها ... وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفهن كما ترى ... لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهجيراي ومسليتي حتى أعود

ومن قول دعبل وفيه غناء

سرى طيف ليلى حين آن هبوب ... وقضيت شوقاً حين كاد يذوب

فلم أر مطروقاً يحـــل برحلة ... ولا طارقاً يقري المنى ويثيب

ومن قوله

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب ... رأت بي شيباً عجلته خطوب

وما شيبتي كبرة غير انني ... بدهر به رأس الفطيم يشيب

وقال في صالح بن عطية الأضجم وكان من أقبح الناس وجهاً وخاطب فيها المعتصم

قل للامام امام آل محمـــد ... قول امريء حدِب عليك محام

أنكرت أن تفتر عنك صنيعة ... في صالح ابن عطية الحجام

ليس الصنائع عنده بصنائع ... لكنهن طوائل الاســـلام

اضرب به جيش العدو فانه ... جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام ما زال دعبل مائلاً الى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه بجُرْجان ، فجفاه مسلم وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه

أبا مَخْلَد كنا عقيدَيْ مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا

أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي ... وأجزع اشفاقاً من آن تتوجعا

فصيرتني بعد انتكاثك مُتْهِماً ... لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا

غشَشْتَ الهوى حتى تداعت أصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا

وأنزلت من بين الجوانح والحَشَى ... ذخيرة وُدّ طالما قد تمنعا

فلا تَلْحيني ليس لي فيك مطمع ... تخرقت حتى لم أجد لك مَرْقَعا

فهَبْك يميني استأكلت فقطعتها ... وجشَّمت قلبي صبره فتشجعا

ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك

ومن مديحه للمطلب

زمني بمطلب سقيت زمانا ما كنت إلا روضة وجنانا
كل الندى الا نداك تكلف لم أرض بعدك كائناً من كانا
أصلحتني بالبر بل أفسدتني فتركتني أتسخط الاحسانا

أجرى الرشيد على دعبل رزقاً سنياً فكان أول من حرضه على قول الشعر فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمانٍ ومن بكر ومن مُضَر
ألا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزُر
قتل وأسر وتحريق ومَنْهَبة فعل الغُزاة بأرض الروم والخَزَر
أرى أُمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
اربَع بطوسَ على القبر الزكي اذا ما كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهمُ هذا من العبر
ماينفع الرجسَ من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امريء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام فقصده اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه فكتب اليه دعبل

دَلَيتني بغرور وعدك في متلاطم من حومة الغرق
حتى اذا شَمِتَ العدو وقد شهر انتقاصك شهرة البلق
أنشأت تحلف أن ودك لي صافٍ وحبلك غير منحذق
وحسبتني فقعاً بقرقرة فوطئتني وطأ على حنق

ونصبتني علماً على غرض ترميني الأعداء بالحدق
وظننت أرض الله ضيقة عني وأرض الله لم تضق
من غير ماجرم سوى ثقة مني بوعدك حين قلت ثق
ومودة تحنو عليك بها نفسي بلا منّ ولا ملق
فمتى سألتك حاجة أبداً فاشدد بها قفلاً على غلق
وقف الاخاء على شفا جرف هارٍ فبعه بيعة الخلق
وأعدّ لي قفلاً وجامعة فاشدد يدي بها الى عنقي
أعفيك مما لا تحب بها واسدد عليّ مذاهب الأفق
ما أطول الدنيا وأعرضها وأدلّني بمسالك الطرق

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب اليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي فانني رجل غير ملحّ عليك في الطلب

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ولو انتظرت كثيره لم يقلل
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونكون نحن كأننا لم نفعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره بعكاز لها زج مسموم فمات من غد

عبد الله بن طاهر

كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع وفي السماحة والشجاعة مالا يقارب به فيه أحد

أعطاه المأمون مال مصر لسنة خراجها وضياعها فوهبه كله وفرقه فى الناس ورجع صفراً من ذلك فغاظ المأمون فعله فدخل اليه يوم مقدمه فأنشده أبياتاً قالها فى هذا المعنى وهى

نفسى فداؤك والأعناق خاضعة ... للنائبات أبيًّا غير مهتضم
اليك أقبلت من أرض أقمت بها ... حولين بعدك فى شوق وفي ألم
أقفو مساعيك اللائى خصصت بها ... حذو الشراك على مثل من الأدم
فكان فضلى فيها انني تبع ... لما سننت من الانعام والنعم
ولو وكلت الى نفسى عنيت بها ... لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال والله ما نفست عليك مكرمة نلتها ولا أحدوثة حسن عندك ذكرها ولكن هذا شيء اذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك واصلاح حالك ، وزال ما كان فى نفسه

لما فتح عبد الله مصر سوغه المأمون خراجها فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف الف دينار أو نحوها فأتاه معلى الطائى وقد أعلموه ماصنع بالناس في الجوائز وكان عليه واجداً فوقف بين يديه تحت المنبر فقال أصلح الله الأمير أنا معلى الطائى وقد بلغ مني ما كان منك من جفاء وغلظ فلا يغلظن على قلبك ولا يستخفنك الذى بلغك أنا الذى أقول

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة ... وأظلم الناس عند الجود للمال
لو أصبح النيل يجرى ماؤه ذهباً ... لما أشرت الى خزن بمثقال
تغلى بما فيه رق الحمد تملكه ... وليس شيء أعاض الحمد بالغالي
تفك باليسر كف العسر من زمن ... اذا استطال على قوم باقلال
لم تخل كفك من جود لمختبط ... ومرهف قاتل فى رأس قتال
وما بثثت رعيل الخيل فى بلد ... الا عصفن بأرزاق وآجال

ان كنت منك على بال منحت به فان شكرك من قلبي على بال
ما زال مقتضباً لولا مجاهرة من ألسن خُضْن فى صدرى بأقوال

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال يا أبا السمراء أقرضنى عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها فأقرضه فدفعها اليه

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر وكان نديمه وجليسه وكان له مؤثراً مقدماً فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ، ثم انه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض مالم يحبه فرجع حينئذ الى بغداد وقال

ان كان عبد الله خلانا لا مبدئاً عرفاً واحسانا
فحسبنا الله رضينا به ثم بعبد الله مولانا

يعني به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر فغاظه ذلك وقال أجل صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع

ولعبد الله ألحان صاغها فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه فى شعر أخت عاصية فانه صوت نادر جيد صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو

هلا سقيتم بنى سهم أسيركمُ نفسى فداؤك من ذى غلة صادى
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مُضَرَّج بعد ما جادت بازباد

ومن غنائه أيضاً

راح صحبى وعاود القلب داء من حبيب طلابه لي عناء
حسن الرأى والمواعيد لا يُلْـ ـفى لشىء مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فانى ليس لى ماحييت عنه عزاء

ابن أبي عيينة

هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي

شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء وأنفذ أكثر شعره في هجاء ابن عمه خالد وكان من شعراء الدولة العباسيه من ساكني البصرة

وقال محمد بن يزيد كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف وكان يتعشق فاطمة بنت عمر ويُسر عشقها ويلقبها دنيا كتماناً لأمرها وكانت امرأة جليلة سرية من النساء وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم ، ومن قوله في فاطمة هذه

تجني علينا آل مكتومة الذنبا ... وكانوا لنا سلماً فأضحَوْا لنا حربا
يقولون عز القلب بعد ذهابه ... فقلت ألا طوباي لو أن لي قلبا
وقالوا تجنبنا فقلت أبعد ما ... غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا
غضاب وقد ملوا وقوفي ببابهم ... ولكن دنيا لا مَلولا ولا غَضْبى
وقد أرسلت في السر أني بريئة ... ولم تر لي فيما ترى منهمُ ذنبا
وقالت لك العُتْبى وعندي لك الرضا ... وما ان لهم عندي رضاء ولا عُتْبى
ونيتها تلهو اذا اشتد شوقها ... بشعري كما تلهو المغنية الشَّرْبى
فأحببتها حباً يقرّ بعينها ... وحبي اذا أحببت لا يشبه الحبا
فيا حسرتا نغصت قرب ديارها ... فلا زُلْفة منها أُرجِّي ولا قربا
لقد شمت الأعداء أن حيل بينها ... وبيني ألا للشامتين بنا العُتْبى

ومما قاله فيها وغنى فيه

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... في حفظه عجب وفي تضييعك

ونأيت عنه فما له من حيلة ... الا الوقوف الى أوان رجوعك
متخشعاً يُذرى عليك دموعه ... أسفاً ويعجب من جمود دموعك
ان تقتليه وتذهبي بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

ومن قوله فيها

دعوتك بالقرابة والجوار ... دعاء مصرح بادي السرار
لأني عنك مشغول بنفسي ... ومحترق عليك بغير نار
وأنت توقّرين وليس عندي ... على نار الصبابة من وقار
فأنت لأن ما بك دون مابي ... تدارين العدو ولا أداري
ولو والله تشتاقين شوقي ... جَمَحْتِ الى مخالعة العذار
ألا ياوهب فيم فضحت دنيا ... وبحت بسرها بين الجواري
أما والراقصاتِ بكل واد ... غَوادٍ نحو مكة أو سَوارِ
لقد فضلت دنيا في فؤادي ... كفضل يدي اليمين على اليسار
فقولي ما بدا لك أن تقولي ... فاني لا ألومك أن تغاري

وقال فيها وهو من ظريف أشعاره

رق قلبي لك يا نور عيني ... وأبى قلبك لي أن يَرِقا
فأراك الله موتي فاني ... لست أرضى أن تموتي وأبقى
أنا من وجدي بدنياي منها ... ومن العذل فيها مُلتقّى
زعموا اني صديق لدنيا ... ليت ذا الباطل صار حقا

وقال فيها أيضاً

عيشها حلو وعيشك مر ... ليس مسرور كمن لا يسر
كمديم الحب تسخن فيه ... عينه أكثر مما تقرّ
قلت للائم فيها الله عنها ... لا يقع بيني وبينك أمر

أترانى مقصراً عن هواها كل مملوك اذاً ليَ حر

ومنه

جئت قالت دنيا علام نهاراً زرت ؟ هلا انتظرت المساء
كنت ذا معجباً برأيك لانفـــرق فاستحى يا قليل الحياء
ذاك اذ روحها وروحى مزاجا ن كأصفى خمر بأعذب ماء

ومنه

جعلت حبك من قلبى بمنزلة هى المصافاة بين الماء والراح
تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه مرورغيث من الوَسمىّ سحاح

ومن قوله فيها

ألم تنهَ قلبك أن يعشـقا ومالك والعشقَ لولا الشقا
أمن بعد شربك كأْس النُّهَى وشمك ريحان أهل التقى
عشقت فأصبحت فى العالمـــين أشهرَ من فرس أبلقا
أدنيای من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل أن أغرقا
أنا لكِ عبد فكونى كمن اذا سره عبـــده أعتقا
ألم أخدَع الناس عن وصلها وقد يخدع العاقل الأحمقا
بلى فســـبقتهم انني أحب الى الخير أن أسبقا
ويوم الجنازة اذ أرسـلت على رقعة أن جُز الخندقا
وعُجْ فانظر لنا مجلساً برفق وإياك أن تخرقا
فجئنا كغصنين من بانة قرينين خِدْنين قد أورقا
فقالت لأخت لها استنشديـــه من شـعره المحكم المنتقى
فقلت أمرت بكتمانه وحذرت ان شاع أن يسرقا
فقالت بعيشك قولي له تمنع لعلك أن تنفقا

ومما قاله فيها

ألا في سبيل الله ما حل بي منك ... وصبرُك عني حين لا صبر لي عنك
وتركُكِ جسمي بعد أخذكِ مهجتي ... ضَئيلاً فهلاَّ كان من قبل ذا تركي
فهل حاكم في الحب يحكم بيننا ... فيأخذ لي حقي ويُنْصفني منك
لقد كنت يوم القصر مما ظننتِ بي ... بريئاً كما أني بريء من الشرك
يذكرني الفردوس طوراً فأرعوى ... وطوراً يواتيني الى القَصْف والفتك
بغَرْس كأبكار الجواري وتربة ... كأن ثراها ماء ورد على مسك
وسِرْب من الغزلان يرتَعْنَ حوله ... كما استلَّ منظوم من الدر من سلك
وورقاء تحكي الموصلي اذا غدت ... بتغريدها أَحْبِبْ بها وبمن تحكي
فيا طيب ذاك القصر قصراً ومنزلا ... بأَفْيَح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك
كأن قصور القوم ينظرن حوله ... الى ملك مُوفٍ على منبر الملك
يُدل عليها مستظلا بظلها ... فيضحك منها وهي مطرقة تبكي

وقال لما بلغه أنها زوجت وكان اسحق الموصلي يستحسن هذا الشعر ويستجيده

أرى عهدها كالورد ليس بدائم ... ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدي لها كالآس حسناً وبهجة ... له نَضْرَة تبقى اذا ما انقضى الورد
فما وجد العُذْرِيّ اذ طال وجده ... بعَفْرَاء حتى سَلَّ مهجتَه الوجد
كوجدي غداة البين عند التفاتها ... وقد شفَّ عنها دون أترابها البُرْد
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها ... قريب ولكن في تناولها بعد
واني لمن تهدَى اليه لحاسد ... جرى طائري نحسا وطائره سعد

ومن قوله فيها

ما لدنيا تجفوك والذنب منها ... ان هذا منها لخِبٌّ ومكر

عرفت ذنبها إليَّ فقالت ابدُروا القوم بالصياح يفِروا
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها غير أن ليس لي مع الحب أمر
وكتمت اسمها حذاراً من النا س ومن شرهم وفي الناس شر
ويقولون بح لنا باسم دنيا واسم دنيا سر على الناس ذخر

ومن قوله لرجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة

خفف على اخوانك المُؤنا ان شئت أن تبقى لهم سَكَنا
لا تُلْحِفَنَّ اذا سألت فتى الـــإلحاف اجحاف بهم وعنا

فقام الرجل وانصرف

وفد الى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة وكان من قبله ، فعزله وأجزل صلته ، فقال

ياذا اليمينين قد أوقرتني مناً تترى هي الغاية القصوى من المنن
ولست أَسْطِيع من شكر أجيء به الا استطاعة ذي روح وذي بدن
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة أَوْفَى من الشكر عند الله في الثمن
أخلصتها لك من قلبي مهذبة حَذْواً على مثل ما أوليت من منن

وكان أمير البصرة اسمعيل بن سليمان قد أساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد ما بينهما وقبح وأظهر اسمعيل تنقصه وعيبه ، فخرج يشكوه الى طاهر ، فلما دخل عليه سأله عن حوائجه وأدناه وأمره برفعها ، فأنشده

من أَوحشته البلاد لم يقُم فيها ومن آنسته لم يَرِم
ومن يَبِتْ والهموم قادحة في صـــدره بالزِّناد لم ينم
ومن يرى النقص من مواطنه يُزِلْ عن النقص موطىء القدم
والقرب ممن نأى بجانبه صَدْع على الشعب غير ملتئم

ورب أمر يَعْيَا اللبيب به يَظَلّ منه فى حيرة الظالم
صبر عليه كَظْم على مَضَض وتركه من مواقع الندم
ياذا اليمينين لم أزرك ولم آتِكَ من خلة ومن عدم
انى من الله في مُراح غنى ومنتدًى واسع وفي نعم
زارتك بى همـــة منازعة الى العلا من كرائم الهمم
وانني للجميل محتمـــل في القدر من منصبى ومن شيمى
وقد تعلقت منك بالذمم الـــكبرى التى لا تخيب في الذمم
فان أَنَلْ بغيتى فأنت لها فى الحق حق الرجاء والرَّحِم
وان يَعُق عائق فلست على جميل رأى عندى بمتهم
فى قَدَر الله ما أحمَّـــله تعويق أمرى في اللوح والقلم
لم يضق الصبر والفجاج على حر كريم بالصبر معتصم
ماض كحد السنان في طَرَف الـــعامل أو حد مُصْلَت خَذِم
اذا ابتلاه الزمان كشَّفه عن ثوب حرية وعن كرم
ما ساءَ ظني الا بواحدة فى الصدر محصورة عن الكلم
لِيَهْنِ قوماً جُزْتُ المدى بهمُ ولم تقصر فيهمُ ولم تُلِم
وليس كل الدِّلاء راجعة بالنصف من ملئها الى الوَذَم
ترجع بالحمأة القليلة أحـــياناً ورَنْق الصُّبابة الأمم
ما تنبت الأرض كل زهرتها ولا تعم السماء بالديم
ما فيَّ نقص عن كل منزلة شريفة والأمور بالقسم

فأجابه طاهر

من تستضفه الهموم لم ينم الا كنوم المريض ذى السقم
ولا يزال قلبه يكابد ما تولد فيه الهموم من ألم

وقد سمعت الذى هتفت به ... وما بأذنى عنك من صمم
وقد علمنا أن ليس تصحبنا ... لفاقة فيك لا ولا عـــدم
الا لحق وحرمة وعلى ... مثلك رعى الحقوق والحرم
أنت امرؤٌ لا تزول عن كرم ... الا الى مثله من الكرم
وأنت امرؤٌ من أسرة جحاجحة ... فازوا بحسن الفعال والشيم
فما ترم من جسيم منزلة ... فالحكم فيه اليك فاحتكم
ان كنت مستسقياً سماحتنا ... منا تجُدك اليدان بالديم
أو ترم فى بحرنا بدلوك لا ... نعدمك ملأً لها الى الوَذَم
انا أناس لنـــا صنائعنا ... فى العرب معروفة وفى العجم
مغتنمو كسب كل محمدة ... والكسب للحمد غير مغتنم

فاحتكم عليه عزل اسمعيل بن جعفر عن البصرة فعزله عنها وأمر له بمائة الف درهم فقال أبو عيينة فى عزله

لا تعدم العزل يا أبا الحسن ... ولا هُزالاً فى دولة السمن
ولا انتقالاً من دار عافية ... الى ديار البلاء والمحن
أنا الذى ان كفرت نعمته ... أزال مافى جنبيك من عكن

وقال يرثى أخاه داود

أنائحة الحمام قفى فنوحى ... على داودَ رَهْناً فى ضريح
لدى الأحباب من هَمَذان راحت ... به الأيام للموت المريح
ولم تشهد جنازته البواكى ... فتبكيه بمُنْهَلّ سفوح
وكونى مثله اذ كان حياً ... جواداً بالغَبُوق وبالصَّبوح
أنائحة الحمام فلا تشحّى ... عليه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمثمِّرٍ مالاً لدنيا ... ولا فيها بمغمار طموح

يبيع كثير ما فيها بباق ثمين من عواقبه ربيح
ومن آل المهلب فى لُباب لُباب الخالص المحض الصريح
همُ أبنـاء آخرة ودنيا وأهداف المرائى والمديح

كان لابن أبى عيينة بستان وضَيْعة فى بعض قطائع المهلب بالبصرة فأوطنها وصيرها منزله وأقام بها وفيها يقول

ياجنة فاقت الجنان فما تبلغهـا قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتهـا وطناً ان فؤادى لأهلها وطن
زُوّج حيتانُها الضِّباب بها فهذه كِنَّة وذا خَتَن
فانظر وفكر فيما نطقت به ان الأريب المفكر الفطن
من سُفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

ومما أنشده لنفسه وفيه غناء

لا يكن منكِ ما بدالي بعينيـك من اللحظ حيلة واختداعا
ان يكن فى الفؤاد شىء وإلا فدعيني لاتقتليني ضَياعا
فلعلى اذا قربت تباعد ت وأظهرت جفوة وامتناعا
حين نفسى لا تستطيع لما قد وقعت فيه من هواها ارتجاعا

كان ابن أبى عيينة قد قصد قَبيصة بن رَوْح بن حاتم المهلبى واستماحه فلم يجد عنده ما قدره فيه فانصرف مغاضباً ، فوجه اليه داود بن مزْيَد بن حاتم فترضاه وبلغ ما أحبه ورضيه من بره ومعونته فقال يمدحه ويهجو قبيصة

أقَبيصَ لست وان جهدت بمدرك سعى ابن عمك ذى العلا داود
شتان بينك ياقبيصَ وبينه ان المذمم ليس كالمحمود
اختار داود بناء محامد واخترت أكل شبارق[1] وثريد

(١) الشبارق ما اقتطع من اللحم صغيراً وطبخ

قد كان مجد أبيك لو أحييته ... رَوْح أبى خلف كمجد يزيد
لـكن جرى داود جري مبرز ... فحوى المدى وجريت جرى بليد
داود محمود وأنت مذمم ... عجباً لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفاً وسائره لحُشّ يهود
فالحش أنت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مَسْلَح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قُفْل حديد

ولى خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب جُرْجان فسأل أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه ووعده الاحسان والولاية وأوسع له المواعيـد ، وكان أبو عيينة جنـدياً فجرد اسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر على ذلك وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهله ووجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحله فى أهـله ، فدعا به وقال انه قد بلغني انك تريد أن تهرُب فاما ان أقمت لى كفيلاً برزقك أورددته ، فأتاه بكفيل ، فأعنته ولم يقبله ولم يزل يردده حتى ضَجِر فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ولَجّ أبو عيينة فى هجائه وأكثر فيه حتى فضحه فقال فيه

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبى ... وبما اصطفيتك فى الهوى فأثيبى
دومى أدُمْ لك بالصفاء على النوى ... انى بعهـــدك واثق فثقى بى
ومن الدليل على اشتياقى عَبرتى ... ومَشيبُ رأسى قبل حين مشيب
أبكي اليك اذا الحمامة طرَّبت ... ياحسن ذاك اليّ من تطريب
تبكى على فَنَن الغصون حزينة ... حزن الحبيبة من فراق حبيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا ... ان البكا حسن بكل غريب
أفلا ينادى للقتول برحـــلة ... تَشفى جوًى من أنفس وقلوب

مالى اصطفيت على التعسف خالداً ... والله ما أنا بعدها بأريب
تبّاً لصحبة خالد من صحبة ... ولخالد بن يزيد من مصحوب
يا خالد بن قبيصة هيجت بى ... حرباً فدونك فاصطبر لحروبى
لما رأيت ضمير غشك قد بدا ... وأبيت غير تجهم وقطوب
وعرَفت منك خلائقاً جربتها ... ظهرت فضائحها على التجريب
خليت عنك مفارقاً لك عن قِلًى ... ووهبت للشيطان منك نصيبى
فلئن نظرت الى الرُّصافة مرة ... نظراً يفرج كربة المكروب
لأمزقنك قائماً أو قاعداً ... ولأروين عليك كل عجيب
ولتأتين أبك فيك قصائد ... حبرتها بتشكر مقلوب
ولَيُنْشَدَنّ بها الامام قصيدة ... ولتُشْتَمَنَّ وأنت غير مهيب
ولأُذينك مثل ما آذيتنى ... ولأُشلِينَ على نعاجك ذيبى

لقى دِعْبِل أبا عيينة فقال له أنشدنى قولك فى ابن عمك ، فأنشده

ياحفص عاط أخاك عاطهْ ... كأساً تُهيِّج من نشاطه
صِرْفاً يعود لوقعها ... كالظبى أُطلق من رباطه
صبّاً طوت عنه الهمو ... م نعيمَه بعد انبساطه
فبكى وحق له البكا ... لشقائه بعد اغتباطه
جزع المذمم خالد ... لما وقعت على قماطه
فانظر الى نزَواته ... من منطقى والى اختلاطه
دعني وايا خالد ... فلأقطعن عُرا نياطه
انى وجدت كلامه ... فيه مشابهُ من ضُراطه
رجل يُعد لك الوعيد ... اذا وطئت على بساطه
واذا انتظرت غَداءه ... نفخ البوادر من سياطه

يا خال صدَّ المجد عنـــك فلن تجوز على صراطه
وعَرِيت من حلل الندى عُزْيَ اليتيم ومن رباطه
فاذا تطـاولت الرؤ س فغط رأسك ثم طاطه

فقال له دعبل أغرقت والله فى النزع وأسرفت وهتكت ابن عمك وقتلته وغضضت منه ، وانما استنشدتك وأنا أظن انك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً ولو علمت أنك بلغت به هـذا كله لما استنشدتك وجعل يعيد « فغط رأسك ثم طاطه » ويقول قتله والله

ومن مشهور قوله فيه

ألا خبروا ان كان عندكم خَبَرْ أنَقْفُل أم نَثْوِى على الهم والضجر
نفى النومَ عن عيني تعرض رحلة بها الهم واستولى بها بعده السهر
فان أَشْكُ من ليلى بجُرْجان طوله لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر
فيا حبـذا بطن الحزير وظهره ويا حسن واديه اذا ماؤه زخر
ويا حبـــذا نهر الأُبُلَّة منظراً اذا مد فى إبَّانه النهر أو جزَر
وفتيان صدق همهم طلب العلا وسيماهمُ التحجيل فى المجد والغُرَر
لعمرى لقد فارقتهم غير طائع ولا طيبٍ نفساً بذاك ولا مقر
وقائلة ماذا نأَى بك عنهمُ فقلت لها لا علم لي فسلي القدر
فيا سفراً أودى بلهوي ولذتى ونغصني عيشي عدِمتك من سفر
دعونى وايا خالد بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغر
كأنى بصـدق القول لما لقيته وأعلمته بما فيه ألقمته الحجر
دنىء به عن كل خير بَلادة لكل قبيح عن ذراعيه قد حسَر
له منظرَ يُعْمي العيون سماجة وان يُختبر يوماً فيا سوء مختبر
أبوك لنا غيث يعاش بوَبْله وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر

له أثر فى المكرمات يسرنا وأنت تُعَفِّى دائماً ذلك الأثر
لقد قنعت قحطان خزياً بخالد فهل لك فيه يُخْزِك الله يا مُضَر

ومن جيد قوله أيضاً يهجوه

على إخوتى مني السلامُ تحية تحيـــة مُثْنٍ بالأخوة حامد
وقل لهمُ بعد التحية أنتمُ بنفسى ومالي من طريف وتالد
وعز عليهم أن أقيم ببلدة أخا سَقَم فيها قليل العوائد
لئن ساءهم ما كان من فعل خالد لقد سرهم ما قد فعلت بخالد
وقد علموا أن ليس مني بمُفْلِت ولا يومه المسكين مني بواحد
أخالد لا زالت من الله لعنة عليك وان كنت ابن عمى وقائدى
أخالد كانت صحبتيك ضلالةً عصيت بها ربى وخالفت والدى
وأرسل يبغى الصلح لما تكنفت عوارضَ جنبيه سياطُ القصائد
فأرسلت بعد الشر انى مسالم الى غير ما لا تشتهى غير عائد

وكان عبد الله بن محمد بن أبى عيينة أخو أبى عيينة شاعراً وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها

اسلم وان كان فيك عنى قبض لكفيك وازورار
تلحظني عابساً قطوباً كأنما بى اليك ثار
لو كان أمراً عتبت فيه يجوز لي منه اعتـــذار
أو كنتُ سآلة حريصاً لحان منى لك الفِرار
أو كنت نَذْلاً عديم عقل لا منصب لي ولا نِجار
أو لم أكن حاملاً بنفسى ما تحمل الأنفس الكبار
وأنني من خيار قومى وكل أهلى فتى خيـــار
عذرت أن نالني جفاء منك وأن نالني ضرار

لكن ذنبي اليك أني قَحْطان لي الجد لا نِزار
عليك مني السلام هذا أوان ينأى بي المزار
ما كنت الا كلحم ميت دعا الى أكله اضطرار
راحت على الناس لابن يحيى محمد ديمة غزار
ولم يكن ما قد نلت منه بقدر ما ينجلي الغبار
قد أصبح الناس في زمان أعلى من السِّفْلة الشرار
يستأخر السابق الذكي فيه ويستقدم الحمار
وليس للمرء ما تمنى يوماً وما ان له اختيار
ما قدر الله فهو آت وفي مقاديره الخيار

كان ابن أبي عيينة يشبب بوهبة جارية القروى ثم عدل عن التشبيب بها الى دنيا وذكرهما جميعاً في شعره فقال

أرسلت وهبة لما رأتني بعد سقم من هواها مفيقا
أتغيرت ؟ كأن لم تكن لي قبل أن تعرف دنيا صديقا
قد لعمري كان ذاك ولكن قطعت دنيا عليك الطريقا

لما ولي عمر بن حفص البصرة قال ابن أبي عيينة في ذلك وفي دنيا يكنى بها عن فاطمة

هنيئاً لدنيا هنيئاً لها قدوم أبيها على البصرة
على أنها أظهرت نخوة وقالت لي الملك والقدرة
فيا نور عيني كذا عاجلاً عليَّ تطاولت بالإمرة

وفيها يقول

يا حسنها يوم قالت لي مودعة لا تنس ما قلت ، من فيها الى أذني
كأنني لم أصل دنيا علانية ولم أزر أهل دنيا زورة الختن

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ فالروح فى وطن والجسم فى وطن
فليعجب الناس منى أن لي جسداً لا روح فيه ولا روح بلا بدن

قدم الكوفة فى بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها وأقام بها مدة وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها

لعمرى لقد أعطيت بالكوفة المنى وفوق المنى بالغانيات النواعم
ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت هواى ومثلى مثلها فلينادم
وأنشدتها شعرى بدنيا فعربدت وقالت ملول عهده غير دائم
فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفرى لقد تبت مما قلت توبة نادم
فقالت قد استوجبت منا عقوبة ولكن سنرعى فيك رَوْح بن حاتم

كان لأبي حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها بستان ، فبلغه أن أبا عيينة ذكر لبعض اخوانه محبة لها ولاستماع غنائها ، فدعاه وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه ، فأجابه الى ذلك وقال لما سكر وانصرف من عنده فى ذلك

ألم ترَنى على كسلى وفَتْرى أجبت أبا حذيفة اذ دعانى
وكنت اذا دعيت الى سماع أجبت ولم يكن منى توان
كأنا من بشاشتنا ظَلِلْنا بيوم ليس من هذا الزمان

أعرس داود بن محمد بن عيينة أخو أبى عيينة بالبصرة وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمه خالد بجرجان ، فكتب داود الى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ويخبره نقله أهله اليه ، فقال أبو عيينة فى ذلك

ألا ما لعينك معتلة وما لدموعك منهلَّة
وكيف بجرجان صبر امرىء وحيد بها غير ذى خلة
وأطول بليلك أطول به اذا عسكر القوم بالأثلة
وراعك من خيله حائر من القوم ليست له قبلة

يسوقك نحوهمُ مكرها ... وداود بالمصر فى غفلة
عروس ينعم من تحته ... سرير ومن فوقه كِلَّة
وما مدنَف بين عواده ... ينادى وفى سمعه ثقلة
بأوجع منى اذا قيل لي ... تأهب الى الرَّى بالرحلة
ومالي وللرَّيّ لولا الشقا ... ء ان كنت عنها لفى عزلة
أكلَّف أجبالها شاتياً ... على فرس أو على بغلة
وأهون من ذاك لو سهلوه ... ركوب القراقير في دِجلة
تروح الينا بها طربة ... رواح الندامَى الى دلة
أخالد خذ من يدي لطمة ... تغيظ ومن قدمى رَكْلَة
جمعت خصال الردى جملة ... وبعت خصال الندى جملة
فما لك فى الخير من خلة ... وكم لك فى الشر من خلة
ولما تناضلَ أهل العلى ... نُضلت فأذعنت للنضلة
فما لك فى المجد ياخالد ... مفرطة لا ولا خصلة
وأسرعت في هدم ما قد بنى ... أبوك وأشياخه قبله
وكانت من النبع عيدانهم ... نُضاراً وعودك من أَثلة
فيا عجباً نَبْعة أنبتت ... خِلافاً وريحانة بقلة
ثيابك للعيد مطوية ... وعرضك للشتم والبِذْلة
أجعت بنيك وأعريتهم ... ولم تؤت فى ذاك من قلة
اذا ما دعينا لقبض العطاء ... وهيأت كيسك للغلة
وجِلَّة تمر تغادى بها ... فتأتى على آخر الجلة
وتُقصى بنيك وهم بالعرا ... ء نُزْلهمُ الملح والمَلة
ولو كان خبز وتمر لديك ... لما طمعوا منك فى فضلة

وتصبح تَقْلِس عن تخمة كأن جُشاءك عن فجلة
اذا الحي راعهمُ رائع فأرهب من غادة طفلة
وليث يصول على قِرْنه اذا ما دعيت الى أكلة
فلله درك عند الخوا ن من فارس صادق الحملة
وان جاءك الناس في حاجة تفكرت يومين في العلة
وتلقاهمُ أبداً كالحاً كأن قد عَضِضْتَ على بصلة
فهذا نصيبي من خالد لكم هنة بتَّة بتْلة
وانى لصحبته مبغض ولا خير في صحبة السِّفلة

ومن مختار ما قاله فيه

قل لدنيا بالله لا تقطعينا واذكرينا في بعض ما تذكرينا
لا تخوني بالغيب عهد صديق لم تخافيه ساعة أن يخونا
واذكري عيشنا واذ نفض الريـ ـح علينا الخيريّ والياسمينا
حفظ الله اخوتي حيث كانوا من بلاد سارين أم مُدْجِينا
فتية نازحون عن كل عيب وهمُ في المكارم الأولونا
وهمُ الأكثرون يعلم ذاك النـ ـاس والأطيبون للأطيبينا
أزعجتني الأقدار عنهم وقد كنـ ـت بقربي منهم شحيحاً ضنينا
وتبدلت خالداً لعنة اللَّـ ـه عليه ولعنة اللاعنينا
رجل يقهر اليتيم ولا يُؤْ تي زكاة وينهر المسكينا
ويصون الثياب والعرض بالـ ـ ويرائي ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعـ ـطاه آمين عاجلاً آمينا
فلعمرُ المبادرين الى مكـ ـة وفداً غادين أو رائحينا
ان أضياف خالد وبنيه ليجوعون فوق ما يشبعونا

وتراهم من غير نسك يصومو ن ومن غير علة يحتمونا
يا بني خالد دعوه وفِرّوا كم على الجوع ويحكم تصبرونا

قال الرشيد للفضل بن الربيع من أهجى المحدثين عندك يافضل فى عصرنا هذا؟ قال الذى يقول فى ابن عمه

لو كما ينقص يزدا د اذاً نال السماء
خالد لولا أبوه كان والكلب سواء
أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء
ان من كان مسيئاً لحقيق أن يساء

فقال الرشيد هذا ابن أبي عيينة ولعمرى لقد صدقت

كان لأبى عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة أحدهما مهلبى والآخر مولي للأزد وكلهم شاعر ظريف فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جُرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم ، وولى موسى الهادى الخلافة فكتب ابن أبى عيينة الى من كان فى خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة

كيف صبرى ومنزلي جرجان والعراق البلاد والأوطان
نحن فيها ثلاثة حلفاء ونَدامَى على الهوى اخوان
نتساقى الهوى ونطرب للذكـ ـر كما تُطْرِب النَّشاوَى القِيان
واذا ما بكى الحمام بكينا لبكاه كأننا صبيان
يا زمانى الماضى ببغداد عُدْلى طالما قد سررتنى يا زمان
يا زمانى المسىء أحسن فقدماً كان عندى من فعلك الاحسان
ما يريد العذال منى أما يتْـ ـرك أيضاً بغمه الانسان
ويقولون املك هواك وأقصر قلت مالي على الهوى سلطان
أيها الكاتم الحديث وقد طا ل به الأمر وانتهى الكتمان

قد لعمرى عرَّضت حيناً فبين ... ليس بعد التعريض الا البيان
واتخذ خالداً عدواً مبيناً ... ما تعادى الانسان والشيطان
والهُ عنه فما يضرك منه ... عض كلب ليست له أسنان
ولعمري لولا أبوه لنالته ... بسوء مني يد ولسان
قل لفتياننا المقيمين بالبا ... ب ثقوا بالنجاح يا فتيان
لاتخافوا الزمان قد قام موسى ... فلكُمْ من رَدَى الزمان أمان
أوَ لم تأته الخلافة طوعاً ... طاعة ليس بعدها عصيان
فهي منقادة لموسى وفيها ... عن سواه تقاعس وحِران
قل لموسى يامالك الملك طوعاً ... بقياد وفى يديك العِنان
أنت بحر لنا ورأيك فينا ... خير رأى رأى لنا سلطان
فاكفنا خالداً فقد سامنا الخَسْ ... ف رماه لحتفه الرحمن
كم الى كم يُغْضَى على الذل منه ... والى كم يكون ذاك الهوان

فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادى أمر له بصلة وأعطاه ما فات من رزقه وأقفله من جيش خالد اليه

يزيد المهلبي

كان أخص الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة فسمع كلامه فاستحسنه، فأخذه اليه فجعله فى جلسائه، وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه، فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به، فلما أفضت اليه الخلافة استأذن عليه، فحجبه وأمر بأن يعتقل فى الدار فحبس أكثر يومه، ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده فأمره بالجلوس ثم استأذنه فى الانشاد فأذن، فأنشده

ألا يا قوم قد برح الخفاء ... وبان الصبر منى والعزاء
تعجب صاحبى لضياع مثلى ... وليس لداء محروم دواء
جفانى سيد قد كان براً ... ولم أذنب فما هذا الجفاء
حللت بداره وعلمت أنى ... بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسى فى ذراه ... حجبت بعقب مابعد الرخاء
فان تنأى ستورَ الاذن عنا ... فما نأت المحبة والثناء
وان يك كادنى ظلماً عدو ... فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر ان بالآفاق منا ... جماجم حشو أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زياد ... وقال مقالة فيها شفاء
ألا يا رب مغموم سيحظى ... بدولتنا ومسرور يساء
أمنتصر الخلائف جدت فينا ... كما جادت على الأرض السماء
وسعت الناس عدلاً فاستقاموا ... بأحكام عليهن الضياء
وليس يفوتنا ما عشت خير ... كفانا أن يطول لك البقاء

تم الجزء السابع

ويليه الجزء الثامن وأوله

مسلم بن الوليد

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	**شعراء بني عبد مناف**
٢	الأسود بن عمارة
٣	العبلى
١٠	أبو قطيفة
٢٦	يزيد بن معاوية
٢٨	خالد بن يزيد
٢٩	العرجى
٣٧	عبد الرحمن بن الحكم
٤٥	أم حكيم
٤٨	آدم بن عبد العزيز
٥٠	الوليد بن يزيد
٨٠	نصيب
١٠٠	الفضل بن العباس اللهبى
١٠٤	الحسين بن عبد الله
١٠٥	عبد الله بن معاوية
١١٦	عبد الله بن الحسن
١٢٢	الحسين بن علي
١٢٥	ابن رهيمة المدنى
١٢٧	عبد الله بن جحش الصعاليك
١٢٨	**الطبقة الثالثة**
١٢٨	**الشعراء المحدثون**
١٢٨	**شعراء قحطان**
١٢٨	**شعراء حمير**
١٢٨	ابن وهيب
١٣٧	**شعراء كندة**
١٣٧	اسمعيل القراطيسى
١٣٨	**شعراء مذحج**
١٣٨	سليمان بن وهب
١٤٤	**شعراء أنمار**
١٤٤	محمد بن بشير
١٥٤	**شعراء طيء**
١٥٤	أبو تمام
١٦٦	البحترى

تابع الفهرست

ص	الموضوع
١٨٠	شعراء حكوم
١٨٠	أبو نواس
٢٢٣	شعراء الازد
٢٢٣	أبو الشيص
٢٢٦	دعبل
٢٤٣	عبد الله بن طاهر
٢٤٦	ابن أبي عيينة
٢٦٣	يزيد المهلبي

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الثامن

فى الشعراء الإسلاميين والمحدثين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء الأزد

مسلم بن الوليد

هو مسلم بن الوليد مولي الأنصار يلقب صريع الغوانى ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة ، وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى فانه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفاً فى شعره ، قال محمد بن يزيد كان مسلم شاعراً حسن النَّمَط جيد القول فى الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبى نُواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى الظريفة واستخرجها ، وقال القاسم بن مهرويه أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائىّ بعده فتفنن فيه

وقال ابن قُتيبة عبد الله بن مسلم الدِّينَورى كان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين الى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن منصور بن زياد ثم الفضل بن سهل بعد ذلك وقلد الفضل مسلما المظالم بجرجان فمات بها

قال محمد بن يزيد كان السبب فى قول مسلم

تَدّعى الشوق ان نأت وتجَنى اذا دنت

سرنى لو صبرت عنها فتُجزَى بما جنت

ان سلمى لو اتقت ربها فىّ أنجزت

زرعت فى الحشى الهوى وسقته حتى نبت

أنه علق جارية ذات خطر وشرف وكان منزلها فى مهبّ الشمال من منزله وفى ذلك يقول

أحبّ الريح ان هبت شمالا وأحسدها اذا هبت جنوبا
أهابك أن أبوح بذات نفسى وأفرق ان سألتك أن أخيبا
وأهجر صاحبي حُبّ التجني عليه اذا تجنيتُ الذنوبا
أيصبر عاشق هجر الحبيبا أجن فؤاده شوقا عجيبا
ولو حملت نفسى الصبر عنها لكان الصبر في قلبي غريبا
كأنى حين اغضى عن سواكم أخاف لكم على عيني رقيبا

وكانت له جارية يرسلها اليها ويُبثها سره وتعود اليه بأخبارها ورسائلها فطال ذلك بينهما حتى أحبتها الجارية التي علقها مسلم ومالت اليها ، وكلتاهما فى نهاية الحسن والكمال ، وكان مسلم يحب جاريته هذه محبة شديدة ولم يكن يحب تلك انما كان يريد التغزل والمجون والمراسلة وأن يشيع له حديث بهواها وكان يرى ذلك من الملاحة والظَّرف والأدب ، فلما رأى مودة تلك الجارية هجر جاريته مظهرا لذلك وقطعها عن الذهاب الى تلك فذلك قوله « وأهجر صاحبى » البيت وراسلها مع غير جاريته الأولى وقال ما تقدم

لقى مسلم أبا نواس فقال له ما أعرف لك بيتاً الا فيه سقط ، قال له فما تحفظ من ذلك ؟ قال قل أنت ما شئت حتى أريك سقطك فيه ، فأنشد

ذكر الصبوح بسُحْرة فارتاحا وأملّه ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم فلم أملّه وهو الذي أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس فأنشدنى شيئاً من شعرك ليس فيه خلل فأنشده مسلم

عاصَى الشباب فراح غير مفنَّد وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس قد جعلته رائحاً مقيما فى حالة واحدة وبيت واحد ، فتشاغبا وتسابّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء فقال له بعضهم أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد ؟ قال حيث يقول ماذا ؟ قال حيث يقول وقد رثى رجلا

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطِيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال

قبحت مناظره فحين خبرته حُسنت مناظره لقبح المَخبَر

وتغازل فقال

هَوًى يجِدّ وحبيب يلعب أنت لقًى بينهما معذب

فقال المأمون هذا أشعر من خضم اليوم فى ذكره

قال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد يوماً فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى ، فأتيته لابساً سلاحي مستعدا لأمر ان أراده منى ، فلما رآنى ضحك الي ثم قال يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة لا يأمن الدهرَ أن يُدعَى على عجل
صافى العِيان طَموح العين همته فك العُناة وأسر الفاتك الخَطِل

فقال لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد ، فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له يا يزيد من الذى يقول فيك

لا يعبق الطيب خديه ومفرِقه ولا يُمَسِّح عينيه من الكُحُل
اذا انتضى سيفه كانت مسالكه مسالك الموت فى الأبدان والقُلل
وان خلت بحديث النفس فكرته حَيَّ الرجاءُ ومات الخوف من وجل
كالليث ان هِجْته فالموت راحته لا يستريح الى الأيام والدول

فقال لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هرون أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خَجِلا ، فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال له مَنْ بالباب من الشعراء ؟ قال مسلم بن الوليد ، قال وكيف حجبته عنى فلم تُعلمني بمكانه ؟ فقال أخبرته أنك مُضيَّق وأنه ليس فى يديك شيء تعطيه اياه وسألته الامساك والمقام أياماً الى أن تتسع ، فأنكر ذلك وقال أدخله فأدخله اليه ، فأنشده قوله فيه

اجررت[1] حبل خليع فى الصِّبا غَزِل وقصرت همم العُذّال فى عذَلى
هاج البكاء على العين الطُّموح[2] هَوًى مفـرَّق بين توديع ومحتمل
كيف السلو لقلب راح مختبلا يهذِى بصاحب قلب غير مختبل
عاصى العزاء غداة البين منهمل من الدموع جرى فى إثر منهمل
لولا مداراة دمع العين لانكشفت منى سرائر لم تظهر ولم تُخَل[3]
اما كفى البين أن أرمى بأسهمه حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجُل
مما جنى لى وان كانت مُنًى صدقت صبابةً خُلَسُ التسليم بالمقل
ماذا على الدهر لو لانت عريكته ورد فى الرأس منى سَكرة الغزَل
جُرْم الحوادث عندي انها اختلست منى بنات غِذاء الكَرْم والكِلَل[4]
ورب يوم من اللذات محتضَر[5] قصرته بلقاء الراح والخُلَل

(١) أجررت فلانا رسنه اذا مهلت له في ارادته ، والخليع الذى خلع عذاره فى الصبا (٢) الطموح المرتفعة فى النظر الى الاحبة ومفرق مقسم (٣) أى لم تظن بى (٤) يريد الخمر والجوارى (٥) محتضر أى احتضرت فيه اللذات وخالطتها والخلل جمع خلة وهى الصديقة

وليلة خُلِست للعين من سِنة[1] هتكت فيها الصِّبا عن بيضة الخجل
قد كان دهري وما بي اليوم من كبر شربَ المدام وعزْف القينة العُطُل
اذا شكوت اليها الحب خفَّرها شكواي فاحمر خداها من الخجل
كم قد قطعت وعين الدهر راقدة أيامه بالصبا واللهو والجذل
وطيبِ الفرع أصفاني مودته كافأته بمديح فيه منتخل[2]
وبلدة لمطايا الركب منْضية[3] أنضيتها بوجيف الأَنْيق الذُّلل
فيم المقام وهذا النَّجم[4] معترضا دنا النَّجاء وحان السير فارتحل
يا مائل الرأس ان الليث مفترس ميلَ الجماجم والأعناق فاعتدل
حَذارِ من أسد ضِرْغامة بطل لا يولغ السيف الا مهجة البطل
لولا يزيد لأَضحى الملك مُطَّرَدا[5] أومائل السَّمْك أو مسترخي الطِّوَل
سلّ الخليفة سيفا من بني مطر أقام قائمه من كان ذا ميَل
كم صائل في ذرا تمهيد مملكة لولا يزيد بني شيبان لم يَصُل
ناب الامام الذي يفتَرّ عنه اذا ما افترت الحرب عن أنيابها العُصُل
من كان يَخْتِل قِرْنا عند موقفه فان قِرْن يزيد غير مختتل
سد الثغور يزيد بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالخَتْل والحيل
كم قد أذاق حِمام الموت من بطل حامي الحقيقة لا يؤتى من الوَهَل
أغرّ أبيض يُغشِي البَيْض أبيض لا يرضى لمولاه يوم الرَّوع بالفشل
يَغشَى الوغى وشهاب الموت في يده يرمي الفوارس والأبطال بالشُّعل
يفتَرّ عند افترار الحرب مبتسما اذا تغير وجه الفارس البطل
موفٍ على مُهج واليوم ذو رَهَج كأنه أجل يسعى الى أمل

(١) خفرها أي ولد عليها الخفر وهو شدة الحياء (٢) أي مختار (٣) منضية متعبة والوجيف ضرب من السير والذلل الضامرات (٤) يريد بالنجم الثريا ومعترضا أي منتصبا (٥) مطردا أي مخذولا وضرب السمك والطول مثلا

ينـــال بالرفق ما يَعيا الرجال به ... كالموت مستعجلا يأتى على مَهَل
لا يُلقح الحرب الا رَيْث يَنْتُجها ... من هالك وأســير غير مختتل
ان شيم بارقه حالت خلائقــه ... بين العطية والامساك والعلَل
يُغشى المنايا المنـــــايا ثم يفرُجها ... عن النفوس مُطلاتٍ على الهَبَل (١)
لا يرحل الناس الا حول حجرته ... كالبيت (٢) يُضحِي اليه ملتقى السبل
يَقرى المنيــة أرواح الـكماة كما ... يَقرى الضيوف شحوم الكُوم والبُزُل (٣)
يكسو السيوفَ دماء النا كثين به ... ويجعل الهام تيجان القَنا الذُّبُل
يغدو فتغدو المنـــــايا فى أسنته ... شوارعا تتحدى الناس بالأجل
اذا طغت فئة عن غِبّ طاعتهـا ... عبّى لها الموت بين البيض والأسَل
قد عود الطير عادات وثِقْن بها ... فهن يتبعنه فى كل مرتحَل
تراه فى الأمن فى درع مضاعفة ... لا يأمن الدهرَ أن يدغى على عجل
صافى العيان طموح العين همته ... فك العُناة (٤) وأسر الفاتك الخطِل
لا يعبق الطيب خديه ومفرِقه ... ولا يمسِّح عينيــه من الكُحُل
اذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت فى الأبدان والقُلَل
وان خلت بحديث النفس فكرته ... حيَّ الرجاء ومات الخوف من وجل
كالليث ان هِجته فالموت راحته ... لا يســتريح الى الأيام والدول
ان الحوادث لم ارمن هَضْبته (٥) ... أزمعن عن جار شيبان بمنتقَل
فالدهر يغبط أولاه أواخـــرَه ... اذ لم يكن كان فى أعصاره الأول
اذا الشريكى (٦) لم يفخرَ على أحد ... تكلم الفخر عنه غير منتحل

(١) الهبل الفقدان (٢) يعنى البيت الحرام (٣) الـكوم العظام الاسنمة واحدها كوماء والبزل جمع بازل وهو ماله تسعة أعوام (٤) جمع عان وهو الاسير والخطل ذو الخطـل وهو الخطأ (٥) هذا مثل يريد لم ارامت الحوادث من استجار به (٦) نسبة الى شريك وهو أحد أجداد يزيد

لا تُكذَبن فان الحلم معدنه ... ورائة فى بني شيبان لم تزل

سلّوا السيوف فأغشَوْا من يحاربهم ... خبْطا بها غير ما نُكْل ولا وُكُل

الزائدون قوم فى رماحهم ... خوف المخيف وأمن الخائف الوجِل

كبيرهم لا تقوم الراسيات له ... حلما وطفلهمُ فى هدى مكتهل

اسلم يزيد فما فى الدين من أوَد ... اذا سلمت وما فى الملك من خلَل

أثبتّ سوق بنى الاسلام فاطّأدت[1] ... يوم الخليج وقد قامت على زَلَل

لولا دفاعك بأسَ الروم اذ بكرت ... عن[2] عِترة الدين لم تأمن من الثّكَل

ويوسف[3] البَرْم قد صبحت عسكره ... بعسكر يلفظ الأقدار ذي زَجَل

غافصته يوم عَبْر النهر مُهْلته ... وكان محتجزا فى الحرب بالمُهَل

والمارق ابن طَريف[4] قد دَلفت له ... بعسكر للمنايا مسبِل هَطِل

لما رآك مجدّا فى منيته ... وأن دفعك لا يسطاع بالحيل

شام النزال فأبرقت اللقاء له ... مقدِّم الخطو فيها غير متّكل

ماتوا وأنت غليل فى صدورهمُ ... وكان سيفك يُستشفى من الغُلَل

لو أن غير شريكى أطاف به ... فاز الوليد بقِدْح الناضل الخَصِل[5]

وقمت بالدين يوم الرّسّ[6] فاعتدلت ... منه قوائم قد أوفت على مَيَل

ما كان جمعهمُ لما لقيتهمُ ... الا كمثل نعام رِيعَ منجفِل

تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهمُ ... لآب جيشك بالأسرى وبالنَّفَل

كم آمن لك نأى الدار ممتنع ... أخرجته من حصون الملك والحَوَل

يأبى لك الذمّ فى يوميك ان ذكرا ... عَضْب حسام وعرض غير مبتذَل

ومارقين غزاةٍ من بيوتهمُ ... لا ينكلون ولا يؤتَوْن من نَكَل

---

(١) اطأدت ثبتت (٢) عترة الدين جماعة الاسلام (٣) أحد الخوارج على الرشيد (٤) هو الوليد بن طريف الشارى (٥) الناضل المصيب والخصل مثله (٦) الرس وادى أذربيجان

خلّفتَ أجسادهم والطير عاكفة فيها وأقفلتهم هاما مع القفل
فافخر فمالك فى شيبان من مثل كذاك ما لبني شيبان من مَثل
لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل
قد أعظموك فما تدعى لهيّنة الا لمعضلة تستنّ (١) بالعضل
يا رب مكرُمة أصبحت واحدها أعيت صناديد راموها فلم تُنَل
تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها وأنت من بذْلك المعروف فى شُغُل
أقسمت ماذُبّ عن جَدْواك طالبها ولا دفعت اعتزام الجد بالهزَل
يأبى لسانك منع الجود سائله فما يلجلِج بين الجود والبخَل
صدقت ظنى وصدقت الظنون به وحطّ جودك عقد الرحل عن جملى

فقال له يزيد قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذِر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفاً منها لك وخمسون الفاً لنفقته ، فأعطاه اياها وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد فأمر ليزيد بمائتى ألف درهم وقال اقض الخمسين الألف التى أخذها الشاعر وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتكّ ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفاً أخرى

ولما أنشده « لا يعبق الطيب » البيت قال لجاريته حرم علينا مسلم الطيب

كان مسلم جالساً بين يدى يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهم له ، فقرأه سرا ووضعه ثم أعاد قراءته ووضعه ثم أراد القيام فقال له مسلم

الحزم تحريقه ان كنت ذا حذر وانما الحزم سوء الظن بالناس
لقد أتاك وقد أدى أمانته فاجعل صيانته فى بطن أرماس

فضحك يزيد وقال صدقت لعمرى ومزّق الكتاب وأمر باحراقه

(١) تستن بالعضل أى تتابع بالعسر والمعضلة الداهية

لما مات يزيد انقطع مسلم الى ابنه محمد ومدحه كما مدح أباه فلم يصنع اليه خيرا ولم يُرضه ما فعله فهجره وانقطع عنه فكتب اليه يستجفيه ويلومه على انقطاعه عنه ويذكره حقوق أبيه عليه فكتب اليه مسلم

لبست عَزاء عن لقـــاء محمد ... وأعرضت عنه منصفا وودودا
وقلت لنفس قادها الشوق نحوه ... فعوضها حب اللقاء صُدودا
هَبيه امرأ قد كان أصفاك ودَّه ... فمـــات والا فاحسبيه يزيدا
لعمرى لقد ولى فلم أَلقَ بعـده ... وفاء لذى عهد يعدّ حميـــدا

ومما رثى به مسلم يزيد قوله

قبر بَبَرْذعة [1] استسر ضريحُه ... خَطَرا تقاصَرُ دونه الأخطار
أجل تنافسه الحِمام وحفـــرة ... نفست عليها وجهك الأحجار
أبقى الزمان على ربيعـة بعـده ... حزنا كعمر الدهر ليس يعـار
سلكت بك العرب السبيل الى العلى ... حتي اذا بلغ المـدى بك حاروا
نفضت بك الأحلاسُ نفض اقامة ... واسترجعت رُوّادَها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مُزْنة ... اثنى عليهـا السهل والأوعار

كان دواد بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء فى السنة مجلساً واحـداً فيقصدونه لذلك اليـوم وينشدونه ، فوجه اليه مسـلم راويته بقصيدته التي أولهـا « لا تدع بى الشوق » فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدم الى الحاجب وحسر لثامه عن وجهـه ، ثم قال له استأذن لى على الأمير ، قال ومن أنت ؟ قال شاعر ، قال قد انصرم وقتك وانصرف الشـعراء وهو على القيام ، فقال له ويحك انى قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العـرب مثله ، وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع ، فقال هات حتى أسمع فان كان الامر كما

(١) بلد فى أقصى أذربيجان

ذكرت أوصلتك اليه ، فأنشده بعض القصيدة ، فسمع شيئاً يقصر عنه الوصف ، فدخل على داود فقال له قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيك مثله ، فقال أدخل قائله ، فلما مَثَل بين يديه سلم وقال قدمت على الأمير أعزه الله بمدح يسمعه فيعلم تقدمي على غيري ممن امتدحه ، فقال هات ، فلما افتتح القصيدة وقال « لا تدع بي الشوق » استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ثم رفع رأسه اليه فقال أهذا شعرك ؟ قال نعم أيها الأمير ، قال في كم قلته يا فتى ؟ قال في أربعة أشهر أبقاك الله ، قال لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً وقد انهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله وأمرت بالاجراء عليك فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والا حرمتك ، فقال أو الاقالة أعز الله الأمير ، قال قد أقلتك ، قال الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، فقال أنا ابن حاتم انك لما افتتحت شعره فقلت « لا تدع بي الشوق انى غير معمود » سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالسا ثم قال يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة الى مسلم مائة ألف درهم ، وهذه هي القصيدة

لا تدعُ بي الشوق انى غير معمود ... نهى النُّهي عن هوى الهيف الرعاديد[1]

لو شئتُ لاشئت راجعت الصِّبا ومشت ... فيَّ العيون وفاتنني بمجلود[2]

سل ليلة الخيف هل أمضيت آخرها ... بالراح تحت نسيم الخُرَّد الغيد

شجّجتها بُلعاب المزن فاغتزلت[3] ... نسجين من بين محلول ومعقود

كلا الجديدين قد طعمت حَبْرته[4] ... لو آل حي الى عمر وتخليد

---

(١) لا تدع بي الشوق اى لا تدعني مشتاقاً ، وسأله دعبل عن معنى ذلك فقال لا تدعني صريع الغوانى فلست كذلك وكانى لهذا اللقب كارها ومعمود عاشق والهيف الضامرات الخصور والرعاديد مرتجات الاكفال (٢) أى ذهبت بجلدى (٣) اغتزلت اختلطت ، ويريد بالنسجين ان ما ولى الماء من الخمر أسرع فيه الماء فحله وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يحله الماء بعد

(٤) الحبرة النعيم

أهلا بوافدة للشيب واحدة ... وان تراءت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهباء، قد سكنت ... نفسي الى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهني فنَدٌ[1] عنها ولا كبر ... لكن صحوت وعصني غير مخضود
أوفى بي الحلم واقتاد النهى طلقا ... شأوي وعفت الصبا من غير تفنيد
اذا تجافت بي الهمات عن بلد ... نازعت أرضا ولم أحفل بتمهيد
لا تطيبني[2] المنى عن جهد مطلب ... ولا أحول لشيء غير موجود
ومجهلٍ كاطراد السيف محتجز ... عن الأدلاء مسجور الصياخيد
تمشي الرياح به حسرى مولهة ... حيرى تلوذ بأطراف الجلاميد
موقف المتن لا تمضي السبيل به ... الا التخلل ريثا بعد تجهيد
قريته الوخد من خطارة[3] سرح ... تفري الفلاة بإرقال وتوخيد
اليك بادرت إسفار الصباح بها ... من جنح ليل رحيب الباع ممدود
وبلدة ذات غول لا سبيل بها ... الا الظنون والا مسرح السيد
كأن أعلامها والآل يركبها ... بدن توافي بها نذر الى عيد
كافت أهواها عينا مؤرقة ... اليك لولاك لم تكحل بتسهيد
حتى أتتك بي الآمال مطلعا ... لليسر عندك في سربال محسود
من بعد ما ألقت الأيام لي عرضا ... ملقى رهين[4] لحد السيف مصفود
وساورتني بنات الدهر فامتحنت ... ربعي بممحلة[5] شهباء جارود
الى بني حاتم أدى ركائبنا ... خوض الدجى وسرى المهرية القود
تطوى النهار فان ليل تخمطها[6] ... باتت تخمط هامات القراديد

---

(١) الفند اللوم والمخضود الواهن (٢) أي لا تدعوني الى نفسها (٣) الخطارة الناقة تحرك ذنبها والسرح الخفيفة (٤) الرهين الاسير والمصفود الموثق بالحديد (٥) الممحلة السنة الجدبة والجارود المنجردة من النبات (٦) تخمطها سال بها والقراديد جمع قردد وهو المرتفع من الجبال

مثل السَّمام[١] بعيدات المقيل اذا ... ألقى الهجير يدا فى كل صيخود
حلت بداود فامتاحت وأعجلها ... حذوَ النعال على أيْن وتحريد[٢]
أعطى فأفنى المنى أدنى عطيته ... وأرهق الوعد نُجْحا غير منكود
والله أطفأ نار الحرب اذ سُعِرت ... شرقا بموقدها فى الغرب داود
لم يأت أمراً ولم يظهرُ على حدث ... الا أعين بتوفيق وتسديد
موحّد الرأى تنشق الظنون له ... عن كل ملتبس منها ومعقود
تُمنَى الأمور له من نحو أوجهها ... وان سلكن سبيلا غير مورود
اذا أباحت حِمَى قوم عقوبتُه ... غادى له العفو قوما بالمراصيد
كالليث بل مثله الليث الهَصور اذا ... غني الحديد غِناء غير تغريد
يلقَى المنية فى أمثال عُدتها ... كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
ان قصر الرمح لم يمش الخُطا عددا ... أو عرّد السيف لم يَهْمُم بتعريد
اذا رعى بلدا دانى مناهلَه ... وان بُنين على شحط وتبعيد
جرى فأدرك لم يُعنف بمُهلته ... واستودع البُهرُ[٣] أنفاس المجاويد
آل المهلَّب قوم لا يزال لهم ... رق الصَّريح[٤] وأسلاب المذاويد
مظفَّرون تصيب الحربُ أنفسهم ... اذا الفِرار تمطّى بالمحايد[٥]
نجل مناجيبَ لم يَعدَم تِلادُهم ... فتى يرجى لنقض أو لتوكيد
قوم اذا هدْأة[٦] شامت سيوفهم ... فانها عُقُل الكُوم المقاحيد
نفسى فداؤك يا داود اذ علِقت ... أيدى الردى بنواصي الضُّمّر القُود
داويت من دائها كرْمان وانتصفت ... بك المنون لأقوام مجاهيد
ملأتها فزعاً أخلى معاقلها ... من كل أبلخ[٧] سامي الطرف صنديد

---

(١) السمام طائر يشبه القطا والصيخود شدة الحر (٢) التحريد من الحرد وهو داء يصيب الابل فى قوائمها والأين الفترة (٣) البهر الكلال (٤) رق الصريح اى استعباد الحر والمذاويد الانجاد واحدها مذود (٥) المحايد الجبناء جمع محياد (٦) الهدأة الفترة (٧) الابلخ المتكبر

لما نزلت على أدنى بلادهمُ ... ألقى اليك الأقاصى بالمقاليد

لمستهم بيد للعفو متصل ... بها الرَّدَى بين تليين وتشديد

أتيتهم من وراء الأمن مطلعا ... بالخيل تَرْدِي بأبطال مناجيد

وطار فى إثر من طار الفرار به ... خوف يعارضه فى كل أُخدود

فاتوا الردى وظُبات الموت تنشدهم ... وأنت نَصب المنايا غير منشود

ولو تلبث دَيّان [١] لها رَوِيت ... منه ولكن شآها عدوَ مزءود

أحرزه أجل ما كاد يحرزه ... فمر يطوى على أحشاء مفؤد [٢]

ورأس مِهْران [٣] قد ركبت قُلَّته ... لَدْنا كفاه مكان اللِّيت والجيد

قد كان فى معزل حتى بعثت له ... أم المنية فى أبنائها الصِّيد

أجُنّ أم أسلمته الفاضحات الى ... حد من السيف من يعلق به يود

ألحقته صاحبيه فاستمر بهم ... ضرب يفرق ضَبّات [٤] القماحيد

أعذَر [٥] من فر من حرب صبرت لها ... يومَ الحُصَين شعار غير محمود

يوم استَضَبَّت سِجِسْتان [٦] طوائفها ... عليك من طالبٍ وِترا ومحقود

ناهضتهم ذائد الاسلام تقرعهم ... عنه ثُلاثَ ومثنى بالمواحيد

تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تلك الأزارق اذ ضل الدليل بها ... لم يُخطِها القصد من أسياف داود

كان الحصين يرجى أن يفوز بها ... حتى أخذت عليه بالأخاديد

ما زال يعنُف بالنعمى ويغمطها ... حتى استقل به عود على عود

وضعته حيث ترتاب [٧] الرياح به ... وتحسد الطيرَ فيه أضبُعُ البيد

---

(١) ثائر وشآها سبقها ومزءود مرعوب (٢) المفؤد الذى أصيب فؤاده (٣) ثائر بين القفا وأعلى الرأس (٤) الضبات أوصال الرأس والقماحيد جمع قمحدوة وهى العظم النائىء فى مؤخر الرأس (٥) أعذر جاء بما يعذر عليه (٦) أى أغرت طوائفها (٧) ترتاب أى تستنكر

تغدو الضوارى فترميه بأعينها ... تستنشق الجو أنفاساً بتصعيد

يتبعن أفياءه [١] طورا وموقعه ... يَلغَنْ فى عَلَق منه وتجسيد

فكان فارط قوم حان مَكْرَعهم ... بارض زادان شتّى فى المواريد

يومَ جُراشةَ اذ شيبان موجفة [٢] ... ينجون منك بشِلْو منه مقدود

زاحفته بابن سفيانَ فكان له ... ثناء يوم بظهر الغيب مشهود

نجا قليلا ووافى زجرُ عائفه ... بيومه طيرَ منحوس ومسعود

ولى وقد جرَعت منه القنا جُرَعا ... حَيَّ المخافةِ ميتا غير مودود

زالت حُشاشته عن صدر معتدل ... دانى الكُعوب بعيد الصدر أملود [٣]

اذا السيوف أصابته تقطع فى ... سُرادق بحوامى الخيل ممدود

يَفدى بما نحلته من خلافته ... حُشاشة الركض من جرداء قيدود [٤]

حل اللواء وخال الخِدْر عائذه ... فعاذ بالخدر ترب الكاعب الرُّود

وان يكن شبَّها حرب وقد خمَدت ... فنائياً حيث لاهَيْدٍ ولا هِيد [٥]

كلٌّ مثَلت به فى مثل خُطَّته ... قتلا وأضجعته فى غير ملحود

عافوا رضاك فعاقبتهم بعقوبتهم [٦] ... عن الحياة منايا هم لموعود

وأنت بالسِّند اذ هاج الصريخ بها ... واستنفدت حربها كيد الكايد

واستغزر القوم كأساً من دمائهم ... وأحدق الموت بالكُرّار والحِيد

رددت أهمالها [٧] القُصوى مخيَّسة ... وشمت باليض عورات المراصيد

كنت المهلب حتى شك عالمهم ... ثم انفردت ولم تُسبق بتسويد

---

(١) الأفياء جمع فيء وهو الظل آخر النهار والجسد الدم (٢) موجفة سريعة (٣) أملود أملس (٤) الجرداء القصيرة الشعر والقيدود الناقة الطويلة الظهر (٥) كلمتان يزجر بهما الابل (٦) بعقوبتهم أى بفنائهم (٧) الأهمال جمع همل وهو الشيء المسيب ويراد به الصعب ومخيسة مذللة

لم تقبل السلم الا بعد مقدرة ... ولا تألفت الا بعد تبديد
حتى أجابوك من مستأمن حذِر ... راج ومنتظر حتفا ومشمود
أهدى اليك على الشحناء ألفتهم ... موت تفرق فى شتّى عباديد
وفى يديك بقايا من سراتهم ... هم لديك على وعد وتوعيد
أن تعف عنهم فأهل العفو أنت وان ... تمض العقاب فأمر غير مردود
اسمع فانك قد هيجت ملحمة ... وفدت منها بأرواح الصناديد
اقذف أبا مالك فيها يكبنك بها ... ويسعَ فيها بجد منك مجدود
يمضى بعزمك أو يجرى بشأوك أو ... يفري بحدك كل غير محدود
لا يعدمنك حمى الاسلام من ملك ... أقمت قُلّته من بعد تأويد
كفيت فى الملك حتى لم يقف أحد ... على ضياع ولم يحزن لمفقود
أعطيتهم منك نصحاً لا كِفاء له ... وأيدوك بركن غير مهدود
لم يبعث الدهر يوماً بعد ليلته ... الا انبعثت له بالبأس والجود
أجرى لك الله أيام الحياة على ... فعل حميد وجد غير منكود
لا يفقِدِ الدين خيلا أنت قائدها ... يُعهدن فى كل ثَغْر غير معهود
محمّلات اذا آبت غنائمها ... ومُقدَمات على نصر وتأييد
هناك أنك مَغْدَى كل ملتمس ... جوداً وأنك مأوي كل مطرود
تستأنف الحمد فى دهر أوائله ... موسومة بفعال منك محمود
اذا عزمت على أمر بطشت به ... وان أنلت فنيْلا غير تصريد
عودت نفسك عادات خلقت لها ... صدق الاحاديث وانجاز المواعيد

دخل الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعراً فقال له أيها الكهل أنى أجلّك عن الشعر فسل حاجتك ، قال بل تستتم اليد عندى بأن تسمع ، فانشده

دموعها من حذار البين تنسكب ... وقلبها مغرم من حرّها يَجِب

جد الرحيل به عنها ففارقها لِبَيْنه اللهو واللذات والطرب
يهوى المسير الي مَرْو ويَحْزُنه فراقها فهو ذو نَفْسين يرتقب

فقال له الفضل انى لأُجلك عن الشعر، قال فأغْنِنى بما أحببت من عملك، فولاه البريد بجُرجان

قال مسلم ان فى شعرى لبيتاً أخذت معناه من التوراة وهو قولي

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطانى

عتب عيسى بن يَزدا بيروذ على مسلم في شيء فهجره وكان اليه محسناً فكتب اليه مسلم

شكرتك للنعمى فلما رميتني بصدك تأديباً شكرتك فى الهجر
فعندى للتأديب شكر وللندى وان شئت كان العفو أدنى الى الشكر
اذا ما التقاك المستليم بعذره فعفوك خير من ملام على عُذر

فرضى عنه وعاد الى حاله

قال دعبل كان مسلم من أبخل الناس فرأيته يوماً وقد استقبل الرضا عن غلام له بعد مَوْجِدة فقال له رضيت عنك وأمرت لك بدرهم

خرج دعبل الى خراسان لما بلغه حظوة مسلم عند الفضل بن سهل، فصار الى مَرْو وكتب الى الفضل

لا تعبأَنْ بابن الوليد فانه يرميك بعد ثلاثة بملال
ان الملول وان تقادم عهده كانت مودته كفَيْءِ ظلال

فدفع الفضل الى مسلم الرقعة وقال انظر يا أبا الوليد الى رقعة دعبل فلما قرأها قال، وكان دعبل يلقب في صغره بمياس

مياس قل لي أين أنت من الورى؟ لا أنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عِرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه عرض عززت به وأنت ذليل

هجا مسلم سعيد بن سلم ويزيد بن مزيد وخزيمة بن خازم فقال

ديونك لا يقضى الزمان غريمها وبخلك بخلُ الباهلى سعيد

سعيد بن سلم ألأم الناس كلهم وما قومه من لؤمه ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا تدارك أقصى مجده بيزيد

خزيمة لا بأسٌ به غير أنه لمطبخه قفل وبابُ حديد

قال الأصمعى قال لى سعيد بن سلم قدمت على امرأة من باهلة من اليمامة فمدحتني بأبيات فما تم سروري بها حتى نغصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغني أنه هجانى به ، فقلت ما الأبيات التى مدحت بها ؟ فأنشدنى

قتيبة قيس ساد قيساً وسلمها فلما تولى ساد قيساً سعيدها

وسيد قيس سيد الناس كلهم وان مات من رغم وذل حسودها

هم رفعوا كتفيك بالمجد والعلا ومن يرفع الأبناء الا جدودها

اذا مد للعليا سعيد يمينه ثنت كفه عنها أكفّ تريدها

فقلت له فبأى شىء نغصها مسلم ، فضحك ثم قال كلفتنى شططا ثم أنشدنى

وأحببت من حبها الباخلين حتى وَمقت ابن سلم سعيدا

اذا سيل عُرفاً كسا وجهه ثياباً من اللؤم حمراً وسودا

يغير على المال فعل الجواد وتأبى خلائقه أن يجودا

لقى محمد بن أمية مسلما وهو يمشى وطويلته مع بعض رواته فسلم عليه ثم قال له قد حضرنى شىء ، فقال هاته ، قال على أنه مزاح ولا تغضب ، قال هاته ولو كان شتما ، فأنشده

من رأى فيما خلا رجلا تيهه أربى على جدته

يتمشى راجلا وله شاكري في قُلَنْسيته

فسكت عنه مسلم ولم يجبه وضحك ابن أبي أمية وافترقا ، وكان لمحمد برذون يركبه ، فنفق ، فلقيه مسلم وهو راجل فقال ما فعل برذونك ؟ قال نفق ، قال فنجازيك اذا على ما أسلفتناه ، ثم أنشده

قل لابن مَيّ لا تكن جازعاً ليس على البِرْذَوْن من فوت
طأطأ من تيهك فُقدانه وكنت فيه عالى الصوت
وكنت لا تنزل عن ظهره ولو من الحُشّ الى البيت
ما مات من حتف ولكنه مات من الشوق الى الموت

قال أحمد بن سعيد الجُرَيري حلف أبو تمام ألاّ يصلي حتى يحفظ شعر مسلم وأبي نُواس ، فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما ، ودخلت اليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له ما هذا ؟ فقال اللاّت والعُزّى وأنا أعبدهما من دون الله

قال دعبل كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم ، وكان مسلم يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نواس ، وكان أبو نواس اذا حضر تخلف مسلم واذا حضر مسلم تخلف أبو نواس ، الى أن اجتمعا فأنشده أبو نواس

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

وأنشده مسلم

لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لأبي نواس كيف رأيت مسلما ؟ فقال هو أشعر الناس بعدي ، وسألت مسلما عنه فقلت كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال هو أشعر الناس وأنا بعده

قال مسلم وجه الى ذو الرياستين فحملت اليه ، فقال أنشدني قولك

بالغَمْر من زينب أطلال مرت بها بعدك أحوال

فأنشدته اياها حتى انتهيت الي قولي

وقائل ليست له همة كلا ولكن ما له مال

وهمة المقتر أمنية ... عون على الدهر وإشغال
لا جدة تنهض فى عزمها ... والناس سؤال وبخال
فاصبر مع الدهر الى دولة ... تحمل فيها حالك الحال

فلما أنشدته هذا البيت قال هذه والله الدولة التي ترفع حالك الحال ، وأمر لي بمال عظيم وقلدنى أو قال قبلني حوز جرجان

هجا مسلم يزيد بن مزيد بعد مدحه اياه فقال

أيزيد انك لم تزل فى خزية ... حتى لففت أباك فى الأكفان
فاشكر بلاء الموت عندك انه ... أودى بلؤم الحى من شيبان

وقال أيزيد يامغرور ألأم من مشى ... ترجو الفلاح وأنت نطفة مزيد
ان كنت تنكر منطقى فاصرخ به ... يوم العروبة عند باب المسجد
فيمن يزيد، فان أصبت بمزيد ... فلأسافهاك على مخاطرة يدى

فشكاه الى الرشيد ، فدعا مسلما وقال أتبيعني عرض يزيد ؟ فقال نعم يا أمير المؤمنين ، فقال له بكم ؟ فقال له برغيف ، فغضب حتى خافه مسلم على نفسه وقال قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ولست أفعل ولا كرامة فقد علمت احسانه اليك وأنا نفي عن أبى والله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك ، فأمسك عنه بعد ذلك وما ذكره بخير ولا شر

دخل مسلم على الفضل بن سهل فأنشده قوله فيه

لو نطق الناس أو أثنوا بعلمهم ... ونبأت عن معالي دهرك الكتب
لم يبلغوا منك أدنى ما يمت به ... اذا تفاخرت الأملاك وانتسبوا

فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألف درهم ، ثم قتل الفضل فقال يزيد

ذهلت فلم أنقع غليلا بعبرة ... وأكبرت أن ألقى بيومك ناعيا
فلما بدا لي أنه لاعج الأسى ... وأن ليس الا الدمع للحزن شافيا

أقمت لك الأنواح ترتد بينها ... مآتم يندبن الندى والمعاليا
وما كان منعى الفضل منعى وحادةٍ ... ولكن منعى الفضل كان مناعيا
أللبأس أم للجود أم لمقاوم ... من الملك يزحمن الجبال الرواسيا
عفت بعدك الأيام لا بل تبدلت ... وكنّ كأعياد فعدن مباكيا
فلم أرَ الا قبل يومك ضاحكا ... ولم أرَ الا بعد يومك باكيا

كان العباس بن الأحنف مع اخوان له فذكروا مسلما فقال بعضهم صريع الغوانى ؟ فقال العباس ذاك ينبغى أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغوانى ، فبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه

بنو حنيفة لا يرضى الدّعىّ بهم ... فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا
واذهب الى عرب ترضى بنسبتهم ... انى أرى لك خلقا يشبه العربا
لقيتني باحتجاج بعد ما رتعت ... فيك القوافى وأبقى وسمها ندبا
هلا وأنت بظهر الغيب تأكلني ... فلا تهنأتني أمسكتَ مُتَّئِبا
مُنّيت منى وقد هاج الرّهان بنا ... بغاية منعتك الفوت والطلبا
فاقعد فأنت طليق العفو مرتهن ... بسَوْرة الجهل ما لم أملك الغضبا

قال ابراهيم الموصلى لمسلم ويحك أما استحييت من الناس حين تهجو خُزيمة بن خازم ولا استحييت منا ونحن اخوانك وقد علمت أنا نتولاه وهو من تعرف فضلا وجوداً ؟ فضحك وقال يا أبا اسحاق لغيرك الجهل ، أما تعلم أن الهجاء الموجع آخذ بضبُع الشاعر وأجدى عليه من المديح المضرِع ، وما ظلمت مع ذلك منهم أحدا ، ومامضى فلا سبيل الى رده ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا ، ثم أنشدنى قوله فى سعيد بن سلم « ديونك لا تقضى » الأبيات ، فقلت له وسعيد بن سلم صديقي أيضاً فهبه لي ، فقال ان أقبلت على ما يَعنيك والا رجعت فيما وهبت لك من خزيمة ، فأمسكت عنه راضياً منه بالكفاف .

دخل مسلم يوماً على الفضل بن جعفر بن يحيى وقد كان أتاه خبر سرّه فجلس للشعراء فمدحوه وأثابهم ونظر فى حوائج الناس فقضاها وتفرق الناس عنه وجلس للشراب ومسلم غير حاضر لذلك وانما بلغه حين انقضى المجلس فجاءه فأدخل اليه، فاستأذن فى الانشاد، فأذن له فأنشده قوله فيه

أتتك المطايا تهتدى بمطيـــة ... عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل

يقول فيها

وردن رواق الفضل فضل بن جعفر ... فحطّ الثناء الجزلَ نائلُه الجزل
فتى ترتعى الآمال مزنة جوده ... اذا كان مرعاها الآمانىّ والبطل
تساقط يمناه ندى وشمـــاله ... ردًى وعيون القول منطقة الفصل
ألحّ على الأيام يقرى خطوبها ... على منهج ألفى أباه به قبـــل
عجول الى ما يودع الحمد ماله ... يعدّ الندى غنما اذا اغتنم البخل
كأن نعم فى فيه يجرى مكانها ... سلالةُ ما مجّت لأفراخها النحل
جرى مذ حواه المهد فى شأو جعفر ... الى غاية يتلو المثالَ الذى يتلو
حمولا لعبء الدهر ينهض عفوه ... به مستقلا حين لا يحمل الثقل
اذا أغمدت هماته خطبا اغتدت ... على منتضى رأى ممرّ به السحل
كأن مجال العين منه وقلبه ... وغرّته نصل حماه الصدى الصقل
أناف به العلياء يحيى وجعفـــر ... فليس له مثل ولا لهما مثـــل
فروع أصابت مغرسا فتمكنت ... وأصلا فصارت حيث وجهها الأصل
لهم هضبة تأوى الى ظل برمك ... منوطا بها الآمال أطنابها السبل
أقرت عليهم نعمـــةَ الله نعمةٌ ... لهم فى رقاب الناس ليس لها نقل
وقوّاحرم الأعراض بالبيض والندى ... فأموالهم نهب وأعراضهم بسل
حبًا لا يطير الجهل فى عذباتها ... اذا هى حلّت لم يفت حلها ذحل

جرى آخذا يحيى مقلّد جعفر ... وصلى أمام السابقين ابنه الفضل
بكف أبي العباس يستمطر الغنى ... وتستنزل النّعمى ويسترعف النصل
ويُستعطف الأمر الأبيّ بحزمه ... اذا الأمر لم يعطفه نقض ولا فتل
له سطوات غِبّها العفو بينها ... فوائد يحصى قبل احصائها الرمل
تُسلّ سخيمات الأمور اذا عرت ... بأروع موقوف على نزعه الخَصْل
اذا خلت الأيام من نشر نعمة ... تراءت له فيها صنائع ما تخلو
مواهب لم تُغصَب فتعقِلْ بمثلها ... ولكن بقيات الثناء لها عَقْل
يلبّي منادي جعفر وابن جعفر ... اذا اعترت النّكباء واحتجن الوبل
بعينيك آمال تروح وتغتدي ... على جوده يقتادها القول والفعل
اذا ما أبو العباس حل ببلدة ... كفاها الحَيا واستُجهل الخوف والمحْل
أتتك الأماني اعتبادا ورغبة ... برِجْل من الآمال يتبعها رجل
تبسم عنك المَهْل في غاية الندى ... كذلك يحيى كان قدمه المهل
أمرّتك آمال فنالت بك الغنى ... وجاءتك أخرى عَلها ابدا نَهْل
وما خوّلتك المكرمات سَجيّة ... حُبيت بها الا وأنت لها أهل
أبوك استرد الشام اذ نفرت به ... ملقّحة شعواء ليس لها بَعْل
بجيش كأن الليل بعض حديده ... تَهادَى الردى فيه الفوارس والرَّجْل
ولما تناءت بالقرابات منهم ... حوادث تَمْريها الوقائع والأزْل
ومالت قَناة الدين فيهم وثُقِّفت ... قناة الردى واستعذب المهجَ القتل
نضا سيفه فيهم بحقن دمائهم ... وسفك دماء عندها ضحك التَّبْل
أقام على أقطارها شاهد الردى ... طليعةَ رأى غِبّه العفو والبذل
اذا شاء أعطته الأنوفَ مقودةً ... صوارم بيض أو رُدَينية ذُبْل
هنالك أضحكن العدى عن نفوسها ... وقد ضحكت دهياء أنيابها عُصْل

مرى لهم خلفين بالحتف والندى ... لكل يد من نزع ساعدها سجل
بعيد الرضا لا يستميل به الهوى ... ولا يتعاطى الجد من رأيه الهزل
اذا افترت الثغر الخطوب انبرى لها ... بعابسة مفترها الأسر والقتل
وتستغرق الشورى بديهة رأيه ... وان كان مضروباً على قلبه الشغل
شهاب أمير المؤمنين الذي به ... أضاء عمود القصد واحتزب العدل
اذا ضيع الرأى استشف كأنه ... شواهق رضوى ليس في خلقه دخل
رقيب على غيب الأمور ورجمها ... برأى قويم منه ما الغصب والختل
يقوم بباغي الدين يحيى وجعفر ... اذا لحى الاسلام واضطرب الحبل
متى شئت رفعت الرواق على الغنى ... اذا أنت زرت الفضل أو أذن الفضل

فطرب الفضل طرباً شديداً وأمر بأن تعد الأبيات ، فعدت فكانت ثمانين بيتاً ، فأمر له بثمانين ألف درهم وقال لولا أنها اكثر ما وصل به الشعراء لزدتك ولكنه شأو لا يمكنني أن أتجاوزه ، يعني أن الرشيد رسمه لمروان بن أبي حفصة وأمره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته ، فأقام عنده وشرب معه ، وكانت على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة ، فلمح الفضل مسلما ينظر اليها فقال قد وحياتي يا أبا الوليد أعجبتك فقل فيها أبياتاً حتى أهبها لك فقال

ان كنت تسقين غير الراح فاسقيني ... كأساً ألذ بها من فيك تشفيني
عيناك راحي وريحاني حديثك لي ... ولون خديك لون الورد يكفيني
إذا نهاني عن شرب الطلا حرج ... فخمر عينيك يغنيني ويجزيني
لولا علامات شيب لو أتت وعظت ... لقد صحوت ولكن سوف تأتيني
أرضى الشباب فان أهلك فعن قدر ... وان بقيت فان الشيب يسليني

فقال خذها بورك لك فيها ، وأمر بتوجيهها مع بعض خدمه اليه

كان لمسلم زوجة من أهله كانت تكفيه أمره وتسره فيما تليه له منه فماتت ،

فجزع عليها جزعاً شديداً وتنسك مدة طويلة وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعض اخوانه ذات يوم أن يزوره ، ففعل ، فأكلوا وقدموا الشراب فامتنع منه مسلم وأباه وأنشأ يقول

بكاء وكأس كيف يتفقان ... سبيلاهما فى القلب مختلفان
دعانى وافراطَ البكاء فانني ... أرى اليوم فيه غير ما ترَيان
غدت والنَّرَى أولى بها من وليها ... الى منزل ناء لعينك دان
فلا حزن حتى تَنْزِف العين ماءها ... وتعترف الأحشاء للخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها ... وسهماهما في القلب يعتلجان

كان مسلم يهاجى الحكم بن قَنْبَر المازنى ، فغلب عليه ابن قنبر مدة وأخرسه ، ثم ثاب مسلم بعد أن انخزل وأُفحِم فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته فكان يهرُب منه فاذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيمسك عن اجابته ثم جاء ابن قنبر الى منزله واعتذر اليه مما سلف وتحمل اليه بأبيه وسأله الامساك عنه فوعده بذلك فقال فيه

حلُم ابن قنبر حين أقصر جهله ... هل كان يحلُم شاعر عن شاعر
ما أنت بالحكم الذى سُمِّيته ... غالتك حلمَك هفوة من قاهر
لولا اعتذارك لارتمى بك زاخر ... مَرِج العُباب يقوت طَرْف الناظر
لا تُرتعنْ لحمى لسانك بعدها ... انى أخاف عليك شفرة جازر
واستغنم العفو الذي أوتيته ... لا تأمننَّ عقوبة من قادر

جاء رجل من الأنصار ثم من الخَزْرَج الى مسلم فقال له ويلك ما لنا ولك ؟ قد فضحتنا وأخزيتنا ، تعرضت لابن قنبر فهاجيته حتى اذا أمكنته من أعراضنا انخزلت عنه وأرعيته لحومنا فلا أنت أمسكت ووسعَك ما وسع غيرَك ولا أنت لما انتصرت انتصفت ، فقال له مسلم فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه فان كف والا تحملت

عليه باخوانه، فان كف والا وكلته الى بغيه ، ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل فان أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو الله عليه فيها فانها تهلكه ، فقال له الأنصارى سخنت عينك بهذا تنتصف ممن هجاك ؟ ثم قال له

قد لاذ من خوف ابن قنبر مسلم ... بدعاء والده مع الأسحار
ورأيت شر وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه الى أخ أو جار
ثكلتك أمك قد هتكت حريمنا ... وفضحت أسرتنا بني النجار
عممت خزرجنا ومعشر أوسنا ... خزيا جنيت به على الأنصار
فعليك من مولى وناصر أسرة ... وعشيرة غضب الاله الباري

فكاد مسلم يموت غماً و بكى وقال له أنت شر على من ابن قنبر ، ثم ثاب وحمي فهتك ابن قنبر ومزقه حتى تركه وتحمل عليه بأبيه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة ، وقد حدثني بخبر مناقضة ابن قنبر جماعة وذكروا قصائدهما جميعاً فوجدت فى الشعر الفضل لابن قنبر عليه لأن له عدة قصائدلا نقائض لها يذكر فيها تعريده عن الجواب وقصائد يذكر فيها أن مسلما فخر على قريش وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ورماه بأشياء تبيح دمه ، فكف مسلم عن مناقضته خوفا منه وجحد أشياء كان قالها فيه

وكان سبب المهاجاة بينهما أن الطِّرِمّاح بن حكيم كان قد هجا بني تميم (انظر ص ١٠٧ من الجزء الثالث) وكان الفرزدق أجاب الطرماح عنها ، ثم ان ابن قنبر قال بعد خبر طويل يرد على الطرماح

يا عاويا هاج ليثاً بالعُواء له ... شَثْن البراثن وَرْد اللون ذالبد
أيَّ الموارد هابت جمّ غمرته ... بنو تميم على حال فلم ترد
ألم ترد يوم قَنْدابيل معلمة ... بالخيل تصبر نحو الأزد كالأسد
بفتية لم تنازعها فتطعنها ... بلؤمها طيء ثذيا ولم تلد

خاضت الى الأزد بحراً ذا غوارب من ... سمر طوال وبحراً من قنا قصد
فأوردتها منايا بمرهفة ... مُلْس المضارب لم تفلل ولم تكد

وهي طويلة وقد قال الطرماح أيضاً

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى ... عظام المخازى عن تميم تجلت

وكان الفرزدق أيضاً أجابه عنها فقال ابن قنبر ينقضها

لعمرك ماضلت تميم ولا جرت ... على إثر أشياخ عن المجد ضلت
ولا جبُنت بل أقدمت يوم كسَّرت ... لها الأزد أغماد السيوف وسلّت
بغائط قندابيل والموت جائل ... عليها بآجال لها قد أظلت
فما برحت تُسقى كؤس حمامها ... اذا نَهِلت كروا عليها فعلَّت
الى أن أبادتهم تميم وأكذبت ... أمانيّ للشيطان عنها اضمحلت
وحان فراق منهم كلَّ خدْلة ... مفارقة بعلا به ما تملَّت

وهي طويلة ، فبلغ مسلما هجاء ابن قنبر للأزد وطيء ورده على الطرماح بعد موته فغضب من ذلك وقال ما المعنى فى مناقضة رجل ميت واثارة الشر بذكر القبائل لا سيما وقد أجابه الفرزدق عن قوله ؟ فأبى ابن قنبر الا تماديا فى مناقضته فقال مسلم قصيدته التي أولها

آيات أطلال برامة دُرَّس ... هجْن الصبابة واسترثْن مُعَرَّسى[1]
أوحت الى دِرَر الدموع فأسبلت ... واستفهمتها غير أن لم تَنْبِس[2]
زجّ[3] الهوى أودع دموعك تبكه ... واجنح الى خطط المتالف واحبس
وكل الزمان الى البلى أطلالها ... فخلت معالمها كأن لم تُؤنَس

(١) أى منعتنى النوم عند ما عرست حين ذكرت الذين كانوا فيها (٢) أى لم تتكلم والدرر جمع درة وهى الدفعة من الدمع او من اللبن (٣) اى ادفعه عن نفسك

ولرب صاحب لذة نادمته ... في روضة أُنُف [١] كريم المَعْطِس
صفراء من حَلَب الكروم كسوتها ... بيضاء من صوب الغمام البُجَّس [٢]
مزجت ولاوذها [٣] الحَباب فحاكها ... فكأن حليتها جنيّ النرجس
وكأنها والماء يطلب حلمها ... لهب تلاطمه الصَّبا فى مَقْبس
جهلت فدارى جهلها فتبسمت ... عن مُشْرَب لون الشهولة أعيس [٤]
والناس كلهم لضِئ [٥] واحد ... ثم اختلاف طبائع في أنفس
حتى اذا نَضَب النهار وأُدرجت ... فى الليل شمس نهاره المتورِّس
ساورته فامتد ثم تقطعت ... أنفاسه فى صبحه المتنفس
والعِيس عاطفة الرءوس كأنما ... يختِلْن سر محدث فى الأحلُس [٦]
يخرجن من ليل كأن نجومه ... أسيافنا يوم العجاج الأغبس [٧]
ثم استقلّت بالحتوف رماحنا ... والخيل في ليل مُسَدًّى مُلْبَس
و بوارق الأغماد تبدو تارة ... حمراً وتخفى تارة في الأرؤس
حرب يكون وقودها أبناؤها ... لَقِحت على عُقْر ولما تَنْفِس [٨]
من هارب ركب النجاء ومُقْعَص [٩] ... جثمت منيته على المتنفس
غصبته أطراف الأسنة نفسه ... فثوى فريسة وُلَّغ أو نُهَّس [١٠]
ان كنت نازلة اليفاع فجنبي ... دار الرِّباب وخزرجى أو أوسى
وتجنبي الخضراء إن سيوفهم ... حُدُث وان قناتهم لم تَضْرَس
رفعت بنو النجار بيتى فيهم ... ثم انتميت فأفسحوا فى المجلس

---

(١) اى صحيحة لم ترع (٢) المنسكبات (٣) أى تابعها ، فحاكها اى نسجها (٤) العيس لون بين البياض والحمرة والمشرب المشبع من كل لون يكون (٥) اى لأصل واحد (٦) جمع حلس وهو كساء يلقى على ظهر البعير تحت الرحل لئلا يؤذيه الرحل (٧) الاغبس الأغبر (٨) يقول حملت بعد ان كانت عاقرا ولما تنفس اى ولم تلد (٩) أى مقتول مكانه لا يزول (١٠) النهس الأكلات اللحم بأفواهها والولغ التى تلغ فى الدم أى تلعقه

هل طيء الأجبال شاكرة امرىء ذاد القوافي عن حماها الأقعس
وحمي أبا نفر[1] عظام حفيرة درست وباقي عزها لم يدرس
كافأت نعمتها بفضل بلائها ثم انفردت بمنصب لم يدنس
واذا افتخرت عددت سعي مآثر قصرت على الإعضاء طرف الأشوس[2]
فاعقل لسانك عن شتائم عرضنا لا يعلقنك خادر من مأنس
أخلقت فخرك من أبيك فجئتني بأب جديد بعد طول تلمس
أخذت عليه المحكمات طريقها فغدا يناقض أعظما في أرمس

فلم يجبه ابن قنبر عن هذه بشيء، ثم تلاقيا فتعاتبا واعتذر كل واحد منهما الى صاحبه، ومكث ابن قنبر حيناً لا يجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكفاف ثم هجا مسلم قريشاً وفخر بالانصار فقال

قل لمن تاه اذ بنا عز جهلا ليس بالتيه يفخر الأحرار
فتناهوا و اقصروا فلقد جا رت عن القصد منكم الأبصار
أيكم حاط ذا جوار بعز قبل أن تحتويه منا الدار
أو رجا أن يفوت قوماً بوتر لم تزل تمتطيهم الأوتار
لم يكن ذاك فيكم فدعوا الفخر بما لا يسوغ فيه افتخار
ونزاراً ففاخروا تفضلوهم ودعوا من له عبيد نزار
فبنا عز منكم الذل والدهـ ـر عليكم بريبه كرار
حاذروا دولة الزمان عليكم انه بين أهله أطوار
فتردوا ونحن للحالة الأو لى وللأوحد الأذل الصغار
فاخرتنا لما بسطنا لها الفخـ ـر قريش وفخرها مستعار
ذكرت عزها وما كان فيها قبل ان تستجيرنا مستجار
انما كان عزها في جبال ترتقيها كما ترقى الوبار

(١) هو الطرماح (٢) الاشوس الذى ينظر فى جانب من الكبر والعزة

أيها الفاخرون بالعز والعـــز لقوم سواهمُ والفخار
أخبرونا من الأعز أألمنـــصور حتى اعتلى أم الأنصار

فلنا العز قبل عز قريش وقريش تلك الدهور تجار

فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال

الا امثل أمير المؤمنين بمسلم وأقلق به الأحشاء من كل مجرم
ولا ترجعَنْ عن قتله باستتابة فما هو عن شتم النبي بمُحْرِم
ولا عن مساواة له ولقومه قريشاً بأصداء لعادٍ وجُرْهُم
ويفخرُ بالأنصار جهلا على الذى بنصرته فازوا بحظ ومغنم
وسمُّوا به الأنصار لا عز قائل أراد قريشاً بالمقام المذمم
ومنهم رسول الله أزكى من انتمى الى نسب زاك ومجد مقدَّم
وما كانت الأنصار قبل اعتصامها بنصر قريش فى المحل المعظَّم
ولا بالأولى يعلمُون أقدار قومهم صُداءٍ وخَوْلان ولَخْم وسِنْهم
ولكنهم بالله عاذوا ونصرهم قريشاً ومن يستعصم الله يعصم
فعزوا وقد كانوا وفِطيَوْن فيهمُ من الذل فى باب من العز مبهَم
يسومهم الفطيون ما لا يسامه كريم ومن لا ينكِر الظلم يظلَم
وإن قريشاً بالمآثر فضلت على الخلق طرّا من فصيح وأعجم
فما بال هذا العِلْج ضل ضلاله يمد اليهم كف أجذم أعسم
يسامى قريشاً مسلم وهمُ همُ بمولًى يمانى وبيت مهدَّم
اذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم مقام به من لؤم مَبْنًى ومَدْعَم
جَعاسيس أشباه القرود لو انهم يُباعون ما ابتيعوا جميعاً بدرهم
وما مسلم من هؤلاء ولا أولى ولكنه من نسل علج ملكَّم
تولي زمانا غيرهم ثمت ادعى اليهم فلم يكرُمْ ولما يكرّم

فان يك منهم فالنضير ولفّهم ... مواليه لا من يدعي بالتزعم
وان تدعه الأنصار مولي أسنّهم ... بقافيه تستكره الجلد بالدم
عقاباً لهم في إفكهم وادعائهم ... لأقلفَ منقوش الذراع موشّم
فلا تدّعوه وانتفوا منه تسلموا ... بنفيكموه من مقال ومأثم
والا فغضّوا الطرف وانتظروا الردى ... اذا اختلفت فيكم صوارد أسهمي
ولم تجدوا عنها مجنّا يجنّكم ... اذا اطلعت من كل فجّ ومعلَم
وأنتم بنو أذناب من أنتم له ... ولستم بأبناء السنّام المقدّم
ولا ببني الرأس الرفيع محله ... فيسمو بكم مولى مسامٍ وينتمي
فكيف رضيتم أن يسامَى نبيكم ... ببيتكم الرثّ القصير المهدم
سأحطِم من سامى النبي تطاولا ... عليه وأكوي منتماه بميسمي
أيُعدل بيت يثربيّ بكعبة ... ثوتها قريش في المكان المحرم
قريش خيار الله والله خصهم ... بذلك فاتعس أيها العلج وارغم
ومن تدّعي منه الولاء مؤخّر ... اذا قيل للجاري الى المجد أقدم

وكان مسلم قال قصيدته في قريش وكتمها فوقعت الي ابن قنبر وأجابه عنها فاستعلى عليه وهتكه وأغرى به السلطان فلم يكن عند مسلم في هذا جواب اكثر من الانتفاء منها ونسبتها الي ابن قنبر والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن ... هناك ولكن من يخف يتجشم
وانك اذ تدعو الخليفة ناصرا ... لكالمترقي في السماء بسلّم
كذاك الصدى تدعوه من حيث لا ترى ... وإن تتوهمه تمت في التوهم
هجوتَ قريشاً عامداً ونحلتني ... رويدك يظهر ما تقول فيعلَم
اذا كان مثلي في قبيلي فانه ... على ابن لُؤَيّ قصرةً غيرُ متهَم

سيكشفك التعديل عما قذفتني به فتأخر عارفاً أو تقدم
فان قريشاً لا يغادر ودّها ولا يستمال عهدها بالترحم
مضى سلف منهم وصلى بعقبهم لنا سلف فى الأول المتقدّم
جرَوْا فجرينا سابقين بسبقهم كما اتبعت كف نواشرَ معصم
وان الذى يسعى ليقطع بيننا كملتمس اليرَبوع فى حُجْر أرْقَم
أضلك قرعُ الآبدات طريقها فأصبحت من عمياتها في تهيّم
وخانتك عند الجرى لما اتبعتها تميم فحاولت العلا بالتقحم
فأصبحت ترميني بسهمى وتتقى يدى بيدى أصليت نارك فاضْرِم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها

قل لعبد النضير مسلم الوَغْـــد الدنى اللئيم سِنخ النِّصاب
اخس يا كلب اذ نبحت فانى لست ممن يجيب نبح الكلاب
أفأرضى ومنصبي منصب العـــز و بيتى في ذروة الأحساب
أن أحطَّ الرفيع من سَمْك بيتى بمهاجاة أوشب الأوشاب
من اذا سيل من أبوه بدا منـــه حياء يحميه رجع الجواب
واذا قيل حين يقبل من أنـــت ومن تعتزيه في الأنساب
قلتَ هاجى ابن قنبر فتسر بلـــت بذكرى فخرا لدى النُّساب

وهى قصيدة طويلة فلم يجبه عنها مسلم بشيء فقال فيه ابن قنبر أيضاً

لست أنفيك ان سواى نفاكا عن أبيك الذي له منتماكا
ولماذا أنفيك يا ابن الوليـــد من أب ان ذكرته أخزاكا
ولو أنى طلبت ألأم منـــه لم أجده ان لم تكن أنت ذاكا
لو سواه أبوك كان جعلنا ه اذا الناس طاوعونا أباكا
حاك دهرا بغير حِذْق لبُرد ونحوك الاشعار أنت كذاكا

ثم هجاه بشعر أقذع فيه ، فمشى اليه قوم من مشايخ الانصار واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوى الفضل والعلم ، فمشوْا معهم اليه فقالوا ألا تستحى من أن تهجو من لا يجيبك ؟ أنت بدأت الرجل فأجابك ثم عدت فكف وتجاوزت ذلك الى ذكر أعراض الأنصار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذُبّ عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم ، فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فقطعت

شعراء عدنانية

شعراء ربيعة

شعراء بكر

ابو العتاهية

هو اسمعيل بن القاسم مولي عَنزَة وكنيته أبو اسحاق وامه أم زيد المحار
مولي بني زهرة منشؤه بالكوفة كان يبيع الفخار بها ثم قال الشعر فبرع فيه ويقـ
أطبع الناس بشار والسيد وابو العتاهية وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلا
لكثرته وكان غزير البحر لطيف المعانى سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكا
الا انه كثير الساقط المرذول مع ذلك، واكثر شعره فى الزهد والامثال. وكان ق
من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ويحتجو
بأن شعره انما هو فى ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد، وله أوز
ظريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها، وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جـ
من الاموال — وكنى بأبى العتاهية لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعته

وقال له المهدى يوما أنت انسان متحذلق معته، فاستوت له من ذلك كـ
غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له فى الناس ويقال أبو عتاهية باسقا
الألف واللام

كان ابوه حجاما ولذلك يقول أبو العتاهية،

الا انما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقى نقيصة اذا صح التقوى وان حاك أو حجم

وجاذبه رجل من كنانة ففخر عليه واستطال بقوم من أهله فقال ابو العتاهية

دعنى من ذكر اب وجد ونسب يعليك سور المجد
ما الفخر الا فى التقى والزهد وطاعة تعطى جنان الخلد
لابد من ورد لاهل الورد اما الى ضَحل واما عِـــد

وكان ابو العتاهية نظيفا ابيض اللون اسود الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة

قال احمد بن زهير سمعت مصعب بن عبد الله يقول ابو العتاهية اشعر الناس، فقلت له بأى شيء استحق ذلك عندك ؟ فقال بقوله

تعلقت بآمـــال طوال أي آمـــال
وأقبلت على الدنيا ملحا أى اقبـــال
أيا هـــذا تجهز لـــفراق الاهل والمال
فلابد من الموت على حال من الحال

ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان يعرفه العاقل ويقربه الجاهل وكان الأصمعى ، يستحسن قوله

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فاذا احتجت اليـــه ساعـــة مجك فوه

وانشد له سلم الخاسر

سكن يبقى له سكن ما بهذا يؤذن الزمن
نحن فى دار يخبرنا ببلاهـــا ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح لامرىء فيها ولا حزن
فى سبيل الله أنفسنا كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها حظها من مالها الكفن

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمرى أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقو

ما ضر من جعل التراب مهاده ... الاَّ ينام على الحرير اذ اقنع

وقيل لأبى العتاهية كيف تقول الشعر ؟ قال ماأردته قط الا مثل لى فأقو
ما أريد واترك ما لا أريد ، وكان يقول لو شئت أن أجعل كلامى شعرا كله لفعل

حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقعة فيها

لو علم الناس كيف انت لهم ... ماتوا اذا ما أَلِمْت أجمعهم
خليفة الله انت تَرْجَح بالنا ... س اذا ما وزنت انت وهم
قد علم الناس أن وجهك يغنى ... اذا ما رآه معدمهم

فأنشد الفضل بن الربيع الرشيد فأمر باحضار أبى العتاهية فما زال يسا
ويحدثه الى أن برىء ووصل اليه بذلك السبب مال جليل وقد حدث ابن الاعرا
بهذا الحديث فقال له رجل بالمجلس ما هذا الشعر بمستحق لما قلت ، قال ولم ؟ ق
لأنه ضعيف ، فقال ابن الاعرابى وكان احدّ الناس الضعيف والله عقلك لاش
أبى العتاهية ، ألأبى العتاهية تقول انه ضعيف الشعر ؟ فوالله ما رأيت شاعرا
أطبع ولا أقدر على بيت منه وما احسب مذهبه الا ضربا من السحر ثم أنشد

قطعت منك حبائل الآمال ... وحططت عن ظهر المطىّ رحالي
ويئست أن أبقى لشىء نلت مما ... فيك يادنيا وأن يبقى لى
فوجدت برد اليأس بين جوانحى ... فأرحت من حل ومن ترحال
يأيها البطِر الذى هو من غد ... في قبره متمزق الأوصال
حذف المنى عنه المشمر فى الهدى ... وأرى مُناك طويلة الأذيال
حِيَلُ ابن آدم فى الامور كثيرة ... والموت يقطع حيلة المحتال
مالى أراك لُحر وجهك مخلقا ... أخلقت يادنيا وجوه رجال
قست السؤال فكان أعظم قيمة ... من كل عارفة جرت بسؤال

فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابذُله للمتكرم المفضال
واذا خشيت تعذُّرا فى بلدة فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غِيَر الزمان فانما فرج الشدائد مثل حل عقال

ثم قال للرجل هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل يا أبا عبد الله جعلني الله فداءك انى لم أردد عليك ما قلت ولكن الزهد مذهب أبى العتاهية ، وشعره فى المديح ليس كشعره فى الزهد فقال ، أفليس الذى يقول فى المديح

وهرون ماء المزن يشفى من الصَّدَى اذا ما الصَّدِى بالريق غَصَّت حناجره
وأوسط بيت فى قريش لبيته وأول عز فى قريش وآخره
وزحفٌ له تحكى البروق سيوفه وتحكى الرعود القاصفات حوافره
اذا حميت شمس النهار تضاحكت الى الشمس فيه بَيْضه ومغافره
اذا نكب الاسلام يوماً بنكبة فهرون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك كذا لم يفت هرون ضد ينافره

فتخلص الرجل من شر ابن الاعرابى بأن قال له القول كما قلت وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين وكتبهما عنه

قال ثُمامة بن أشرس أنشدنى أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذى هو مالكه
الا انما مالى الذى أنا منفق وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا؟ فقال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما اكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت

فقلت له أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟ قال

نعم ، قلت فلم تحبس عندك سبعاً وعشرين بَدرة فى دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذُخرا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال يا أبا معْن والله ان ما قلت لهو الحق ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس ، فقلت وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامى كله ثم قال لى والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام .

قال ثُمامة دخلت يوماً الى أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزا بلا شىء ، فقلت كأنك رأيته يأكل خبزا وحده ، قال لا ولكنى رأيته يتأدم بلا شىء ، فقلت وكيف ذلك ؟ فقال رأيت قدامه خبزا يابسا من رُقاق فَطير وقدحا فيه لبن حليب ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها ولم تتلق منه بقليل ولا كثير ، فقلت له كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شىء وما رأيت أحدا قبلك تأدم بلا شىء ، وروى الجاحظ عن بعض أصحابه قال دخلت على أبى العتاهية فى بعض المتنزهات وقد دعا عياشا صاحب الجسر وتهيأ له بطعام وقال لغلامه اذا وضعت قدامهم الغداء فقدم الى ثَريدة بخل وزيت ، فدخلت اليه واذا هو يأكل منها أكل منكمش غير منكر لشىء ، فدعانى فمددت يدى فاذا بثريدة بخل وبزر بدلا من الزيت ، فقلت له أتدرى ما تأكل ؟ قال نعم ثريدة بخل وبزر ، فقلت وما دعاك الى هذا ؟ قال غلط الغلام بين[1] دبّة الزيت ودبة البزر فلما جاءنى كرهت التجبر وقلت دهن كدهن فأكلت وما أنكرت شيئاً ، وقال محمد بن عيسى الخزيمى وكان جار أبى العتاهية كان لأبى العتاهية جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبى العتاهية طَرَفى النهار فيقول أبو العتاهية اللهم أغْنِه عما

(١) الدبة ظرف للبزر والزيت

هؤلاء بسبيله شيخ ضعيف نسيء الحال عليه ثياب متجمل اللهم أعنه ، اصنع له ، بارك فيه ، فبقي على هذا الى مات الشيخ نحوا من عشرين سنة والله ان تصدق عليه بدرهم ولا دانق قط وما زاد على الدعاء شيئاً ، فقلت له يوما يا أبا اسحق اني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير فما لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال أخشى أن يعتاد الصدقة والصدقة آخر كسب العبد وان في الدعاء لخيرا كثيرا ، وقال كان لأبي العتاهية غلام أسود طويل كأنه محراك أتون ، وكان يجرى عليه كل يوم رغيفين فجاءني الخادم يوماً فقال لي والله ما أشبع ، فقلت له وكيف ذاك ؟ قال لأني ما أفتر من الكدر وهو يجرى على كل يوم رغيقين بغير ادام فان رأيت أن تكلمه حتى يزيدني رغيفاً فتؤجر ، فوعدته بذلك ، فلما جلست معه مر بنا الخادم فكرهت اعلامه أنه شكا الي ذلك ، فقلت له يا أبا اسحق كم تجري على هذا الخادم في كل يوم ؟ قال رغيفين ، فقلت له لا يكفيانه ، قال من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك ، وهذا خادم يدخل الى حرمي وبناتي فان لم أعوده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي ، فمات الخادم بعد ذلك فكفنه في أزار وفراش له خلق ، فقلت له سبحان الله خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب لحقه تكفنه في خلق وانما يكفيك له كفن بدينار ، فقال انه يصير الى البلى والحي أولى بالجديد من الميت ، فقلت له يرحمك الله أبا اسحق فلقد عودته الاقتصاد حياً وميتاً . وقال وقف علي ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء ، وجماعة من جيرانه حوله فسأله من بين الجيران ، فقال صنع الله لك ، فأعاد السؤال عليه ثانية ، فرد عليه مثل ذلك فأعاد عليه ثالثة ، فرد عليه مثل ذلك ، فغضب وقال له ألست القائل

كل حي عند ميتته حظه من ماله الكفن

ثم قال له فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك ؟ قال لا ، قال فبالله كم قدرت لكفنك ، قال خمسة دنانير ، قال فهي اذاً حظك من مالك كله ،

قال نعم ، قال فتصدق على من غير حظك بدرهم واحد ، قال لو تصدقت عليك لكان حظي ، قال فاعمل على أن دينارا من الخمسة الدنانير وضيعة قيراط وادفع الي قيراطا واحداً ، والا فواحد آخر ، قال وما ذلك ؟ قال القبور تحفر بثلاثة دراهم فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلا بأني أحفر لك قبرك به متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حُسبانك فان لم أحتفر رددته على ورثتك أورده كفيلي عليهم ، فخجل أبو العتاهية وقال أغرُب لعنك الله وغضب عليك ، فضحك جميع من حضر ومر السائل يضحك ، فالتفت الينا أبو العتاهية فقال من أجل هذا وأمثاله حُرّمت الصدقة ، فقلنا له ومن حرمها ؟ ومتى حرمت ؟ فما رأينا أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده . وقال قلت لابي العتاهية أتزكي مالك ؟ فقال والله ما أتفق على عيالي الا من زكاة مالي ، فقلت سبحان الله انما ينبغي أن تخرج زكاة مالك الى الفقراء والمساكين ، فقال لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الارض أفقر منهم .

قيل لابي العتاهية أي شعر قلته أحكم قال قولي

علمتَ يا مُجاشع بن مسعدة ان الشباب والفراغ والجِدَة

مفسدة للمرء أي مفسدة

وكان مجاشع بن مسعدة صديقا لأبي العتاهية فكان يقوم بحوائجه كلها ويخلص مودته فمات وعرضت لأبي العتاهية حاجة الى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها فكتب اليه أبو العتاهية

غنيت عن العهد القديم غنيتا وضيعت ودا بيننا ونسيتا

ومن عجب الأيام أن مات ما ألقى ومن كنت تغشاني به وبقيتا

فقال عمرو استطال أبو اسحاق أعمارنا وتوعدنا ما بعد هذا خير ، ثم قضى حاجته

قال أبو غزية كان أبو العتاهية اذا قدم من المدينة جلس اليّ فأراد مرة الخروج من المدينة فودعني ثم قال

ان نعش نجتمع والا فما أشـــغلَ من مات عن جميع الأنام

كان لبعض التجار على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه ، فمر به يوماً فقال التاجر لغلام له حسن الوجه أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه ما عليه ، فأدركه الغلام على رأس الجسر فأخذ بعنان حماره ووقفه ، فسأله ماحاجتك ؟ فأخبره ، فانتظر أبو العتاهية حتى اجتمع الناس ثم قال للغلام

والله ربك انـــني لأجل وجهك عن فعالك
لو كان فعلك مثل وجـــهك كنت مكتفياً بذلك

فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار ورجع الى صاحبه وقال له بعثتني الى شيطان جمع علي الناس وقال في الشعر فهربت منه

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجب عنه فلزم منزله فاستبطأه عمرو فكتب اليه

كسَّلني اليأس عنـك فما أرفع طرفي اليك من كسل
انى اذا لم يكن أخي ثقة قطعت منه حبائل الأمل

وكتب اليه مرة أخرى

مالك قد حُلْت عن اخائك واســـتبدلت ياعمرو شـــيمة كَدِرة
انى اذا البـاب تاه حاجبـــه لم يك عندي فى هجره نَظِرة
لستم تُرَجُّونَ للحســـاب ولا يوم تكـــون السماء منفطرة
لكن لدنيا كالظل بهجتها سريعـــة الانقضاء منشمرة
قد كان وجهي لديك معرفـة فاليوم اضحى حرْفا من النكرة

تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدي فقال أبو العتاهية

ألا قل لابن معن ذا الـــذى فى الود قد حالا

لقد بُلّغت ما قالا ... فما باليت ما قالا
فلو كان من الاسد ... لما راع ولا هالا
فصغ ما كنت حليت ... به سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف ... اذا لم تك قتالا
ولو مد الى أذنيه ... كفيه لما نالا
قصير الطول والطيلة ... لا شب ولا طالا
أري قومك أبطالا ... وقد أصبحت بطالا

وقال فى الصلح معه بعد هجو كثير كان منه

ما لعذالى ومالى ... أمرونى بالضلال
عذلونى فى اغتفاري ... لابن معن واحتمالى
ان يكن ما كان منه ... فبجرمي وفعالى
أنا منه كنت اسوا ... عشرة فى كل حال
قل لمن يعجب من حسن ... رجوعى ومقالى
رب ود بعد صد ... وهوى بعد تقال
قد رأينا ذا كثيرا ... جاريا بين الرجال
انما كانت يميني ... لطمت منى شمالى

وحديث الصلح أن بنى معن مضوا الى مندل وحيان ابنى علي العَنَزيين الفقيهين وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يَقْدُم بن عَنَزة وكانا من سادات أهل الكوفة فقالوا لهما نحن أهل بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو اتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه ، فاحضرا أبا العتاهية فيمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن وضمنا عنه خلوص النية وعنهما ألا يتبعاه بسوء ، وكانا ممن لا يمكن خلافهما ، فرجعت الحال الى المودة والصفاء

كان أبو العتاهية قد هجا عبد الله بن معن فغضب أخوه يزيد وتوعد أبا العتاهية فقال فيه قصيدته التى أولها

بنى معن ويهدمه يزيد ... كذاك الله يفعل ما يريد
فمعن كان للحساد غما ... وهذا قد يسر به الحسود
يزيد يزيد فى منع وبخل ... وينقص فى العطاء ولا يزيد

وكان زائدة بن معن صديقا لأبى العتاهية ولم يعن اخوته عليه فمات فقال أبو العتاهية يرثيه

حزنت لموت زائدة بن معن ... حقيق أن يطول عليه حزنى
فتى الفتيان زائدة المصفى ... أبو العباس كان أخى وخدنى
فتى قوم وأى فتى توارت ... به الأكفان تحت ثرى ولبن
الا ياقبر زائدة بن معن ... دعوتك كي تجيب فلم تجبنى
سل الأيام عن أركان قومى ... أصبت بهن ركنا بعد ركن

قال بشار لأبى العتاهية أنا والله أستحسن اعتذارك من دمعك حيث تقول

كم من صديق لى أسا ... رقه البكاء من الحياء
فاذا تأمل لامني ... فأقول مالى من بكاء
لكن ذهبت لأرتدى ... فطرفت عينى بالرداء

فقال له أبو العتاهية لا والله ياأبا معاذ ما لذت الا بمغناك ولا اجتنيت الا من غرسك حيث تقول

شكوت الى الغوانى ما ألاقى ... وقلت لهن ما يومى بعيد
فقلن بكيت ؟ قلت لهن كلا ... وقد يبكى من الشوق الجليد
ولكني أصاب سواد عينى ... عويد قذى له طرف حديد
فقلن فما الدمعهما سواء ؟ ... اكلتا مقلتيك اصاب عود ؟

جاء أبو العتاهية الي محمد بن الفضل الهاشمى فتحدث ساعة وجعل محمد يشكو اليه تخلف الصنعة وجفاء السلطان، فقال أبو العتاهية لابن محمد اكتب

كل على الدنيا له حرص والحادثات أتاتها غفص
وكأن من وارَوْه فى حدَث لم يبدُ منه لناظر شخص
تبغى من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هى النقص
ليد المنية فى تلطفها عن ذخر كل شفيقة فحص

لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعراً فامتنع وأمر بحبسه وحلف ألاّ يخرج من الحبس حتى يقول شعراً في الغزل ، فحلف أبو العتاهيه ألاّ يتكلم سنة الا بالقرآن أو بلا اله الا الله محمد رسول الله ، فكأن الرشيد تحزن مما فعله فأمر أن يحبس فى دار ويوسع عليه ولا يمنع دخول من يريد اليه ، فلما انقضى الأجل كان أول ما قاله فى امرأته

من لقلب متيم مشتاق شفّه شوقه وطول الفراق
طال شوقى الى قعيدة بيتى ليت شعرى فهل لنا من تلاق
هى حظى قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بك شملى عن قريب وفكّني من وثاق

فلما سمعها الرشيد أمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه

وجد الرشيد مرة على أبى العتاهية فكان يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع فى أمره ، فأبطأ عليه بذلك فكتب اليه أبو العتاهية

أجفوتني فيمن جفانى وجعلت شأنك غير شانى
ولطالما أمنتني مما أرى كل الأمان
حتي اذا انقلب الزما ن علىّ صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد فرضى عنه، فلما دخل الى الفضل أنشده قوله فيه

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نأيه قريبا سميعا

فأدخله الى الرشيد فرجع الى حالته الأولى

كان يزيد بن منصور خال المهدى يتعصب لأبى العتاهية لأنه كان يمدح اليمانية فى شعره فمن ذلك قوله

سُقيت الغيث يا قصر السلام فنعم محلّة الملك الهمام

لقد نشر الاله عليك نوراً وحفّك بالملائكة الكرام

سأشكر نعمة المهدى حتى تدور علىّ دائر الحمام

له بيتان بيت تُبَّعِىّ و بيت حل بالبلد الحرام

وكان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدعى أنه مولي لليمن وينتفى من عنزة فلما مات يزيد رجع الى ولائه الأول فقال له الفضل بن العباس ألم تكن تزعم أن ولاءك لليمن ؟ قال ذلك شيء احتجنا اليه فى ذلك الزمن وما فى واحد ممن انتميت اليه خير ولكن الحق أحق أن يتبع، وكان ادعى ولاء اللخميين، وكان يزيد ابن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة وأرعاهم لعهد وكان بارا بأبى العتاهية كثيراً فضله عليه ، وكان أبو العتاهية منه في منعة وحصن حصين مع كثرة ما يدفعه اليه ويمنعه منه من المكاره

فلما مات يزيد قال أبو العتاهية يرثيه

أنعى يزيد بن منصور الى البشر أنعى يزيد لأهل البدو والحَضَر

ياساكن الحفرة المهجورساكنها بعد المقاصر والأبواب والحُجَر

وجدت فقدك في مالي وفى نَشَبى وجدت فقدك فى شعرى وفى بشرى

فلست أدرى جزاك الله صالحة أمنظرى اليوم أسوا فيك أم خَبَرى

جلس المهدى للشعراء يوماً فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه ، وغير هذين ، وكان فى القوم أبو العتاهية ، قال أشجع فلما

سمع بشار كلامه قال يا أخا سليم أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟ قلت نعم، قال لاجزي الله خيرا من جمعنا معه ، ثم قال له المهدى أنشد ، فقال ويحك أو يبدأ فينشد قبلنا ؟ فقلت قد ترى ، فأنشد

الا ما لسيدتى ما لها أدلاً فأحمل إدلالها
والا ففيم تجنّت وما جنيت سقى الله أطلالها
الا ان جارية للامام قد أسكن الحسن سربالها
مشت بين حُور قصار الخُطا تجاذب فى المشى أكفالها
وقد أتعب الله نفسى بها وأتعب باللوم عذالها

فقال بشار لأشجع ويحك يا أخا سليم ما أدرى من أى أمريه أعجب أمن ضعف شعره أم من تشبيبه بجارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه ؟ حتى أتى على قوله

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزُلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تُطعه بنات القلو ب لما قبل الله أعمالها
وان الخليفة من بغض لا اليه ليبغض من قالها

فقال بشار لأشجع وقد اهتز طربا ويحك يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا لما يأتى به هذا الكوفى ؟

ولما اتهمه منصور بن عمار بالزندقة لأنه لا يذكر فى شعره الجنة والنار وانما يذكر الموت قال فيه

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عُرْى وعورته للناس بادية ما إن يواريها

فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

وقيل له زعم الناس انك زنديق، فقال والله ماديني الا التوحيد، فقيل له قل شيئا يتحدث به عنك فقال

الا انما كلنا بائد وأى بنى آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم وكل الى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذوات الأمثال حتى اتى على قوله

ياللشباب المرح التصابى روائح الجنة فى الشباب

فقال للمنشد قف، ثم قال انظروا الى قوله « روائح الجنة فى الشباب » فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير، وخير المعانى ما كان القلب الى قبوله أسرع من اللسان الى وصفه. وهذه الأرجوزة من بدائع أبى العتاهية ويقال ان فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمني أو فذر ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
لكل ما يؤذى وان قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله
ان الفساد ضده الصلاح ورب جدٍّ جره المزاح

من جعل النمام عينا هلكا مبلغك الشرَّ كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجِدَة مفسدة للمرء أى مفسدة
يغنيك عن كل قبيح تركه يرتهن الرأى الأصيل شكه
ما عيش من آفته بقاؤه نغص عيشا كله فناؤه
يارُبَّ من أسخطنا بجهده قد سرنا الله بغير حمده
ما تطلعُ الشمس ولا تغيب الا لأمر شأنه عجيب
لكل شيء معدن وجوهر وأوسط وأصغر وأكبر
من لك بالمحض وكل ممتزج وساوس فى الصدر منه تعتلج
وكل شيء لاحق بجوهره أصغره متصل بأكبره
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القَذَى
الخير والشر بها أزواج لذا نِتاج ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محض يَخبُث بعض ويطيب بعض
لكل انسان طبيعتان خير وشر وهما ضدان
انك لو تستنشق الشحيحا وجدته أنتن شيء ريحا
والخير والشر اذا ما عدا بينهما بون بعيد جدا
عجبت حتى غمنى السكوت صرت كأنى حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف أصنع الصمت ان ضاق الكلام اوسع

ومن قول أبى العتاهية فى الوحدة والتبرم بالناس

برِمت بالناس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوَحدة
ما أكثر الناس لعمرى وما أقلهم فى حاصل العدة

كان عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي ممدَّحا ، فمدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال كيف

فعل هذا بهذا الكوفى ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ فبلغه ذلك فأحضر الرجل وقال ان الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ويتعاطاه فلا يحسنه حتى يشبب بخمسين بيتا ثم يمدحنا ببعضها وهذا كأن المعانى تجمع له مدحني فقصر التشبيب وقال

انى أمنت من الزمان وريبه ... لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله ... لحذوا له حرّا لوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفّة ... واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

قال الأصمعى شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى

لما حبس المهدى أبا العتاهية تكلم فيه يزيد بن منصور الحميرى حتى اطلقه فقال فيه أبو العتاهية

ما قلت فى فضله شيئا لأمدحه ... الا وفضل يزيد فوق ما قلت
مازلت من ريب دهرى خائفا وجلا ... فقد كفانى بعد الله ماخفت

قال عبد الله بن الحسن لأبى العتاهية اما يصعب عليك شيء من الالفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائر من يقول الشعر أو الى الفاظ مستكرهة ؟ فقال لا ، فقال له محمد انى لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة ، قال فاعرض على ما شئت من القوافى الصعبة ، فقال قل ابياتا على مثل البلاغ فقال من ساعته

أى عيش يكون أبلغ من عيـــش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحب البغى ليس يسلم منه ... وعلى نفسه بغى كل باغ
رب ذى نعمة تعرّض منها ... حائل بينه وبين المساغ
أبلغ الدهر فى مواعظه بل ... زاد فيهن لي على الابلاغ
غبنتنى الأيام عقلى ومالي ... وشبابى وصحتى وفراغى

قال مسلم بن الوليد كنت مستخفا بشعر أبي العتاهية فلقيني يوما فسألني أن أصير اليه ، فصرت اليه وجلسنا نتحدث ساعة وأنشدته أشعارا لى فى الغزل وسألته أن ينشدنى فأنشدنى قوله

بالله ياقرة العينين زوريني ... قبل الممات والا فاستزيريني
انى لأعجب من حب يقربني ... ممن يباعدنى منه ويعصيني
أما الكثير فما أرجوه منك ولو ... أطمعتني فى قليل كان يكفيني

ثم أنشدنى

أخلاى بى شجو وليس لكم شجو ... وكل امرىء عن شجو صاحبه خلو
وما من محب نال ممن يحبه ... هوى صادقا الا سيدخله زهو
بليت وكان المزح بدء بليتى ... وانى فى كل الخصال له كفو
رأيت الهوى جمر الغضا غير أنه ... على كل حال عند صاحبه حلو

ثم أنشدنى

خليلى مالي لا تزال مضرتى ... تكون على الأقدار حتما من الحتم
يصاب فؤادي حين أرمى ورميتى ... تعود الى نحرى ويسلم من أرمى
صبرت ولا والله مابى جلادة ... على الصبر لكني صبرت على رغمى
الا في سبيل الله جسمى وقوتى ... ألا مسعدٌ حتى أنوح على جسمى
تعدّ عظامى واحدا بعد واحد ... بمحنى من العذال عظما على عظم
كفاك بحق الله ما قد ظلمتني ... فهذا مقام المستجير من الظلم

قال مسلم فقلت له لا والله ياأبا اسحاق ما يبالى من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ، فقال يابن أخى لا تقولن مثل هذا فان الشعر أيضا من بعض مصايد الدنيا

اجتمع الشعراء على باب الرشيد فاذن لهم فدخلوا وأنشدوا ، فأنشد أبو العتاهية

يا من تبغّى زمناً صالحا صلاح هرون صلاح الزمن
كل لسان هو فى ملكه بالشكر فى احسانه مرتهن

فهش له الرشيد وقال له أحسنت والله ، وما خرج فى ذلك اليسوم أحد من الشعراء بصلة غيره

أجرى الرشيد الخيل فجاءه فرس يقال له المشمر سابقاً فأمر الرشيد الشعراء أن يقولوا فيه فبدرهم أبو العتاهية وقال

جاء المشمر والأفراس يقدمها هوناً على رسله منها وما انبهرا
وخلف الريح حسرى وهى جاهدة ومر يختطف الأبصار والنظرا

فأجزل صلته وما جسر أحد بعد أبى العتاهية أن يقول فيه شيئاً

كان على بن ثابت صديقاً لأبى العتاهية وبينهما مجاوبات كثيرة فى الزهد والحكمة فتوفى على بن ثابت قبله فقال يرثيه

مؤنس كان لي هلك والسبيل التى سلك
يا على بن ثابت غفر الله لى ولك
كل حى مملّك سوف يفنى وما ملك

وحضره وهو يجود بنفسه فلم يزل ملتزمه حتى فاض فلما شد لحياه بكى طويلا ثم أنشد يقول

يا شريكى فى الخير قربك الله فنعم الشريك فى الخير كنتا
قدلعمرى حكيت لي غصص الموت فحركتني لها وسكنتا

ولما دفن وقف على قبره يبكى طويلا أحرّ بكاء ويردد هذه الأبيات

الا من لي بأنسك يا اخيا ومن لي أن أبثّك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشرا وطيا
فلو نشرت قواك لى المنايا شكوت اليك ما صنعت اليا
بكيتك يا على بدمع عينى فما أغنى البكاء عليك شيا

وكانت فى حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ومما أنشده لنفسه

يا صاحب الروح ذي الأنفاس في البدن بين النهار و بين الليل مرتهن

لقلما يتخطاك اختلافهما حتى يفرق بين الروح والبدن

لتجذبنى يد الدنيا بقوتها الى المنايا وان نازعتها رسنى

لله دنيا أناس دائبين لها قد ارتعوا في رياض الغى والفتن

كسائمات رتاع تبتغي سمنا وحتفها لو درت فى ذلك السمن

ومن قوله فى الغزل

كأنها من حسنها درة أخرجها اليم من الساحل

كأن فيها وفى طرفها سواحر أقبلن من بابل

لم يبق منى حبها ماخلا حشاشة فى بدن ناحل

يامن رأى قبلى قتيلا بكى من شدة الوجد على القاتل

ومن قوله

لهفى على ورق الشباب وغصونه الخضر الرطاب

ذهب الشباب وبان عنى غير منتظر الاياب

فلأبكين على الشبا ب وطيب أيام التصابى

ولأبكين من البلى ولأبكين من الخضاب

انى لآمل أن أخلد والمنية فى طلابى

ومن قوله

كم من سفيه غاظنى سفها فشفيت نفسى منه بالحلم

وكفيت نفسي ظلم عاديتى ومنحت صفو مودتى سلمى

ولقد رزقت لظالمى غلظا ورحمته اذ لج فى ظلمى

ومن قوله

ليت شعرى فاننى لست أدرى أى يوم يكون آخر عمرى
وبأى البلاد يقبض روحى وبأى البلاد يحفر قبرى

ومن قوله

ساكني الأجداث أنتم مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعرى ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد فى سفر ولا حضر الا فى طريق الحج وكان يجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون ، فلما قدم الرشيد الرقّة لبس أبو العتاهية الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول فى الغزل وأمر الرشيد بحبسه فحبس فكتب اليه من وقته

انا اليوم لى والحمد لله أشهر يروح علىّ الهم منكم ويبكر
تذكر أمين الله حقى وحرمتى وما كنت توليني لذلك يذكر
ليالي تدنى منك بالقرب مجلسى ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التى كنت مرة الى بها فى سالف الدهر تنظر

فلما قرأ الرشيد الأبيات قال قولوا له لا بأس عليك فكتب اليه

أرقت وطار عن عيني النعاس ونام السامرون ولم يواسوا
أمين الله أمنك خير أمن عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل بر وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس
أمين الله ان الحبس بأس وقد أرسلت ليس عليك باس

وكتب اليه أيضاً فى الحبس

وكلفتنى ما حلت بيني وبينه وقلت سأبغي ما تريد وما تهوى

فلو كان لي قلبان كلفت واحدا هواك وكلفت الخلى لما يهوى

فأمر باطلاقه

قال أبو العتاهية أخرجني المهدى معه الي الصيد فوقعنا على شيء كثير منه فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو فى طريق غير طريقهم وعرض لنا واد جرار وتغيمت السماء وبدأت بمطر ، فتحيرنا وأشرفنا على الوادى فاذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا اليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا ويعجزنا فى بذلنا أنفسنا فى ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخا له وكاد المهدى يموت بردا ، فقال له أعطيك بجبتى هذه الصوف ، فقال نعم ، فغطاه بها ، فتماسك قليلا ونام ، فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤنا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب ، وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشى ، فلما انتبه قال لي ويحك ما فعل الملاح ؟ فقد والله وجب حقه علينا ، فقلت هرب خوفا من قبح ما خاطبنا به ، قال انا لله والله لقد أردت أن أغنيه ، وبأى شيء خاطبنا نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به بحياتى عليك الا ما هجوتنى ، فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسى بأن أهجوك . قال والله لتفعلن فأنى ضعيف الرأى مغرم بالصيد ، فقلت

يا لابس الوشى على ثوبه ما أقبح الأشيب فى الراح

فقال زدنى بحياتى فقلت

لو شئت أيضاً جلت فى خامة وفى وشاحين وأوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل زدنى شيئاً آخر ، فقلت أخاف أن تغضب ، قال لا والله ، فقلت

كم من عظيم القدر فى نفسه قد نام فى جبة ملاح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله . وقمنا وركبنا وانصرفنا

دخل أبو عبيد الله على المهدى وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه وأبو العتاهية

حاضر المجلس فجعل المهدى يشتم أبا عبيد الله ويتغيظ عليه ثم أمر به فجر برجله وحبس ثم أطرق المهدى طويلا فلما سكن أنشده أبو العتاهية

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... عذابا كلما كثرت لديه
تُهين المكرمين لها بصغر ... وتُكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شىء فدَعْه ... وخذ ما أنت محتاج اليه

فتبسم المهدى وقال أحسنت ، فقام أبو العتاهية وقال والله يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا أشد اكراما للدنيا ولا أصون لها ولا أشح عليها من هذا الذى جر برجله ، ولقد دخلت الى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعز الناس فما برحت حتى رأيته أذل الناس ، ولو رضى من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت ، فتبسم المهدى ودعا بأبى عبيد الله فرضى عنه ، فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبى العتاهية

ومن قوله

ما ان يطيب لذى الرعاية للـ ... أيام لا لعب ولا لهو
اذ كان يُطْرَق فى مسرته ... فيموت من أجزائه جزو

سئل ابن مناذر عن أشعر أهل الاسلام فقال من اذا شئت هزل واذا شئت جد مثل جرير ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه قال حين هزل

الله بيني وبين مولاتى ... أبدت لى الصد والملالات
لا تغفر الذنب ان أسأت ولا ... تقبل عذرى ولا مواتاتى
منحتها مهجتى وخالصتي ... فكان هجرانها مكافاتى
أقلقني حبها وصيرنى ... أحدوثة فى جميع جاراتى

ثم قال حين جد

ومَهْمَهٍ قد قطعت طامسه ... قَفْرٍ على الهول والمحاماة
بحُرّة جسْرة عذافرة ... خوْصاء عيْرانة علنْداة

تبادر الشمس كلما طلعت بالسير تبغى بذاك مرضاتى
يا ناق خُبّى بنا ولا تعدى نفسك مما ترَين راحات
حتى تناخى بنا الى ملك توجه الله بالمهـــابات
عليه تاجان فوق مفرِقه تاج جلال وتاج إخبات
يقول للريح كلما عصَفت هل لك يا ريح فى مباراتى
من مثل عمه الرسول ومن أخواله اكرم الخؤلات

كان الهادى واجدا على أبى العتاهية لملازمته أخاه هرون فى خلافة المهدى فلما ولى موسى الخلافة قال أبو العتاهية يمدحه

يضطرب الخوف والرجاء اذا حرك موسى القضيب أو فكر
ما أبين الفضل فى مغيبٍ وما أورد من رأيه وما أصدر
فكم ترى عزّ ذلك من معشر قوم وذل من معشر
يثمر من مسّه القضيب ولو يمَسّه غيره لمـــا أثمر
من مثل موسى ومثل والده الـــمهدى أو جده أبى جعفر

فرضى عنه فلما دخل عليه أنشده

لهفى على الزمن القصير بين الخورنق والسدير
اذ نحن فى غرف الجنا ن نعوم فى بحر السرور
فى فتية ملكوا عِنا ن الدهر أمثال الصقور
ما منهمُ الا الجسو ر على الهوى غير الحَصور
يتعـاورون مُدامـة صهباء من حلَب العصير
عذراء رباهـا شُعا ع الشمس فى حر الهجير
لم تَدنُ من نار ولم يَعلَق بها وَضَر القدور
ومُقَرْطَق يمشي أما م القوم كالرَّشأ الغرير

بزجاجة تستخرج السر الدفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الدرّي في كف المدبر
تدع الكريم وليس يد ري ما قبيل من دبير
ومخضّرات زرننا بعد الهدو من الخدور
ريا روادفهن يا بسن الخواتم في الخصور
غرّ الوجوه محجبا ت قاصرات الطرف حور
متنعمات في النعيم مضمّخات بالعبير
يرفلن في حلل المحا سن والمجاسد والحرير
ما إن يرين الشمس الا القرط من خلل الستور
والي أمين الله مهّ ربنا من الدهر العثور
واليه أتعبنا المطا يا بالرواح وبالبكور
صعر الخدود كأنما جنّحن أجنحة النسور
متسربلات بالظلا م على السهولة والوعور
حتى وصلن بنا الى رب المدائن والقصور
ما زال قبل فطامه في سن مكتهل كبير

ومن قوله

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع
أيابانى الدنيا لغيرك تبتنى ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثّابا على كل فرصة وللمرء يوماً لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيره متى تنقضى حاجات من ليس يشبع
وأي امرىء في غاية ليس نفسه الى غاية أخرى سواها تطلع

وكانوا يقولون لو أن طبع أبى العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس

ومن أحسن قوله وأصدقه

ما الناس الا للكثير المال أو ... لمسلط ما دام فى سلطانه

فاذا الزمان رماهما ببليـــة ... كان الثقات هناك من أعوانه

كان علي بن يقطين صديقاً لأبى العتاهية وكان يبرّه فى كل سنة ببر واسع، فأبطأ عليه بالبر فى سنة من السنين وكان اذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسر به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك ، فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة ، فاستوقفه فوقف له فأنشده

حتى متى ليت شعرى يا ابن يقطين ... أثنى عليك بمالا منك تُوليني

ان السلام وان البشر من رجل ... في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني

هـذا زمان ألح الناس فيـه على ... تيه الملوك وأخلاق المساكين

أما علمت جزاك الله صالحة ... وزادك الله فضلا يا ابن يقطين

أنى أريدك للدنيـــا وعاجلها ... ولا أريدك يوم الدين للدين

فقال على بن يقطين لست والله أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا الا راضياً وأمر له بما كان يبعث به اليه فى كل سنة فحمل من وقته وعلى واقف الى أن تسلمه

قيل لأبى العتاهية فى أى شعر أنت أشعر ؟ قال قولى

الناس فى غفلاتهم ... ورحى المنية تطحن

استنشده المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده

أنساك محيـاك المماتا ... فطلبت فى الدنيا الثباتا

أوثقت بالدنيـا وأنـــت ترى جماعتها شتاتا

وعزمت منك على الحيا ... ة وطولها عزما بتاتا

يامن رأى أبويه فيـــمن قد رأى كانا فماتا

هل فيهـا لك عبرة ... أم خلت أن لك انفلاتا

ومن الذى طلب التفلـــت من منيته ففاتا
كل تصبحه المنيـــة أو تبيته بيـاتا

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده

ما أحسن الدنيـا واقبالهـا اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها عرض للادبار اقبـــالها

فقال له المأمون ما أجود البيت الاول ، فاما الثانى فما صنعت فيه شيئا ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها وانما توجب السماحة بها الأجر والضن بها الوزر ، فقال صدقت ياأمير المؤمنين أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده

كم غافل أودى به الموت لم يأخذ الأهبة للفوت
من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

فقال له أحسنت طيبت المعنى وأمر له بعشرين الف درهم

كان أبو العتاهية يحج كل سنة فاذا قدم أهدى الى المأمون بردا ومطرفا ونعلا سوداء ومساويك أراك فيبعث اليه بعشرين الف درهم ، فاهدى مرة له كما كان يهدى كل سنة اذا قدم فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة فكتب اليه أبو العتاهية

خبرونى أن من ضرب السنة جددا بيضا وصفرا حسنة
أحدثت لكننى لم أرهـــا مثل ما كنت أرى كل سنة

فأمر المأمون بحمل العشرين الألف وقال اغفلناه حتى تذكرنا

لما ولي موسى الهادى كان واجدا على أبى العتاهية لملازمته أخاه هرون وانقطاعه اليه وتركه موسى وكان أيضا قد أمره أن يخرج معه الى الرى فأبى ذلك فخافه وقال

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شر ما يتوقع
وانى على عظم الرجاء لخائف كأن على رأسى الأسنة تشرع

يروعني موسى على غير عثرة ومالي أرى موسى من العفو أوسع
وما آمن يمسي ويصبح عائذاً بعفو أمير المؤمنين يروّع

دخل أبو العتاهية على الهادى فأنشده

يا أمـــين الله مالي لست أدرى اليوم مالي
لم أنل منك الذى قد نال غيرى من نوال
تبذُل الحق وتعطى عن يمين وشمال
وأنا البـائس لا تنـــظر فى رقـة حالى

فأمر المعلى الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم ، قال أبو العتاهية فأتيته فأبى أن يعطيها ، وذلك أن الهادى امتحنني فى شىء من الشعر وكان مهيباً فكنت أخافه فلم يطعنى طبعى ، فأمر لى بهذا المال فخرجت ، فلما منعنيه المعلى صرت الى أبى الوليد احمد بن عقال وكان يجالس الهادى فقلت له

أبلغ سلمت أبا الوليد سلامى عني أمير المؤمنين إمامى
واذا فرغت من السلام فقل له قد كان ماشاهدت من اكرامى
واذا حَصرت فليس ذاك بمبطل ما قد مضى من حرمتى وذمامى
ولطالما وفدت اليك مدائحى مخطوطة فليأت كل ملام
أيام لى لسن ورقـة جـدة والمرء قد يبلى مع الأيام

فاستخرج الى الدراهم وانفذها الى

ولد للهادى ولد في أول يوم ولى الخلافة فدخل أبو العتاهية فأنشده

اكثر موسى غيظ حساده وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيـــد أصيد فى تقطيع أجداده
فاكتست الأرض به بهجة واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحـة علت بهـا ذروة أعـواده

كأنني بعد قليل به بين مواليه وقواده
في محفل تخفق رايآته قد طبق الأرض بأجناده

فأمر له موسى بألف دينار وطيب كثير وكان ساخطا عليه فرضى عنه

ومن قوله للرشيد وقد حبسه

من لعبد أذله مولاه ما له شفيع اليه سواه
يشتكي ما به اليه ويخشا ه ويرجوه مثل مايخشاه

وقال يارشيد الأمر أرشدني الى وجه نجحي لاعدمت الرشدا
لا أراك الله سوءا أبدا ما رأت مثلك عين أحدا
أعن الخائف وارحم صوته رافعا نحوك يدعوك يدا
وابلائي من دعاوى آمل كلما قلت تداني بعدا
كم أمنّي بغد بعد غد ينفد العمر ولم ألق غدا

ومن قوله في عتبة

ياعتب سيدتي اما لك دين حتى متى قلبي لديك رهين
وانا الذلول لكل ما حملتني وانا الشقي البائس المسكين
وانا الغداة لكل باك مسعد ولكل حب صاحب وخدين
لا بأس ان لذاك عندي راحة للصب أن يلقي الحزين حزين
ياعتب اين أفر منك أميرتي وعلى حصن من هواك حصين

ومن قوله

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه

ومن قوله للرشيد

الله هون عندك الد نيا وبغضها اليكا
فأبيت الا ان تصغـــر كل شيء فى يديكا
ما هانت الدنيا على أحد كما هانت عليكا

وقال يمدح الفضل بن الربيع

اذا ما كنت متخذا خليلا فمثل الفضل فاتخذ الخليلا
يرى الشكر القليل له عظيما ويعطى من مواهبه الجزيلا
أرانى حيثما يممت طرفي وجدت على مكارمه دليلا

وقال عبد الصمد بن المعذل سمعت الأمير عيسى بن جعفر يقول كنت صبيا فى دار الرشيد فرأيت شيخا ينشد والناس حوله

ليس للانسان الا ما رزق استعـــين الله بالله أثق
علق الهم بقلبي كلـــه واذا مـا علق الهم علق
بأبى من كان لى من قلبه مـــرة ود قليل فسرق
يابنى الاسلام فيكم ملك شعب الاحسان عنه تفترق
لندى هرون فيكم وله فيكم صوب هطول وورق
لم يزل هرون خيرا كله قتـــل الشربه يوم خلق

فقلت لبعض الهاشميين أما ترى اعجاب الناس بشعر هذا الرجل ؟ فقال يابنى ان الأعناق لتقطع دون هذا الطبع وكان الشيخ أبا العتاهية والذى سأله ابراهيم بن المهدي

قال ابن أبى الأبيض أتيت أبا العتاهية فقلت له انى رجل أقول الشعر فى الزهد ولى فيه أشعار كثيرة وهو مذهب أستحسنه لأنى أرجو الآخرة فيه وسمعت شعرك فى هذا المعني فأحببت أن أستزيد منه فأحب أن تنشدنى من جيد ما قلت ،

فقال اعلم أن ما قلته ردىء ، قلت وكيف ؟ قال لأن الشعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعرى ولا سيما الأشعار التى فى الزهد فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة وأعجب الاشياء اليهم ما فهموه ، فقلت صدقت ، ثم أنشدنى قصيدته

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب
ألا يا موت لم أر منك بدا أتيت وما تحيف وما تحابى
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على الشباب

قال فصرت الى أبى نواس فأعلمته ما دار بيننا ، فقال والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر ، فصرت اليه فأخبرته بقول أبى نواس فأنشدنى قصيدته التى يقول فيها

طول التعاشر بين الناس مملول ما لابن آدم ان فتشت معقول
يا راعى الشاء لا تغفل رعايتها فنت عن كل ما استرعيت مسئول
انى لفى منزل ما زلت أعمره على يقين بأنى عنه منقول
وليس من موضع يأتيه ذو نفس الا وللموت سيف فيه مسلول
لم يشغل الموت عنا مذ أعد لنا وكلنا عنه باللذات مشغول
ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب والحى ما عاش مغشىّ وموصول
كل ما بدا لك فالآ كال فانية وكل ذى أكل لا بد مأكول

ثم أنشدنى عدة قصائد ما هى بدون هذه ، فصرت الى أبى نواس فأخبرته فتغير لونه وقال لم خبرته بما قلت ؟ قد والله أجاد ولم يقل فيه سوءا

ومن قوله

ما أسرع الأيام فى الشهر وأسرع الأشهر فى العمر
ليس لمن ليست له حيلة موجودة خير من الصبر
فاخطُ مع الدهر اذا ماخطا واجر مع الدهر كما يجرى
من سابق الدهر كبا كبوة لم يستقلها آخر الدهر

ومن قوله يعاتب صالحا الشهر زورى فى تأخير قضاء حاجته

أعينيَّ جودا وابكيا ود صالح وهيجا عليه معولات النوائح
فما زال سلطانا أخ لى أوده فيقطعني حزما قطيعة صالح

ومن قوله

قل لمن ضنّ بوده وكوى القلب بصده
ما ابتلى الله فؤادى بك الا شؤم جده
أيها السارق عقلى لا تضـــن برده
ما أرى حبك الا بالغا بى فوق حده

ومن قوله

الموت بين الخلق مشترك لا سوقة يبقى ولا ملك
ما ضر أصحاب القليل وما أغنى عن الأملاك ما ملكوا

قال أبو تمام لأبى العتاهية خمسة أبيات ما شركه فيها أحد ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر وهو قوله

الناس فى غفلاتهم ورحا المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف

ألم تر ان الفقر يرجى له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله فى موسى الهادى ،

ولما استقلوا بأثقالهم وقد أزمعوا للذي أزمعوا
قرنت التفاتى بآثارهم واتبعتهم مقلة تدمع

وقوله

هب الدنيا تصير اليك عفوا أليس مصير ذلك للزوال

قال أبو العتاهية ماتت بنت للمهدى فحزن عليها حزناً شديدا حتى امتنع من الطعام والشراب فقلت أبياتا أعزيه بها، فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول لا بد من الصبر على ما لا بد منه ولئن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا، وما يأتى الليل والنهار على شيء الا أبلياه، فلما سمعت هذا منه قلت يا أمير المؤمنين أتأذن لى أن أنشدك؟ قال هات فأنشدته

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما وكل غضّ جديد فيهما بال
يا من سلا عن حبيب بعد موتته كم بعد موتك أيضاً عنك من سال
كأن كل نعيم أنت ذائقه من لذة العيش يحكي لمعة الآل
لا تلعبن بك الدنيا وأنت ترى ما شئت من عبر فيها وأمثال
ما حيلة الموت الا كل صالحة أولا فما حيلة فيه لمحتال

فقال لى أحسنت ويحك وأصبت ما فى نفسي ووعظت وأوجزت، ثم أمر لي بكل بيت بألف درهم

ومن قوله

ان كنت متخذا خليلا فتَنَقّ وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفاً فى الود فابغ به بديلا
ولربما سئل البخيل الشيء لا يسوى فتيلا
فيقول لا أجد السبيل اليه يكره أن يُنيلا
فكذاك لاجعل الاله له الى خير سبيلا
فاضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى الا بخيلا

كتب بكر بن المعتمر الى أبي العتاهية يشكو اليه ضيق القيد وغم الحبس فكتب اليه أبو العتاهية

هي الأيام والعبر وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى فرجا فأين الله والقدر

ومن قوله

المرء فى تأخير مدته كالثوب يخلق بعد جدّته
وحياته نفس يعدله ووفاته استكمال عدته
ومصيره من بعد مدته بَلْياً وذا من بعد وحدته
من مات مال ذوو مودته عنه وحالوا عن مودته
أزِف الرحيل ونحن فى لعب ما نستعد له بعدته
ولقلما تبقى الخطوب على أثر الشباب وحر وَقدته
عجبا لمنتبه يضيع ما يحتاج فيه ليوم رقدته

قال العباس بن عبيد الله كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد فى الزهد ، فقال قثم يا عباس اطلب الساعة الجمّاز حيث كان ولك عندى سبق ، فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت أجب الأمير ، فقام معى حتى أتى قثم فجلس فى ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده ، فأنشأ الجماز يقول

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهِّد الناس ولا يزهَد
لو كان فى تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفدَ أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية اليه ، فقال من هذا ؟ قالوا الجماز وهو ابن أخت سلم الخاسر اقتص لخاله منك ، فأقبل عليه وقال يا ابن أخى انى لم أذهب حيث ظننت

ولا ظن خالك ولا أردت أن أهتف به وانما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه فالله يغفر لكما ، ثم قام .

كان احمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خدم المأمون وخص به رأى منه أبو العتاهية جفوة فكتب اليه

أبا جعفر ان الشريف يَشينه تتابعه على الأخلاء بالوفر
ألم تر أن الفقر يرجى له الغني وأن الغنى يخشى عليه من الفقر
فان نلت تيها بالذي نلت من غني فان غناى فى التجمل والصبر

فبعث اليه بألفي درهم وكتب اليه يعتذر مما أنكره

قال أبو جعفر المعبدى لأبي العتاهية أجز لي قول الشاعر

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما أن تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول

فقال أبو العتاهية على المكان

فقصر ما ترى بالصبر حقاً فكل ان صبرت له مزيل

قال أبو العتاهية لابنه وقد غضب عليه اذهب فانك ثقيل الظل جامد الهواء

لما مات موسى الهادى قال الرشيد لأبي العتاهية قل شعراً في الغزل ، فقال لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه ، وأمر ابراهيم الموصلى أن يغني ، فقال لا أغني بعد موسى أبدا ، وكان محسنا اليهما ، فحبسه ، فلما شخص من الرَّقة حفر لهما حفيرة واسعة وقطع بينهما بحائط وقال كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعر أنت ويغنى هذا ، فصبرا على ذلك برهة ، وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر ابن يحيى معه فغنت جارية صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طربا شديدا وكان بيتا واحداً فقال الرشيد ما كان أحوجه الى بيت ثان ليطول الغناء فيه فيستمتع مدة طويلة به ، فقال له جعفر قد أصبته ، قال من أين؟ قال تبعث الي أبي العتاهية فيلحقه به ، لقدرته على الشعر وسرعته ، قال هو أنكد من ذلك لا يجيبنا وهو محبوس

ونحن فى نعيم وطرب ، قال بلى ، قال فا كتب اليه حتى تعلم صحة ما قلت لك ، فكتب اليه بالقصة وقال ألحق لنا بالبيت بيتاً ثانياً ، فكتب اليه أبو العتاهية

شغل المسكين عن تلك المحن فارق الروح وأخلى من بدن
ولقد كلفت أمرا عجبا أسأل التفريج من بيت الحزن

فلما وصلت قال الرشيد قد عرفتك أنه لا يفعل ، قال فتخرجه ، قال لا حتى يشعر فقد حلفت ، فأقام أياما لا يفعل ، ثم قال أبو العتاهية لابراهيم الى كم هذا تلاجّ الخلفاء هلُمّ أقل شعرا وتغني فيه ، فقال أبو العتاهية

بأبى من كان في قلبى له مرة حب قليل فسُرق
يا بنى العباس فيكم ملك شُعَب الاحسان منه تفترق
انما هرون خير كله مات كل الشر مذ يوم خلق

وغني فيه ابراهيم فدعا بهما الرشيد فأنشده أبو العتاهية وغناه ابراهيم فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب

غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل اليها أياماً ثم ندم فقال

صدعنى اذ رآنى مفتتن وأطال الصد لما ان فطن
كان مملوكى فأضحى مالكى ان هذا من أعاجيب الزمن

وقال لجعفر بن يحيى اطلب لي من يزيد على هذين البيتين ، فقال لابى العتاهية فقال

عزة الحب أرته ذلتى فى هواه وله وجه حسن
ولهذا صرت مملوكا له ولهذا شاع ما بى وعلن

ومن قول أبى العتاهية

فتشت ذى الدنيا فليس بها أحد أراه لآخر حامد
حتى كأن الناس كلهمُ قد أفرغوا في قالب واحد

أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلم الخاسر

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون ان الحرص لمفسد للدين والمروءة والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فرأيت فيه مصطنعا ، فبلغ ذلك سلما فقال ويلي على الجرار الزنديق جمع الأموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا فأخذ يهتف بي اذا تصديت للطلب

كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فقيل ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس ، فوجه اليه الرشيد قل شعرا حتى أسمعه منهم ، ولم يأمر باطلاقه ، فغاظه ذلك وقال والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسر به فعمل شعرا ودفعه الى من حفظه من الملاحين فلما ركب الحراقة سمعه وهو

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
لدواعي الخير والشـ ـر دنـو ونزوح
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح
كيف اصلاح قلوب اعمـا هن قروح
أحسن الله بنـا أن الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منـا بين ثوبيه نضوح
كم رأينا من عزيز طويت عنه الكشوح
صاح منـه برحيل صائح الدهر الصدوح
موت بعض الناس في الـ أرض على قوم فتوح
سيصير المرء يوما جسدا ما فيه روح

بين عيني كل حي علم الموت يلوح
كلنا في غفلة والموت يغدو ويروح
لبنى الدنيا من الدنـ يا غبوق وصبوح
رُحنَ في الوشي وأصبحن عليهن المسوح
كل نطّاح من الدهر له يوما نطوح
نُحْ على نفسك يامسكين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمر ت ما عمر نوح

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة وأشدهم عسفا في وقت الغضب والغلظة ، فلما رأى الفضل ابن الربيع كثرة بكائه أومأ الي الملاحين أن يسكتوا

لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الامين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية

رحلت عن الربع المحيل قعودى الى ذى زُحوف جمّة وجنود
وراع يراعى الليل فى حفظ أمة يدافع عنها الشر غير رقود
بألوية جبريل يقدُم أهلها ورايات نصر حوله وبنود
تجافي عن الدنيا وأيقن أنها مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية ثلاثة أملاك ولاة عهود
همُ خير أولاد لهم خير والد له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هرون حول سريره نخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم عيون ظباء في قلوب أسود
خدودهمُ شمس أتت فى أهلة تبدت لراء في نجوم سعود

فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعرا قط

ومن قوله

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان عن ملك قد انقضى ملكه الى ملك

ومن قوله

بَرِمت بالناس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوحدة
ما اكثر الناس لعمرى وما أقلهم فى منتهى العدة

ومن قوله يمدح الرشيد

عاد لى من ذكرها نَصَب فدموع العين تنسكب
وكذاك الحب صاحبه يعتريه الهم والوصب
خير من يرجى ومن يَهَب ملك دانت له العرب
وحقيق أن يدان له من أبوه للنبى أب

ومن قوله وقد قال له الرشيد عظنى

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس اذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرع منا ومتَّرس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ان السفينة لاتجري على اليبس

قال أحمد بن أبى فنن تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله أيما أشعر أبو نواس أو أبو العتاهية ؟ فقال الفتح أبو نواس وقلت أبو العتاهية ، ثم قلت لو وضعت أشعار العرب كلها بازاء شعر أبى العتاهية لفضلها ، وليس بيننا خلاف في أن له فى كل قصيدة جيدا ووسطا وضعيفا فاذا جمع جيده كانا كثر من كل مجود ثم قلت له بمن ترضى ؟ قال بالحسين بن الضحاك ، فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك فقلت له ما تقول فى رجلين تشاجرا فضل أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية ؟ فشتم الحسين من فضل أبا نواس على أبى العتاهية ، فخجل الفتح حتى تبين ذلك فيه ثم لم يعاودنى فى شىء من ذكرهما حتى افترقنا

قيل لأبى العتاهية عند الموت ما تشتهى فقال أشتهى أن يجيء مخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغنيني

سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى ... ويحدث بعدى للخليل خليل
اذا ما انقضت عنى من الدهر ليلة ... فان غناء الباكيات قليل

آخر شعر قاله أبو العتاهية فى مرضه الذى مات فيه قوله

الهى لا تعذبني فانى ... مقر بالذى قد كان مني
فما لى حيلة الا رجائى ... لعفوك ان عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فضل ومن
اذا فكرت فى ندمى عليها ... عضضت أناملى وقرعت سني
أجَنُّ بزهرة الدنيا جنونا ... وأقطع طول عمرى بالتمنى
ولو أنى صدقت الزهد عنها ... قلبت لأهلها ظهر المِجَنُّ
يظن الناس بى خيرا وانى ... لشر الخلق ان لم يَعْفُ عني

وقال لابنته رقية فى علته التى مات فيها قومى يابنية فاندبى أباك بهذه الأبيات، فقامت فندبته بقوله

لعب البِلى بمعالمى ورسومى ... وقبرت حيا تحت رَدْم همومى
لزم البلى جسمي فأوهن قوتى ... ان البلى لموكل بلزومي

توفى هو وابراهيم الموصلى وابو عمرو الشيبانى بمدينة السلام في يوم واحد سنة ٢١٣ وأمر أن يكتب على قبره

اذن حى تسمعى ... اسمعى ثم عى وعى
انا رهن بمَضْجَعى ... فاحذرى مثل مصرعى
عشت تسعين حجة ... أسلمتنى لمضجعى
كم ترى الحى ثابتا ... فى ديار التزعزع

ليس زاد سوى التقى فخذى منه أودعى

ورثاه محمد ابنه بقوله

يأبى ضمَّك الثرى وطوى الموت أجمعك

ليتنى يوم مت صر ت الى حفرة معك

رحم الله مصرعك برد الله مضجعك

عبد الصمد بن المعذل

هو عبد الصمد بن المعذَّل بن غيلان من عبد القيس ثم من ربيعة يكني أبا القاسم وأمه أم ولد يقال لها الزرقاء شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصرى المولد والمنشأ ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة ، وكان أخوه احمد أيضا شاعرا الا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة ، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلمُ عنه ، وعبد الصمد أشعرهما ، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجده غيلان شاعرين وقد روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير . والمعذل هو الذى يقول

الى الله اشكو لا الي الناس أننى أرى صالح الأعمال لا أستطيعها

أري خلَّة في اخوة وأقارب وذى رَحِم ما كان مثلى يضيعها

فلو ساعدتني فى المكارم قدرة لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وهو القائل

ولست بميال الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وانى لصبار على ما ينوبني وحسبك أن الله أثني على الصبر

مر المعذل بعبد الله بن سوَّار العنبرى القاضى فاستنزله عبد الله وكان من عادة المعذل ان ينزل عنده فأبى وأنشده

أمن حق المودة ان نقضى ذمامكمُ ولا تقضُوا ذِماما
وقد قال الأديب مقال صدق رآه الآخرون لهم اماما
اذا أكرمتكم وأهنتمونى ولم أغضب لذلكمُ فذاما

وانصرف ، فبكر اليه عبد الله بن سوار فقال رأيتك أبا عمرو مغضبا ، فقال أجل ماتت بنت أختى ولم تأتني ، قال ما علمت ذلك ، قال عذرك أشد من ذنبك ، وما لى أنا أعرف خبر حقوقك وأنت لا تعرف خبر حقوقى ، فما زال عبد الله يعتذر اليه حتى رضى عنه ، ومن شعر عبد الصمد

لسان الهوى ينطق ومشاهده تصدق
لقد نمّ هذا الهوى عليك وما يشفق
اذا لم تكن عاشقا فقلبك لِمْ يخفُق
وما لك إمّا بدت تَحار فلا تنطق
أشمس تجلت لنا أم القمر المشرق

ومن قوله

سل جزعي مذ صددت عن حالي هل خطر الصبر لي على بال
لا غير الله سوءَ فعلك بى ان كنت أعتبت فيك عذالي
ولا ذممت البكا عليك ولا حمدت حسن السلو من سال
لو كنت أبغى سواك ما جهلت نفسي أن الصدودا أعفى لي

كتب عبد الصمد الى بعض الامراء رقعة فلم يجبه عنها لشيء كان بلغه عنه فكتب اليه

ليت شعرى عن الامير لماذا لا يرانى أهلا لرد الجواب
لا تدَعْنى وانت رفعت حالى ذا انخفاض بهجرة واجتناب
ان أكن مذنبا فعندى رجوع وبلاء بالعذر والاعتاب

وانا الصادق الوفاء وذو العهـ ـد الوثيق المؤكد الأسباب

كان لعبد الصمد بستان نظيف عامر فقال فيه

اذا لم يزرنا نَدْمانيه خلوت فنادمت بستانية
فنادمته خَضِرا مُؤْنَقا يهيج لى ذكر أشجانية
يقرب مفرحه المستلذ ويبعد هَمِّى وأحزانية
أرى فيه مثل مدارى الظـ ـبى تَظَلّ لأطلائها حانية
ونَوْرأَقاحٍ شتيت النبات كما ابتسمت عجبا غانية
ونرجسه مثل عين الفتا ة الى وجه عاشقها رانية

كان عبد الصمد يعاشر عبد الله بن المسيب ويألفه فبلغه عنه أنه اغتابه يوما وهو سكران وعاب شيئا أنشده من شعره فقال فيه وكتب بها اليه

عتبى عليك مقارن العذر قد زال عند حفيظتى صبرى
لك شافع منى اليّ فما يقضى عليك بَهفْوة فكرى
لما أتانى ما نطقت به فى السكر قلت جناية السكر
حاشا لعبد الله يذكرنى مستعذباً بنقيصتى ذكرى
ان عاب شعرى أو تَحَيفه فلْيَهْنِهِ ما عاب من شعرى
يا ابن المسيب قد سبقت بما أصبحت مرتهناً به شكرى
فمتي خُمِرت فأنت فى سعة ومتى هَفَوْت فأنت فى عذر
ترك العتاب اذا استحق أخ منك العتاب ذريعة الهجر

ومن قول احمد بن المعذل لاسحاق بن ابراهيم

أفضلت نُعْمَى على قوم رعيت لهم حقاً قديماً من الود الذى دَرَسا
وحرمة القصد بالآمال أنهمُ أتوا سواك فما لاَقوا به أنسا
لأنت اكرم منه عند رفعته قولا وفعلا واخلاقا ومغترسا

جمع بين أبي تمام وبين عبد الصمد مجلس وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر وكان أبو تمام أبطأ فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه

أنت بين اثنتين تبرز للنا ... س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال ... من حبيب أو طالبا لنوال
أي ماء لحر وجهك يبقى ... بين ذل الهوى وذل السؤال

فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلا وجاء به وقد كتب فيه

أفي تنظم قول الزور والفند ... وأنت أنزر من لا شيء في العدد
أشرجت[1] قلبك من بغضي على حرق ... كأنها حركات الروح في الجسد

فقال عبد الصمد يا غث أخبرني عن قولك « أنزر من لا شيء في العدد » أي شيء أنزر من لا شيء في العدد ؟ وأخبرني عن قولك « أشرجت قلبك » قلبي مفرش او عيبة أو خرج فأشرجه عليك لعنة الله فما رأيت أغث منك ، فانقطع أبو تمام انقطاعاً ما يرى أقبح منه وقام فانصرف وما راجعه بحرف

كان عبد الصمد يستثقل رجلا من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش وكان له ابن أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو وكان يخلف بعض أمراء البصرة ، وكان الفراش هذا يصلي به ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده ، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد

غدر الزمان وليته لم يغدر ... وحدا بشهر الصوم فطر المفطر
وثوت بقلبك يا محمد لوعة ... تمري بوادر دمعك المتحدر
وتقسمتك صبابتان لبينه ... أسف المشوق وحلة المتفكر
فاستبق عينك واخش قلبك بأسه ... واقر السلام على خوان المنذر
سقيا لدهرك اذ تروح يومه ... والشمس في عليائه لم تنهر

(١) أشرج الخريطة داخل بين أشراجها وضمها والاشراج العرى

حتي تُنيخ لكَلْكَل متزاور وتمُدّ بُلعوما قَموص[1] الحنجر
وترود منك على الخوان أنامل تدَع الخوان سَراب قاع مُقفِر
ويح الصحاف من ابن فراش اذا أنحى عليها كالهزبْر الهيصر
ذو دُرْبة طبّ اذا لمعت له نسر الخوان بدا بِحَلّ المئزر
ودّا ابن فراش وفراش معا لو أن شهر الصوم مدة أشهر
يُزرى على الاسلام قلة صبره وتراه يحمد عدة المتنصر
لا تهلكن على الصيام صبابة سيعود شهرك قابلا فاستبشر
لا درّ درّك يا محمد من فتى شين المغيب وغير زين المحضر

شرب على بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدهن فدخل اليه عبد الصمد بعد خروجه عنه فأنشده

بأيمن طائر وأسرّ فال وأعلى رتبة وأجل حال
شربت الدهن ثم خرجت عنه خروج المشرفيّ من الصِّقال
تكشفَ عنك ما عانيت منه كما انكشف الغمام عن الهلال
وقد أهديت رَيحانا طَريفا به حاثيت مستمعا سؤالى
وما هو غير ياء بعد حاء وقد سبقا بميم ثم دال
وريحان الشباب يعيش يوما وليس يموت ريحان المقال
ولم تك مؤثرا تفاح شم على تفاح أسماع الرجال

قال احمد بن المغيرة العجلى كنت عند أبى سهل الاسكافى وعنده عبد الصمد فرفع اليه رجل رقعة فقرأها فاذا فيها

هذا الرحيل فهل فى حاجتى نظر أولا فأعلم ما آتى وما أذَر

فدفعها الى عبد الصمد وقال الجواب عليك ، فكتب فيها

النفس تسخو ولكن يمنع العُسُر والحر يَعذِر من بالعسر يعتذر

(١) قموص الحنجرة الكذاب

ثم قال عبد الصمد لعلى بن سهل هذا الجواب قولا وعليك أعزك الله الجواب فعلا ، ونُجح سعي الآمل حق واجب على مثلك ، فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار

كان لأحمد بن المعذل ابن ثقيل تيّاه شديد الذّهاب بنفسه وكان مبغّضاً عند أهل البصرة ، فقال فيه عبد الصمد

لو كان يعطَى المنى الأعمام فى ابن أخ ... أصبحت فى جوف قُرْقور الى الصين
قد كان همـا طويلا لا يقام له ... لو كان رؤيتنـــا اياك في الحين
فكيف بالصبر اذ أصبحت اكثر فى ... مجـال أعيننا من رمـل يَبْرِين
يا أبغض الناس فى عسر وميسرة ... وأقذر الناس فى دنيا وفى دين
لو شاء ربى لأضحى واهبا لأخي ... بمر ثُكْلك أجرا غـير ممنون
وقائل لى ما أضناك قلت له ... شخص ترى وجهه عينى فيُضْنينى
ان القلوب لتطوى منك يا ابن أخى ... اذا رأتك على مثل السكاكين

نظر عبد الصمد الى جار له يخطِر فى مشيته خطرة منكرة وكان فقيرا رث الحال فقال فيه

يتمشى فى ثوب عَصْب من العُرْ ... ى على عظمٍ ساقه مجدول
دب فى رأسه خُمار من الجو ... ع سرى فى خمرة الرحيق الشَّمول
فبكى شَجْوه وحن الى الخُبْـــز ونادى بزفـرة وعـويل
من لقلب متيم برغيفيـــن ونفس تاقت الى تطفيل
ليس تسمو الى الولائم نفسى ... جل قدر الأعراس عن تأميلى
هات لونا وقل لتلك تُغَنِّى ... لست أبكى لدارسات الطلول

كان بالبصرة طفيلى يكنى أبا سلمة ، وكان اذا بلغه خبر وليمـة لَبِس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة الرقاق ، فيقدم ابنيه فيدق الباب أحدهما ويقـول افتح ياغـلام لأبى سلمـة ، ثم لا يلبث حتى

يتقدم الآخر فيقول افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة ، ويتلوهم فيدقون جميعا الباب ويقولون بادر ويلك فان أبا سلمة واقف ، فان لم يكن عرفهم فتح لهم وهاب منظرهم وان كانت معرفته اياهم قد سبقت لم يلتفت اليهم ، ومع كل واحد منهم فِهْر مدور ويسمونه كيسان فينتظرون حتى يجيء بعض من قد دعى فيفتح له الباب فاذا فتح طرحوا الفِهْر فى العتبة حيث يدور الباب فلا يقدر البواب على اغلاقه ويهجمون عليه فيدخلون ، فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها لشدة جرارتها فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد يرثيه

أحزان نفسى عليه غير منصرمة ... وأدمعى من جفونى الدهرَ منسجمة
على صديق ومولى لي فُجِعت به ... ما ان له فى جميع الصالحين لُمَة
كم جفنة مثل جوف الحوض مُتْرَعة ... كوماء جاءبها طباخها رَذِمة (١)
قد كلمتها شحوم من قليتها ... ومن سَنام جزور عَبْطة سَنِمة (٢)
غيبت عنها فلم نعرف له خبرا ... لهفى عليك وويلى ياأبا سلمة
ولو تكون لها حيالما بعدت ... يوما عليك ولو فى جاحم حُطَمة
قد كنت أعلم أن الأكل يقتله ... لكننى كنت أخشى ذاك من تُخَمة
اذا تعمم فى شبليه ثم غدا ... فان حَوْزة من يأتيه مُصْطَلِمة

منصور النمرى

هو منصور بن الزِّبْرِقان بن سلمة النَّمَرى الربعى من النمر بن قاسط ثم من ربيعة بن نزار شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كُلْثوم بن عمرو العَتّابى وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبه ، والعتابى وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرّظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة

(١) رذمت القصعة صارت رذوما وهى الممتلئة تصب جوانبها
(٢) ناقة سمنة عظيمة السنام

واستصحبه ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه و بين العتابى وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه ، وكان النَّمرى قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة فأوصلها العتابى اليه واسترفده له وسأله استصحابه ، فأذن له في القدوم ، فحظى عنده ، وعرف مذهب الرشيد فى الشعر وارادته أن يصل مدحه اياه بنفى الامامة عن ولد على بن أبى طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه فى ذلك مما كان يبلغه من تقديم مَرْوان بن أبى حفصة وتفضيله اياه على الشعراء فى الجوائز فسلك مذهب مَرْوان فى ذلك ونحا نحوه ، ولم يصرح بالهجاء والسَّبِّ كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأومأ ولم يحقق لأنه كان يتشيع وكان مَرْوان شديد العداوة لآل ابى طالب وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يُبْقِي ولا يَذَر . ومن أول ما أنشده الرشيد قوله

أمير المؤمنين اليك خضنا غِمار الهول من بلد شَطِير
بخُوصٍ كالأَهلة خافقات تَلين على السُّرى وعلى الهجير
حملن اليك أملالا ثقالا ومثل الصخرة الدر النثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الي المصير
الى من لا يشير الى رسول اذا ذكر الندي كف المشير

وذكر فى القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال

يذلل من رقاب بني على ومنّ ليس بالمن الصغير
مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير

ولقد تخلص الى شيء ليس عليه فيه شيء وهو يقول

فان شكروا فقد أنعمت فيهم والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق وردوا ما يناسب للذكور
وما لبنى بنات من تُراث مع الاعمام فى وَرَق الزَّبور

ومنها

بني حسن ورهط بنى حسين ... عليكم بالسَّداد من الأمور
فقد ذقتم قِراع بنى أبيكم ... غداة الروع بالبيض الذُّكور
أحين شفَوْكمُ من كل وِتْر ... وضمّوكم الى كَنَف وَثير
وجادوكم على ظمأ شديد ... سقيتم من نوالهم الغزير
فما كان العقوق لهم جزاءً ... بفعلهمُ وآدى للثؤور
وانك حين تبلغهم اذاء ... وان ظلموا لمخزون الضمير

فقال له صدقت والا فعلىَّ وعلى وأمر له بثلاثين ألف درهم

وأنشد الرشيد يوماً قصيدته التى أولها

ما تنقصى حسرة مني ولا جزع ... اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى بلذته ... صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفى شبابى كُنْه غِرَّته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد أحسن والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يَخْطِر فى رداء الشباب .

ومن قوله فيها يمدح الرشيد

أى امرىء بات من هرون فى سخط ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أودية ... أحلك الله منها حيث تجتمع
اذا رفعت أمراً فالله يرفعه ... ومن وضعت من الاقوام متضع
نفسى فداؤك والأبطال مُعْلِمة ... يوم الوغى والمنايا صابها فزع

ومن قوله يمدح الرشيد

يا منزل الحي ذا المغانى ... انعم صباحا على بلاكا
هرون يا خير من يرجى ... لم يطع الله من عصاكا

فى خير دين وخير دنيا من اتقى الله واتقـاكا

اجتمع جماعة من الشعراء وفيهم منصور النمرى وكانوا على نبيذ فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له انما تعـاف الشراب لأنك رافضى وتسمع وتصغى الى الغناء وليس تركك النبيذ من وَرَع فقال

خلا بين نَدْمانَىَّ موضع مجلسى ولم يبق عندي للوصال نصيب
وردت على الساقى تفيض وربما رددت عليه الكأس وهو سليب
وأى أمرىء لا يستهش اذا جرت عليه بنان كفهن خضيب

كتب العتابى الى منصور النمري قوله

تقضت لُبانات ولاح مشيب وأشفَى على شمس النهار غروب
وودعت اخوان الصبا وتصرمت غَواية قلب كان وهو حـروب
خلا بين نَدْمانَىَّ موضع مجلسى ولم يبق عندي للمزاح نصيب
وردت على الساقى تفيض وربما رددت عليه الكأس وهو سليب
ومما يهيج الشـوق لي فترده خفيف على أيدى القيان صخوب
عطَوْن به حتى جرى فى أديمه أصابيع فى لَبَّاتهن وطيب

فأجابه النمرى

أوحشةَ نَدْمانيك تبكى فربما تلاقيهما والحلم عنـك عَزوب
ترى خلفا من كل نيل وثروة سماعَ قِيان عودهن ضريب
يغنيك يا بنتى فتستصحب النهى وتحتازك الآفات حين أغيب
وان امرأ أودى السماع بلبه لعُريان من ثوب الفلاح سليب

قال النمرى كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام وقد وخطني الشيب يومئذ وعبد الله شاب حديث السن فاذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت فجعلت أنظر اليها وهى تنظر الى عبد الله ثم انصرفت وقلت فيها

لما رأيتَ سوام الشيب منتشرا ... فى لمتى وعبيد الله لم يشب
سللت سهمين من عينيك فانتضلا ... على سيبة ذي الأذيال والطرب
كذا الغوانى ترى منهن قاصدة ... الى الفروع مُعَرَّاة عن الخشب
لا أنت أصبحت تعقد بيننا أربا ... ولا وعيشك ما أصبحت من أربى
احدى وخمسين قد أنضيت جِدَّتها ... تحول بيني وبين اللهو واللعب
لاتحسبني وان أغضيت عن بصري ... غَفَلْتُ عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحت يزيد بن مزيد فقلت

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاقوا الناس فى الحسب
لا يحسب الناس قدحا بَوْ ابنى مَطَر ... اذ أسلم الجود فيهم عاقد الطُّنُب
الجود أخشن لمسا يا بني مطر ... من أن تَبُزَّ كُموه كفُّ مستلب
ما أعرف الناس أن الجود مدفعة ... للذم لكنه يأتى على النسب

ومن قوله للرشيد

اذا اعتاص المديح عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا
وعد بفِنائه واجنح اليه ... تنل عُرْفا ولم تَذْلِل سؤالا
فِناء لا تزال به ركاب ... وضَعْن مدائحا وحملن مالا

ومن قوله وفيه غناء

يا زائرينا من الخيام ... حيا كما الله بالسلام
يَحْزُنني أن أطعتماني ... ولم تنالا سوى الكلام
بورك هارون من امام ... بطاعة الله ذى اعتصام
له الى ذى الجلال قربى ... ليست لعدل ولا امام

قال الرشيد للنمرى كيف رأيت فرسي فانى أنكرته فقال

مُضَرٌّ[1] على فأس اللجام كأنه ... اذا ما اشتكت أيدى الجياد يطير

(١) أضز الفرس على فأس اللجام عض

فطل على الصفصاف يوم تباشرت ضباع وذؤبان به ونسور
فأقسم لا ينسى لك الله أجرها اذا قسمت بين العباد أجور

قال النمري ثم قلت في نفسي ما يمنعني من اذ كاره بالجائزة ؟ فقلت

اذا الغيث أكدى واقشعرت نجومه فغيث أمير المؤمنين مطير
وما حل هرون الخليفة بلدة فأخلفها غيث وكاد يضير

فقال أذكرتني ورأيته متهللا فأمر لي بمائة الف درهم

غضب الرشيد على منصور النمري لما أنشد قصيدته في مدح العلويين وأولها

ساد من الناس رائع هامل يعللون النفس بالباطل

وفيها يقول

ألا مساعيرُ يغضبون لها بسلّة البيض والقنا الذابل

فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع أحضره الساعة ، فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يُلطِف له حتى كف عنه

بكر بن النطاح الحنفي يكنى أبا وائل

كان صعلوكا يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك فجعله أبو دلف من الجند وجعل له رزقا سلطانيا ، وكان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والاقدام

من شعره في هوى له

أكذب طرفي عنك والطرف صادق وأُسمع أذني منك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التي تسكنينها لكيلا يقولوا صابر ليس يجزع
فلا كبدي تَبْلَى ولا لك رحمة ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع
فلا تسأليني في هواك زيادة فأيسره يُجزى وأدناه يُقْنِع

قال أبو الحسن الراوية قال لي المأمون أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين فأنشدته

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت ... عروس بعقد أو سخاب[1] قرنفل

لحق أبو دلف أكرادا قطعوا الطريق بعمله وقد أردف منهم فارس رفيقا له خلفه فطعنهما جميعا فأنفذهما ، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة فارسين على فرس فلما قدم من وجهه دخل اليه بكر فأنشده

قالوا وينظم فارسين بطعنة ... يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو أن طول قناته ... يميل اذًا نظم الفوارس ميلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم فقال فيه

له راحة لو أن معشار جودها ... على البركان البر أندى من البحر
ولو أن خلق الله فى جسم فارس ... وبارزه كان الخلى من العمر
أبا دُلَف بوركت في كل بلدة ... كما بوركت فى شهرها ليلة القدر

كان بكر يأتى أبا دلف كل سنة فيقول له الى جنب أرضى أرض تباع وليس يحضرنى ثمنها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويعطيه ألفا لنفقته ، فجاءه فى بعض السنين فقال له مثل ذلك ، فقال له أبو دلف ما تفنى هذه الأرضون التى جنب دارك ، فغضب وانصرف عنه وقال

يانفس لا تجزعى من التلف ... فان فى الله أعظم الخلف
ان تقنعى باليسير تحترمى ... ويغنك الله من أبى دلف

وكان بكر يأتى قُرّة بن مُحرز الحنفى بكرمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ويُجرى عليه فى كل شهر يقيم عنده الف درهم ، فاجتاز به قرة يوما وهو ملازم فى السوق

(١) السخاب قلادة من قرنفل ومسك ومحلب ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

وغرماؤه يطالبونه بدين، فقال ويحك ما يكفيك ما أُعطيك؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول

الا ياقُرَّ لاتك سامريا ... فتترك من يزورك فى جهاد
أتعجب أن رأيت على دينا ... وقد أودي الطَّريف مع التِّلاد
ملأت يدى من الدنيا مرارا ... فما طَمِعَ العواذل فى اقتصادى
ولا وجبت على زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جَواد

ومن قوله لأبى دلف

اذا كان الشتاء فأنت شمس ... وان كان المصيف فأنت ظل
وما تدرى اذا أعطيت مالا ... أتكثر فى سماحك أم تُقِل

كان معقل بن عيسى صديقا لبكر، وكان بكر فاتكا صعلوكا فكان لايزال قد أحدث حادثة فى عمل أبى دلف أو جنى جناية فيهم فيقوم دونه معقل حتى يتخلصه، فمات معقل فقال بكر يرثيه

وحدَّث عنه بعض من قال انه ... رأت عينه فيما ترى عين حالم
كأن الندَى يبكى على قبر معْقِل ... ولم يره يبكى على قبر حاتم
ولا قبر كعب اذ يجود بنفسه ... ولا قبر حِلْف الجود قيس بن عاصم
فأيقنت أن الله فضل معقلا ... على كل مذكور بفضل المكارم

ومن قوله يمدح مالك بن على الخزاعى

أقول لمرتادٍ ندَى غير مالك ... كفى بذل هذا الخلق بعض عِدائه
فتى جاد بالأموال فى كل جانب ... وأنهبها فى عوده وبدَائه
فلو خذلت أمواله جود كفه ... لقاسم من يرجوه شطْر حياته
ولو لم يَجُزْ فى العمر قسمة ماله ... وجاز له الاعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه ... وشاركهم فى صومه وصلاته

ومن قوله يرثيه وقد قتلته الخوارج بالجبل

ياعين جودى بالدموع السِّجام ... على الأَمير اليمني الهمام
على فتى الدنيا وصِنديدها ... وفارس الدين وسيف الامام
لا تَذْخَرى الدمع على هالك ... أيتم اذ أَوْدَى جميع الأَنام
طاب ثرى حُلوان اذ ضُمِّنت ... عظامه سقيا لها من عظام
أغلقت الخيرات أبوابها ... وامتنعت بعدك يابن الكرام
وأصبحت خيلك بعد الوَجَى ... والعُرْى تشكو منك طول الجمام
ارحل بنا نقْرُب الى مالك ... كيما نحيي قبره بالسلام
كان لأهل الأَرض فى كفه ... غنى عن البحر وصوب الغمام
وكان فى الصبح كشمس الدجى ... وكان في الليل كبدر الظلام
وسائلٍ يَعْجَب من موته ... وقد رآه وهو صعب المرام
قلت له عهدى به مُعْلِما ... يضربهم عند ارتفاع القَتام
والحرب من طار لها لم يَكَدْ ... يُفْلِت من وقع صقيل حسام
لم ينظر الدهر لنا اذ عدا ... على ربيع الناس في كل عام
لن يستقيلوا أبدا فقده ... ما هيج الشجوَ دعاء الحمام

وقال يرثيه

أيُّ امرىء خضب الخوارجُ ثوبه ... بدم عشيةَ راح من حُلْوان
ياحفرة ضَمَّت محاسن مالك ... ما فيكِ من كرم ومن احسان
لهفى على البطل المعرض خده ... وجبينه لأَسِنة الفرسان
خَرَق الكتيبة مُعْلِما متنكبا ... والمرهفَات عليه كالنيران
ذهبت بشاشة كل شيء بعده ... فالأَرض موحشة بلا عُمران
هدم الشُّراة غداة مَصْرَع مالك ... شرف العلا ومكارم البنيان
قتلوا فتى العرب الذى كانت به ... تقوى على اللَّزبات فى الأَزمان

حرموا معدّا ما لديه وأوقعوا عصبية فى قلب كل يمان
تركوه في رهج العجاج كأنه أسد يصول بساعد وبنان
هوت الجدود عن السعود لفقده وتمسكت بالنحس والدبران
لا يبعدنّ أخو خزاعة اذ ثوى مستشهدا فى طاعة الرحمن
عزّ الغواة به وذلت أمة محبوة بحقائق الايمان
وبكاه مصحفه وصدر حسامه والمسلمون ودولة السلطان
وغدت تعقّر خيله وتقسّمت أدراعه وسوابغ الأبدان
أفتحمد الدنيا وقد ذهبت بمن كان المجير لنا من الحدثان

ومن قوله يتشوق الى بغداد وهو بالجبل

نسيم المدام وبرد السحر هما هيجا الشوق حتى ظهر
تقول اجتنب دارنا بالنهار وزرنا اذا غاب ضوء القمر
فان لنا حرسا ان رأوك ندمت وأعطوا عليك الضفر
وكم صنع الله من مرة عليهم وقد أمروا بالحذر
سقى الله بغداد من بلدة وسا كنى بغداد صوب المطر
ونبئت أن جوارى القصو ر صيرن ذكرى حديث السمر
ألا رب سائلة بالعرا ق عني وأخرى تطيل الذكر
تقول عهدنا أبا وائل كظبى الفلاة المليح الحور
ليالى كنت أزور القيا ن كأن ثيابى نهار الشجر

ومن قوله فى جارية كان يهواها وقد منع عنها

أهل دار بين الرصافة والجسر أطالوا غيظى بطول الصدود
عذبونى ببعدهم وابتلوا قلبي بحبين طارف وتليد
ما تهبّ الشمال الا تنفست وقال الفؤاد للعين جودى
قلّ عنهم صبرى ولم يرحمونى فتحيرت كالطريد الشريد

وكلتني الأيام فيك الى نفسـ ... ـى فأعييت وانتهى مجهودى

وقال فيها

العين تبـدى الحب والبغضا ... وتظهر الإبرام والنقضا
دُرَّةُ ما أنصفتني في الهوى ... ولا رحمت الجسـد المُنْضَى
مرت بنا فى قُرْطَق[1] أخضر ... يعشق منها بعضها بعضا
غضبي ولا والله يا أهلهـــا ... لا أشرب البارد أو ترضى
كيف أطاعتـــكم بهجري وقد ... جعلت خدى لها أرضا

وقال فيها

صدت فأمسى لقاؤها حرما ... واستبدل الطرف بالدموع دما
وسلطت حبها على كبدي ... فأبدلتنى بصحـة سقَما
وصرت فردا أبكى لفرقتها ... واقْرَعُ السن بعدهـا ندما
شق عليها قولُ الوشاة لها ... أصبحتِ فى أمر ذا الفتى علما
لولا سقامى وما بُليت به ... من هجرها لاسترت فاكتتما
كم حاجة في الكتاب نُحت بها ... أبكيت منها القرطاس والقلما

وقال فيها

بعدتِ عنى فتغيرتِ لي ... وليس لى عنـدك تغيير
فجدِّدى ما رثّ من وصلنا ... وكل ذنب لك مغفور
أطيب النفس بكـتمان ما ... سارت به من عذرك العير
وعدك يا سيدتى غرنى ... منك ومن يَعْشَق مغرور
يَحْزُنني علمى بنفسي اذا ... قال خليلى أنت مهجور
يا ليت من زيَّن هذا لها ... جارت لنا فيه المقادير

(١) القرطق قباء ذو طاق واحد

ساقي المدام اسقها صاحبي فانني ويحك معذور
أأشرب الخمر على هجرها انى اذا بالهجر مسرور

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف الى أصبهان

يا طيب السيب التي أحببتها ومنحتها لطفا ولين جناح
عيناى باكيتان بعدك للذى أودعت قلبي من نُدوب جراح
سقيا لأحمد من أخ ولقاسم فقدا غدوّى لاهيا ورواحى
وتَرددي من بيت فِرْز آمنا من قرب كل مخالف ومُلاح
أيام تغبطني الملوك ولا أرى أحدا له كتدللى ومزاحى
تصف القيان اذا خلوت بجانبي ويصفن للشَّرب الكرام سماحى

ومما يغنى فيه من شعره فيها

هل يُبتلَى أحد بمثل بليتى أم ليس لي فى العالمين ضريب
قالت عِنان وأبصرتني شاحبا يا بكر مالك قد علاك شحوب
فأجبتها يا أخت لم يلق الذى لاقيت الا المبتلَى أيوب
قد كنت أسمع بالهوى فأظنه شيئاً يَلَذّ لأهله ويطيب
حتى ابتُليت بحلوه ومره فالحلو منه للقلوب مذيب
والمر يعجِز منطقى عن وصفه للمر وصف يا عنان عجيب
فانا الشقى بحلوه ومره وانا المعنَّى الهائم المكروب
يادُرّ حالفك الجمال فماله في وجه انسان سواك نصيب
كل الوجوه تشابهت وبَدْرتها حسنا فوجهك في الوجوه غريب
والشمس يغرب فى الحجاب ضياؤها عنا ويشْرُق وجهك المحبوب

ومنه

غضب الحبيب على في حبي له نفسى الفداء لذنب غضبان

مالى بما ذكر الرسول يدان بل ان تم رأيك ذا خلعت عنانى
يا من يتوب الى حبيب مذنب طاوعته فجزاك بالعصيان
هلا انتحرت فكنت أول هالك ان لم يكن لك بالصدود يدان
كنا وكنتم كالبنان وكفها فالكف مفردة بغير بنان
خلق السرور لمعشر خلقوا له وخلقت للعبرات والاحزان

قال بكر قصيدته التى أولها

هنيئا لاخوانى ببغداد عيدهم وعيدى بحلوان قِراع الكتائب

وأنشدها ابا دُلَف فقال انك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة وما رأيت لذلك عندك أثرا قط ولا فيك ، فقال له أيها الأمير وأىّ غَناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال أعطوه فرسا وسيفاً ودرعاً ورمحاً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مال لأبى دلف يحمل من بعض ضياعه فأخذه ، وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه عنه فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا وسار بالمال فلم ينزل الا على عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره بأبى دلف قال نحن جنينا على أنفسنا وقد كنا أغنياء عن هَيَج أبى وائل ، ثم كتب اليه بالأمان وسوغه المال وكتب اليه سر الينا فلا ذنب لك لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا اياك وتحريضنا ، فرجع ولم يزل معه حتى مات .

قال يزيد بن مزيد وجه الىّ الرشيد فى وقت يرتاب فيه البرىء ، فلما مثلت بين يديه قال يا يزيد من الذى يقول

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فقلت له والذى شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال فمن الذى يقول

وان يك جد القوم فِهر بن مالك فجدى لُجَيم قَرْم بكر بن وائل

قلت لا والذى أكرمك وشرفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، قال والذى

أكرمني وشرفني انك لتعرفه ، أتظن يا يزيد اذ أوطأتك بساطي وشرفتك بصنيعتي أني أحتملك على هذا ؟ أو لا تظن اني لا أراعي أمورك وأتقصاها ؟ أو تحسب أنه يخفى عليّ شيء فيها ؟ والله ان عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جِلْف من أجلاف ربيعة عدا أطواره وألحق قريشا بربيعة فأتني به ، فانصرفت أسأل عن قائل الشعر فقيل لي هو بكر بن النطاح وكان أحد أصحابي ، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد فأمرت له بألفي درهم وأسقطت اسمه من الديوان ، وأمرته ألاّ يظهر ما دام الرشيد حياً ، فما ظهر حتى مات الرشيد ، فلما مات ظهر فألحقت اسمه وزدت في انزاله

يحيى بن طالب الحنفي

شاعر من أهل اليمامة ثم من بني حنيفة وهو من شعراء الدولة العباسية مقل وكان فصيحاً شاعرا غزلا فارساً ، وركبه دين في بلده فهرب الى الرَّي وخرج مع بعث اليها فمات بها . ومما يغني فيه من شعره

أيا أثلات القاع من بطن تُوضِح ... حنيني الى أطلالكن طويل
ويا أثلات القاع قلبي موكل ... بكن وجَدْوَى خيركن قليل
ويا أثلات القاع قد مل صحبتي ... وقوفي فهل في ظلكن مَقيل
الا هل الى ريح الخُزامَى ونظرة ... الى قَرْقَرَى قبل الممات سبيل
فأشرب من ماء الحُجَيلاء شربة ... يداوى بها قبل الممات عليل
أحدث عنك النفس أن لست راجعا ... اليك فحزني في الفؤاد دخيل
أريد انحدارا نحوها فيصدُّني ... اذا رمته دين على ثقيل

ولما سمع الرشيد هذا البيت أمر أن يكتب الى عامل الرَّيّ بقضاء دينه واعطائه

نفقته وانفاذه اليه على البريد ، فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب .

وقال

مداينة السلطان باب مذلة ... وأشبه شيء بالقناعة والفقر
اذا أنت لم تنظر لنفسك خاليا ... أحاطت بك الأحزان من حيث لا تدرى

قال رجل من بني حنيفة كان يحيى بن طالب جوادا شاعرا جميلا حمالا لأثقال قومه ومغارمهم يقرى الأضياف ، ما تشاء أن ترى فى فتى خصلة جميلة الا رأيتها فيه ، فدخلت عليه وهو فى آخر رمق فسألته عن خبره وسلّيته وقلت له ما طابت به نفسه فأنشدنى قوله

ما أنا كالقول الذى قلت أن زوى ... محلى عن مالى حذار النوائب
بمنزلة بين الطريقين قابلت ... بوادي كحيل كلما عنّ راكب
حللت على رأس اليفاع ولم أكن ... كمن لاذ من خوف القرى بالحواجب
فلا تسأل الضيفان من هم وأدنهم ... هم الناس من معروف وجه وجانب
خليلى عوجا بارك الله فيكما ... على البرة العليا صدور الركائب
وقولوا اذا ما الضيف حل بنجوة ... ألا فى سبيل الله يحيى بن طالب

قال الجهم بن المغيرة كنا عند جرش بن ثمال القريظى بضريّة فمرت بنا جارية صفراء مولدة ، فقال لي جرش استفتح كلامها فانها ظريفة ، فقلت لها ياجارية أين نشأت ؟ قالت بقرقرى ، فقلت لها اين شعبعب ؟ فضحكت ثم قالت بين الحوض والعطن ، قلت فمن الذى يقول

ياصاحبي فدت نفسى نفوسكما ... عوجا علىّ صدور الأبغل السُّنن
ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظُعُن ... بحائل ياعناء النفس من ظعن
أحبب بهن لو أن الدار جامعة ... وبالبلاد التى يسكنّ من وطن
طوالع الخيل من تبراك مصعدة ... كما تتابع قيدام من السفن

ياليت شعرى والأقدار غالبة ... والعين تذرف أحيانا من الحزن
هل أجعلن يدى للخد مرفقة ... على شعبعب بين الحوض والعطن

فالتفتت الى جرش فقالت أخبره بقائلها ، فقال ما أعرفه ، فقالت بلى هذا يقوله شاعرنا وظريف بلدنا وغزله ، فقال جرش ويحك ومن ذلك ؟ فقالت أشهدان كنت لا تعرفه وأنت من هذا البلد انها سوءة ، ذلك يحيى بن طالب الحنفى ، أقسم بالله ما منعك من معرفته الا غلظ الطبع وجفاء الخلق ، فجعل يضحك من قولها ومن قوله يتشوق الى اليمامة

أحقا عباد الله أن لست ناظرا ... الى قرقرى يوما وأعلامها الغبر
كأن فؤادى كلما مر راكب ... جناح غراب رام نهضا الي وكر
أقول لموسى والدموع كأنها ... جداول فاضت من جوانبها تجري
ألا هل لشيخ وابن ستين حجة ... بكى طربا نحو اليمامة من عذر
وزهدنى فى كل خير صنعته ... الى الناس ما جربت من قلة الشكر
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة ... دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فواحزنى مما أجن من الأسى ... ومن مضمر الشوق الدخيل الي حجري
تغربت عنها كارها وهجرتها ... وكان فراقيها أمر من الصبر
فيا راكب الوجناء ابت مسلما ... ولازلت من ريب الحوادث فى ستر
اذا ما أتيت العرض فاهتف بأهله ... سقيت على شحط النوى مسبل القطر
فانك من واد الى مرجب (١) ... وان كنت لا تزدار الا علي عقر

العباس بن الاحنف

من بني عدى بن حنيفة ولده هوذة بن على الحنفى من قبل بعض امهاته كان العباس شاعرا غزلا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب

(١) معظم

حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولمعانيه عذوبة ولطف ، ولم يكن يتجاوز الغزل الي مديح ولا هجاء ولا يتصرف في شيء من هذه المعانى ، وقدمه أبو العباس المبرد فى كتاب الروضة على نظرائه وأطنب فى وصفه ، وقال رأيت جماعة من الرُّواة للشعر يقدمونه ، قال وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء وكان غزلا ولم يكن فاسقا ، وكان ظاهر النعمة ملوكى المذهب شديد التظرف وذلك بين فى شعره وكان قصده الغزل وشغله النسيب ، وكان حلوا مقبولا غزلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف فى الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مداحا . وقال ابراهيم ابن العباس يصفه كان والله محمد اذا تكلم لم يُحِب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحا جميلا ظريف اللسان لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت ، وقال صالح بن عبد الوهاب كان العباس من عرب خُراسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحسنين ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتي تلحقه بالمحسنين ، وقال الجاحظ لولا أن العباس بن الاحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ما قدر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر . أنشد الحرمازى للعباس بن الأحنف

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لسانى
نمّ دمعى فليس يكتم شيئا ... ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى ... فاستدلوا عليه بالعنوان

ثم قال هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه

وكان أبو الهذيل العلاّف يبغضه ويلعنه لقوله

اذا أردت سلوا كان ناصركم ... قلبي وما أنا من قلبى بمنتصر
فأكثروا أو أقلوا من اساءتكم ... فكل ذلك محمول على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول يعقد الكفر والفجور فى شعره ،فقال العباس ويظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمع الراوى للعباس هجاء غيره

يامن يكذب أخبار الرسول لقد ... أخطأت فى كل ما تأتى وما تذر
كذّبت بالقدَر الجارى عليك فقد ... أتاك مني بما لا تشتهى القدر

قيل للأصمعى ما أحسن ما تحفظ للمحدثين قال قول العباس بن الاحنف

لو كنت عاتبة لسكّن روعتي ... أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن مَلِلْتِ فلم تكن لى حيلة ... صد الملول خلاف صد العاتب

ومما أنشده له ابراهيم بن العباس

قالت ظلوم سمية الظلم ... مالى رأيتك ناحل الجسم
يامن رمى قلبي فأقصده ... انت العليم بموقع السهم

وأنشد له الأصمعى

أتأذنون لصب فى زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به ... عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

فقال ما زال هذا الفتى يدخل يده فى جرابه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها فأخرج هذا ومن ادمن طلب شىء ظفر ببعضه

وقال سعيد بن جنيد ما أعرف أحسن من شعر العباس فى اخفاء أمره حيث يقول

أريدك بالسلام فاتّقيهم ... فأعمد بالسلام الى سواك
وأكثر فيهمُ ضحكي ليخفى ... فسِرّى ضاحك والقلب باك

ومما تمثل به الواثق فى شر كان بينه وبعض جواريه

عدل من الله أبكانى وأضحكها ... فالحمد لله عدل كل ما صنعا
اليوم أبكي على قلبى وأندبه ... قلب ألح عليه الحب فانصدعا

ومما تمثل به أيضاً فى مثل ذلك

اما تحسبيني أرى العاشقين بلى ثم لستُ أرى لي نظيرا
لعل الذى بيديه الأمور سيجعل في الكره خيرا كثيرا

وقال الزبير ابن الأحنف أشعر الناس فى قوله

تعتل بالشغل عنا ما تكلمنا الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ويقول لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها الا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير

وقال اسحاق لقد ظرُف ابن الأحنف فى قوله يصف طول عهده بالنوم

قفا خبراني أيها الرجلان عن النوم ان الهجر عنه نهانى
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه صفا النوم لي ان كنتما تصفان

على قلة اعجابه بمثل هذه الأشعار

ورؤى شعر العباس مع سلمة بن عاصم فقيل له في ذلك ، فقال ألا أحمل شعر من يقول

أسأت ان أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس
يقلقني الشوق فآتيكمُ والقلب مملوء من الياس

وقال احمد بن ابراهيم أتانى أعرابى فصيح ظريف فجعلت اكتب عنه أشياء حسانا ، ثم قال أنشدنى لأصحابكم الحضريين ، فأنشدته للعباس بن الأحنف

ذكرتك بالتفاح لما شممته وبالراح لما قابلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفا وبالراح طعما من مُقبَّلك العذب

فقال هذا عندك وأنت تكتب عنى لا أنشدك حرفا بعد هذا

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل ما أعرف فى العراق أحسن من قول الأحنف

سبحان رب العلا ما كان أغفلني عما رمتنى به الأيام والزمن
من لم يذق فرقة الأحباب ثم يرى آثارهم بعدهم لم يدر ما الحزن

قال حسين بن الضحاك لو جاء العباس بقول ما قاله فى بيتين فى أبيات لعذر وهو قوله

لعمرك ما يستريح المحـــب حتى يبوح بأسراره
فقد يكتم المرء أسراره فتظهر فى بعض أشعاره

ثم قال أما قوله فى هذا المعنى الذى لم يتقدمه فيه أحد فهو

الحب أملك للفؤاد بقهره من أن يرى للستر فيه نصبب
واذا بدا سر اللبيب فانه لم يبد الا والفتى مغـلوب

وقال أبو العتاهية ما حسدت احدا الا العباس بن الأحنف فى قوله

اذا امتنع القريب فلم تَنَلْه على قرب فذاك هو البعيد

وقال الكندى العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزْل فى شعره وكان قليلا ما يرضيني الشعر فكان ينشد له كثيرا

ألا تعجبون كما أعجب حبيب يسىء ولا يُعْتِب
وأبغى رضاه على سخطه فيأبَى علىّ ويستصعب
فيا ليت حظى اذا ما أسأ ت أنك ترضى ولا تغضب

وكان ابراهيم الموصلى مشغوفا بشعر العباس فيغنى فى كثير من شعره فمما غنى فيه

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيب من الريحان ريّان أخضر
هم كتموني سيرهم حين أزمعوا وقالوا اتّعدنا للرواح وبكّروا

ومنه

تمنى رجال ما أحبوا وانما تمنيت أن أشكو اليك وتسمعا

أرى كل معشوقين غيري وغيرها قد استعذبا طول الهوى وتمتعا

ومنه

بكيت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع
وانى كل يوم عنكم يحظى بى الساعى
أعيش الدهر ان عشت بقلب منك مرتاع
وان حل بى البعد سينعانى لك الناعى

وقال الواثق لجلسائه أريد أن أصنع لحنا فى شعر معناه ان الانسان كائنا من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه فهل تعرفون فى هذا شيئاً فأنشدوه ضروبا من الأشعار، فقال ما جئتم بشىء مثل قول العباس بن الأحنف

قلبى الى ما ضرنى داعى يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا كان عدوى بين أضلاعى
أسلمنى للحب أشياعى لما سعى بى عندها الساعى
لقلما أبقى على كل ذا يوشك أن ينعانى الناعي

ومما غنى فيه من شعره

وأبكى الذين أذاقونى مودتهم حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا

وقال ابراهيم بن العباس ما رأيت كلاما محدثا أجزل في رقة ولا اصعب فى سهولة ولا أبلغ فى ايجاز من قول العباس بن الأحنف

تعالَىْ نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

وأنشد ابراهيم بن العباس للأحنف

ان قال لم يفعل وان سِيلَ لم يبذُل وان عوتب لم يُعْتب
صب بعصيانى ولو قال لى لا تشرب البارد لم أشرب
اليك أشكو رب ما حل بى من صد هذا المذنب المغضب

ثم قال هذا والله الكلام الحسن المعنى السهل المورد القريب المتناول المليح اللفظ العذب المستمع، ومما غنى فيه شعره

نام من أهدى لى الأرقا مستريحا زادنى قلقا
لو يبيت الناس كلهمُ بسهادى بيض الحدقا
كان لي قلب أعيش به فاصطلى بالحب فاحترقا
أنا لم أُرزق مودتكم انما للعبد ما رزقا

وقال ابن المعتز لو قيل ما أحسن شيء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالحب غيركمُ وصادق ليس يدري أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع فى أمر كان بينه وبين احدى جواريه

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك إلا تغفر الذنب فى الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

انشد مخلد الموصلى قصيدته التى يقول فيها

كل شيء أقوى عليه ولكن ليس لي بالفراق منك يدان

فجعل يستحسنه ويردده، فقال له عبد الله بن ربيعة الرّقى أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول « وهو العباس بن الأحنف »

سلبتني من السرور ثيابا وكستني من الهموم ثيابا
كلما أغلقتْ من الوصل بابا فتحت لى الى المنية بابا
عذبيني بكل شيء سوى الصد فما ذقت كالصدود عذابا

قال الرّياشى وقد ذكر عنده العباس بن الاحنف والله لو لم يقل من الشعر الا هذين البيتين لكفيا

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأنى ذُبالة نصبت ... تضيء للناس وهى تحترق

أنت لا تعلمين ما الهم والحز ... ن ولا تعلمين ما الأَرَق

ألف الرشيد العباس بن الاحنف فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها ثم خرج الى ارمينية والعباس معه فاشتاق الى بغداد فعارضه في طريقه فأنشده

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ما أقدر الله ان يُدنى على شحط ... سكان دِجلة من سكان جَيْحانا

متى الذى كنت أرجوه وآمُله ... أما الذى كنت أخشاه فقد كانا

عين الزمان أصابتنا فلا نظرت ... وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد قد اشتقت ياعباس وأذنت لك خاصة وأمر له بثلاثين الف درهم

وقال مصعب الزبيرى العباس بن الأحنف وعمر بن ابى ربيعة ما ابتذلا شعرهما فى رغبة ولا رهبة ولكن فيما احباه فلزما فنا واحدا لو لزمه غيرهما ممن يكثر اكثارهما لضعف فيه

معقل بن عيسى

هو أخو أبى دُلف القاسم بن عيسى العجلى كان فارسا شاعرا جوادا مغنيا فهما بالنغم والوتر وهو القائل لأبى دلف فى عتب عتبه عليه

أخى مالك ترميني فتُقْصِدُنى ... وان رميتك سهما لم يَجُزْ كبدي

أخى مالك مجبولا على تِرَتى ... كأن أجسادنا لم تُغْذَ من جسد

وهو القائل لمخارق وقد كان زار أبا دلف الى الجبل ثم رجع الى العراق

لعمرى لئن قرت بقربك أعين ... لقد سَخِنت بالبين منك عيون

فسر أو أقم وقف عليك محبتى ... مكانك من قلبى عليك مَصُون

فما أوحش الدنيا اذا كنت نازحا ... وما أحسن الدنيا بحيث تكون

ومن قوله يمدح المعتصم (لعله الأمين)

الدار هاجك رسمها وطلولها أم بينُ سعد يوم جدّ رحيلها
كل شجاك فقل لعينك أعولى ان كان يُغنى فى الديار عويلها
ومحمد زين الخلائف والذى سن المكارم فاستبان سبيلها

ابو شراعة

هو أحمد بن محمد بن شراعة من قيس بن ثعلبة ثم من بكر بن وائل ، وأمه من تميم، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزْل له ليس برقيق الطبع ولا سهل اللفظ وهو كالبدوى فى مذهبه ، وكان فصيحا يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره وكانت به لوثة وهوَج ،

كان أبو شراعة جوادا لا يُليق شيئا ولا يُسأل ما يقدر عليه الا سمَح به ، وقف عليه سائل مرة فرمى اليه بنعله وانصرف حافيا فعثرَ فدَميت اصبعه فقال فى ذلك

ألا لا أبالى فى العلا ما أصابني وان تقبت نعلاى أو حفيت رجلى
فلم تر عيني قط أحسن منظرا من النكب يدْمَى فى المواساة والبذل
ولست أبالي من تأوب منزلى اذا بقيت عندى السراويل أو نعلى

وبلغه أن أخاه يقول ان أخى مجنون قد أفقرنا ونفسه فقال

أأنْبَز مجنونا اذا جُدْت بالذى ملكت وان دافعت عنه فعاقل
فداموا على الزُّور الذى قرَفوا به ودمت على الاعطاء ما جاء سائل
أبيت وتأبى لى رجال أشحة على المجد تنميهم تميم ووائل

وقال أيضا فى ذلك

لئن كنت فى الفتيان آلوك سيدا كثير شُحوب اللون مختلف العَصْب
فما لك من مولاك الا حفاظه وما المرء الا باللسان وبالقلب

هما الأصغران الذائدان عن الفتى مكارَهه والصاحبان علي الخطب
فالا أُطِق سعي الكرام فانني أَفُكّ عن العانى وأصبر فى الحرب

قال ابراهيم بن المدبر كان عندى أبو شراعة بالبصرة وأنا أتولاها وكان عندى عمير المرى المغنى ، وكان يغنى صوتا يجيده وهو

أتحسب ذات الخال راجية ربا وقد صدعت قلبا يجنّ بها حبا

فاقترحه أبو شراعة على عمير ، فقال أعطني دراهم حتى أقبل اقتراحك ، فقال له أبو شراعة أخذ المغني من الشاعر يدل على ضعف الشاعر ولكنى أعرضك لابى اسحق ، فغناه اياه ثلاث مرات وقد شرب عليه ثلاثة أرطال وقال

غدوت الى المرّىّ غدوة فاتك مفنَن (١) خليع للعواذل والعذْر
فقال لشيء ما أرى ؟ قلت حاجة مغلغلة بين المخنَّق والنَّحر
فلما لوانى يستثيب زجرته وقلت اغترف انا كلانا على بحر
أليس ابو اسحق فيه غنى لنا فتُجدى على قيس وأجدى على بكر
فغنّى بذات الخال حتى استخفني وكاد أديم الارض من تحتنا يجرى

كان أبو شراعة صديقاً لابن المدبر أيام تقلده البصرة وكان لا يفارقه فى سائر أحواله ولا يمنعه حاجة يسأله إياها ولا يشفع لأحد الا شفعه ، فلما عزل ابراهيم بن المدبر شيَّعه الناس وشيعه أبو شراعة ، فجعل يرد الناس حتى لم يبق غيره ، فقال له يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشدا مكلوءا من غير قِلًى والله ولا مَلَل ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فعانقه أبو شراعة وبكى فأطال ثم انشأ يقول

يا أبا اسحاق سر فى دَعَة وامض مصحوبا فما منك خلف
ليت شعري أى ارض أجدبت فأغيثت بك من جهد العَجَف
نزل الرحم من الله بهم وحرمناك لذنب قد سلف

(١) المفن الذى يأتى بالعجائب

انمـــا أنت ربيع باكر حيثما صرفـــه الله انصرف

دخل على ابراهيم بن المدبر وعنده منجم فماراه ابراهيم فى رؤية الهلال لشهر رمضان فحكم المنجم بأنه يرى وحلف ابراهيم بعتق غلمانه أنه لا يرى ، فرؤى فى تلك الليلة فأعتق غلمانه، فلما أصبح دخل الناس يهنئونه بالشهر فأنشده أبو شراعة

أيها المكثر التجنى على الما ل اذا ما خلامن السؤّال
أفتنا في الذى أعتقت بالأمـــس مواليك أم موالي الهلال
لم يكن وَ كذلك الهلال ولكن تتألّى لصالح الاعمـــال
انما لذتاك فى المـــال شتى صونك العرض وابتذال المال
ما نبـــالى اذا بقيت سليما من تولت به صروف الليالي

سقطت داره بالبصرة فعوتب على بنائها وقيل له استعن باخوانك ان عجزت عنه فقال

تلوم ابنة البكرى حين أعوبها هزيلا و بعض الآئبين سمين
وقالت لحاك الله تستحسن العرا عن الدار ان النائبات فنون
وحولك اخوان كرام لهم غني فقلت لاخوانى الكرام عيون
ذرينى أمت قبل احتلال محلة لها فى وجوه السائلين غضون
سأفدى بمالى ماء وجهى انني بما فيه من ماء الحياة ضنين

نظر أبو شراعة يوما الى ابنه أبى الفياض وقد سأل عمه حاجة فرده فبكى وقال

حبى لإغناء ســـوار يُجَشِّمـنى خوض الدُّجي واعتساف المهمه البيد
كى لا تهون على الأعمام حاجته ولا يعلل عنهـــا بالمواعيـــد
ولا يوليهمُ إن جاء يسألهـا أكتاف مقْرِفة فى العيش مردود
اذا بكى قال منهم ذو الحفاظ له لقد بُليت بخلق غير محمـــود

قال ابو شراعة حججت فأتيت دار سعيد بن سليم فنحرت فيها ناقة وقلت

وردتُ دار سعيد وهي خالية ... وكان أبيض مِطعاما ذُرَى الابل
فارتحت فيها أصيلا عند ذُكرته ... وصحبتي بِمنًى لاهون في شغل
فابتعت من ابل الجمال دهشرة ... موسومة لم تكن بالخفة النضل
نحرتها عن سعيد ثم قلت لهم ... زوروا الحَطِيم فاني غير مُرتحل

فبلغ ذلك أولاده فأحسنوا المكافأة وأجزلوا له الصلة

كان بين أبي شراعة وبين بعض بني عمه وحشة ثم صالحوه ودعوه الى طعامهم فأبى ، وقال أمثلي يخرج من صَرْم الى طعم ؟ ومن شتيمة الى وليمة ومالي ولكم مثل الا قول المتلمس

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله ... والا فانا نحن آبَى وأشمس

وقال فيهم

بني سران ان رثَّت ثيابي ... وكلَّ عن العشيرة فضل مالي
فمطَّرَح ومتروك كلامي ... وتجفوني الاقارب والموالي
ألم أكُ من سَراة بني نُعيم ... أحُلّ البيت ذا العمَد الطوال
وحولي كل أصيد تَغلبي ... أبِيّ الضيم مشترك النوال
اذا حضر الغداء فغير مُغْنٍ ... ويُغْنِي حين تشتجر العوالي
وأبقوني فلست بمستكين ... لصاحب ثروة أخرى الليالي
ولا بمُمَسِّح المثرين كيما ... أمسح من طعامهمُ سِبالي
انا ابن العنبرية أزَّرتني ... إزار المكرمات ازار حال
فان يكن الغنى مجدا فاني ... سأدعو الله بالرزق الحلال

وابنه أبو الفياض سوَّار كان شاعرا وكان يهوى قينة بالبصرة اسمها مليحة فدعيت ذات يوم الى مجلس لم يكن حاضره وحضر أبو علي البصير ذلك المجلس فحمشها بعض من حضر فلم تلتفت اليه وعرف أبو علي ذلك فكتب الى أبي الفياض

لك عندى بشارة فاستمعها وأجبنى عنها أبا الفياض
كنت فى مجلس مليحةُ فيه وهى سقم الصحاح برء المراض
وقديما عهدتنى لست فى حقك والذَّبّ عنك ذا إغماض
فتغفلتها تغفل خَصْم وتأملتها تأمل قاض
ورمتها العيون من كل أفق وتشاكوْا بالوحى والايماض
من كهول وسادة سُمَحاء باللُّهَى باخلين بالأَعراض
وصفات القيان أولها الغد رغليه فى وصلهن التراضى
فتشوفت ذاك منها وأعدد ت نكيرى وسَوْرتى وامتعاضى
فحمت جانب المزاح وعمتـ ـهم جميعا بالصد والاعراض
وكفانى وفاؤها لك حتى آذن الليل جمعَهم بارفضاض

فاجابه أبو الفياض

ليت شعرى ماذا دعاك الى أن هجت شوقى وزدت فى أمراضى
ذكرتنى بُشْرَاك داء قديما من سَقام على لا شك قاض
ان تكن أحسنت مليحة فى وصلى وعاصت رياضة الرُّوّاض
وأقامت على الوفاء ولم تر ع لوحى منهمُ ولا ايماض
فعلى صحة الوفاء تعاقدنا وصون النفوس والأَعراض
وعلينا من العَفاف ثياب هن أبهى من حاليات الرياض
ليت حظى منها سوى النظر الخَتـ ـل وانى به لجذلان راض
لحظات يقعن فى ساحة القلب وقوع السهام فى الأَغراض
وابتسام كالبرق أو هو أخفى بين سترى تحرز وانقباض
لا أخاف انتقاضها آخر الدهـ ـر بغدر ولا تخاف انتقاضى
فأبن لى ألست تحمد ذا الود وقاك الردى أبو الفياض

وكان ابو شراعة هذا أحد الشعراء الرواة ، قدم مدينة السلام بعد سنة ثلثمائة فكتب عنه أصحاب أبي الفرج قطعات الأخبار واللغة وفات أبا الفرج فلم يلقه وكتب اليه ابو القياض والى أبيه رحمه الله باجازة واخبرهما بأخبار على يد بعض اخوانهما فكانت أخبار ابيه من ذلك

كتب الى أبي سعيد بن مسلم بن قتيبة يستهديه نبيذا فكتب اليه سعيد ، اذا سألتني جعلني الله فداءك حاجة فأشطط واحتكم فيها حكم الصبي على أهله فان ذلك يسرني وأسارع الى اجابتك فيه ، وأمر له بما التمس من النبيذ ، فمزجه صاحب شرابه وبعث به اليه ، فكتب اليه ابو شراعة « أستنسئ الله أجلك ، واستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك ، انه لذلك ولي وبه مَلِيّ ، أتاني غلامك المليح قده ، السعيد بمَلْكتك جدّه بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ ولا مُزْوَرّ عن القصد ، ينطق بحكمتك ، ويبين عن فضلك ، فوالله ما أوضح لي خفيا ، ولا زادني بك علما ، واذا أنت تسأل فيه أن تَهَب ، وتحب أن تحمد ، ولا غَرْو أن تفعل ذلك ومن كتَب أخذته ، وعن كَلالة وغير كَلالة ورثته ، موسى أبوك وسعيد جدك وعمرو عمك ، ولك دار الصلة ودار الضيافة ، وصاحب البغلة الشهباء ، وحصين بن الحُمام وعروة بن الورد ، ففي أي غَلَوات المجد يطمع قرينك أن يستولي على المدى والأَمد ، والأَمد دونك ، وكتابك الىّ أن أتحكم عليك تحكم الصبي على اهله فلشدَّ ما جررت الى معروفك ودللت على الأُنس بك ، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب العتيق والمنظر الأَنيق الذي يسر القلب ويلائم الروح ويطرد الهم

تَدِبّ خلال شؤون الفتى دبيب دَبَى[1] النملة المنتعش

اذا فتحت فَغَمت ريحها وان سيل خمارها قال خش[2]

(١) الدبى النمل واحدة دبابة (٢) كله فارسية تفسيرها طيب

فان كنت رعيت بها عهدا وحفظت لها عندك يدا فانظر رب الحانوت فامطُله دينه، واقطع السبب بينك وبينه، فقد أساء صحبتها، وأفسد بالماء جتها، وسلط عليها عدوها، واعلم بأن أباك المتمثَّل بقوله

يرى درجات المجد لا يستطيعها ... فيقعد وسط القوم لا يتكلم

وقد بسطت قدرتُك لسانك وأكثرت لك الحمد فدونك نهزة البديهة منه فقال

وبادر بمعروف اذا كنت قادرا ... زوال افتقار أو غنى منك يعقب

وقد بعثت اليك بقرابة مع الرسول وأنشأت فى أثرها أقول

اليك ابن موسى الجود أعملت ناقتى ... مُجلَّله يضفو عليها جلالها

كتوم الوَجَى لا تشتكى ألم السُّرَى ... سواء عليها موتها واعتلالها

اذا شربت أبصرت ما جوفُ بطنها ... وان ظمئت لم يبدُ منها هُزالها

وان حملت حملا تكافت حملها ... وان حط عنها لم أُبَلْ كيف حالها

بعثنا بها تسمو العيون وراءها ... اليك وما يخشى عليها كَلالها

وغنى مغنينا بصوت فشاقني ... متى راجع من أم عمرو خيالها

أحب لكم قيس بن عَيْلان كلها ... ويعجبنى فرسانها ورجالها

ومالى لا أهوَي بقاء قبيلة ... أبوك لها بدر وأنت هلالها

فبعث اليه برسوله الذى حمل اليه النبيذ واستملحه فى شعره وبصاحب شرابه وكل ما كان في خزانته من الشراب وبثلثمائة دينار

حلف ألا يشرب نبيذا بطلاق امرأته فهجره حولين ثم حنث فشرب وطلق امرأته وأنشأ يقول

فمن كان لم يسمع عجيبا فانني ... عجيب الحديث يا أُميم وصادقه

وقد كان لي أُنسان يا أم مالك ... وكل اذا فتشتني أناغا شقه

عزيزة والكأس الذى من يحلها ... تخادعه عن عقله فتصادقه

تحاربتا عندى فعطلت دَنّها ... وأكوابها والدهر جم بوائقه

وحرمتها حولين ثم أزالني حديث النَّدامى والنَّشيد أوافقه
فلما شربت الكأس بانت بأختها فبان الغزال المستحب خلائقه
فما أطيب الكأس التي اعتضت منكمُ ولكنها ليست بريم أعانقه

كان أبو أمامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم صديقا لأبي شراعة وكانت أمه سعدى تعوله ، وبلغه أن أبا أمامة يقول انما معاش أبي شراعة من السلطان ورفده ولولا ذلك لكان فقيرا فقال فيه

عيرتني نائل السطان أطلبه يا ضَلَّ رأيك بين الخُرْق والنَّزَق
لولا امتنان من السطان تجهله أصبحت بالسَّود[1] في مُقْعَوعس خَلَق
رثّ الردا بين أهدام مرقعة من التي خرمت جنبيه بالحرق
فأين دارك منها وهي مؤمنة بالله معروفة الاسلام والشفق
واين رزقك الا من يدي مرَة ما بت من مالها الا على سَرَق
تبيت والهر ممدودا عيونكما الى تطعمها مخضرة الحدق
ما بين رزقيكما ان قاس ذو فطن فرق سوى أنه يأتيك في طبق
شَاركه في صيده للفأر تأكله كما تشاركه في الوجه والخُلُق

زاره أبو أمامة فوجد عنده طفشيلا فأكله كله فقال أبو شراعة يمازحه

عين جودي لبُرْمة الطفشيل واستهلي فالصبر غير جميل
فجعتني بها يد لم تدع للذّ رفي صحن قدْرها من مَقيل
كان والله لحمها من فصيل رائع يرتعي كريم البقول
فخلطتا بلحمه عدس الشا م الى حِمّص لنا مبلول
فأتتنا كأنها روضة بالحَزن تدعو الجيران للتطفيل
ثم أكفأت فوقها جفنة الحـ ـى وعلقت صحفتي في زَبيل

(١) السود موضع تنزله باهلة بالمدينة

فمنى الله لي بفظ غليظ ما أراه يقر بالتنزيل
فاتحى دائبا يذيل منها قلت ان الثريد للتذييل
فتغنى صوتا ليوضح عندى حيّ أم العلاء قبل الرحيل

ابو الأسد

هو نباته بن عبد الله الشَّيبانى ، شاعر مطبوع متوسط من شعراء الدولة العباسية من أهل الدِّينَوَر ، وكان طيباً مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء ، وكان صديقا لعلّوية المغنى الأعسر ينادمه ويواصل عشرته ويصله علوية بالا كابر ويعرضه للمنافع وكان كثيرا ما يغنى فى شعره ، ومما غنى علوية فيه من شعره

محب صده إلفهْ فليس لليله صبح
يقلبه على مَضَض مواعد ما لها نجح
له فى عينه غَرَب وفى أحشائه جُرْح
صحا عنه الذى يرجو زيارته وما يصحو

هجا أحمد بن أبى دؤاد فقال

أنت امرؤ غَثّ الصنيعة رثّها لا تُحسن النعمى الى أمثالي
نُعماك لا تعدوك الا لامرىء فى مَسْك(١) مثلك من ذوى الأشكال
واذا نظرت الى صنيعك لم تجد أحدا سموت به الى الأفضال
فاسلم بغير سلامة تُرجى لها الا لسدك خلة الأنذال

فأدى اليه سلامة وهو عبد الرحمن بن أبى عائشة هذه الأبيات عن أبى الأسد فبعث اليه ببرد واستكفه وبعث بابن عائشة الى مظالم ما سَبَذان وقال له قد شركته فى التوبيخ لنا فشركناك فى الصنيعة فان كنتما صادقين فى دعوا كما كنتما من

(١) جلد

الأنذال وان كنتما كاذبين فقد جزيتما بالقبيح حسناً .

وكان سبب هجائه ابن أبي دؤاد انه مدحه فلم يثبه ووعده بالثواب ومطله فكتب اليه

ليتك أدبتني بواحدة تقنعني منك آخر الأبد
تحلف الا تبرّني أبدا فان فيها بَرْدا على كبدى
اشف فؤادي مني فان به مني جرحا نكأْتُه بيدى
ان كان رزقي اليك فارم به فى ناظرَىْ حية على رَصَد
قد عشت دهرا وما أقدِّر أن أرضى بما قدرضيت من أحد
فكيف أخطأت؟ لا أصبت ولا نهضت من عثرة الى سَدَد
لو كنت حرا كما زعمت وقد كَدَدتنى بالمطال لم أعُد
صبرت لما أسأت بى فاذا عدت الى مثلها فعُدْ وعد
فاننى أهل ذاك فى طمعى وفى خطاى سبيل معتمدى
أبعدنى الله حين يحملنى حِرْصى على مثل ذا من الأَوَد
الآن أيقنت بعد فعلك بى انى عبد لأعبد فقَد
فصرت من سوء ما رُميت به أكْنَى أبا الكلب لا أبا الأسد

كان أبو الأسد منقطعا الي الفيض بن صالح وزير المهدى وفيه يقول

ولا ثمةٍ لامتك يافيض فى الندى فقلت لها لن يقْدَح اللوم فى البحر
أرادت لتَنْهَى الفيض عن عادة الندى ومن ذا الذى يَثْنِى السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض فى كل بلدة مواقع ماء المُزْن فى البلد القفْر
كأن وفود الفيض لما تحمّلوا الى الفيض لاقَوْا عنده ليلة القدر

وكان أبو الأسد منقطعا قبله الى أبى دُلَف مدة ، فلما قدم عليه على بن جبلة غلب عليه وسقطت منزلة أبى الأسد عنده فانقطع الي الفيض بعد عزله عن الوزارة

ولزومه منزله وذلك فى أيام الرشيد وفيه يقول

أتيت الفضل مشتكيا زمانى فأعدانى عليه جود فيض
وفاضت كفه بالبذل منه كما كف ابن عيسى ذات غيض

زار ابو الأسد أبا دلف الى الكرج فحجب عنه اياما فقال يعاتبه وكتب بها اليه

ليت شعرى أضاقت الارض عنى أم بفجّ أنا الغداة طريد
أم أنا قانع بأدنى معاش همتى القوت والقليل الزهيد
مقوَلى قاطع وسيفى حسام ويدى حرة وقلبي شديد
رب باب أعز من بابك اليو م عليه عساكر وجنود
قد ولِجناه داخلين غدوا ورواحا وانت عنه مذود
فاكفُف اليوم من حجابك اذ لست أميرا ولا خميسا تقود
واعترف فى فدافد الصد اذ لستُ أسيرا ولا علىّ قيود
لا يقيم العزيز فى بلد الهُو ن ولا يكسَد الأريب الجليد

وقال أبو الأسد فى صديق له يقال له بسطام كان بَرّا به

أعدو على مال بسطام فأنْهبُه كما أشاء فلا تُثْنى اليّ يدى
حتى كأنى بسطام بما احتكمت فيه يداي وبسطام أبو الأسد

ولما مات ابراهيم الموصلى رثاه بقوله

تولى المَوْصلى فقد تولت بشاشات المزاهر والقيان
واى ملاحة بقيت فتبقى حياة الموصلى على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهى ويُسعدهن عاتقة الدِّنان
وتبكيه الغوِيّة اذ تولىّ رلا تبكيه تالية القُران

فقيل له ويحك فضحته وكان صديقك ، فقال هذه فضيحة عند من لا يعقل أما من يعقل فلا ، وبأى شىء كنت أذكره وأرثيه؟ أبالفقه؟ ام بالزهد ؟ ام بالقراءة؟ وهل يرثى الا بهذا ؟

ليلى بنت طريف

أخت الوليد بن طريف الشارى ، كان رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصولة وأشجعهم فكان من بالشّماسية لا يأمن طروقه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى فقتله فقالت ليلى ترثيه

بتلّ نباتى رسم قبر كأنه ... على علَم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميـــا ونائلا ... وسَورة مقدام وقلب حَصيف
الا قاتل الله الجُنَى حيث أضمرت ... فتى كان بالمعروف غير عنيف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد ... فيا رب خيل فضها وصفوف
الا يالقومى للنوائب والردى ... ودهر مُلِحّ بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى ... وللشمس همت بعده بكسوف
أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ... ولا المال الا من قنًا وسيوف
ولا الخيل الا كل جرداء شطبة ... وكل حصان باليدين عروف
فلا تجزعا يا ابنى طريف فانني ... أرى الموت نزالا بكل شريف
فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من دهمائنا بالوف

ومن قولها أيضاً ترثيه

ذكرت الوليد وأيامه ... اذ الأرض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه فى السماء ... كما يبتغى أنفه الأجدع
أضاعك قومك فليطلبوا ... افادة مثل الذى ضيعوا
لو آن السيوف التى حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك أو جعلت هيبة ... وخوفا لصولك لا تقطع

على بن الخليل

رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيبانى ويكني أبا الحسن ، كان صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه فاتهم بالزندقة وأخذ معه صالح ثم أطلق لما انكشف أمره .

جلس الرشيد بالرافقة للمظالم فدخل عليه على بن الخليل وهو متوكىء على عصا وعليه ثياب نظاف وهو جميل الوجه حسن الثياب في يده قصة ، فلما رآه أمر بأخذ قصته ، فقال له يا أمير المؤمنين أنا أحسن عبارة لها فان رأيت أن تأذن لى فى قراءتها فعلت ، قال اقرأها ، فاندفع ينشده قصيدته

يا خيرَ من وُخِزَت بأرجله ... نُجُبٌ تَخُبّ بمهمه جَلْس (١)
تَطوى السباسب فى أزِمَّتها ... طىَّ التِّجار عمائم البِرْس (٢)
لما رأتك الشمس اذ طلعت ... كُسفت بوجهك طلعة الشمس
خـــير البرية أنت كلِّهمُ ... فى يومك الغادى وفى أمس
وكذاك لا تنفك خيرهمُ ... تُمسى وتُصبح فوق ما تُمسى
لله ما هرون من ملك ... بَرِّ السريرة طاهر النفس
ملك عليه لربه نعم ... تزداد جِدَّتها على اللبس
تحكى خلافته ببهجتها ... أنَق السرور صبيحة العُرْس
من عِتْرة طابت أرومتهم ... أهل العفاف ومنتهى القدس
نُطُقٍ اذا احتُضرت مجالسهم ... وعن السفاهة والخنا خُرْس
فمع السماء فروع نبعتهم ... ومع الحضيض منابت الغرس
متهللين على أسرتهم ... ولدى الهياج مصاعبٍ شُمْس

(١) الجلس الغليظ من الارض (٢) البرس القطن

انى اليك لجأت من هَرَب ... قد كان شردنى ومن لَبَس
واخترت حكمك لا أجاوزه ... حتى أوسد فى ثَرَى رمسى
لما استخرت الله فى مهل ... يممت نحوك رحلة العَنْس
كم قد قطعت اليك مُدَّرِعا ... ليلا بهيم اللون كالنِّقْس (١)
ان هاجني من هاجس جزَع ... كان التوكل عنده تُرْسى
ما ذاك الا أنني رجل ... أصبو الى بقر من الأنس
بقر أوانس لا قرُون لها ... تُجْلى العيون نواعم لُعْس
رَدْع العبير على ترائبها ... يُقْبلن بالترحيب والخلس
وأشاهد الفتيان بينهمُ ... صفراء عند المزج كالوَرْس
للماء فى حافاتها حبَب ... نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم فى بقيته ... ما ان أضعت اقامة الخمس

فأطلقه الرشيد وقتل صالح بن عبد القدوس واحتج عليه فى أنه لا يقبل له توبة بقوله

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارَى فى ثرى رمسه

وقال انما زعمت أنك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبدا

ولد ليزيد بن مزيد ابن فأتاه على بن الخليل فقال اسمع ايها الأمير تهنئة بالفارس الوارد، فتبسم وقال هات ، فأنشده

يزيد يابن الصِّيد من وائل ... أهل الرِّياسات وأهل المعال
ياخير من أنجبه والد ... ليهنك الفارس ليث النزال
جاءت به غراء ميمونة ... والسعد يبدو فى طلوع الهلال
عليه من مَعْن ومن وائل ... سِيما تباشير وسيما جلال

(١) الحبر

والله يُبقيه لنا سيدا مدافعا عنا صروف الليال
حتى نراه قد علا منبرا وفاض فى سؤّاله بالنوال
وسد ثَغْرا فكفى شره وقارع الابطال تحت العوال
كما كفانا ذاك آباؤه فيحتذى أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار

دخل على المهدى فقال له ياعلى انت على معاقرتك الخمر وشربك لها ؟ قال لا والله ياأمير المؤمنين ، قال وكيف ذاك ؟ قال تبت منها ، قال فأين قولك

أولعت نفسى بلذتها ما ترى عن ذاك اقصارا

وأين قولك اذا ما كنت شاربها فسرا ودع قول العواذل واللواحي

قال هذا شيء قلته فى شبابى وأنا القائل بعد ذلك

على اللذات والراح السلام تقضّى العهد وانقطع الذمام
مضى عهد الصِّبا وخرجت منه كما من غِمده خرج الحسام
وقُرْت على المشيب فليس منى وصال الغانيات ولا المدام
وولى اللهو والقَيْنات عني كما ولى عن الصبح الظلام
حلبت الدهرَ أَشْطُرَه فعندى لصرف الدهر محمود وذام

ومن قوله وفيه غناء

هل لدهر قد مضى من مَعاد أو لهمّ داخل من نفاد
أذكرتني عيشةً قد تولت هاتفات تَحنّ فى بطن واد
هجن لى شوقا وألهبن نارا للهوى فى مستقر الفؤاد
بان أحبابى وغودرت فردا نصب ما سر عيون الاعادى

دخل ذات يوم الى معن بن زائدة فحادثه وناشده ثم قال له معن هل لك فى الطعام ؟ قال اذا نشط الأمير ، فأتيا بالطعام فأكلا ، ثم قال له هل لك فى الشراب ؟

قال ان سقيتني ما أريد شربت وان سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال قد عرفت الذي تريد وأنا أسقيك منه ، فأتى بشراب عتيق ، فلما شرب وطابت نفسه أنشأ يقول

ياصاح قد أنعمت إصباحي	ببارد السلسال والراح
قد دارت الكاس برقراقة	حياة أبدان وأرواح
تجرى على أصيد ذى رونق	مهذب الأخلاق جحجاح
ليس بفحاش على صاحب	ولا على الراح بفضاح
تسره الكاس اذا أقبلت	بريح أترج وتفاح
يسعى بها أزهر فى قرطق	مقلد الجيد بأوضاح (١)
كأنها الزهرة فى كفه	أو شعلة فى ضوء مصباح

كان لعلي صديق من الدهاقين يعاشره ويبرّه فغاب عنه مدة طويلة وعاد الى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة وقويت أحواله فادعى أنه من بني تميم ، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له ولقيه فلم يسلم عليه فقال يهجوه

يروح بنسبة المولى	ويصبح يدعي العربا
فلا هذا ولا هذا	ك يدركه اذا طلبا
أتيناه بشبّوط (٢)	ترى فى ظهره حدبا
فقال أما لبخلك من	طعام يذهب السغبا
فصد لأخيك يربوعا	وضبّا واترك اللعبا
فرشت له قريح (٣) المسك والنسرين و الغربا	

(١) الاوضاح حلى من الفضة واحده وضح بفتحتين
(٢) الشبوط سمك رقيق الذنب عريض الوسط لين المس
(٣) القريح الخالص والنسرين ورد أبيض عطري قوي الرائحة

فأمسك أنفه عنها وقام موليا هربا
يَشَمّ الشِّيح والقيصوم[1] م كي يستوجب النسبا
وقام اليه ساقينا بكأس تنظم الحَبَبا
معتقة مروقة تسلى همّ من شربا
فآلي لا يسلسلها وقال اصبب لنا حببا
وقد أبصرته دهرا طويلا يشتهي الأدبا
فصار تشبها بالقو م جِلْفا جافيا جَشِبا[2]
اذا ذكر البرَير[3] بكى وأبدى الشوق والطربا
وليس ضميره في القو م الا التين والعنبا
جحدت أباك نسبته وأرجو أن تفيد أبا

وأنشد له اسحق بن ابراهيم هذه الأبيات

يأيها الراغب عن أصله ما كنت في موضع نهجين
متى تعربت وكنت امرأ من الموالى صالح الدين
لو كنت اذ صرت الى دعوة فزت من القوم بتمكين
لكف من وجدى ولكنني أراك بين الضَّب والنون
فلو تراه صارفا أنفه من ريح خيرى ونِشرين
لقلت جِلْف من بني دارم حن الى الشِّيح بيَبْرين
دُعموص رمل زل عن صخرة يعاف أرواح البساتين
تنبو عن الناعم أعطافه والخزّ والسِّنجاب واللين

(١) القيصوم نبات ذهبي الزهر ورقه كالسذاب وثمرة كحب الآس الى غبرة طيب الرائحة يتداوى به

(٢) جشب الرجل ككرم ساء مأكله

(٣) البرير أول ما يظهر من ثمر الاراك

كان عافية بن يزيد يصحب ابن عُلاثة القاضي فأدخله الى المهدى فاستقضاه معه بعسكر المهدى ، وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله كذلك ، أدخله الي المهدى ليعرض عليه فغلب عليه فقال علي بن الخليل فى ذلك

عجبا لتصريف الأمو ر مسرة وكراهية
دبت ليعقوب بن دا ود حبال معاوية
وعدت على ابن عُلاثة القاضي بوائق عافية
أدخلته فعلا عليك كذاك شؤم الناصية
وأخذت ضيفك جاهدا بيمينك المتراخية
يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظر ناحية

كان جالسا مع بعض ولد المنصور وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدى ، فمرت به عتبة فى موكبها والجارية معها ، فوقفت عليه وسلمت وسألت عن خبره ، فلم يوفها حق الجواب لشغل قلبه بالجارية ، فلما انصرفت أقبل عليه على فقال له

راقب بطرفك من تخا ف اذا نظرت الي الخليل
فاذا أمنت لحاظهم فعليك بالنظر الجميل
ان العيون تدل بالنـ ظر المليح على الرحيل
اما على حب شديد أو على بغض أصيل

كان يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور فكتب اليه والبة بن الحُباب يدعوه ويسأله ألاّ يشتغل بالهاشمى يومه ذلك عنه ويصف له طيب مجلسه وغناء حصله ، فكتب اليه على

اما ولحاظ جارية تُديب حُشاشة المُهَج
وسحر جفونها المضـ ـيك بين الفَتْر والدَّعَج
مليحة كل شيء ما خلا من خُلْقها السَّمَج

الوحرمة ذاك المبذو ل والصهباء منه تجبى
كأن نجيمها في الكا س حين تصب من وَدَج
لو انعرج الأنام الى بشاشة مجلس بهج
وكنت بجانب جَدْب لكان اليك منعرجي

وصار اليه في أثر الرقعة

ابان بن عبد الحميد اللاحقي

هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق مولى بني رَقاش (بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون الى أمهم واسمها رقاش وهم مالك وزيد مناة وعامر بنو شيبان بن ذُهل) شكا مروان بن أبي حفصة الى بعض اخوانه تغير الرشيد عليه وامساك يده عنه فقال له ويحك أتشكو الرشيد بعد ما أعطاك ؟ قل أو تعجب من ذلك ؟ هذا أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها

وكان أبان نقل للبرامكة كتاب كليلة ودِمْنة فجعله شعرا ليسهل حفظه عليهم وهو معروف اوله

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كليلة دمنة
فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئا وقال ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ وعمل أيضا القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق وسماها ذات الحلل

وقد جعل اليه يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز

ومن قوله يمدح الفضل بن يحيى وفيه غناء

لقد برّز الفضل بن يحيى ولم يزل ... يسامي من الغايات ما كان أرفعا
يراه أمير المؤمنين لملكه ... كفيلا لما أعطى من العهد مقنعا
قضى بالتي شدت لهرون ملكه ... وأحيت ليحيى ملكه فتمتعا
لئن كان من أسدى القريض أجاده ... لقد صاغ ابراهيم فيه فأوقعا

وكان أبان صديقا للمعذل بن غيلان وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه الي الشؤم ويهجوه أبان وينسبه الى الفساء الذى تهجى به عبد القيس وبالقصر وكان المعذل قصيرا، فسعى فى الاصلاح بينهما ابو عيينة المهلبي فقال له أخوه عبد الله وهو أسن منه ياأخي ان فى هذين شرا كثيرا ولا بد من أن يخرجاه فدعهما ليكون شرهما بينهما والا فرقاه على الناس

قال أبان يهجو المعذل

أحاجيكمُ ما قوس لحم سهامها ... من الريح لم توصل بقدّ ولا عقب
وليست بشُرْيان وليست بشوْحط ... وليست بنَبْع لا وليست من الغرَب
الا تلك قوس الدَّحْدَحى مُعَذَّل ... بها صار عَبْديا وتم له النسب
تصُكّ خياشيم الأنوف تعمدا ... وان كان راميها يريد بها العقب
فان تفتخر يوما تميم بحاجب ... وبالقوس مضمونا لكسرى بها العرب
فحىُّ ابن عمرو فاخرون بقوسه ... وأسهمه حتى يغلب من غلب

فقال المعذل فى جواب ذلك

رأيت أبانًا يوما فطر مصليا ... فقسم فكرى واستفزنى الطرب
وكيف يصلى مظلم القلب دينه ... على دين مان ان ذاك من العجب

ومن قوله يهجو أبا النضير

اذا قامت بواكيك ... وقد هتكن أستارك
أيثنين على قبر ... ك أم يلعنّ أحجارك
وما تترك فى الدنيا ... اذا زرت غدا نارك
ترى في سقر المثوى ... وابليس غدا جارك

بلى تترك بواقيك ودنياك وأوتارك
وخمسا من بنات اللي ل قدأ لبسن أطمارك
تعالى الله ما أقبح اذ وليت أدبارك

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده فأقام ببابه مدة مديدة لايصل اليه فتوسل الى من وصل له شعرا اليه وقال له

ياعزيز الندى وياجوهر الجو هر من آل هاشم بالبطاح
ان ظني وليس يخلف ظني بك فى حاجتى سبيل النجاح
ان من دونها لمُصمَت باب أنت من دون قفْله مفتاحى
تاقت النفس ياخليل السماح نحو بحر الندى مُجارى الرياح
ثم فكرت كيف لى واستخرت الله عند الامساء والاصباح
وامتدحت الامير أصلحه الله بشعر مشهَّر الأوْضاح

فقال هات مديحك فأعطاه شعرا فى هذا الوزن وقافيته

أنا من بُغية الامير وكنز من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريـــشة مما يكون عند الجناح

وهى طويلة يقول فيها

ان دعانى الامير عاين مني شمَّريا كالبلبل الصياح

فدعا به ووصله ثم خص بالفضل وقدم معه فقرب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم

عاتب البرامكة على تركهم ايصاله للرشيد وايصال مديحه اليه ، فقالوا له ما تريد من ذلك ؟ فقال أريد أن أحظى منه بمثل مايحظى به مَرْوان بن أبى حفصة ، فقال ان لذلك مذهبا في هجاء آل أبى طالب وذمهم به يحظى وعليه يعطي فاسلكه حتى نفعل ، قال لا أستحل ذلك ، قالوا فما تصنع ؟ لا يجيء طلب الدنيا الا بما لايحل

فقال أبان

نَشَدت بحق الله من كان مسلما ... أَعُمّ بما قد قلته العجم والعرب
أعمُّ رسول الله أقرب زُلْفة ... لديه أم ابن العم فى رتبة النسب
وأيهما أولي به وبعهده ... ومن ذا له حق التُّراث بما وجب
فان كان عباس أحقَّ بتلكم ... وكان علىٌّ بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه ... كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهى طويلة

فقال الفضل ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من أبياتك، فركب فأنشدها الرشيد فأمر لأبان بعشرين الف درهم، ثم اتصل مدحه الرشيد بعد ذلك وخص به

كان فى جوار أبان رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد وكان عدوا لأبان فتزوج بعمارة بنت عبد الوهاب الثقفى وكانت موسرة فقال أبان يهجوه ويحذرها منه

لما رأيت البزّ والشارة ... والفرش قد ضاقت به الحارة
واللوز والسكر يرمى به ... من فوق ذى الداروذى الدارة
وأحضروا الملهين لم يتركوا ... طبلا ولا صاحب زَمَّارة
قلت لماذا ؟ قيل أعجوبة ... محمد زُوِّج عَمَّارة
ماذا رأت فيه وماذا رجت ... وهى من النسوان مختاره
أسود كالسَّفُّود ينسى لدى التنور بل محراك [1] قيارة
يجرى على أولاده خمسة ... أرغفة كالريش طيارة
وأهله فى الأرض من خوفه ... ان أفرطوا في الأكل سيارة
ويحك فرِّى واعصبى ذاك به ... فهذه أختك فرارة
اذا غفا الليل فاستيقظى ... ثم اطفِري [2] إنك طفارة
فصعدت نائلة سلما ... تخاف أن تصعده الفارة

---

١ القيارة محل اسالة القار ٢ طفر وثب في ارتفاع

سرور غرتها فلا أفلحت فانهـــا اللّخناء غرارة

لو نلت ما أبعدت من ريقها ان لها نفثة سحارة

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت ، فحرم من جهتها مالا عظيما ، والثلاثة الأبيات الأخيرة التي أولها « فصعدت نائلة سلما » زادها في القصيدة بعد أن هربت

جلس أبان ليلة في قوم فثلب أبا عبيدة فقال يقدح في الانساب ولا نسب له ، فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقي وهو وأهله يهود وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعي حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلي به ، فبلغ ذلك أبان فقال

لا تنمّنّ عن صديق حديثا واستعذ من تسرر النّمام

واخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن اسمعيل كنا في مجلس أبي زيد الانصاري فذكروا أبان بن عبد الحميد فقالوا كان كافرا ، فغضب أبو زيد وقال كان جاري فما فقدت قراءته في ليلة قط

كان لأبان جار وكان يعاديه فاعتل علة طويلة وأرجف أبان بموته ، ثم صح من علته وخرج فجلس على بابه فكانت علته من السل وكان يكنى أبا الاطول فقال له أبان

أبا الأطول طولت وما ينجيك تطويل

بك السل ولا واللـــه ما يبرأ مسلول

فلا يغررك من ظنـ نك أقوال أباطيل

أرى فيك علامات وللأسباب تأويل

هزالا قد بري جسمـ ك والمسلول مهزول

وذبّانا حواليك فموقوذ ومقتول
وحُمّى منك فى الظهر فأنت الدهر مملول
وأعلاماً سوى ذاك تواريها السراويل
ولو بالفيل مما بك عُشر ما نجا الفيل
فما هذا على فيك قُلاع أم دماميل
وما زال مناجيك يولى وهو مملول
لقد كاد من الخوف لقد سال بك النيل
وذا داء يزجيك فلا قال ولا قيل

فلما أنشده هذا الشعر أرعد واضطرب ودخل منزله فما خرج منه بعد ذلك حتى مات

شعراء تغلب

العتابى

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابى التغلبى من ولد عتاب بن أسيد ثم من بني تغلب بن وائل، شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف فى فنون الشعر مقدم من شعراء الدولة العباسية، وكان منقطعا الى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه

قال احمد بن سهل تذاكرنا شعر العتابى فقال بعضنا فيه تكلف ونصره بعضنا، فقال شيخ حاضر ويحكم أيقال إن فى شعره تكلفا وهو القائل

رسل الضمير اليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى
متزجيات ما يَنِين على الوَجا من بعد مَسْرى
ما جفّ للعينين بعدك يا قرير العين مَجْرى
فاسلم سلمت مبرأ من صبوتى أبدا مُعرّى

ان الصبابة لم تدع مني سوى عظم مُبَرَّى
ومدامع عَبْرَى على كبد عليك حرَّى

أو يقال إنه متكلف وهو الذى يقول

فلو كان للشكر شخص يبين اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه لتعلم انى امرؤ شاكر

كتب المأمون في إشخاص كلثوم العتابى ، فلما دخل عليه قال يا كلثوم بلغتنى وَفاتك فساءتني ثم بلغتنى وِفادتك فسرتني ، فقال له العتابى ياأمير المؤمنين لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأَرض لوسعتاهم فضلا وانعاما وقد خصصتنى منهما بما لايتسع له أُمنيَّة ولا يبسط لسواه أمل لأَنه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك ، فقال له سلنى ، فقال يدك بالعطاء أطلق من لسانى بالسؤال ، فوصله صلات سنية و بلغ به من التقديم والاكرام أعلى محل

وجد الرشيد على العتابى فدخل سرا مع المتظلمين بغير اذن فمَثَل بين يدي الرشيد وقال له ياأمير المؤمنين قد آذتنى الناس لك ولنفسى فيك ، وردنى ابتلاؤهم الى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسى كنت لو أعانتنى الصبر ، وفى ذلك أقول

أَخِضْنِي المقام الغَمْرَ ان كان غرنى سناخُلَّب أو زلت القدمان
أتتركنى جَدْب المعيشة مُقترا وكفاك من ماء الندى تَكِفان
وتجعلني سهم المطامع بعد ما بَلَلْت يميني بالندى ولسانى

فأعجب الرشيد قوله وخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة

جاء العتابى وهو حَدَث الى بشار فأنشده

أتصدِف عن أمامة أم تقيم وعهدك بالصبا عهد قديم
أقول لمستطار القلب عنِّى على عزَماته السير العديم

أما يكفيك أن دموع عيني شآبيب يَفِيض بها الهموم
أَشيم فلا أرد الطرف الا على أرجائه مـــاء سَجُوم

فمد بشار يده اليه ثم قال له أنت بصير قال نعم قال عجبا لبصير أن يقول هذا الشعر

كلم العتابى يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة فقال له يحيى لقد نَزُر كلامك اليوم وقل ، فقال له وكيف لا يقل وقد تكنَّفنى ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد ؟ فقال والله، لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده ، وقضى حاجته

قال يحيى بن خالد البرمكى لولده ان قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابى فضلا عن رسائله وشعره فلن تَرَوْا أبدا مثله

وقف العتابى بباب المأمون يلتمس الوصول اليه فصادف يحيى بن أكثم جالسا ينتظر الاذن فقال له ان رأيت أعزك الله أن تذكر أمري لأمير المؤمنين اذا دخلت فافعل ، قال له لست أعزك الله بحاجبه ، قال فان لم تكن حاجبا فقد يفعل مثلك ما سألت ، واعلم أن الله عز وجل جعل فى كل شىء زكاة وجعل زكاة المال رِفْدَ المستعين ، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف ، واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة ان شكرت أو التغيير ان كفرت ، وانى لك اليوم أصلح منك لنفسك لأنى أدعوك الى ازدياد نعمتك وأنت تأبى ، فقال له يحيى أفعل وكرامة ، وخرج الاذن ليحيى فلما دخل لم يبدأ بشىء بعد السلام الا ان استأذن المأمون للعتابى ، فأذن له

قال العتابى لرجل اعتذر اليه انى ان لم أقبل عذرك كنت ألأم منك وقد قبلت عذرك فدم على لوم نفسك فى جنايتك نزد فى قبول عذرك والتجافى عن هفوتك ، وقيل له لو تزوجت ، فقال انى وجدت مكابدة العفة أيسر علىّ من الاحتيال لمصلحة العيال

قال دعبل ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابى على قوله

هيبة الاخوان قاطعة لأخى الحاجات عن طلبه
فاذا ما هبْتَ ذا أمل مات ما أملت من سببه

دخل العتابى على عبد الله بن طاهر فمثل بين يديه وأنشده

حسن ظنى وحسن ما عود اللـــه سوائى منـك الغداة أتى بى
أى شىء يكون أحسن من حسـ ـن يقين حدا اليك ركابى

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد فأنشده

ودك يكفينيك فى حاجتى ورؤيتى كافية من سؤال
وكيف أخشى الفقر ما عشت لى وهذه كفاك لي بيت مال

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه فى اليوم الثالث فأنشده

بهجات الثياب يُخْلقها الدهـــر وثوب الثناء غضّ جديد
فاكسُنى ما يَبيد أصلحك اللـــه فالله يكسوك ما لا يبيد

فأمر له بجائزة وأنعم عليه بخلعة سنية

قال طوق بن مالك للعتابى أما ترى عشيرتك (بنى تغلب) كيف تُدِلّ علىّ وتتمرغ وتستطيل وأنا أصبر عليهم؟ فقال العتابى أيها الأمير ان عشيرتك من أحسن عشرتك، وان عمك من عمّك خيره، وان قريبك من قرب منك نفعه وان أخف الناس عندك أخفهم ثقلا عليك وأنا الذي أقول

انى بلوت الناس فى حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا واذا المودة أقرب الأنساب

كان العتابى جالسا ذات يوم ينظر في كتاب فمر به بعض جيرانه فقال أيش ينفع العلم والادب من لا مال له؟ فأنشد العتابى قوله

ياقاتل الله أقواما اذا ثقفـــوا ذا اللب ينظر فى الآداب والحكم
قالوا وليس بهم الا نفاستـــه أنافع ذا من الاقتار والعدم

وليس يدرون ما الحظُّ الذى حُرموا « لحاهم الله » من علم ومن فهم

لما سعى منصور النمرى بالعتابى الى الرشيد اغتاظ عليه فطلبه فستره جعفر بن يحيى عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما فى نفسه وأمنه فقال يمدح جعفر بن يحيى

ما زلتُ في غمَرات الموت مطَّرَحا قد ضاق عنى فسيح الأرض من حيلى

ولم تزل دائبا تسعى بلطفك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

عاد عبد الله بن طاهر واسحق بن ابراهيم بن مُصْعَب كلثومَ بن عمرو العتابى فى علة اعتلها فقال الناس هذه خَطْرة خطرت فبلغ ذلك العتابى فكتب الى عبد الله ابن طاهر

قالوا الزيارة خطرة خطرت وبحار بِرّك ليس بالخطر

أبطل مقالتهم بثانيـــة تستنفد المعروف من شكرى

فلما بلغت أبياته عبدالله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو واسحق فعاداه مرة ثانية .

عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبى على العتابى فى شىء بلغه عنه فكتب اليه

لقد سُمْتنى الهجران حتى أذقتنى عقوباتِ زَلاَّتى وسوء مناقبى

فها أنا ساع فى هواك وصابر على حد مصقول الغرارين قاضب

ومنصرف عما كرهت وجاعل رضاك مثالا بين عينى وحاجبى

فرضى عنه ووصله صلة سنية

عتب الرشيد على العتابى أيام الوليد بن طريف فقطع عنه أشياء كان عوده إياها فأتاه متنصلا بهذه القصيدة

ماذا شجاك بحُوَّارين من طَلَل ودِمْنة كشفت عنها الأعاصير

شجاك حتى ضمير القلب مشترك ... والعين انسانها بالماء مغمور
فى ناظرىّ انقباض عن جفونهما ... وفى الجفون عن الآماق تقصير
لو كنت تدرين ما شوقى اذا جعلت ... تنأى بنا وبك الأوطان والدور
علمت أن سرنى ليلى ومطلعى ... من بيت نجران والغورين تغوير
اذ الركائب مخسوف نواظرها ... كما تضمنت الدهرَ القوارير
نادتك أرحامنا اللاتى نمتّ بها ... كما تنادى خلىُّ الجلّة الخُور[1]
مستنبط عزمات القلب من فكر ... ما بينهنّ وبين الله معمور
فُتّ المادح الا أن أنفسنا ... مستنطقات بما تحوى الضمائير
ماذا عسى يثنى عليك وقد ... ناداك فى الوحى تقديس وتطهير
ان كان منا ذووافك ومارقة ... وعصبة دينها العدوان والزور
فان منا الذى لا يستحث اذا ... حُثّ الجياد وجازتها المضامير
ومن له ثقة السفاح عندكمُ ... مجرب من بلاء الصدق مخبور
الآن قد بعدت فى خطو طاعتكم ... خطاهمُ حيث يحتل العشائير

يعنى يزيد بن مزيد وهشام بن عمرو التغلبى وهو من ولد سفيح بن السفاح ، فرضى عنه ورد أرزاقه ووصله

كانت له امرأة من باهلة فلما مضى الى رأس عين قالت له هذا منصور النَّمَرى قد أخذ الأموال فخلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول

تلوم على ترك الغنى باهليـــة ... زوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفُلْن فى الثرى ... مقلدة أعناقهـــا بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر ... من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضنى ... معَضّهما بالمرهفات البـــوارد

١ الخور النوق الغزر اللبن والجلة منا المسان من الابل والخلى واحدها خلية وهي التى عطفت على ولدها

رأيت رفيعات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود
دَعينى تجئنى ميتتى مطمئنـــة ولم أتجشم هول تلك المـوارد

لما قدم العتابى مدينة السلام على المأمون أذن له، فدخل عليه وعنده اسحق ابن ابراهيم الموصلى، وكان العتابى شيخا جليلا نبيلا، فسلم، فرد عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه فقبل يده، ثم أمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه يسائله عن حاله وهو يجيبه بلسان ذُلَق طُلَق، فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به فقال ياأمير المؤمنين الايناس قبل الابساس[1]، فاشتبه على المأمون قوله، فنظر الي اسحق مستفهما، فأومأ اليه وغمزه على معناه حتى فهم، فقال ياغلام ألف دينار، فأتى بذلك فوضع بين يدى العتابى وأخذوا فى الحديث، وغمز المأمون اسحق بن ابراهيم عليه فجعل العتابى لا يأخذ في شيء الا عارضه اسحق، فبقى العتابى متعجبا، ثم قال يا أمير المؤمنين أتأذن لي فى سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال نعم سل، فقال لاسحق ياشيخ من أنت وما اسمك، ؟ قال أنا من الناس واسمى كل بصل، فتبسم العتابى وقال أما أنت فمعروف وأما الاسم فمنكر، فقال اسحق ما أقل انصافك أتنكر أن يكون اسمى كل بصل واسمك كلثوم وكلثوم من الاسماء أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابى لله دَرّك فما أحجّك أتأذن لى ياأمير المؤمنين فى أن أصله بما وصلتنى به؟ فقال المأمون بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله، فقال له اسحق أما اذ أقررت بهذه فتوهمنى تجدنى، فقال ما أظنك الا اسحق الموصلى الذى يتناهى الينا خبره، قال أنا حيث ظننت، وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما أما اذ قد اتفقتما فانصرفا متنادمين، فانصرف العتابى الى منزل اسحق فأقام عنده

قال عثمان الوراق رأيت العتابى يأكل خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له ويحك أما تستحيي؟ فقال لى أرأيت لو كنا فى داربهـا بقركنت تستحيي

١ الابساس دعوة الناقة الى الحلب

وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال لا ، قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ، فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم روي لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ، فما بقي أحد الا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه و يقدّره حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال لى العتابى ألم أخبرك أنهم بقر ؟

قال الفضل رأيت العتابي بين يدي المأمون وقد أسن فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون فما زال المأمون ينهضه رويدا رويدا حتى أقلّه فنهض ،

شكا منصور النمرى العتابى الى طاهر بن الحسين ، فوجه طاهر الى العتابى فأحضره وأخفى منصورا فى بيت قريب منهما وسأل طاهر العتابى أن يصالحه ، فشكا سوء فعله به ، فسأله أن يصفح عنه ، فقال لا يستحق ذلك ، فأمر منصورا بالخروج ، فخرج وقال للعتابى لم لا أستحق هذا منك فأنشأ العتابى يقول

أصحبتك الفضل اذ لا أنت تعرفه ... حقا ولا لك فى استصحابه أرب
لم ترتبطك على وصلى محافظة ... ولا أعاذك مما اغتالك الأدب
ما من جميل ولا عُرْف نطقت به ... الا الىّ وان أنكرت تنتسب

فأصلح طاهر بينهما وكان منصور من تعليم العتابى وتخريجه ، وأمر طاهر للعتابى بثلاثين ألف درهم

الرقاشى

هو الفضل بن عبد الصمد مولي رَقاش وهو من ربيعة ، وكان مطبوعا سهل الشعر نقى الكلام وقد ناقض أبا نواس ، وكان الفضل منقطعا الى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم وكانوا يصولون به على الشعراء ويروّون أولادهم شعره و يدونونها القليل والكثير منها تعصبا له وحفظا لخدمته وتنويها باسمه وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ، فلما نكبوا صار اليهم فى حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم و يسامرهم

حتى ماتوا ثم رثاهم فأكثر من رثائهم فمن ذلك قوله فى جعفر

كم هاتف بك من باك ويا كية ... ياجعفَ للضيف اذ تدعى وللجار
ان يعدَم القطر كنت المزن بارقه ... لمع الدنانير لاما خيل السارى

وقوله

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تُصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حى وان كان سالما ... بأسلم ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يُحدِث الدهرُ جازعا ... فلابد يوما أن يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مَقْصَر ... وليس على الأيام والدهر غابر
وكل شباب أو جديد الى البلى ... وكل امرىء يوما الى الله صائر
فلا يبعدنك الله عني جعفرا ... بروحى ولو دارت على الدوائر
فآليت لا أنفك ابكيك ما دعت ... على فَنَنٍ ورقاء او طار طائر

لما دارت الدوائر على آل برمك وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب جثته اجتاز به الرقاشى وهو على الجذع فوقف يبكى أحر بكاء ثم أنشأ يقول

أما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يابن يحيى ... حساما حنفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا ... ودولة آل برمك السلام

فكتب أهل الأخبار بذلك الى الرشيد فقال ما حملك على ما قلت؟ فقال ياأمير المؤمنين كان الي محسنا فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى احسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلته، قال وكم كان يجرى عليك؟ قال الف دينار فى كل سنة قال انا قد اضعفناها لك

كان الرقاشى يجلس الى الحوان له يحدثهم ويألفونه ويأنسون به فتفرقوا فى طلب

المعاش وترامت بهم الاسفار ، فمر الرقاشى بمجلسهم الذى كانوا يجلسون فيه فوقف فيه طويلا ثم استعبر وقال

لولا التطير قلت غيّركم ريب الزمان فخنتم عهدى
درست معالم كنت آلفها من بعدكم وتغيرت عندى

ومن قوله وفيه غناء

آثار ربع قدما أعيا جوابا صمما
سحّت عليهم ديمٌ بمائها فانهدما
كان لسعدى علما فصار وحشا رمما
أيام سعدى سقم وهى تداوى السقما

ومن قوله يصف جارية

صفات وحسن أورثا القلب لوعة تضرم فى أحشاء قلب متيم
تمثلها نفسى لعينى فأنثنى عليها بطرف الناظر المتوسم
ويحملني حبى لها فوق طاقتي من الشوق دأب الحائر المتقسم

شعراء تميم

ابو محمد اليزيدى

هو يحيى بن المبارك أحد بنى عدى بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم، وقيل له اليزيدى لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدى وهو الذى وصله بالرشيد فلم يزل معه وأدب المأمون خاصة من ولده، ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين اليه والى ولده ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد — وكان أبو محمد عالما باللغة والنحو راوية للشعر متصرفا فى علوم العرب أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوى واكابر البصريين وقرأ القرآن على أبى عمرو وجود قراءته ورواها عنه وهى المعول عليها فى هذا الوقت، وكان بنوه جميعاً في مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة وحسن التصرف

فى علوم العرب ولسائرهم علم جيد

كان الرشيد جالساً فى مجلسه فأتى بأسير من الروم فقال لدُفافة العبسى قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه ، فقال لابن فليح المدنى قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه أيضا ، فقال أصلح الله أمير المؤمنين تقدمتنى ضربة عبسية ، فقال الرشيد للمأمون وهو يومئذ غلام قم فداك أبوك فاضرب عنقه ، فقام فضرب عنق العلج فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمر بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر المأمون الى أبى محمد نظر المستنطقُ فقال

أبقى دُفافة عارا بعد ضربته ... عند الامام لعبس آخر الأبد
كذاك أسرته تنبو سيوفهمُ ... كسيف وَرْقاء لم يقطع ولم يكد
ما بال سيفك قد خانتك ضربته ... وقد ضربت بسيف غير ذي أَوَد
هلاَّ كضربة عبد الله اذ وقعت ... ففرقت بين رأس العِلْج والجسد

كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد الجوهرى واقفين فذكرا أبا محمد والكسائى ففضل حمويه الكسائى على أبى محمد وفضل سعيد أبا محمد على الكسائى ، وطال الكلام بينهما الى أن تراضيا برجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أن من غلب يأخذ برْذَون صاحبه ، فجعلا الحكم بينهما أبا صَفوان الأَحوذى ، فلما دخل سألاه فقال لهما لو ناصح الكسائى نفسه لصار الى أبى محمد وتعلم منه كلام العرب فما رأيت أحدا أعلم منه به ، فأخذ الجوهرى دابة حمويه ، وبلغ أبا محمد هذا الخبر فقال

ياحمويه اسمع ثناء صادقا ... فيك وما الصادق كالكاذب
ياجالب الحزى على نفسه ... بعدا وكفا لك من جالب
ان فخر الناس بآبائهم ... أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأدغمت أبا خاملا ... انا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن قوله على قول امرىء القيس « رب رام من بنى ثُعَل »

رب مغـــوم بعافيـة غمط النعماء من أشره
مـــورد أمرا يسر به فرأى المكروه فى صدره
وامرىء طالت سلامتـه فرماه الدهر من غيره
بسهام غـــير مُشْوية نقضت منـــه عُرَامِرَه
وكذاك الدهر مختلف بالفتى حالين من عصره
يخالـــط العسر بميسرة ويسـار المرء فى عسره

قال له يوما ابو حنش الشاعر ياأبا محمد قل أبياتا قافيتها على هاءين ، فقال على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقال

قلت ونفسى جَمٌّ تأوهها تصبو الى الفها وأندهها
سقيا لصنعا لا أرى بلدا أوطنه الموطنون يشبهها
حضار حسنا ولا كبهجتها اعذى بلاد عذا وأنزهها
يعرف صنعاء من أقام بها أرغد أرض عيشا وأرفهها
أبلغ حضيرا عني أبا حَنَش عاثرة نحـــوه أوجهها
تأتيه مثل السهام عامدة عليه مشهورة أُدَهْدِهها
كنيته طرح نون كنيتـــه اذا تهجيتها ستفقهها (١)

كان قتيبة الخراسانى صاحب عيسي بن عمر يأتى أبا محمد فيسأله عن مسائل كالمتعنت فاذا اجابه عنها انصرف منكرا وكان أفطس فقال له يوما

اذاعا فى مليك الناس عبدا فلا عافاك ربك ياقتيبـــة
طلبت النحو مذ أن كنت طفلا الى أن جللتك ،قبحت،شيبة
فما تزداد الا النقص فيـه وأبت لدى الاياب بشر أوْبة

(١) يريد اسقاط النون أى حنش حتى يكون أبا حش

وكنت كمغائب قد غاب حينا فطال مقامه وأتى بخيبة

قال أبو محمد صرت يوما الى الخليل بن أحمد والمجلس غاصّ بأهله فقال لى ههنا عندى ، فقلت أضيق عليك ، فقال ان الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين وان شبرا فى شبر لا يضيق عن متحابين ، وكان الخليل لأبى محمد صافى الود ، وقال كنت ألقى الخليل فيقول لي أحب أن تجمع بينى وبين عبد الله بن المقفّع وألقى ابن المقفع فيقول أحب أن تجمع بينى وبين الخليل ، فجمعت بينهما ، فما رأينا أحسن مجلس وأكثره علما ، ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له ياأبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك ؟ فقال ما شئت من علم وأدب الا أنى رأيت كلامه أكثر من علمه . ثم لقيت ابن المقفع فقلت له كيف رأيت صاحبك ؟ فقال ما شئت من علم وأدب الا أنه عقله أكثر من علمه

قال أبو محمد كنا مع المهدى ببلدَ فى شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر وعنده شيبة بن الوليد العبسى ، فقال المهدى نبعث الى اليزيدى والكسائي ، وأنا يومئذ مع يزيد بن منصور خال المهدى والكسائى مع الحسن الحاجب ، فجاءنا الرسول ، فجئته أنا فاذا الكسائى على الباب قد سبقني فقال ياأبا محمد أعوذ بالله من شرك ، فقلت لا تؤتَى من قبلى حتى أوتىَ من قبلك ، فلما دخلنا عليه أقبل على وقال كيف نسبوا الى البحرين فقالوا بحرانى ونسبوا الي الحصنين فقالوا حصني ولم يقولوا حصنانى كما قالوا بحرانى ؟ فقلت أصلح الله الأمير لو أنهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحرى لم يعرف أالى البحرين نسبوا أم الى البحر ، فلما جاؤا الي الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب اليه غيرهما فقالوا حصني ، فقال الكسائى لعمر بن بزيع ، وكان حاضرا ، لو سألني الأمير لأخبرته فيها بعلة هى أحسن من هذه ، فقال أبو محمد أصلح الله الامير ان هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به ، قال فقد سألته . فقال الكسائى لما نسبوا الى الحصنين كانت فيه نونان

فقالوا حصنى اجتزاء باحدى النونين عن الأخرى ولم يكن فى البحرين الا نون واحدة فقالوا بحرانى ، فقلت أصلح الله الأمير فكيف تنسب رجلا الى بني جنّان فانه يلزمه على قياسه أن يقول جنى لأن فى جنان نونين ، فان قال ذلك فقد سوى بينه و بين المنسوب الى الحصنين ، فقال المهدي لهما تناظرا فى غير هذا حتى نسمع ، فتناظرا فى مسائل حفظ فيها قولهما الى أن قال له أبو محمد كيف تقول « ان من خير القوم او خيرهم بتّة زيدا » فأطال الفكر لا يجيب فقال له أبو محمد لأن تجيب فتخطىء فتتعلم أحسن من هذه الاطالة ، فقال « ان من خير القوم أو خيرُهم بتة زيدا » فقلت أصلح الله الأمير مارضى أن يلحن حتى لحن وأحال ، قال وكيف ؟ قال لرفعه قبل أن يأتى اسم ان و نصبه بعد رفعه ، فقال شيبة بن الوليد أراد بأو بل فرفع ، فقال الكسائى ما أردت غير ذلك ، فقال أبو محمد فقد أخطآ جميعا أيها الامير ، لو أراد بأو بل رفع زيدا لانه لا يكون « بل خيرُهم زيدا » فقال المهدى يا كسائى لقد دخلت عليّ مع مسلمة النحوى وغيره فما رأيت كما أصابك اليوم ثم قال هذان عالمان ولا يقضى بينهما الا أعرابى فصيح تلقى عليه المسائل التى اختلفا فيها فيجيب ، فبعث الى فصيح من فصحاء الأعراب ، وأطرق أبو محمد الى أن يأتى الأعرابى ، وكان المهدى محبا لأخواله ومنصور بن يزيد حاضر ، فقال ابو محمد أصلح الله الأمير كيف ينشد هذا البيت الذى جاء فى هذه الأبيات

يأيها السائلى لأخبره ... عمن بصنعاء من ذوى الحسب
حِمير سادتها تقر لها ... بالفضل طرا جحاجح العرب
وان من خيرهم وأكرمهم ... او خيرهم بتّةً ابو كَرِب

فقال المهدى له كيف تنشده أنت ؟ فقال أو خيرَهم بتة أبو كرب على اعادة ان ، كأنه قال او ان خيرهم بتة أبو كرب ، فقال الكسائى هو والله قالها الساعة ، فتبسم المهدى وقال انك لتشهد له وما تدرى ، ثم طلع الأعرابى الذى بعث اليه

فألقيت عليه المسائل فأجاب فيها كلها بقول أبى محمد، فاستفزه السرور حتى ضرب بقلنسيته الأرض وقال أنا أبو محمد، فقال له شيبة بن الوليد أتتكنى بحضرة الأمير؟ فقال المهدى والله ما أراد بذلك مكروها ولكنه فعل ما فعل للظفر وقد لعمرى ظفر، فقال أبو محمد ان الله عز وجل أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله وأنطق غيرك بما هو أهله، قال أبو محمد فلما خرجنا قال لى شيبة أتخطئنى بين يدى الأمير؟ أما لتعلمن، قلت قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غبّها، ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعا عدة فلم أدع ديوانا الا دسست اليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه فأصبح الناس يتناشدونها وهى

عش بجَد ولا يضرك نوك ... انما عيش من ترى بالجدود
عش بجَد وكن هَبَنَّقَة القيـ ... ـسى نَوْكا أو شيبة بن الوليد
شيبَ ياشيبَ ياجُدى بني القعْـ ... ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد
لاولا فيك خلة من خلال الـ ... ـخير أحرزتها لحزم وجود
غير ما انك المجيد لتقطيـ ... ـع غناء وضرب دُفّ وعود
فعلى ذا وذاك يحتمل الده ... ـر مجيدا له وغير مجيد

ومن قوله فى جعفر بن يحيى البرمكى

ياسائلى عما أخبره ... عن جعفر كرما وعن شيمه
ان ابن يحيى جعفرا رجل ... سيط السماح بلحمه ودمه
فعليه لا ابدا محرمة ... وكلامه وقف على نعمه
وترى مسابقه ليدركه ... بمكان خذ والنعل من قدمه

ومن قوله يستنجز الرشيد وعدا

أحق من أنجز موعوده ... خليفة الله على خلقه
ومن له ارث نبىّ الهدى ... بالحق لا يدفع عن حقه

ينسب في الهدى الى هديه بزّاو فى الصدق الى صدقه
ومن له الطاعة مفروضة لائحة بلوحي فى رقه
والراتق الفتق العظيم الذى لا يقدر الناس على رتقه

اعتل ابو محمد علة من حمى ربع طالت عليه أشهرا فجفاه يزيد بن منصور ولم يمر به فى علته ولم يتفقده كما ينبغي فكتب رقعة اليه ضمنها هذه الأبيات

قل للأمير الذى يرجو نوافله من جاءه طالبا للخير مجتابا
انى صحبتك دهرا كل ذاك أرى من دون خيرك حجابا وأبوابا
وكم ضريك أجاءته شقاوته اليك اذ أنشبت ضراؤها نابا
فما فتحت له بابا لميسرة ولا سددت له من فاقة بابا
كغائب شاهد يخفى عليك كما من غاب عنك فوافى حظه غابا

فلما قرأها قال جفونا أبا محمد وأحوجناه الى استبطائنا والله المستعان، وبعث اليه بصلة

غاضب ابو محمد مواليه بني عدى رهط ذى الرمة لأمر استنهضهم فيه فقعدوا عنه فقال يهجوهم

يأيها السائل عن قومنا لما رأى بزّة أخيارهم
وحسن سمت منهم ظاهرا اعلانهم ليس كاسرارهم
سائل بهم احمر أو غيره ينبيك عن قومى وأخبارهم

لما بلغ المأمون وصار فى حد الرجال أمر الرشيد مؤدبيه أن يعملوا له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعملوا له خطبته المشهورة، وكان جهير الصوت حسن اللهجة، فلما خطب بها رقت قلوب الناس وأبكى من سمعه فقال ابو محمد

لتهن أمير المؤمنين كرامة عليه بها شكر الاله وجوب
بأن ولى العهد مأمون هاشم بدا فضله اذ قام وهو خطيب
ولما رماه الناس من كل جانب بأبصارهم والعود منه صليب

رماهم بقول أنصتوا عجبـــا له ... وفى دونه للسامعين عجيب
ولما وعت آذانهم مـــا أتى به ... أنابت ورقت عند ذاك قلوب
فأبكى عيون الناس أبلغ واعظ ... أغرّ بطاحى النجّار نجيب
مَهيب عليـه للوقار سكينة ... جريء جنان لا أكَعّ هيوب
ولا واجب فـوق المنابر قلبـه ... اذا ماعترى قلبَ النجيب وجيب
اذا ما علا المأمون أعواد منبر ... فليس له فى العالمـين ضَريب
تصدع عنه الناس وهو حديثهم ... تحـدث عنـه نازحٌ وقريب
شبيه أمير المؤمنـــين حزامة ... اذا وردت يوما عليه خطوب
اذا طاب أصل فى عروق مشاجه ... فأغصانه من طيبـه ستطيب
فقل لأمير المؤمنين الذي به ... يقدم عبـــد الله فهو أريب
كأن لم تغب عن بلدة كان واليا ... عليها ولا التدبير منك يغيب
تتبـع ما يرضيـك فى كل أمره ... فسيرته شخص اليـك حبيب
ورثتم بني العبـاس ارث محمد ... فليس لحى فى التراث نصيب
وانى لأرجو يابن عم محمد ... عطاياك والراجيك ليس يخيب
أثبني على المأمون وابنى محمدا ... نـــوالا فاياه بذاك تثيب
جناب أمـير المؤمنين مبـارك ... لنا ولـكل المؤمنين خَصيب
لقد عمهم جود الأنام فكلهم ... له في الذى حازت يداه نصيب

فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم ولابنه محمد بمثلها

استأذن أبو محمد الرشيد وهو بالرَّقة فى الحج فاذن له فلما عاد قال

يافرحتا اذ صرفنا أوجه الابل ... الى الأحبـة بالازعاج والعجل
نحثهن ولا يونَين من دَأب ... لكنّ للسوق حثا ليس للابل
يانائيا قربت مـــنه وساوسه ... أمسى قرين الهوى والشوق والوجل

ان طال عهدك بالأحباب مغتربا فان عهدك بالتسهيد لم يطل
اما اشتفى الدهر من حرّان مختبل صب الفؤاد الى حران مختبل
عش بالرجاء وأمل قرب دارهمُ لعل نفسك أن تبقى مع الأمل

محمد بن أبي محمد اليزيدي

مما يغنى فيه من شعره

أتيتك عائذا بك منك لما ضاقت الحيل
وصيرني هواك وبي لحَيْني يُضرب المثل
فان سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلَل
وان قتل الهوى رجلا فانيَ ذلك الرجل

أخذ البيت الأخير من قول مسلم بن الوليد

متى ما تسمعي بقتيل أرض أصيب فانني ذاك القتيل

وكان سليم بن سلام المغنى صديق محمد كثير العشرة له وليس فى شيء من شعره صنعة الاله، وله يقول محمد

بأبي أنت ياسليم وأمي ضقتُ ذرعا بهجر من لا أسمى
صدّ عني أقرُّ من خلق الله لعيني فاشتد غمي وهمي
ما احتيالي ان كان في القدر السا بق للحين أن أموت بسقمي

نظر أبو ظبية العُكْلي الى محمد وقد جاء الى أبيه فقال

يلد الرجال بنيهمُ أولادهم وولدت أنت أبا من الأولاد

قال محمد صرت الى العباس بن الأحنف فقال لى ما حاجتك ؟ قلت أمرني أخوك وأبي أن أصير اليك واستفيد منك، فقال لى أتصير الى؟ ودِدت أني سبقتك الي بيتين قلتهما وأني لم أقل من الشعر شيئا غيرهما ، فدخلني من السرور ما الله به عليم فقلت وما هما ؟ فقال قولك

يابعيد الدار موصو ... لا بقلبي ولساني
ربما باعدك الده ... ر وأدنتك الأماني

أخذه من قول مسلم بن الوليد

ذاك ظبي تحير الحسن فى الأر ... كان منه وحل كل مكان
عارضت دونه الحجال فما يلـ ... ـقاك الا فى النوم أو فى الأماني

عتب محمد على يونس بن الربيع وكان صديقه فكتب اليه

سأبكيك حيا لا بكيتك ميتا ... بأربعة تجرى عليك همولا
وأعفيك من طول اللقاء وانني ... أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلا
فكيف بصبرى عنك لا كيف بعدما ... حللت محلا فى الفؤاد جليلا

وكتب اليه يونس

الى كم قد بليت وليس يبلى ... عتاب منك لى أبدا طويل
اذا كثر التجني من خليل ... ولم تذنب فقد ظلم الخليل

ومن قوله في قنفذ

وطارقِ ليل زارنا بعد هجعة ... من الليل الا ما تحدث سامر
فقلت لعبد الله ما طارق أتى؟ ... فقال امرؤ سيقت اليه المقادر
قريناه صفو الزاد حين رأيته ... وقد جاء خفاق الحشى وهو سادر
جميل المحيا والرضى فاذا أبى ... حميته من الضيم الرماح الشواجر
ولست تراه واضعا لسلاحه ... مدى الدهر موتورا ولاهو واتر

دخل الى المعتصم وهو ولى عهد وقد طلع القمر فتنفس ثم قال يامحمد قل أبياتا فى معني طلوع القمر فانه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع فقال

هذا شبيه الحبيب قد طلعا ... غاب كما غاب ثم قد لمعا
وما أرى غيره يشاكله ... فاسأله بالله عنه ما صنعا

فرق بيني وبينـــه قدر هو الذى كان بيننا جمعا
فهل له عـــودة فأرقبها كما رأينا شبيهـــه رجعا

جاء محمد الى باب المأمون فاستأذن ، فقال الحاجب قد أخذ دواء وأمرنى ألا آذن لأحد ، قال فأمرك ألاّ توصل اليه رقعة ، فدفع اليه رقعة فيها

هديتى التحيـة للامام امام العدل والملك الهمام
لأنى لو بذلت له حياتى وما أهوى لقلا للامام
أراك من الدواء الله نفعا وعافية تكون الى تمـام
وأعقبك السلامة منه رب يريك سلامة فى كل عام
أتأذن فى السلام بلا كلام سوي تقبيل كفك والسلام

فأوصلها وخرج فأذن له فدخل وسلم وحمل ألفى دينار

قال محمد شكوت الى المأمون دينا علىّ ، فقال ان عبد الله بن طاهر اليوم عندى وأريد الخلوة معه فاذا علمت بذلك فاستدع أن يكون دخولك أو أخرجه اليك فانى سأحكم لك عليه بمال ، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت الى الدار وكتبت بهذين البيتين

ياخير سادات وأصحاب هذا الطفيلى على الباب
فصيروا لي معكم مجلسا أو أخرجوا لى بعض أصحابى

وبعثت بهما اليه ، فلما قرأهما قال صدق اكتبوا اليه وسلوه أن يختار ، فكتب الى أما وصولك فلا سبيل اليه ولكن من تختار لنخرجه اليك فتمضى معه ، فكتبت ما كنت لأختار على أبى العباس أحدا ، فقال له المأمون قم الى صديقك ، فقال ياأمير المؤمنين ان رأيت ان تعفينى من ذلك ، أتخرجني عما شرفتنى به من منادمتك وتبدلنى بها منادمة ابن اليزيدي ؟ قال لابد من ذلك أو ترضيه ، قال فليحتكم ، قال أخاف أن يشتط أو تقصر أنت ولكنى أحكم فأعدل ، قال قد رضيت ، قال تحمل اليه ثلاثة آلاف دينار معجلة ،

قال قد فعلت ، فأمر صاحب بيت المال ان يحملها معى وأمر عبد الله بردها الى بيت المـــال

كان محمد يحب جارية لسحاب يقال لها عليا وكانت من أظرف النساء لسانا وأحسنهن وجها وغناء فأعطى بها ثلاثة آلاف دينـار فلم تبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار وذلك فى خلافة المأمون ، وكان على بن الهيثم صديقا لمحمد فبلّغ المأمون الخبر ، فدعا محمدا وقال ما قصتك مع عليا ؟ قال قد قلت فى ذلك أبياتا فان أذن أمير المؤمنين أنشدتها ، قال هاتها ، فأنشده

أشكو الى الله حـــبي للعليينا ... وأنني فيهمُ ألقى الأَمَرّينـــا
حبى عليا أمير المؤمنـــين فقد ... أصبحت حقا أرى حبي له دينـا
وحب خلى وخُلْصانى [1] أبى حسن ... أعنى عليـــا قريع التغلبيينا
ورقـتى لبُنَىّ لى أصبت به ... وجدى به فوق وجد الآدميينا
ورابع قد رمى قلبى بأسهمـه ... فجزت فى حبـــه حد المحبينا
وبعض من لا أسمى قد تملكه ... فرحت عنه بما أعيا المداوينا
أتاه والدين والدنيـا تمـكنه ... فلم يَدَعْ لىَ لا دنيا ولا دينـا

فقال المأمون لولا أنه أبو اسحاق لا نتزعنها منه ولكن هذه ألف دينار فخذها عوضا ، ولقيني المعتصم فى الدار فقال لى يامحمد قد علمت ما آل اليه أمر فلانة فلا تذكرنها ، فقلت السمع والطاعة لأمرك

قال محمد كنت عند المأمون فقال لى قل شعرا فى نحو هذين البيتين

صحيح يودّ السقم كيما تعوده ... وان لم تَعُدْه عاد عنها رسولها
لتعلم هل ترتاع عند شكاته ... كما قد يروع المشفقات خليلها

فقلت

صحيـح ودَّ لو أمسى عليلا ... لتكتب أو يرى منكم رسولا

(١) الخلصان الخالص من الاخوان

رآك تسومه الهجران حتى اذا ما اعتل كنت له وَصولا
فودّعني الحياة بوصل يوم يكون على هواك له دليلا
هما موتان موت هوًى وهجر وموت الهجر شرهما سبيلا

فأمر له بعشرة آلاف درهم

ابراهيم بن أبى محمد البزيدى

مما يغنى فيه من شعره

لا تَلُحنى ان مت عشقا من كان للعشق مستحقا
ولم يُقَدِّم على خَلْقـــا ولم أُقَدِّم عليـه خلقا
يملك رقى ولست أبغى من ملكه ما حييت عتقا
لم أر فيمن هَوِيت خَلْفا أعطف منـه ولا أرقّا

قال ابراهيم كنت مع المأمون فى بلد الروم ، فبينا أنا فى ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح والى جانبى قبة فبرقت برقة واذا فى القبة عَرِيب قالت ابراهيم بن اليزيدى ؟ فقلت لبيك ، فقالت قل فى هذا البرق أبياتا ملاحا لأغنى فيها ، فقلت

ماذا بقلبى من أَليم الخَفْق اذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأُرْدُنّ اودِ مَشْق لأَن من أهوى بذاك الأُفْق
فارقته وهو أعز الخلق علىّ والزُّور خلاف الحق
ذاك الذى يملك منه رقى ولست أبغى ما حييت عتقى

فتفست نفساظننته قد قطع حيازيمها ، فقلت ويحك على من هذا ؟ فضحكت ثم قالت على الوطن ، فقلت هيهات ليس هذا كله للوطن ، فقالت ويلك أفتراك ظننت أنك تستفزنى ؟ والله لقد نظرت نظرة مُريبة فى مجلس فادعاها أكثر من ثلاثين رئيسا والله ما علم أحد منهم لمن كانت الى هذا اليوم .

قال ابراهيم انه كان مع المعتصم لما خرج الى الغزو قال فكنت فى رفقة فيها فتى من أهل البصرة ظريف أديب شاعر راوية فكان لى فيه أنس وكنا لا نفترق حتى غزونا وعدنا ، فعاد الى البصرة وكان له بستان حسن بسيحان فكان أكثر مقامه به ، وعزم لى على الشخوص الى البصرة لحاجة عرضت لى فكان أكثر نشاطى لها من أجله ، فوردتها ونظرت فيما وردت له ثم سألت عنه ومضيت اليه فكاد يستطار فرحا ، وأقمت بسيحان معه أياما وقلت فى بعضها وقد اصطبحنا فى بستانه

بامُسعدَيَّ بسَيْحان فديتكما ... حُثّا المدامة فى أكناف سيحانا
نهر كريم من الفردوس مَخْرجه ... بذاك خبرنا من كان أنبانا
لا تحسُدا انى رواحا أو مباكرة ... طيب المسير على سيحان أحيانا
بشط سيحان انسان كلِفت به ... نفسى تقِى ذلك الانسان انسانا
رَيّاه رَيْحاننا والكأس مُعْمَلة ... لا شىء أطيب من رَيّاه ريحانا
حُثّا شرابكما حتى أرى بكما ... سكرا فانىَ قد أمسيت سكرانا
رَيّا الحبيب وكأس من معتقة ... يُهيِّجان لنفس الصب أشجانا
سقْيا لسيحان من نهر ومن وطن ... وساكنين من السكان من كانا
هم الذين عقدنا الود بينهمُ ... وبيننا وهمُ في دير مُرَّانا

وقال فى بعض اخوانه وقد رأى منه جفوة ثم عاد واستصلحه فكتب اليه

من تاه واحدة فتِهْ عشرا ... كي لا يجوز بنفسه القدرا
اذا زها أحد عليك فكن ... أزهى عليه ولا تكن غمرا
ارأيت من لم تَرْجُ منفعة ... منه ولم تحذَر له ضرا
لم يستذل وتستذل له ... بل كن أشد اذا زها كبرا

كان ابراهيم يعاشر أبا غسان وجلسا للشرب فقال لو دعوت ابن أخيك لنأنس به ، فكتب اليه ابراهيم

يا أكرم الناس طُرّا وأكرم الفتيـــان
بادر الينا لكيما نُسقى سُلاف الدِّنان
على غنـــاء غزال مهفهـف فتان
اشرب على وجه جان شرابك الخسروانى
فما لجان نظـــير وما لها من مُدان
الا الذى هو فـرد وما له من ثان
أعني الهـلال لست فى شهره وثمان
للناس بدر منـــير يرى بكل مكان
وما لنا غـــير بدر لدى أبى غسّان
ذكراه فى كل وقت موصولة بلســـانى
سبيتـــه وسبانى فحبه قـــد برانى
من ثَمَّ لست ترانى أصبو الي انسان

دخل ابراهيم على المأمون وهو يشرب فأمره بالجلوس فجلس وأمر له بشراب فشرب وزاد فى الشرب فسكر وعربد ، فأخذ على بن صالح صاحب المصلّى بيده فأخرجه ، فلما أصبح كتب الى المأمون

انا المذنب الخطّاء والعفـو واسع ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
ثَملت فأبدت منى الكأس بعض ما كرهت وما ان يستوي السكر والصحو
ولولا حميّا الكأس كان احتمال ما بدهت به لا شك فيه هو السرو
ولاسيما اذ كنت عند خليفـــة وفى مجلس ما ان يجوز به اللغو
تنصلت من ذنبى تنصل ضارع الى من لديه يغفر العمد والسهو

جاء ابراهيم الى المأمون فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة فلم يصل اليه وحجب عنه فكتب اليه

غلبت عليكم هذه القدريه فعليكمُ مني السلام تحيـة
آتيكمُ شوقا فلا ألقاكمُ وهمُ لديكم بكرة وعشية
هرون قائدهم وقد حفّت به أشياعه وكفى بتلك بلية
لكن قائدنا الامام ورأينا ما قدرآه فنحن مأمونية

ابو جعفر احمد بن محمد بن ابى محمد اليزيدى

مما غنى فيه من شعره

شوقى اليك على الأيام يزداد والقلب مذ غبت للأحزان معتاد
يالهف نفسى على دهر فجعت به كأن ايامه فى الحسن أعياد

كان أحمد راوية لعلم أهله فاضلا أديبا وكان أسنّ ولد محمد بن ابى محمد وكان اخوته جميعا يأثرون علوم جده وعمومتهم عنه وقد أدرك أبا محمد

ومن قوله وقد طلعت الشمس على خد جميل

قد طلعت شمس على شمس وطاب لي لهوي مع الأنس
وكنت أقلي الشمس فيما مضى فصرت أشتاق الى الشمس

وكتب الي بعض اخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته ثم انقطع عنه يعتذر اليه من تأخره عنه

انى امرؤ أعذر اخوانى فى تركهم برى واتيانى
لأنه لا لهو عندى ولا لى اليوم جاه عند سلطان
وأكثر الاخوان فى دهرنا أصحاب تمييز ورجحان
فمن أتانى منعما مفضلا فشكره عندى شكران
ومن جفانى لم يكن لومه عندى ولا تعنيفه شانى
أعفو عن السيّيء من فعلهم وأتبع الحسنى باحسان

حسب صديقي أنه وانق مني بأسراري واعلاني

قال احمد دخلت على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله وأنا يومئذ غلام، فاستأذنت في الانشاد فأذن، فأنشدته مديحا لي مدحته به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب حتى اذا بلغ الى مديحه لم يسمع منه الا بيتين أو ثلاثة ثم يقول للمنشد حسبك ترفعاً، فأنشدته.

يا من شكوت اليه ما ألقاه وبذلت من وجدي له أقصاه
فأجابني بخلاف ما أملته ولربما منع الحريصُ مناه
أتري جميلا أن شكا ذو صبوة فهجرته وغضبت من شكواه
يكفيك صَمْتٌ أو جواب مؤيس ان كنت تكره وصله وهواه
موت المحب سعادة ان كان من يهواه يزعم ان ذاك رضاه

فلما صرت الى المديح قلت

أبقى لنا الله الامام وزاده عزا الى العز الذي أعطاه
فالله مكرمنا بأنا معشر عُتقاء من نعم العباد سواه

فسر بذلك وضحك وقال جعلنا الله وايا كم ممن يشكر النعمة ويحسن العمل.

قال أبو جعفر دخلت يوماً على المأمون بقارا وهو يريد الغزو فأنشدته

يا قصرُ ذا النَّخلات من بارا انى حللت اليك من قارا
أبصرت أشجارا على نهر فذكرت أشجارا وأنهارا
لله أيام نعمت بها بالقُفْص أحيانا وفي بارا
اذ لا أزال أزور غانية ألهو بها وأزور خمارا
لا أستجيب لمن دعا لهدى وأجيب شُطَّارا ودُعّارا
أعصى النصيح وكل عاذلة وأطيع أوتارا ومِزْمارا

فغضب المأمون وقال انا فى وجه عدو وأحض الناس على الغزو وأنت تذكرهم نزهة بغداد، فقلت الشيء بتمامه ثم قلت

فصحوت بالمأمون عن سكرى ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعته مؤدية للفرض اعلانا واسرارا
فخلعت ثوب الهزل عن عنقى ورضيت دار الجد لي دارا
وظللت معتصما بطاعته وجواره وكفى به جارا
ان حل أرضا فهى لي وطن وأسير عنها حيثما سارا

قال يحيى بن أكثم ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين أخبر أنه كان فى سكر وخسار فترك ذلك وارعوى وآثر طاعة خليفته وعلم ان الرشد فيها، فسكن وامسك

قال المأمون يوما لئن كانت حقوق أصحابى تجب على لطاعتهم بأنفسهم فان أحمد من تجب له المراعاة لنفسه وصحبته ولأبيه وخدمته ولجده وقديم خدمته وحرمته وانه للعريق فى خدمتنا، فقال أحمد قد علمتنى والله يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحى ورجع اليه فأنشده

لي بالخليفة أعظم السبب فبه أمنت بوائق العطب
ملك غذتنى كفه وأبى قبلى وجدى كان قبل أبى
فاختصنى الرحمن منه بما أسمو به في العجم والعرب

فضحك وقال قد نظمت فيه يا أحمد ما نثرناه

قال أبو جعفر كنت عند جعفر بن المأمون مقيما، فلما أردت الانصراف منعني فبتُّ عنده، وزارته لما أصبحنا عَرِيب فأقمت فكتب الىّ عمى ابراهيم

شردت يا هذا شرود البعير وطالت الغيبة عند الأمير
أقمت يومين وليليهما وثالثا تُحْبَى ببر كثير
يوم عَرِيب مع احسانها ان طالت الأيام يوم قصير

لها أغانٍ غير مملولة ... منها ولا تخلق عند الكرور
غير ملوم يا أبا جعفر ... أن تؤثر اللهو ويوم السرور
فاجعل لنا منك نصيبا فما ... ان كنت عن مجلسنا بالنفور
وصر الينا غير ما صاغر ... أصارك الرحمن خير المصير
ان لم يكن عندى غناء ولا ... عود فعندى القمر بالنرد شير
والذكر بالعلم الذى قد مضى ... بأهله حادث صرف الدهور
وهو جديد عندنا نهجه ... أعلامه تحويه منا الصدور
فالحمد لله على كل ما ... أولى وأبلى ولربى الشكور

ابن قنبر

هو الحكم بن محمد بن قَنْبَر المازنى التميمى البصرى ، شاعر ظريف من شعراء الدولة العباسية وكان يهاجى مسلم بن الوليد مدة ثم غُلب عليه مسلم

ومما يغنى فيه من شعره

صرمتنى ثم لا كلمتنى أبدا ... ان كنت خنتك في حال من الحال
ولا اجترمت الذى فيه خيانتكم ... ولا جرت خَطْرة منه على بالى
فسوغينى المنى كيما أعيش به ... وأمسكى البذل ما أطلعت آمالى
او عجلى تلفى ان كنت قاتلتى ... أو نوّلينى باحسان واجمال

ومن قوله فى هجاء مسلم

ومن عجب الأشياء أن لمسلم ... الى نزاعا فى الهجاء وما يدرى
ووالله ما قيست على جدوده ... لدى مفخر فى الناس قوسا ولا شعرى

وقوله

كيف أهجوك يا لئيم بشعرى ... أنت عندي فاعلم هجاء هجائى
يادعى الأنصار بل عبدها الذ ... ل تعرضت لى لدرك الشقاء

ومن قوله وفيه غناء

فما أقصرَ اسم الحب ياويح ذى الحب ... وأعظم بلواه على العاشق الصب
يمـــر به لفظ اللسان مشمرا ... ويَغْرِق مَنْ ساقاه فى لجج الكرب

ومن قوله

ويلى على من أطار النوم وامتنعا ... وزاد قلبى على أوجاعـه وجعا
ظبى أغَرّ ترى في وجهه سُرُجا ... يُعْشى العيون اذا ما نوره سطعَا
كأنما الشمس في أثوابه بزغت ... حسنا أو البدر فى أرْدانه طلعا
فقد نسيت الكرى من طول ما عطِلَت ... منه الجفون وطارت مهجتى قطعا

ومن قوله

وحق الذى في القلب منك فانه ... عظيم لقد حصنت سرك فى صدرى
ولكنما أفشـــاه دمعي وربما ... أتى المرء مايخشاه من حيث لا يدرى
فهَب لي ذنوب الدمع انى أظنـه ... بما منه يبدو انمـــا يبتغى خبرى
ولو يبتغى نفعى لحـــلى ضمائرى ... ترد على اسرار مكنونهـا سرى

ومن قوله

ليس فيها ما يقال لها ... كَمُلت لو أن ذا كَمُلا
كل جزء من محاسنها ... كائن في فضـله مثلا
لو تمنت فى ملاحتهـا ... لم تجد من نفسها بدلا

ومن قوله

ان كنت لا ترهب ذمى لما ... تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى فطنا منصتا ... فيـك لتحسين خنا القائل
مقـالة السوء الى أهلهـــا ... أسرع من منحدر سائل
ومن دعا النـــاس الي ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وهذه الابيات تنسب لصالح بن عبد القدوس

ومن قوله

اذا القرشي لم يشبه قريشا بفعلهم الذى بذّ الفعالا
فجرْمى له خلق جميل لدى الأقوام أحسن منه حالا

مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه

ولقد قلت لأهلى اذ أتونى بخصيب
ليس والله خصيب للذى بى بطبيب
انما يعرف دائى من به مثل الذى بى

وكان خصيب عالما بمرضه فنظر الى مائه فقال زعم جالينوس ان صاحب هذه العلة اذا صار ماؤه هكذا لم يعش، فقيل له ان جالينوس ربما أخطأ، فقال ما كنت الي خطئه أحوج مني اليه في هذا الوقت، ومات من علته

لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه فجاء مسلما ابن عم له فقال أيها الرجل انك عند الناس فوق هذا الرجل فى عمود الشعر وقد بعثت عليه لسانك ثم أمسكت عنه، فاما ان قارعته واما ان سالمته، فقال له مسلم ان لنا شيخا وله مسجد يتهجد فيه وله دعوات يدعوها ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته فى كفايتنا اياه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال

غُلِب ابن قنبر واللئيم مُغَلَّب لما اتقيت هجاءه بدعاء
ما زال يقذف بالهجاء ولذعه حتى اتقوْه بدعوة الآباء

فقال له مسلم ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا فأمسك عني لسانك وتعرف خبري بعد، فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته، وقال محمد بن عبد الله القسرى رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر فى مسجد الرُّصافة فى يوم جمعة وكل واحد منهما بازاء صاحبه وكانا يتهاجيان فبدأ مسلم فأنشد قصيدته

انا النار فى أحجارها مستكنة فان كنت ممن يقدح النار فاقدح

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله .

قد كنت تهوى وما قوسى موتّرة فكيف ظنك بى والقوس في الوتر

فوثب مسلم وتواخذا وتواثبا حتى حجز النـاس بينهما فتفرقا ، فقال رجل لمسلم وكان يتعصب له ويحك أعجزت عن الرجل حتى واثبته ؟ قال أنا واياه لكما قال الشاعر « هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر » وكان ابن قنبر مستعليا عليه مدة ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، (راجع ترجمة مسلم ص ٢٥ من هذا الجزء)

عمارة

هو عمارة بن عقيل بن بـلال بن جرير التميمى ويكنى أبا عقيل شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء فى الدولة العباسية فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة ، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة . قال محمد بن يزيد ختمت الفصاحة فى شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل ، وكان سلم يقول هو أشـد استواء في شعره من جرير لأن جريرا سقط فى شعره وضعف وما وجد لعمارة سقطة واحدة فى شعره ، وكان عمارة هجاء خبيث اللسان فهجا فروة بن حميصة الأسدى وطال التهاجى بينهما فلم يغلب احدهما على صاحبه حتى قتل فروة

قال عمارة ما هاجيت أحدا الا كفيت مؤنته فى سنة أو أقل من سنة ، اما أن يموت واما أن يقتل واما أن أفحمه حتى هاجانى أبو الرديني العكلي فخبثني بالهجاء ، فهجا بنى نمير فقال

أتوعـدنى لتقتلني نمـير متى قتلت نمير من هجاها

فكفتنية بنو نمير فقتلوه ، فقتلت به بنو عكل وهم يومئذ ثلاثمائة ، أربعة آلاف رجل من بني نمير وقتلت لهم شاعرين رأس الـكلاب وشاعرا آخر

قال عمارة كنت جالساً مع المأمون فاذا أنا بهاتف يهتف من خلفي ويقول

نجى عمارة منا أن مدته ... فيها تراخ وركض السابح النقل
ولو ثقفناه أوهينا جوانحه ... بذابل من رماح الخطّ معتدل
فان أعناقكم للسيف مختلة ... وان مالكم للمرعىّ كالهمل
اذ لا يوطن عبد الله مهجته ... على النزال ولا لصا بنى جمل

وهذا الشعر لفروة بن حميصة فىّ ، فدخلني من ذلك ما قد علمه الله وما ظننت أن شعر فروة وقع الى هناك ، ثم خرج على بن هشام من المجلس وهو يضحك فقلت أبا الحسن أتفعل بى مثل هذا وأنا صديقك ؟ فقال ليس عليك فى هذا شيء فقلت من أين وقع اليك؟ قال وهل بقى كتاب الا وهو عندى؟ فقلت ياأمير المؤمنين أنصفني ، فقال دع هذا وأخبرنى بخبر هذا الرجل وما كان بينك وبينه ، فأنشدت قصيدتى فيه فلما انتهيت الي قولي

ما فى السَّوية ان تَجُرّ عليهم ... وتكون يوم الرَّوع أول صادر

أعجب المأمون هذا البيت فقال لى أفلهذه القصيدة نقيضة ؟ قلت نعم ، قال فهاتها ، قلت له أؤدى سهمى بلسانى ؟ فقال على ذلك ، فأنشدته اياها ، فلما بلغت الى قوله

وابن المراغة جاحر من خوفنا ... بالوسم منزلة الذليل الصاغر
يخشى الرياح بأن تكون طليعة ... أو أن تحمل به عقوبة بادر

فقال لى أوجعك ياعمارة ، فقلت ما أوجعته به أكثر

قال عمارة رحت الي المأمون فكان ربما قرب الى الشيء من شرابه أشربه بين يديه وكان ربما يأمر بكتب كثير مما أقول ، فقال لي يوما كيف قلت مفدّاة ؟ قلت هى امرأتى نظرت الى وقد افتقرت وساءت حالى ، قال فكيف قلت ؟ فأنشدته

قالت مُفَدَّاة لما ان رأت أَرَقي ... والهم يعتادني من طيفه لمم
أنهبت مالك في الأَدْنين آصرة ... وفي الأباعد حتى حفّك العَدَم
فاطلب اليهم تجد ما كنت من حسن ... تُسْدِي اليهم فقد بانت بهم حُرَم
فقلت عاذلَ قد اكثرت لائمتي ... ولم يمت حاتم عذلا ولا هَرِم

فنظر اليّ المأمون مغضبا وقال أقد علت همتك أن ترقى بنفسك الى هَرِم وقد خرج من ماله في اصلاح قومه ؟

وقال يمدح عمرو بن مسعدة ويذم أبا عباد

عمرو بن مَسْعَدة الكريم فعاله ... خير وأمجد من أبي عبـــاد
من لم يُذَمّم والداه ولم يكن ... بالرَّيّ علج بِطانة وحصـــاد
بصّرته سبل الرشاد فما انتهى ... لسبيل مكرمة ولا ارشـــاد
وعرفت اذ علقت يدي بعِنانه ... اني علقت عنان غير جواد
وأصون عرضي بالسخاء وان غدت ... غُبْر المحاجر شُعَّثا أولادي

ومن قوله يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ويفضله على تميم بن خزيمة التميمي

فليت بثوبيه لنا كان خالدا ... وكان لبكر بالثَّراء تميم
فيصبح فينا سابق متمهل ... ويصبح في بكر أَغَمُّ بهيم
فقد يبلغ المرء الكريم اصطناعه ... ويعتل نقد المرء وهو كريم

ولما بلغ خالد بن يزيد هذا الشعر قال له ياأبا عقيل أبلغك أن أهلي يرتضون مني ببديل كما رضيت بنو تميم بتميم بن خزيمة ؟ فقال انما طلبت حظ نفسي وسقت مكرمة الى أهلي لو جاز ذلك ، وقال يمدحه أيضا

تأبى خلائق خالد وفعاله ... الا تجنب كل أمر عائب
فاذا حضرت الباب عند غدائه ... أذِن الغداء لنا برغم الحاجب

فلقيه خالد وقال له أوجبت والله عليّ حقا ما حييت

وله القصيدة التي رد فيها على رجاء بن هرون اخي بني تيم اللات بن ثعلب أولها

حى الديار كأنها أســـطار بالوحي تدْرُس صحفها الأحبار
لعب البلى بجديدهـا وتنفست عرصاتها الأرواح (١) والأمطار

ومنها

وجموع أسد اذ تقضّ رءوسهم بيض يطـــير لوقْعهن شرار
حتى اذا عزموا الفرار وأسلموا بيضاً حواصنَ ما بهن قرار
لحقت حفيظتنـا بهن ولم نزل دون النساء اذا فزعن نغار

ومن قوله وفيه غناء

ما شأن عينك طَلّة الأجفان مما تفيض مريضة الانسان
مطروقة تَهْمِي الدموع كأنها وَشَل تشلشل دائم التَّهْتان

قال حكم بن بشر بن عمرو بن العلاء أتيت عمارة أسأله عن شيء أكتبه عنه فقال لي من أنت ؟ فقلت أنا ابن أخيك انا حكم بن بشر بن أبى عمرو فقال لى كان أبوك صديقى ، ثم أنشأ يقول

بنى لـكم العلاء بناء صدق وتعمُر ذاك ياحكم بن بشر
فما مدحى لـكم لأصيب مالا ولكن مدحكم زين لشعرى

ابن مناذر

هو محمد بن مُناذر مولي بني صُبَيْر بن يَرْبوع ويكنى أبا جعفر

شاعر فصيح مقدم فى العلم باللغة وامام فيها وقد أخذ عنه أكابر أهلها، وكان فى أول أمره يتألّه ثم عدل عن ذلك فهجا النـاس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حين نفى عنها الى الحجاز فمات هناك ، وكان يجالس سفيان بن عيينة فيسأله سفيان عن معنى حديث النبى صلى الله عليـه وسلم فيقول له كذا وكذا

(١) هذا البيت الذى أخطأ فيه عمارة فقال الارياح فرده عليه أبو حاتم السجتانى

مأخوذ من كذا فيقول سفيان كلام العرب يأخذ بعضه برقاب بعض، وأدرك المهدي ومدحه ومات فى أيام المأمون

ولما عدل عما كان عليه من النسك والتأله وعظته المعتزلة فلم يتعظ وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه بمطاهرهم فاذا توضؤا به سود وجوههم وثيابهم ، وقال فى توعد المعتزلة اياه

أبلغ لديك بنى تميم مألكا ... عني وعرج فى بني يربوع
انى أخ لكمُ بدار مضيعة ... بُوم وغربان علىَّ وقوع
يالَلمقبائل من تميم مالكم ... رُوبىَ ولحم أخيكم بمضيع
هبُّوا له فلقد أراه بنصركم ... يأوِى الى جبل أشَمَّ منيع
واذا تحزبت القبائل صُلْتمُ ... بفتى لكل ملمة وقطيع
ان أنتمُ لم توتروا لأخيكم ... حتى يُبُاء بوتره المتبوع
فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا ... ما عشتمُ بمذلة وخضوع
ان كنتمُ حربا على أحسابكم ... سمعا فقد أسمعت كل سميع
اين الصُّبيريون لم أر مثلهم ... فى النائبات واين رهط وكيع

ثم استحيا من قوله أين الصبيريون لقلة عددهم فقال أين الرياحيون ، فجاء خمسون شيخا من بني رياح فطردوهم عنه

وكان ابن مناذر ينحو نحو عدى بن زيد فى شعره ويميل اليه ويقدمه

هوِى ابن مناذر عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وكان من أحسن الناس وجها وأدبا ولباسا واكملهم في كل حال وكان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشَّغَف به ، وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسنه وموضعه من العلم فلا ينكر ذلك لأنه لم تكن تبلغه عنه ريبة، وكان ابن مناذر حينئذ حميد الأمر حسن المروءة عفيفا

وفيه يقول ابن مناذر من قصيدة اولها

شيب ريب الزمان رأسي ... لهفي على رَيْب ذا الزمان
يقدح في الصُّم من شَرَوْرَى ... ويحدر الصم من أبان

يقول فيها يمدح عبد المجيد

منى الى الماجد المرجَّى ... عبد المجيد الفتى الهجان
خير ثقيف أبا ونفسا ... اذا التقت حلْقتا البطان
نفسي فداء له وأهلي ... وكل ما تملك اليدان
كأن شمس الضحي وبدر الدجى عليه معلقان
نيطا معا فوق حاجبيه ... والبدر والشمس يضحكان
مشمر همه المعالى ... ليس برَثّ ولا بوَان
بنى له عزة ومجدا ... في أول الدهر بانيان
فاسأله مما حوت يداه ... يهتز كالصارم اليماني
بأن تلقاه من ثقيف ... ومن ذُرَى الأَزْد خير بان

ولما مات رثاه بمراث عدة منها

ياعين حق لك البكاء ... لحادث الرُّزء الجليل
فابكي على عبد المجيد وأعولى كل العويل
لا يبعد الله الفتى الفيّا ... ض ذا الباع الطويل
عمل الحمام به فو دَّ عنا وآذن بالرحيل
لهفي على الشعر المعفر منك والخد الأسيل
كسفت لفقدك شمسنا ... والبدر آذن بالأفول

ومنها

كل حي لاقى الحِمام فمود ... ما لحي مؤَمَّل من خلود
لا تهاب المنون شيئا ولا تر ... عى على والدولا مولود

يقدح الدهر فى شماريخ رضوى ويحط الصخور من هبّود
ولقد تترك الحوادث والأيـ ـام وهيا فى الصخرة الصيخود
أين رب الحصن الحصين بسورا ء ورب القصر المنيف المشيد
شاد أركانه وبوّبه با بى حديد وحفه بجنود
كان يجبى اليه ما بين صنعا ء فمصر الى قرى بيرود
وترى خلفه زرافات خيل جافلات تعدو بمثل الأسود
فرمى شخصه فأقصده الدهـ ـر بسهم من المنايا سديد
ثم لم ينجه من الموت حصن دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله غزوا الأر ض أعينوا بالنصر والتأييد
فلو أن الأيام أخلدن حيا لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيد حثت عليه وأيد دفنته ما غيبت فى الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولى هدّ ركنا ما كان بالمهدود
وأرانا كالزرع يحصده الدهـ ـر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبّو ن سراعا لمنهل مورود
هد ركنى عبد المجيد وقد كنـ ـت بركن أنوء منه شديد
فبعبد المجيد تأمور نفسى عثرت بى بعد انتعاش الجدود
وبعبد المجيد شلّت يدى اليمـ ـنى وشلت يمين الجود
حين تمت آدابه وتردّى برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتـ ـز اهتزاز الغصن الندى الأملود
وسمت نحوه العيون وما كا ن عليه لزائد من مزيد
وكأنى أدعوه وهو قريب حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا ... ن سميعا هشّا اذا هو نودى
يافتى كان للمقامات زينا ... لا أراه فى المحفلِ المشهود
لَهْف نفسى أما أراك وما عنـ ... ـدك لي ان دعوت من مردود
كان عبد المجيد سَمّ الأعادى ... ملء عَين الصديق رَغْم الحسود
عاد عبد المجيد رزأ وقد كا ... ن رجاء لريب دهر كنود
خنتك الود لم أمت كمدا بعـ ... ـدك انى عليك حقّ جليد
لو فدى الحى ميتا لفدت نفسـ ... ـك نفسى بطارفى وتليدى
ولئن كنت لم أمت من جوي الحز ... ن عليه لأبلغنْ مجهودى
لأقيمنّ مأتما كنجوم الليـ ... ـل زُهرا يلطمن حُرّ الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرّ ... ى عليه وللفؤاد العميد
ولعين مطروفة أبدا قا ... ل لها الدهر لا تقرى وجودي
كلما عَزّكِ البكاء فأنفد ... تِ لعبد المجيد سَجْلا فعودى
لفتى يحسن البكاء عليه ... وفتى كان لامتداح القصيد
فبرغمى كنت المقدم قبلى ... وبكرهى دُلِّيت فى اللحود
كنت لى عصمة وكنت سماءً ... بك تحيا أرضى ويخضر عودي

كان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال أظرف من الزنديق وكان الحاركي واسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفا فقال فيه ابن مناذر

يالبن زياد ياأبا جعفـ ... ـر أظهرت دينا غير ما تخفى
مزندق الظاهرِ باللفظ وفى ... باطن اسلام فتى عَفّ
لست بزنديق ولكنما ... أردت أن توسم بالظَّرف

ومن قوله يرثى سفيان بن عيينة

يجنى من الحكمة نَوَّارها ما تشتهى الأنفس الوانا
ياواحد الأمة فى علمه لقيت من ذى العرش غفرانا
راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين اكفانا
ان الذى غودر بالمنحنى هد من الاسلام أركانا
لا يبعدنك الله من ميت ورَّثنا علمـــا واحزانا

خطب أبو أمية امرأة من ثقيف فرد عنها وتصدى للقاضى أن يضمنه مالا من أموال اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يثق به فقال فيه ابن مناذر

أبا أمية لا تغضب علىّ فما جزاء ما كان فيما بيننا الغضب
ان كان ردك قوم عن فتاتهمُ فنى كثير من الخطاب قد رغبوا
قالوا عليك ديون ما تقوم بها فى كل عام بها تستحدث الكتب
وقد تقحم من خمسين غايتها مع أنه ذو عيال بعدما انشعبوا
وفى التى فعل القاضى فلا تجدن فليس فى تلك لى ذنب ولا ذنب
أردت أموال أيتام تضمنها وما يضمن الا من له نَشَب

قال له جعفر بن يحيى قل فى وفى الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا فقال

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النـــعمى ولا كتقارب القلبـين
يدنى الهوى هذا ويدنى ذا الهوى فاذا هما نفس ترى نفســين

قال الحسن بن على كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا وعنده الحسن بن على التختاخ ورجل من الحجبة ورجل من اصحاب الرشيد، فخلا بهم وليس يأذن لنا، فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال

بعمرو وبالزُّهرى وبالسلف الأولى بهم ثبتت رجلاك عند المقادم
جعلت طوال الدهر يوما لصالح ويوما لصبـــاح ويوما لحاتم
وللحسن التختاح يوما ودونهم خصصت حسينا دون أهل المواسم

نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد رحاك جرت الا لأخذ الدراهم

فخرج سفيان وفى يده عصا وصاح خذوا الفاسق ، فهرب ابن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا

قال شيخ من أهل الكوفة سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله ابن مناذر أن يمليه عليه ، فتبسم سفيان وقال هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك ، قال وعلى ذلك أحب أن تمليه على فانى اذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه الى نفسى

لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى خرج ابن مناذر الى مكة وترك النسك وعاد للمجون والخلع وقال فى هذا المعنى شعرا كثيرا حتى كان اذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومبادئه الا المجون وحتى قال فى مدحه للرشيد

هل عندكم رخصة من الحسن البصرى فى العشق وابن سيرينا
ان سفاها بذى الجلالة والشيبة ألاّ يزال مفتونا

وقال أيضا فى هذا المعنى

الا ياقمر المسجد هل عندك تنويل
شفائى منك ان نولتني شم وتقبيل
سلا كل فؤاد و فؤادى بك مشغول
لقد حملت من حبيك مالا يحمل الفيل

قال العباس بن ميمون حدثني بعض أصحابنا قال رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشى معه وينشد

اذا ما كدت أشكوها الى قلبي لها شفعا
ففرق بيننا دهر يفرق بين ما اجتمعا

فقلت ان هذا لا يشبه شعرك ، فقال ان شعرى بَرَد بعدك

بلغ ابن مناذر عن ابن داب قول قبيح فقال

فمن يبغى الوصاة فان عندي ... وَصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ... ولا تروواأحاديث ابن داب
تري الغاوين يتبعون منها ... ملاهى من أحاديث كذاب
اذا التمست منافعها اضمحلت ... كما يرفضّ رَقْراق السحاب

فرويت وافتضح بها ابن داب

كان الرشيد قد وصل ابن مناذر مرات صلات سنية ، فلما مات الرشيد رثاه بقوله

من كان يبكي للعلا ... ملكا وللهمم الشريفة
فلبيك هرون الخلي ... فة للخليفة للخليفة

كان محمد بن طليق وسائر بني طليق أصدقاء لابن مناذر ، فلما ولى المهدى الخلافة استقضى خالد بن طليق وعزل عبيدالله بن الحسن بن الحر فقال ابن مناذر يهجو خالدا مجونا وخبثا منه

اصبح الحاكم بالنا ... س من آل طليق
جالسا يحكم فى النا ... س بحكم الجاثليق
يدع القصد ويهوى ... فى بنيات الطريق
ياأبا الهيثم ما كنـ ... ـت لهذا بخليق
لا ولا كنت لما حمـ ... ـلت منه بمطيق
حبله حبل غرور ... عنده غير وثيق

قال ابن سلام فقلت لابن مناذر ويحك اذا بلغ اخوانك وأصدقاءك من آل طليق أنك هجوتهم ما يقولون لك ! ؟ وبأى شيء تعتذر اليهم ؟ فقال لا يصدقون اذا بلغهم أنى هجوتهم بذلك لانهم يثقون بى .

قال ابن مناذر كنت بمكة فاشتكيت فلم يعدني من قريش الا بنو مخزوم وحدهم فقلت أمدحهم

جاءت قريش تعودني زُمَرا ... فقد وعى أجرها لها الحفظة
ولم تعُدْنيَ تَيْم واخوتها ... وزارني الغر من بني يَقَظة
لا يبرح الغُرّ منهمُ أبدا ... حتى تزول الجبال من قرظة

وقال حج الرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع فهيأت فيه قولا أجدت تنميقه وتنوقت فيه ، فدخلت اليه في يوم التروية واذا هو يسأل عني ويطلبني ، فبدرني الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال ياأمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم ، وقد كان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت ، فتنكر وعبس في وجهي ، فقال الفضل مره ياأمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم «أتانا بنو الأملاك من آل برمك » فقال لي أنشد ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني ، فأنشدته

أتانا بنو الأملاك من آل برمك ... فياطيب أخبار وياحسن منظر
اذا وردوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتُظلم بغداد ويجلو لنا الدجى ... بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر
فما صلحت الا لجود أكفهم ... وأرجلهم الا لأعواد منبر
اذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه ... وحسبك من راع له ومدبر
ترى الناس اجلالا له وكأنهم ... غرانيق ماء تحت باز مصرصر

ثم أتبعت ذلك بأن قلت كانوا أولياءك ياأمير المؤمنين أيام مدحتهم وفي طاعتك ، لم يلحقهم سخطك ، ولم تحلل بهم نقمتك ، ولم أكن في ذلك مبتدعا ولا خلا أحد من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوما قد أظلني فضلهم ، وأغناني رفدهم ، فأثنيت بما أولوا ، فقال ياغلام الطم وجهه ، فلطمت والله حتى سدِرت وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس ، ثم قال اسحبوه على وجهه ، ثم قال والله لأحرمنك ولا تركت

احدا يعطيك شيئاً فى هذا العام ، فسحبت حتى أخرجت وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى وما جرى على لا والله ما عندى ما يقيم قوت عيالى لعيدهم فاذا بشاب قد وقف على ثم قال أعزز علىّ والله يا كبيرنا بما جرى عليك ودفع الي صرة وقال تبلغ بما فى هذه ،فظننتها دراهم، فاذاهى ثلثمائة دينار ، فقلت من أنت جعلني الله فداك؟ قال أنا أخوك أبو نواس فاستعن بهذه الدنانير واعذرنى ، فقبلتها وقلت وصلك الله ياأخي وأحسن جزاءك

وقال ابن مناذر فى شيرويه الزيادى « وشيرويه لقب له واسمه أحمد » وقد سأله حاجة فأبى أن يقضيها الا على ان يمدحه

ياسمى النبي بالعربية وسمى الليوث بالفارسية
ان غضبنا فأنت عبد ثقيف أو رضينا فأنت عبد أمية

فغضب شيرويه من ذلك وجعل يشتمه ، فكان بعد ذلك اذا قيل لشيرويه ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض يشتم من يقول له ذلك

قال التوَّزى سألت أبا عبيدة عن اليوم الثانى من النحر ما كانت العرب تسميه؟ قال ليس عندى من ذلك علم ، فلقيت ابن مناذر بمكة فلما خبرته بذلك تعجب وقال أيسقط مثل هذا عن أبى عبيدة ؟ هى أربعة أيام متواليات كلها على الراء أولها يوم النحر والثانى يوم القر والثالث يوم النفر والرابع يوم الصَّدْر، فحدثته أبا عبيدة فكتبه عن ابن مناذر

وقد روى ابن مناذر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما روى الحياء من الايمان والمِراء من النفاق ، ومنه لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الى القتلى وهم مصرَّعون قال لأبى بكر لو أن أبا طالب حى لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل ، يعنى قول ابى طالب

كذبتم وبيت الله ان جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

ومنه ، جاء الشيطان الى عيسى فقال ألست تزعم أنك صادق ؟ قال بلى ، قال فأوف على هذه الشاهقة فألق نفسك منها ، فقال ويلك ألم يقل الله يابن آدم لا تبْلُنى بهلاكك فانى أفعل ما أشاء ، قال ابراهيم بن الجنيد سألت يحيى بن مَعين عن ابن مناذر الشاعر فقال لم يكن بثقة ولا مأمون رجل سَوْء نفى من البصرة ووصفه بالمجون والخلاعة ، فقلت انما نكتب شعره وحكايات عن الخليل بن أحمد ، فقال هذا نعم وأما الحديث فلست أراه موضعا له

قال على بن محمد النوفلى رأيت ابن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كف بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشترى ماء قربة فرأيته وسخ الثوب والبدن ، فلما صرنا الى البصرة أتتنا وفاته فى تلك الأيام

العمانى الراجز

هو محمد بن ذؤيب بن مِحْجَن الحنظلى الدارمى صليبة ، من بنى فُقيم وقيل له العُمانى وهو بصرى لانه كان شديد صفرة اللون ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، كان شاعرا راجزا متوسطا من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره مثل أشجع وسَلْم ومَرْوان ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا فأفاد بفعله اموالا جليلة

دخل على الرشيد فأنشده

يا ناعش الجَد اذا الجد عثر وجابر العظم اذا العظم انكسر
أنت ربيعى والربيع يُنتظر وخير أنواع الربيع ما بكر

فقال له الرشيد اذاً يَبكُر عليك ربيعنا ، يافضل أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوبا

وأنشد الرشيد مرة

هرون يا ابن الاكرمين منصبا لما ترحلت فصرت كَئِبا

من أرض بَغْداد تؤُم المغـربا طابت لنا ريح الجَنُوب والصَّبا
ونزل الغيث لنـا حتى ربا ما كان من نَشْز وما تصـوبا

فمرحباً ومرحباً ومرحبا

فقال له الرشيد و بك مرحباً ياعمانى وأهلا وأجزل صلته

لما عزم الرشيد على البيعة لمحمد الأمين قام العمانى بين صـفوف القواد ثم أنشأ يقـول

لما أتانا خـبر مشهر أغرّ لا يخفى على من يُبصر
جاء به الـكوفى والمبصّر والراكب المنجـد والمغوّر
يخبّر الناس وما يُستخبر قلت لأصحابى ووجهى مسفر
وللرجال حَسْبكُم لا تكثروا فاز بهـا محمد فأقصروا
قد كان هذا قبل هذا يذكر فى كتب العلم الذى يسطر
فقل لمن كان قديما يتجر قد نُشر العدل فبيعوا واشتروا
وشرقوا أو غربوا وأبشروا فقد كفى الله الذى يستقدر
بمنه أفعال ما قد يحـذر والسيف عنا مُعْمَد ما يشهر
وقُلد الأمر الأغرُّ الأزهر نَوْء السِّماكين الذي يستمطر
بوجهه ان كان عام أغـبر سُرّت به أسِرَّة ومنـبر
وابتهج الناس به واستبشروا وهللوا لربهم وكبروا
شكرا ومن حقهمُ أن يشكروا اذ ثبتت أوتاد ملك يعمر
وهاشم فى حيث طاب العنصر وطاح من كان عليها يزفر
ان بنى العباس لم يقصروا اذ نهضوا لملكهم فشمروا
وعقـدوا ونزعوا وأمروا ودبروا فأحكموا ما دبروا
وأوردوا بالحزم ثم أصدروا والحزم رأى مثله لا ينكر

اذا الرجال فى الرجال خيروا ... يأيها الخليفة المطهر
والمؤمن المبارك الموفر ... والطيب الأغصان والمظفر
ما الناس الا غنم تنشر ... ان لم تداركهم براع يخطر
على قلوص طرقها ويسطر ... ويمنع الذئب فلا ينفر
فامنن علينا بيد لا تكفر ... مشهورة مادام زيت يعصر
وانظر لنا وخل من لا ينظر ... واجسر كما كان أبوك يجسر
لا خير فى مجمجم لا ينظر ... ولا كتاب بيعة لا ينشر
وقد تربصت فلست تعذر ... فليت شعرى ما الذى تنظر
أأنت قائم به أم تسخر ... مالك فى محمد لا تعذر
وليت شعرى والحديث يؤثر ... أترقد الليل ونحن نسهر
خوفا على أمورنا ونضجر ... والله والله الذى يستغفر
لأن يموت معشر ومعشر ... خير لنا من فتنة تسعر
يهلك فيها دينهم ويوزر ... وقد وفى القوم الذين انتصروا
لصاحب الروم وذاك أصغر ... منه وهذا البحر لا يكدر
وذاكم العلج وهذا الجوهر ... ينمى به محمد وجعفر
والخلفاء والنبى الأكبر ... ونبعة من هاشم وعنصر
واعلم وأنت المرء لا يبصر ... منا ذوى العسرة حتى يوسروا
ان الرجال ان ولوها آثروا ... ذوى القرابات بها واستأثروا
بها وضل أمرهم واستكبروا ... والملك لا رحم له فيأصر
ذا رحم والناس قد تغيروا ... فأحكم الأمر وأنت تقدر

فمثل هذا الأمر لا يؤخر

فقال له الرشيد أبشر ياعمانى بولاية محمد العهد ، فقال إي والله ياأمير المؤمنين

بشرى الأرض المجدبة بالغيث والمرأة النَّزور بالولد والمريض المدنف بالبرء ، قال ولم ذاك ؟ قال لأنه نسيج وحده وحامى مجده ومورى زَنْده ، قال فما لك في عبد الله؟ قال مَرْعًى ولا كالسَّعدان ، فتبسم الرشيد وقال قاتله الله من أعرابى ما أعرفه بمواضع الرغبة ، وأسرعه الى أهل البذل والعائدة ، وأبعده من أهل الحزم والعزم ، والذين لا يستمنح ما لديهم بالثناء ، أما والله انى لأعرف فى عبد الله حزم المنصور ونُسك المهدى وعز نفس الهادى ولو أشاء ان أنسبه الى الرابعة لنسبته اليها

دخل على الرشيد فاستنشده ، فأنشده أرجوزة له فيه حتى انتهى الى هذا الموضع

قل للأمام المقتدى بأمه ما قاسم دون مدى ابن أمه

وقد رضيناه فقم فسمه

فتبسم الرشيد وقال ويحك أما رضيت أن أوليه العهد وانا جالس حتى أقوم على رجلى ؟ فقال ما أردت ياأمير المؤمنين قيامك على رجليك وانما أردت قيام العزم ، قال فانا قد وليناه العهد

دخل على أبى الحر التميمى بالبصرة فأطعمه وسقاه وجلله بكساء فقال فيه

ان أبا الحر لَعين الحُرّ يدفع عنا سَبَرات [1] القَرّ

باللحم والشحم وخُبز البُرّ ونُطْفة مكنونة فى الحر

يشربها أشياخنا في السر حتى نرى حديثنا كالدر

تغدى مع محمد بن سليمان بن على فكان أول ما قدم لهم فرنية فى ابن عليها سكر ثم تتابع الطعام ، فقال له قل فيما أكلت شعرا تصفه فقال

جاؤا بفُرْنى [2] لهم ملبون بات يُسقّى خالص السَّمون

مُصَومع [3] اكْوَم ذى غُضون قد حشيت بالسكر المطحون

---

(١) السبرة بالفتح الغداة الباردة الجمع سبرات (٢) الفرني خبزة مصعنبة مضمومة الجوانب الي الوسط تشوي ثم تروي سمنا ولبنا وسكرا (٣) صومع الثريد دقق رأسه فهو مصومع

ولوّنوا ما شئت من تلوين ... من بارد الطعام والسخين
ومن شراسيف[1] ومن طُرْدين ... ومن هُلام ومَصوص جُون
ومن إوز فائق سمين ... ومن دجاج فتّ بالعجين
فالشحم فى الظهور والبطون ... وأتبعوا ذلك بالجوْزين[2]
وبالخبيص[3] الرطب واللوّزين ... وفكهوا بعنب وتين
والرطب الأزاذ والهيرون ... محمد ياسيد البنين
وبكر بنت المصطفى الأمين ... الصادق المبارك الميمون
وابن وُلاة البيت والحَجون ... اسمع لنعت غير ذى تفنين
يخرج من فن الى فنون ... ان الحديث قيل ذو شجون

دخل على علي بن عيسى بن موسى وأنشده مديحاً له فيه وفد اليه به ، فاستحسنه ووصله واقتطعه اليه وخصه وجعله في جلسائه فقال العماني فيه

ما كنت أدرى ما رخاء العيش ... ولا لبست الوَشْى بعد الخيش
حتى تمدحت فتى قُريش ... عيسى وعيسى عند وقت الهيش
حين تجِف عَبرة للطيش ... زين المقيمين وعز الجيش
راش جنايحيّ وفوق الرَّبش

أجرى المهدى الخيل فسبقها فرس له يقال له الغضبان فقال العماني

قد غضب الغضبان اذ جد الغضب ... وجاء يحفى حسباً فوق الحسب
من ارث عباس بن عبد المطلب ... وجاءت الخيل به تشكو التعب
له عليها مالكم على العرب

(١) الشراسيف جمع شرسوف بالضم غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف ، والطردين طعام للاكراد ، والهلام بالضم والفتح طعام من لحم عجلة بجلدها وقيل مرق السكباج المبرد والمصفي من الدهن والسكباج مرق يعمل من اللحم والخل ، والمصوص طعام من لحم يطبخ ويقع فى الخل او يكون من لحم الطير خاصة ، والجون ضرب من القطا سود البطون والاجنحة وهو اكبر من الكدرى واحده جونى بضم الجيم وتشديد الياء (٢) الجوزين ضرب من الحلاوات يعمل من الجوز (٣) الخبيص الحلواء المخبوصة

عكاشة بن عبد الصمد العمى

من أهل البصرة من بني العمّ وعدادهم فى تميم، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ليس ممن شهر وشاع شعره فى أيدى الناس ولا ممن خدم الخلفاء ومدحهم أحب جارية اسمها نُعيم لبعض الهاشميين وفيها يقول

علام حبل الصفاء منصرم ؟ وفيم عنى الصدود والصَّمَم ؟
يامن كنَيْنا عن اسمه زمنا نتبع مرضاته ونحترم
قد عِيل صبرى وأنت لاهية عنى وقلبى عليك يضطرم
من جَدّ حبل الوفاء سيدتى منك ومن سامني له العدم
فكم أتانى واشٍ بعيبكمُ فقلت اخسأ لأَنفك الرَّغم
انت الفدا والحمى لمن عبت فار جع صاغرا راغما لك الندم
يارب خذ لى من الوُشاة اذا قاموا وقمنا اليك نختصم
دَبُّوا اليها يوسوسون لها كى يستزلوا حبيبتى زعموا
هيهات من ذاك ضل سعيهمُ ما قلبها المستهام يقتسم
ياحاسدينا موتوا بغيظكمُ حبلى متين بقولها نعم
بالله لا تُشمتى العداة بنا كونى كقلبي فلست أتهم

ووقت له ذات مرة فغنته غناء حسناً وانصرفت فقال فى ذلك

سقيا لمجلسنا الذي كنا به يوم الخميس جماعة أترابا
فى غرفة مُطرت سماوةُ سقفها بَحيَا النعيم من الكروم شرابا
اذ نحن نسقاها شمولا قَرْقفا تدع الصحيح بعقله مرتابا
حمراء مثل دم الغزال وتارة بعد المزاج تخالها زُرْيابا
من كف جارية كأن بنانها من فضة قد قمعت عُنّابا

تزداد حسناً كأسها من كفها ... ويطيب منها نشرها أحقابا
واذا المزاج علا فشجَّ جبينها ... نقشت بألسنة المزاج حبابا
وتخال ما جمعت فأحدق سمْطه ... بالطوق ريق حبائب ورُضابا
كفت المناصف ان تذُب اكفها ... عنها اذا جعلت تفوح ذبابا
والعود متبع غِناء خريدة ... غرِدا يقول كما تقول صوابا
وكأن يمناها اذا نطقت به ... تلقى على يدها الشمال حسابا
فهناك خف بنا النعيم وصار من ... دون الثقيل لنا عليه حجابا
آليت لا أَلْحَى على طاب الهوى ... متلذذا حتى أكون ترابا

ثم رحلت مع من اشتراها عن بغداد فعظم أسف عكاشة وحزنه عليها واستهيم بها طول عمره فاستحالت صورته وطبعه وخلقه فكان اكثر وكده وشغله ان يقول فيها الشعر وينوح عليها ويبكي فمن ذلك

ألا ليت شعري هل يعودنّ ما مضى ... وهل راجع ما مات من صلة الحبل
وهل أجلسن فى مثل مجلسنا الذى ... نَعِمنا به يوم السعـــادة بالوصل
عشيـة صبت لذة الوصل طيبهـا ... علينا وأفنان الحنان جنى البذل
وقد دار ساقينـا بـكأسٍ رَوِيّة ... ترحل أحزان الـكئيب مع العقـل
وشج شَمـــولا بالمزاج فطيرت ... كألسنة الحيـات خافت من القتل
فبتنا وعين الكأس سَحّ دموعهـا ... لـكل فتى يهتز للمجـد كالنصل
وقينتنا كالظبي تسمح بالهـوى ... وبث تباريح الفـؤاد على رسل
اذا ما حكت بالعود رجع لسانهـا ... رأيت لسان العود من كفها يُملى
فلم أر كاللذات أمطرت الهـوى ... ولا مثل يومى ذاك صادفـه مثلى

ومما قال فيها

أنعيم حبك سلنى وبـــلانى ... والى الامرِّ من الامور دعانى

أنعيم لو تجدين وجدى والذى ... ألقىَ بكيْتِ منَ الذى أبكانى
أنعيم سيدتى عليك تقطعت ... نفسى من الحسرات والأحزان
أنعيم قد رحم الهوى قلبى وقد ... بكت الشباب أسًى على جثمانى
أنعيم والحدرت مدامع مقلتى ... حتى رحمت لرحمتى اخوانى
أنعيم مثّلك الهُيام لمقلتى ... فكأننى ألقاك كل مكان
أنعيم نظرة سحر عينك بالهوى ... معروفة بالقتل فى انسان
أنعيم اشفى أو دَعى من داؤه ... ودواؤه بيديك مقترنان
هذا وكم من مجلس لى مونق ... بين النعيم وبين عيش دان
نازعته أردانه فلبستها ... مع ظبية فى عيشنا الفيْنان
تُنسى الحليم من الرجال مَعاده ... بين الغِناء وعودها الحَنّان
حتى يعود كأن حبة قلبه ... مشدودة بمثالث ومثان
ظلت تغنينى وتَعْطِف كفها ... بالعود بين الراح والريحان
فسمعت ما أبكي وأضحك سامعاً ... وسكت من طرب ومن أشجان
ومشيت فى لجج الهوى متبخترا ... ومشى الىّ اللهو فى الألوان
فعلمت ان قد عاد قلبىَ عائد ... من بين عود مطرب وبنان

ومما قاله أيضا فيها

نعيمٌ هل بكيْتِ كما بكيت ... وهل بعدى وفيت كما وفَيْت
الا ياليت شعرى كيف بعدى ... وصبرك اذ نأيتِ كما نأيت
فكم من عبرة ذَرِفت فلما ... خشيت عيون أهلى واستحيت
نهضت بها مكاتمة فلما ... خلوت ذَرَفتها حتى اشتفيت
وقلت لصحبتى لما رمانى ... هواك بدائه حتي انطويت
أرانى من هموم النفس ميتا ... ولم أر فى نعيم مانويت

فليت الموت عجل قبض روحى جهارا فاسترحت وأين ليت

وقال أيضا فى فراقه اياها

أنعيم فى قلبى عليك شرار وعلى الفؤاد من الصبابة نار
وعلى الجفون غشاوة وعلى الهوى داع دعته لحينى الأقدار
بمضلة لبّ الحليم اذا رمت بالمقلتين كأنها سحار
طالبتها حولين لاليلى بها ليل ولا هذا النهار نهار
حتى اذا ظفرت يداى بكاعب كالشمس تقصر دونها الأبصار
وثلجت صدرا بالفتاة وصارتا كالنفس نفسانا وقر قرار
بلغ الشقاء أشد ما يسطيعه فينا وفرق بيننا المقدار

ومما يغنى فيه من شعره الذى قال فيها

لهفى على الزمن الذي ولّى ببهجته القصير
قد كان يونقني الهوى ويقر عينى بالسرور
اذ نحن خلان الهوى ريحاننا عبق العبير
وغناؤنا وصف الهوى نلتذ بالحب اليسير
وجه التواصل بيننا فى الحب كالقمر المنير
ايماؤنا يحكي الكلا م وسرنا فطن المشير
وحديثنا بحواجب نطقت بألسنة الضمير
بل رسلنا الكتب التى تجرى بخافية الصدور

ومما غنى فيه من شعره

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرُّقى وصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو صدقوا قالوا به من أعين الانس

ومنها

طرفي يذوب وماء طرفك جامد ... وعليَّ من سيما هواك شواهد
هذا هواك قسمته بين الورى ... ومنحتني أرقا وطرفك راقد
فعليَّ منه اليوم تسعة أسهم ... وعلى جميع الناس سهم واحد

ومنها

عاد الهوى بالكاس بردا ... وأطاع إمرة من تبدى

ومنها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت ... تمت قواما فلا طول ولا قصر

ومنها

وزعفرانية في اللون تحسبها ... اذا تأملتها في جسم كافور
تخال أن سقيط الطلّ بينهما ... دمع تحير في أجفان مهجور

ابو مالك النضر بن أبي النضر التميمي

مولده ومنشؤه بالبادية ، ثم وفد الي الرشيد ومدحه وخدمه فأحمد مذهبه ولحظته عناية من الفضل بن يحيى فبلغ ما أحب، وهو صالح الشعر متوسط المذهب ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين ولا من المرذولين

كان مع الرشيد وكان أبوه مقيما بالبادية فأصاب قوم من عشيرته الطريق وقطعوه على بعض القوافل ، فخرج عامل مضر وكان يقال له جيال الى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم فقصدهم وهم غارُّون فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك وكان ذا مال فطلبه فيمن طلب من الجناة وطمع في ماله فضربه ضربا أتى فيه على نفسه وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه

فبمن يلحى على بكائي العذول ؟ ... والذي نابني فظيع جليل

عدّ هذا الكلام عني الى غيـــرى فقلبي ببثّه مشغـــول

راعني والدى، جنت كفًّا جيا ل عليه فراح وهو قتيـــل

أيها الفاجعى بركنى وعزي هبلتنى ان لم أرُعْك الهبول

سُمتني خطة الصَّغار وأظلم تنهاريـــى علىّ غالتك غُول

ما عدانى الجفاء عنك ولكن لم يُدِلْنى من الزمان مديل

زال عنا السرور اذ زُلت عنا وازدهانا بكاؤنا والعويل

ورأينا القريب منا بعيـدا وجفانا صديقنا والخليـــل

ورمانا العدو من كل وجه وتجنى علىّ العـزيز الذليل

يا أبا النضر سوف أبكيك ماعش ت سوّيا وذاك منى قليـل

حملت نفسك الملائكةُ الأبـــرار اذ ما لنا اليك سبيل

غير أنى كذبتك الود لم تقـــطُرجفونى دماوأنت قتيـل

رضيت مقلتي بارسال دمعى وعلى مثلك النفوس تسيل

أسواك الذى أجود عليه بدمى ؟ انى اذا لبخيـل

عثَر الدهر فيك عـثرة سوء لم يُقِل مثلها المعين المقيل

قل لمن ضنَّ بالحياة فانى بعده للحيـــاة قال مَلول

ان بالسفح فى منازل قومى ليس منهم وهم أدان وَصول

لا يزورن جارهم من قريب وهمُ فى التراب صَرْعَى حُلول

حفرة حشْوُها وفاء وحـــلم وندى فاضل ولب أصيل

وعفاف عما يَشين وجـــلم راجح الوزن بالرواسى يميل

وبنان يمينها غـــير جعْد وجبين صلْت وخد أصيل

وامرؤ أشرقت صفيحة خديـــه عليه بشاشة وقبول

ومن شعره وفيه غناء

بكيت حذار البين علما بما الذى اليه فؤادى عند ذلك صائر
وقال أناس لو صبرت ، وانني على كل مكروه سوى البين صابر

شعراء قيس

مساور الوراق

هو مساور بن سوّار بن عبد الحميد من آل قيس بن عَيلان ويقال انه مولى جَدِيلة من عَدْوان ، كوفى قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته وقد روى عن صدور من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث

كان قوم يجلسون الى ابن أبى ليلي فكتب قوما منهم لعيسى بن موسى وأشار عليه أن يشغلهم ويصلهم ، فأتى مساور الوراق فكلمه أن يجعله فيهم فلم يفعل فأنشأ يقول

أراك تشير بأهل الصلا ح فهل لك فى الشاعر المسلم؟
كثير العيال قليل السؤا ل عفّ مطاعمه مُعْدِم
يقيم الصلاة ويؤتى الزكا ة وقد حلّق العام بالموسم
وأصبح والله فى قومه وأمسى وليس بذى درهم

مر مساور بمقبرة حُميد الطوسى وكان له صديقا فوقف عليها مستعبرا وأنشأ يقول

أبا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبورَ عُمرانُ قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم

لما سمع مساور لغط أصحاب أبى حنيفة وصياحهم أنشأ يقول

كنا من الدين قبل اليوم فى سَعَة حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قوم اذا اجتمعوا ضجّوا كأنهمُ ثعالب ضبحتْ بين النواويس

فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه فشق عليهم وتوعدوه فقال أبياتا ترضيهم وهى

اذا ما الناس يوما قايسونا بآبدة من القتيا ظريفة
أتيناهم بمقياس ظريف مصيب من قياس أبى حنيفة
اذا سمع الفقيه بها وعاها وأثبتها بحبر فى صحيفة

فبلغ ذلك أبا حنيفه فرضى ، قال مساور ثم دعينا الى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر ، فدخلت فلم أجد لرجلى موضعا من الزحام واذا أبو حنيفة فى صدر البيت فلما رآنى قال الى يامساور الىّ يامساور ، فجئت فاذا مكان واسع وقال لى اجلس ، فجلست فقلت فى نفسى نفعتنى أبياتى اليوم ، قال وكان اذا رآنى بعد ذلك يقول لى ههنا ههنا ويوسع الى جنبه ويقول ان هذا من أهل الأدب والفهم

كان مساور لا يضيع حقا لجار له ، فماتت بنته فلم يشهدها من جيرانه الا نفر يسير فقال مساور فى ذلك

تغيب عنى كل جاف صرورة وكل طفيلى من القوم عاجز
سريع اذا يدعى ليوم وليمة بطئ اذا ما كان حمل الجنائز

ومن قوله وفيه غناء

انى شكرت لظالمى ظلمى وغفرت ذاك له على علم
مازال يظلمنى وأرحمه حتى رثيت له من الظلم

دخل مساور على أبى العيص الجَرْمى يعوده ، وكان صديقه ، فكلمه فبكى مساور جزعا عليه وأدنى رأسه يكلمه فقال أبو العيص

أفى كل عام مرضة بعد نقهة وتنعى ولا تنعى متى ذا الى متى
سيوشك يوم أن يجئ وليلة يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا
فتُمسى صريعا لاتجيب لدعوة ولا تسمع الداعى وان جد فى الدعا

ثم لم يلبث أن مات رحمه الله

قال مساور لابنه يوصيه

شمر ثيابك واستعدَّ لقائل ... واحكُك جبينك للعهود بثُوم
ان العهود صفت لكل مشمر ... دَبِر الجبين مصفر موسوم
أحسن وصاحب كل قارٍ ناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤوم
من ضرب حماد هناك ومِسْعَر ... وسِماك العَتَكِي وابن حكيم
وعليك بالغَنَوى فاجلس عنده ... حتى تصيب وديعة ليتيم
تغنيك عن طلب البيوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم
وإذا دخلت على الربيع مسلما ... فاخصص شَبابة منك بالتسليم

ففعل ما أوصاه به فلم يلبث مساور أن ولاه عيسى بن موسى عملا ودفع اليه عهده فانكسر عليه الخراج ، فدفع الى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه فقال مساور

وجدت دواهر البقال أهْنَى ... من الفُرنى والجدى السمين
وخيرا فى العواقب حين تبلى ... إذا كان المردُّ الى بطين
فكن ياذا المطيف بقاضيينا ... غدا من علم ذاك على يقين
وقل لهما اذا عرضا بعهد ... برئت الى عُرَينة من عَرِين
فانك طالما بهرجت فيها ... بمثل الخنفساء على الجبين

يوسف بن الحجاج

هو يوسف بن الحجاج الصيقل يقال انه من ثقيف ، ويقال انه مولى لهم ، وكان يلقب بلَقوة ويصحب أبا نُواس ويأخذ عنه ويروى له ، وكان يوسف كاتبا ومولده ومنشؤه بالكوفة ومن شعره الذى يغنى فيه

لا تلمنى أن أجزعا سيدى قد تمنعا
وابلائى ان كان ما بيننا قد تقطعا
ان موسى بفضله جمع الفضل أجمعا
فارس يضرب الكتيبة حتى تصدعا
فى الوغى حين لا يرى صاحب القوس منزعا
واستدارت رحاتهم بالرُّدَيْنى شُرَّعا
ثم ثارت عجاجة تحتها الموت منقعا

وموسى هو الهادى بن المهدى

لما ورد الرشيد الرقة خرج يوسف وكمن له فى نهر جاف على طريقه ، وكان لهرون خدم صغار يسميهم النمل يتقدمونه بأيديهم قِسِىّ البُنْدُق يرمون بها من يعارضه فى طريقه ، فلم يتحرك يوسف حتى وافت قبة هرون مع ناقته ، فوثب اليه يوسف وأقبل الخدم الصغار يرمونه ، فصاح بهم الرشيد كفواعنه ، فكفوا وصاح به يوسف يقول

أغيثا تحمل الناقة أم تحمل هرونا ؟
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدينا ؟
ألا كل الذي عدد ت قد أصبح مقرونا
على مفرق هرون فداه الآدميونا

فمد الرشيد يده اليه وقال مرحباً بك يايوسف كيف كنت بعدى؟ ادنُ منى ، فدنا وأمر له بفرس فركبه وسار الى جانب قبته يُنشده ويحدثه والرشيد يضحك ، وكان طيب الحديث ، ثم أمر له بمال وأمر بأن يغني فى الأبيات

ومما يغنى فيه من شعره

العفو ياغضبان ماهكذا الخلان

هبنى ابتليت بذنب أما له غفران
وان تعاظم ذنب فعفوه الهجران
كم قد تقربت جهدى لو ينفع القربان
يارب انت على ما قد حل بى المستعان
ويلى ألست ترانى أهذى بها يافلان

محمد بن حازم

هو محمد بن حازم بن عمر الباهلى ويكنى أبا جعفر من سا كنى بغداد مولده ومنشوه بالبصرة، وهو من شعراء الدولة العباسية شاعر مطبوع الا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطُّرح، ولم يمدح من الخلفاء الا المأمون ولا اتصل بواحد منهم فيكون له نباهة طبقته وكان ساقط الهمة متقللا جداً يرضيه اليسير ولا يتصدى لمدح ولا طلب

قال ابن الأعرابى أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان فى مديح الشباب وذم الشيب

لاحين صبرٍ نخل الدمع ينهمل فقدُ الشباب بيوم المرء متصل
سقْيا ورَعْيا لأيام الشباب وان لم يبق منه ولا رسم ولا طلل
جرّ الزمان ذيولا فى مفارقه وللزمان على احسانه عِلَل
وربما جرأ ذيال الصِّبا فرِحا وبين بُرْديه غصن ناعم خضِل
يُصبى الغوانى ويزْهاه بشِرّته شَرْخ الشباب وثوب حالك رَجِل
لاتكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشيب عيبا عند عائبه وبالشباب شفيعا أيها الرجل
بان الشباب وولي عنك باطله فليس يحسن منك اللهو والغزَل

أما الغوانى فقد أعرضْ عنك قلىً ... وكان إعراضهُن الدَّل والخجل
أعرْنك الهجر ما ناحت مطوَّقة ... فلا وصال ولا عهد ولا رسل
ليت المنـايا أصابتنى بأسهمها ... فكن يبكين عهدى قبل أكتهل
عهد الشباب لقد أبقيت لى حزنا ... ماجد ذكرك الاجد لى ثكلَ
ان الشباب اذا ماحل رائده ... فى منهل راد يقفو إثره أجَل

وقال في ذلك قال ابن الوشّاء خاصة وما أساء ولاقصر عن الأولى حيث يقول فى هذا المعنى

أبكى الشباب لندْمان وغانية ... وللمغانى وللأطلال والكتب
وللصريخ وللآجام فى غلَس ... وللقنـا السُّمرْ والهندية القُضُب
وللخيال الذى قد كان يطْرُقنى ... وللنَّدامَى وللذات والطرب
ياصاحبا لم يدع فقدى له جلدا ... أُضِعْت بعدك ان الدهر ذو عقب
وقد أكون وشعبانا معا رجـلا ... يوم الكريهة فراجا عن الكرب

بعث الحسن بن سهل محمد بن حميد في وجه وأمره بجباية مال وبحرب قوم من الشَّراة فخان فى المال وهرب من الحرب فقال فيه ابن حازم

تَشَبَّه بالأسـد الثعلب ... فغادره مُعْنقا (١) يُجْنَب
وحاول ما ليس فى طبعه ... فأسلمه الناب والمخلب
فلم تُغن عنـه أباطيله ... وحاص فأحرزه المهرَب
وكان مَضيّا على غـدره ... فغيب والغادر الأخيب
ايا ابنُ حميد كفرت النعيـــم جهلا ووسوسك المذهب
ومنَّتك نفسك ما لا يكو ... ن وبعض المنى خُلَّب
وما زلت تسعى على منعم ... تبقى وتُذهى فلا تُعتب

(١) الاعناق الاسراع

فاصبحت بالبغى مستبدلا رشادا وقدفات مستعتب

وقال فيه لما شخص الى حيث وجهه الحسن بن سهل

اذا استقلت بك الركاب فحيث لا درَّت السحاب
زالت سراعا وزلت يجرى ببينك الظبى والغراب
بحيث لا يرتجى اياب وحيث لا يبلغ الكتاب
فقبل معروفك امتنان ودون معروفك العذاب
وخير أخلاقك اللواتى تعاف أمثالها الكلاب

فبعث اليه ابن حميد بمال واعتذر اليه وسأله الكف فلم يفعل ورد عليه المال وقال فيه

موضع أسرارك المريب وحشو أثوابك العيوب
وتمنع الضيفَ فضل زاد ورحلك الواسع الخصيب
ياجامعا مانعا بخيلا ليس له فى العلا نصيب
أبا لرُّشا يستمال مثلى كلا ومن عنده الغيوب
لا أرتدى حلة لمثن بوجهه من يدى نُدوب
وبين جنبيه لى كُلُوم دامية ما لها طبيب
ما كنت فى موضع الهدايا منك ولا شَعْبنا قريب
انى وقد نَشَّت (١) المكاوى عن سِمَة شأنها عجيب
وسار بالذم فيك شعرى وقيل لى محسن مصيب
ما لك مال اليتيم عندى ولا أرى أكله يطيب
حسبك من موجز بليغ يبلغ ما يبلغ الخطيب

قال يحيى بن اكثم لمحمد بن حازم ما نعيب شعرك الا أنك لا تطيل فقال

(١) سمع لها صوت والمكاوى جمع مكواة

أبى لى ان أطيل الشعر قصدى ... الى المعنى وعلمى بالصواب
وايجازي بمختصر قريب ... حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعة وخمسا ... مثقفة بألفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا ... وما حسن الصبا بأخى الشباب
وهن اذا وسمت بهن قوما ... كأطواق الحمائم فى الرقاب
وهن اذا أقمت مسافرات ... تهاداها الرواة مع الركاب

سأل صديقا له حاجة فرده عنها فغضب محمد وانقطع عنه فبعث اليه بألف درهم وترضاه فردها وكتب اليه

متسع الصدر مطيق لما ... يحار فيه الحوّل القلّب
راجع بالعتبى فأعتبته ... وربما أعتبك المذنب
أجَلْ وفي الدهر على أنه ... موكل بالبين مُستعتَب
سقيا ورعيا لزمان مضى ... عنى وسهم الشامت الأخيبُ
قد جاءنى منك عتاب فلم ... أعرِض له والحر لا يكذب
أخذى مالا منك بعد الذي ... أودعتنيه مركب يصعب
أبيت أن أشرب عند الرضا ... والسُّخْط الا مشربا يعذُب
أعزنى اليأس وأغنى فما ... أرجو سوى الله ولا أرهب
قارون عندى في الغنى مُعدِم ... وهمتى ما فوقها مذهب
فأي هاتين ترانى بها ... أصبو الى مالك أو أرغب

عرضت له حاجة فى عسكر أبى محمد الحسن بن سهل فأتاه وقد كان قال شعرا فى السفينة ، فلما دخل على محمد بن سعيد بن سلم انتسب له فعرفه ، فقال ما قلت فيه شيئا ، فقال له رجل كان معه فى السفينة بلى قد قال أبياتا وهو فى السفينة فسأله أن ينشده اياها فأنشده قوله

وقالوا لو مدحت فتى كريما ... فقلت وكيف لى بفتى كريم ؟
بلوت الناس مذ خمسين عاما ... وحسبك بالمجرِّب من عليم
فما أحد يُعَدّ ليوم خير ... ولا أحد يعود على حميم
ويعجبني الفتى وأظن خيرا ... فأكشف منه عن رجل لئيم
يقبل بعضهم بعضا فأضحوا ... بنى أبوين قُدَّا من أديم
فطاف الناس بالحسن بن سهل ... طوافهمُ بزمزمَ والحطيم
وقالوا سيد يعطى جزيلا ... ويكشف كربة الرجل الكظيم
فقلت مضى بذم القوم شعرى ... وقد يؤتى البرىء من السقيم
وما خبر تُرجمِّه ظنونى ... بأشفى من معاينة الحليم
فجئت وللأمور مبشرات ... ولن يخفى الأغرّ من البهيم
فان يك ما تنشر عنه حقا ... رجعت بأهبة الرجل المقيم
وان يك غير ذاك حمدت ربى ... وزال الشك عن رجل عليم
وما الآمال تعطفني عليه ... ولكن الكريم أخو الكريم

فقال له بمثل هذا الشعر تلقى الامير؟ والله لو كان نظيرك لما جاز لك أن تخاطبه بمثل هذا ، فقال صدقت، فكذلك قلت انى لم أمدحه بعد ولكن سأمدحه مدحا يشبه مثله ، قال فافعل ، وأنزله عنده ودخل الى الحسن فأخبره الخبر وعجّبه من جودة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بادخاله اليه بغير مدح ، فأدخل اليه ، فأمره أن ينشده الشعر ، فاستعفاه فلم يُعْفِهِ ، وقال قد قنعنا منك بهذا القدر اذ لم تدخلنا فى جملة من ذممت وأرضيناك بالمكافأة الجميلة ، فأنشده اياه فضحك ، وقال ويحك مالك وللناس تعمهم بالهجا . ؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم ، فقال قد وهبتهم للأمير ، قال قد قبلت وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت اليه هدية فقبلها وأناب عليها ، ثم وصله فأجزل وكساه فقال في ذلك وأنشده

وهبت القوم للحسن بن سهل فعوضني الجزيل من الثواب
وقال دع الهجاء وقل جميلا فان القصد أقرب للثواب
فقلت له برئت اليك منهم فليتهم بمنقطع التراب
ولولا نعمة الحسن بن سهل على لسُمتهم سوم العذاب
بشعر يعجب الشعراء منه يشبه بالهجاء وبالعتاب
أكيدهمُ مكايدة الأعادى وأختلهم مخاتلة الذئاب
بلوت خيارهم فبلوت قوما كهولهمُ أخس من الشباب
وما مُسخوا كلابا غير أنى رأيت القوم أشباه الكلاب

فضحك وقال ويحك الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ ، فقلت هذه نفثةٌ طفحت على قلبى وأنا كافٌ عنهم ما أبقى الله الأمير

كان لابن حازم صديق على طول الأيام فنال مرتبة من السلطان وعلا قدره فجفا محمدا وتغير له فقال فى ذلك

وصل الملوك الى التعالى ووفا الملوك من المحال
مالي رأيتك لاتدو م على المودة للرجال
ان كان ذا أدب وظَر ف قلت ذاك أخو ضلال
أو كان ذا نسك وديـ ـن قلت ذاك من الثقال
أو كان في وسط من الـ ـأمرين قلت يريغ مالى
فبمثل ذا ثكلتك أمـ ـك تبتغى رتب المعالى

كان ابن حازم قد نسَك وترك شرب النبيذ فدخل يوما على ابراهيم بن المهدى فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام ، ثم جلسوا للشراب فسأله ابراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول

أبعد خمسين أصبو والشيب للجهل حرب

سن وشيب وجهل أمر لعمرك صعب
يا ابن الامام فهـــلا أيامَ عودى رَطْب
وشيب رأسى قليل ومنهل الحب عذْب
واذ سهـامى صياب ونَصْل سيفى عَضْب
واذ شفـاء الغوانى منى حديث وقرب
فالآن حين رأى بى عواذلى ما أحبـــوا
وأقصر الجهل منى وساعد الشيب لُب
وآنس الرشـد منى قوم أُعاب وأصبو ،
آليت أشرب كأساً ماحج لله ركب

وعد النُّوشَجانى محمـد بن حازم شيئاً سأله اياه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك واقتضاه فأقام على مطله فكتب اليه

أبا بشر تطاول بى العتاب وطال بىَ التردد والطِّلاب
ولم أترك من الاعذار شيئاً أُلام به وان كـثر الخطاب
سألتك حاجة فطويت كَشْحا على رغم وللدهر انقـــلاب
وسُمْتَني الدَّنية مستخفا كما خُزِمت بأنفِها الصعاب
كأنك كنت تطلبنى بثأر وفي هذا لك العجب العجاب
فان تك حاجتى غلبت وأعيت فمعذور وقد وجب الثواب
وان يك وقتها شيب الغراب فلا قضيت ولا شاب الغراب
رجوتك حين قيل لك ابن كسرى وانك سر ملـكهم اللباب
فقد عَجَّلت لى من ذاك وعدا وأقرب من تناوله السحاب
وكلٌّ سوف ينشر غـير شك ويحمله لطِيتـه الـكتاب

ومن قوله

صفحت برغمى عنك صفح ضرورة اليك وفى قلبى ندوب من العتب
خضعت وماذنبى أن الحب عزّنى فأغضيت صفحاً عن معالجة الحب
وما زال بى فقر اليك منازع يذلل منى كل ممتنع صعب
الى الله اشكو أن ودى محصل وقلبى جميعا عند مقتسم القلب

قصد ابن حازم بعض ولد سعيد بن سلم وقد ولى عملا واسترفده فأطال عدته ولم يعطه شيئا فانصرف عنه وقال

الدنيا أعدّك يا ابن عمى فأعلم أم اعدك للحساب
الى كم لا أراك تنيل حتى أهزّك قد برئت من العتاب
وما تنفك من جمع ووضع كأنك لست توقن بالاياب
فشرك عن صديقك غير ناء وخيرك عند منقطع التراب
أتيتك زائرا فأتيت كلبا فحظى من اخائك للكلاب
فبئس أخو العشيرة ما علمنا وأخبث صاحبا لأخى اغتراب
أيرحل عنك ضيفك غير راض ورحلك واسع خصب الجناب
فقد أصبحت من كرم بعيدا ومن ضد المكارم فى اللّباب
وما بى حاجة لجداك لكن أردك عن قبيحك للصواب

سافر ابن حازم سفرا فمر بقوم من بنى نُمَير فسلوا عليه بعيرا له عليه ثقله، فقال يهجوهم

نمير أجبنا حيث تختلف القنا ولؤما وبخلا عند زاد ومزود
ومنع قِرَى الأضياف من غير علة ولا عدم الأحذار التعود
وبغيا على الجار القريب إذا طرا اليكم وختل الراكب المتفرد
على أنكم ترضون بالذل صاحبا وتعطون من لاحاكم الضيم عن يد
أما وأبى انا لنعفو واننا على ذاك أحيانا نجور ونعتدى

نكيد العدا بالحلم من غير ذلة ونغشى الوغى بالصدق لا بالتوعد
نفى الضيمَ عنا أنفس مُضَرية صراح وطعن الباسل المتمرد
وانا لمن قيس بن عيلان فى التى هى الغاية القصوى بعز وسُودَد
وان لنا بالترك قبرا مباركا وبالصين قبرا عزّ كل موحد
وما فاتنا صَرْف الزمان بسيد يثبنا عليها او يوافى بسيد
ولو أن قوما يَسلمون من الردى سلمنا ولكنّ المنايا بمرْصد
أبى الله أن يَهدى نُميرا لرشدها ولا يَرشُد الانسان الا بمرشد

ولى محمد ابن حامد بعض كور الأهواز فى عهد المأمون فقدم عليه ابن حازم زائرا ومدحه ، فوصله وأحسن اليه وكتب له الى تُسْتَر بحنطة وشعير ، فمضى بكتابه وأخذ ما كتب له به وتزوج هناك امرأة من الدهاقين فزرع الحنطة والشعير فى أرضها ، وولى محمد بن حامد رجلا من أهل الكوفة الخراج بتُسْتَر فوكّل بغلّة ابن حازم وطالبه بالخراج فأداه وقال يهجوه

زرعنا فلما سلم الله زرعنا وأوفى عليه مِنْجَل بحصاد
بُلينا بكوفى حليف مجاعة أضرّ علينا من دَبىً وجراد
أتى مستعدا ما يكذب دونه ولج بارغام له وبعاد
فطورا بالحاح على وغلظة وطورا بخبط دائم وفساد
ولولا أبو العباس أعنى ابن حامد لرحلته عن تُسْتَر بسواد
فكفوا الأذى عن جاركم وتعلموا بأنى لكم فى العالمين مناد

فبعث ابن حامد الى عامله فصرفه عن الناحية وقال عرضتنى لما أكره واحتمل خراج ابن حازم ، ومما يغنى فيه من شعره

خذ من العيش ما كفى ومن الدهر ما صفا
حَسُن الغدر فى الأنا م كما استُقبح الوفا

صل أخا الوصل انه ليس بالهجر من صفا
عين من لا يريد وصلك تبدى لك الجفا

قال محمد ابن حازم بعث الىّ فلان الطاهرى وكنت قد هجوته فأفرطت ـ بألف درهم وثياب وقال أما ماقد مضى فلا سبيل الى رده ولكن أحب ألاّ تزيد شيئاً فبعثت اليه بالألف الدرهم والثياب وكتبت

لا ألبس النعماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

وقال مربى أحمد بن سعيد بن سلم وأنا على بابى فلم يسلم على سلاما أرضاه فكتبت رقعة وأتبعته بها وهى

وباهلىٍّ من بني وائل[1] أفاد مالا بعد افلاس
قطب فى وجهى خوف القرى تقطيب ضرغام لدى الباس
وأظهر التيه فتايهته تيه أمرئ لم يشقَ بالناس
أعرته اعراض مستكبر فى موكب مر بكناس

قال أبو على قلت لابن حازم ياأبا جعفر كيف مابينك وبين صديقك سعد ابن مسعود اليوم ؟ فقال

راجع بالعتبى فأعتبته وربما أعتبك المذنب
وان فى الدهر على صرفه بين الصديقين لمستعتب

مدح بعض بنى حميد فلم يثبه وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشئ بعد الشئ وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعا منه قوله

عدواك المكارم والكرام وخلك دون خلتك اللئام
ونفسك نفس كلب عند زَوْر وعقبى زائر الكلب النَّدام
تَهرّ على الجليس بلا احترام لتحشمه اذا حضر الطعام

(١) هو وائل بن معن بن مالك بن أعصر

اذا ماكانت الهمم المعالى فهمك مايكون به الملام
قبحت ولاسقاك الله غيثا وجانبك التحية والسلام

كان بالأهواز رجل يعرف بأبى ذؤيب من التُّنَّاء وكان مقصد الشعراء وأهل الادب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوما وعليه ثياب بَذّة وهيئة رثّة ولم يعرفه نفسه ، وصادفهم يتكلمون فى شىء من معانى الشعر وأبو ذؤيب يتكلم متحققا بالعلم بذلك ، فسأله محمد بن حازم وقد دخل عليه يوما عن بيت من شعر الطِّرِمّاح جهله ، فرد عليه جوابا محالا كالمستصغر له وازدراه ، فوثب عن مجلسه مغضبا ، فلما خرج قيل له ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشر ؟ أتدرى بمن تعرضت ؟ قال ومن ذاك ؟ قيل محمد بن حازم الباهلى أخبث الناس لسانا وأهجاهم ، فوثب اليه حافيا حتى لحقه فحلف له أنه لم يعرفه واستقاله ، فأقاله وحلف أنه لا يقبل له رِفْدا ولا يذكره بسوء مع ذلك أبدا ، وكتب اليه بعد أن افترقا

أخطا ورد علىّ غير جوابى وزرَى علىّ وقال غير صواب
وسكنت من عَجَب لذاك فزادنى فيما كرهت بظنة المرتاب
وقضى علىّ بظاهر من كسوة لم يدر ما اشتملت عليه ثيابى
من عفة وتكرم وتجمل وتجلد لمصيبة وعقاب
واذا الزمان جنى علىّ وجدتنى عودا لبعض صفائح الاقتاب
ولئن سألت ليخبرنك عالم أنى بحيث أحب من آدابى
واذا نبابىَ منزل خليته ففرا مجال ثعالب وذئاب
وأكون مشترك الغنى متبذلا فاذا افتقرت قعدت عن أصحابى
لكنه رجعت عليه ندامة لما نُسِبتُ وخاف مَضّ عتابى
فأقلته لما أقر بذنبه ليس الكريم على الكريم بناب

قال أحمد بن يحيى آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم أنه قال لم يبق شيء

من اللذات الا بيع السنانير، فقلت له سَخِنت عينك ، ايش لك فى بيع السنانير من اللذات ؟ قال يعجبنى أنه تجيئنى العجوز الرَّعناء تخاصمنى وتقول هذا سِنَّوْرى سرق منى وأخاصمها وأشتُمها وتشتمنى وأغيظها وأباغضها ثم أنشدنى

صل خمرة بخُمار وصل خُمارا بخمر
وخذ بحظك منها زادا الى حيث تدرى

قلت الي أين ويحك ؟ قال الى النار يا أحمق

كان اسحق بن أحمد بن أبى نهيك آنسا بمحمد بن حازم يدعوه ويعاشره مدة ، فكتب اليه يستزيره ويعاتبه عتابا أغضبه ، وبلغه أنه غضب فكتب اليه

ما مستزيرك فى ود رأى خللا فى موضع الأنس أهلا منك للغضب
قد كنت توجب لى حقا وتعرف لى قدرى وتحفظ منى حرمة الأدب
ثم انحرفت الى الأخرى فأحشمنى ما كان منك بلا جُرم ولا سبب
وان أدنى الذى عندى مسامحة فى حاجتى بعد أن أعذرت فى الطلب
فاختر فعندىَ من ثنتين واحدة عذر جميل وشكر ليس باللعب

حسين بن الضحاك

باهلى مولى باهلة وهو بصرى المولد والمنشأ ، من شعراء الدولة العباسية وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم ، ويقال انه أول من جالس منهم محمدا الأمين ، وكان يلقب الخليع والأشقر وهو ومحمد بن حازم الباهلى ابنا خالة

شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف فى الشعر حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صافٍ ، وكان أبو نواس يأخذ معانيه فى الخمر فيغير عليها واذا شاع له شعر نادر في هذا المعني نسبه الناس الى أبى نواس ، وله معان فى صفتها أبدع فيها ، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه ، وله غزل كثير جيد وهو من المطبوعين

الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف ، وعمر عمرا طويلا حتى قارب مائة السنة ومات فى خلافة المستعين أو المنتصر

قال أنشدت أبا نواس قصيدتى التى قلتها فى الخمر وهى

بدلتَ من نفحات الورد بالآء ومن صَبوحك در الابل والشاء

فلما انتهيت منها الى قولي

حتى اذا أسندت فى البيت واحتضرت عند الصبوح ببسامين أكفاء

فضت خواتمها فى نعت واصفها عن مثل رَقْراقة فى جفن مَرْهاء

فصُعق صعقة أفزعنى وقال أحسنت والله ياأشقر ، فقلت ويلك ياحسن انك أفزعتنى والله ، فقال بلى والله أنت أفزعتنى ورعتنى ، هذا معنى من المعانى التى كان فكرى لابد أن ينتهى اليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتنى اليه واختلسته منى وستعلم لمن يروى أَلِي أم لك ؟ فكان والله كما قال سمعت من لا يعلم يرويها له

لما قدم المأمون من خُراسان أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك وكان من جلساء محمد المخلوع فلما رأى اسمه قال أليس هو الذى يقول فى محمد

هـلا بقيت لسد فاقتنا أبدا وكان لغيرك التلف

فلقد خلفت خلائفا سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف

لاحاجة لى فيه والله ولا يرانى أبدا الا فى الطريق ، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به ، وانحدر حسين الى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون .

قال أبو صالح بن الرشيد دخلت يوما على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك فقلت يا أمير المؤمنين أحب أن تسمع منى بيتين ، فقال أنشدهما فأنشدتهما

حمدنا الله شـكرا اذ حبانا بنصرك ياأمـير المؤمنينا

فأنت خليفة الرحمن حقا جمعت سماحة وجمعت دينا

فقال لمن هذان البيتان ؟ فقلت لعبدك ياأمير المؤمنين حسين بن الضحاك، قال قد أحسن، فقلت وله ياأمير المؤمنين أجود من هذا، فقال وما هو؟ فأنشدته قوله

أجرني فاني قد ظمئت الى الوعد متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد بدا تقطع أنفاس عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عني بنائل قليل وقد أفردته بهوى فرد
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد
الا انما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشد

فأطرق ساعة ثم قال ما تطيب نفسي له بخير بعد ما قال في أخي محمد ما قال

ومن قوله يرثي محمدا الأمين

أطل حزنا وابك الامام محمدا بحزن وان خفت الحسام المهندا
فلا تمت الاشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك منها مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

ولحسين في محمد الأمين مراث كثيرة جياد، وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة افضاله عليه وميله اليه وتقديمه اياه، وبلغ من جزعه عليه أنه خواط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول انه مستتر وأنه قد وقف على دعاته في الأمصار يدعون الى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه.

ومن جيد مراثية اياه قوله

سألونا أن كيف نحن ؟ فقلنا من هوى نجمه فكيف يكون؟
نحن قوم أصابنا حدث الده ر فظلنا لريبه نستكين
نتمنى من الأمين ايابا لهف نفسي وأين مني الأمين

ومن جيد قوله في مراثيه اياه

أعزى يامحمد عنك نفسى معاذ الله والأيدى الجسام
فهلا مات قوم لم يموتوا ودوفع عنك لى يوم الحمام
كأن الموت صادف منك غنما او استشفى بقربك من سقام

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول

ايُّ ديباجة حسن هيجت لوعة حزنى
اذ رمانى القمر الزا هر عن فترة جفن
بأبى شمسُ نهار برزت فى يوم دَجْن
قربتنى بالمنى حتـــى اذا ما أخلفتنى
تركتني بين ميعا د وخُلْف وتجَن
ما أرى لى من الصـــبوة إلا حسن ظنى
انما دامت على الغد ر لما تعرف منى
أستعيذ الله من إعرا ض من أعرض عنى

لما ولى المعتصم أمر بمكاتبته بالقدوم عليه ، فلما دخل وسلم استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشده قوله

هلا سألت تلذذ المشتاق ومننت قبل فراقه بتلاق
إن الرقيب لَيستريب تنفسا صعدا اليك وظاهر الاقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة عَبْرى عليك سخينة الآماق
نفسى الفداء لخائف مترقب جعل الوداع اشارة بعناق
اذ لا جواب لمفحَم متحير الا الدموع تصان بالاطراق

حتى انتهى الى قوله

خير الوفود مبشر بخلافة خصت ببهجتها أبا اسحاق

وافته فى الشهر الحرام سليمة ... من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعة ... قبل الاكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام الى امام سلامة ... عفّ الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها ... وأجار مُملقها من الاملاق

حتى أتمها فقال له المعتصم ادنُ مني، فدنا منه، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فمه، فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس وهو فى يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما مدح به يومئذ ، ومما قدمه أهل العلم على سائر ما قالته الشعراء قوله

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى ... متعسفين تعسف المرّاق
انى أحذركم بوادر ضيغم ... دَرِب بحطم موائل الأعناق
متأهب لا يستفز جنانه ... زجلُ الرعود ولامع الابراق
لم يبق من متعزمين توثبوا ... بالشأم غير جماجم أفلاق
من بين منجدل تمج عروقُه ... علَق الأخادع أو أسير وثاق
وثني الخيول الي معاقل قيصر ... تختال بين أجرة ورقاق
يحملن كل مشمّر متغشم ... ليث هِزَبْر أهْرَت الأشداق
حتى اذا أم الحصون منازلا ... والموت بين ترائب وتَرَاق
هربت بطارقها هرير قَساور ... بُدهت بأكره منظر ومذاق
ثم استكانت للحصار ملوكها ... ذلا وناط حلوقها بخناق
هربت وأسلمت الصليب عشية ... لم يبق غير حُشاشة الأرْماق

أنشد الرياشى هذين البيتين وكان يستحسنهما ويستظرفهما جدا

إذا ما الماء أمكنني ... وصفو سلافة العنب
صببت الفضة البيضا ... ء فوق قُراضة الذهب

قال حسين أنشدت أبا نواس قصيدتى

وشاطرى اللسان مختلق الـــتكريه شاب المجون بالنسك

حتى بلغت الى قولى

تخالها نصب كأسه قمرا يكرع فى بعض أنجم الفلك

فأنشدنى بعد أيام لنفسه

إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقلت له يا أبا على هذه مصالبة ، فقال له أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيد وأناحى

أنشد ابراهيم بن المدبر قول حسين

كأنما نُصْبُ كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك

حتى اذا رنحته سَوْرَتها وأبدلته السكون بالحَرَك

كشفت عن وزرة مُسَنمة فى لين صينية من الفلك

فقال ان الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول «يقبل فى داج من الليل كوكبا » فان كان سرقه منه فهو أحق به لأنه قد برّز عليه وان كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه

لما بويع الواثق بالخلافة ودخل عليه حسين أنشده قصيدته التى أولها

ألم يرُع الاسلامَ موتُ نصيره ؟ بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

سيُسليك عما فات دولة مفضل أوائـله محمـودة وأواخـره

ثنى الله عِطْفيه وألف شخصه على البِرّ مذ شُدّت عليه مآزره

يصيب ببذل المال حتى كأنما يرى بذله للمال نَهْبا يبادره

وما قدم الرحمن الا مقـدما مـوارده محمـودة ومصـادره

كان الواثق يتصيد بالقاطول فصاد صيدا حسنا من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ثم رجع فتغدى ودعا بالجلساء من المغنين وقال من ينشدنا ؟ فقام الحسين وقال

سقى الله بالقاطول مسرح طرْفكا وخص بسقيان مناكب قصركا

حتى انتهى الى قوله

تحين للدُّراج فى جنبانه وللغر آجال قُدِرن بكفكا
حتوفا اذا وجهتهن قواضبا عجالا اذا أغريتهن بزجركا
أبحت حماما مُصعدا ومُصوِّبا ومارمت فى حاليك مجلس لهوكا
تصرف فيه بين نأى ومُسْمِع ومشمولة من كف ظبي لسقيكا
قضيت لُبانات وأنت مخيم مُرِيح وان شطت مسافة عزمكا
وما نال طيب العيش الا مودع وما طاب عيش نال مجهود كدكا

فقال الواثق ما يعدِل الراحة ولذة الدعة شيء ، فلما انتهى الى قوله

خلقت أمينَ الله للخلق عصمة وأمنا فكل فى ذَراك وظلكا
وثقت بمن سماك بالغيب واثقا وثبَّت بالتأييد أركان ملككا
فأعطاك معطيك الخلافة شكرها وأسعد بالتقوى سريرة قلبكا
وزادك من أعمارنا غير منة عليك بها أضعاف أضعاف عمركا
ولا زالت الأقدار فى كل حالة عداة لمن عاداك سلما لسلمكا
واذ كنت من جدواك فى كل نعمة فلا كنت ان لم أفن عمرى بشكركا

فطرب الواثق فضرب الارض بمخصرة كانت فى يده وقال لله دَرُّك ياحسين ما أقرب قلبك من لسانك ، فقال ياأمير المؤمنين جودك ينطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر ، فقال له لن تنصرف الا مسرورا وأمر له بخمسين ألف درهم

بات ليلة عند الواثق وقد شربوا الى أن مضى ثلث من الليل فأمر بأن يبيت مكانه ، فلما أصبح خرج الى الندماء وهم مقيمون فقال لحسين هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها؟ فقال لم يمض شيء وانا أقول الساعة وفكر هُنَيْهة ثم قال

حيت صَبوحى فكاهة اللاهى وطاب يومى بقرب أشباهى

فاستثر اللهو من مكامنه من قبل يوم منغص لاه
بابنة كرم من كف منتطق مؤزر بالمجون تياه
يسقيك من طرفه ومن يده سقى لطيف مجرب داه
كأسا فكأسا كأن شاربها حيران بين الذكور والساهى

فأمر الواثق برد مجلسه كهيئته واصطبح يومه ذلك معهم وقال نحقق قولك ياحسين ونقضى لك كل ارب وحاجة

ومن قوله فى غضب حظية للواثق من زيارته أخرى فى نوبتها

غضبت ان زرت أخرى خلسة فلها العتبى لدينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة فاغفريها واصفحى عما مضى
واتركى العذل على من قله وانسبي جوْرى الى حكم القضا
فلقد نبهتنى من رقدتى وعلى قلبى كنيران الغضى

كان الواثق يتحظى جارية له فماتت فجزع عليها وترك الشراب أياما ، ثم سلاها وعاد الى حاله فدعا الحسين ليلة وقال له رأيت فلانة فى النوم فليت نومى كان طال قليلا لأتمتع بلقائها فقل فى هذا شيئا فقال

ليت عين الدهر عنا غفلت ورقيب الليل عنا رقدا
وأقام النوم فى مدته كالذى كان وكنا أبدا
بأبى زوْر تلفت له فتنفست اليه الصعَدا
بينما أضحك مسرورا به اذ تقطعت عليه كبدا

أنشد أبا نواس

أخوىَّ حىَّ على الصبوح صباحا هبَّا ولا تعدا الصباح رواحا
هذا الشميط كأنه متحير فى الأفق سد طريقه فألاحا
ما تأمران بسكرة قَروية قرنت الى درك النجاح نجاحا

فلما كان بعد أيام لقيه أبو نواس فأنشده

ذكر الصبوح بسُحْرة فارتاحا وأملّه ديك الصباح صياحا

فقال له حسين أفعلتها ! فقال دع عنك هذا فوالله لا قلت فى الخمر شيئا أبدا وأناحى الا نسب الى

شرب يوما مع ابراهيم بن المهدى فجرت بينهما ملاحاة فى أمر الدين والمذهب فدعا له ابراهيم بنِطْع وسيف وقد أخذ منه الشراب ، فانصرف وهو غضبان ، فكتب اليه ابراهيم يعتذر اليه ويسأله ان يجيئه فكتب اليه

نديمى غير منسوب الى شىء من الحَيْف
سقانى مثل ما يشر ب فعلَ الضيف بالضيف
فلما درات الكأس دعا بالنِّطْع والسيف
كذا من يشرب الخمر مع التِّنِّين فى الصيف

ولم يعد الى منادمته مدة ، ثم ان ابراهيم تحامل عليه ووصله فعاد الى منادمته

كان يوما عند صالح بن الرشيد فجرى بينهما كلام على النبيذ وقد أخذ منه الشراب أخذا قويا فرد عليه ردا أنكره صالح وتناوله على غير ما أراد فهاجره فكتب اليه

يا ابن الامام تركتنى هَمَلا أبكى الحياة وأندُب الأملا
ما بال عينك حين تلحظنى ما أن تُمِلّ جفونها ثقلا
لو كان لى ذنب لبحت به كيلا يقال هجرتنى مَلَلا
ان كنت أعرف زلة سلفت فرأيت ميتة واحدى عجلا

فكتب اليه قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه فى وقت سكرك ، وقد رضيت عنك رضا صحيحاً فصر الى على أتم نشاطك وأكمل انبساطك ، فعاد الى خدمته فما سكر عنده بعدها ، وكانت فى حسين عربدة

لما أعيته الحيلة فى رضا المأمون عنه رمى بأمره الى عمرو بن مسعدة وكتب اليه

انت طَودى من بين هذى الهضاب وشهابى من دون كل شهاب
أنت ياعمرو قوتى وحياتى ولسانى وأنت ظُفرى ونابى
أترانى أنسى أياديك البيـــض اذا اسود نائل الأصحاب
اين أخلاقك الرضية حالت فىّ أم أين رقة الكتاب؟
أنا فى ذمة السحاب وأظما ؟ ان هذا لوصمة فى السحاب
قم الى سيد البرية عني قومة تَستَجِرّ حسن الخطاب
فلعل الاله يطفىء عنى بك نارا علىّ ذات التهاب

فلم يزل عمرو يُلطف للمأمون حتى أوصله اليه وأدرّ أرزاقه

وكان قد لاذ بالحسن بن سهل وطمع فى أن يصلحه له فقال يمدحه

أرى الآمال غير معرجات على أحد سوى حسن بن سهل
يبارى يومه غده سماحا كلا اليومين بان بكل فضل
أرى حسنا تقدم مستبدا ببعْد من رياسته وقبل
فان حفَزتك مشكلة بشك شفاك بحكمة وخطاب فصل
سليل مرازب برعوا حلوما وراع صغيرهم بسداد كهل
ملوك ان جريت بهم أبَرُّوا وعزوا أن توازيهم بعدل
ليَهْنك ان ما أرجيت رشدا وما أمضيت من قول وفعل
وأنك مؤثر للحق فيما أراك الله من قطع ووصل
وأنك للجميع حيَا ربيع يصوب على قرارة كل مَحْل

فوعده اصلاح المأمون له فلم يمكنه ذلك لسوء رأى المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلة

ولما عفا المأمون عنه أمر باحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه السلام ردا جافيا ثم أقبل عليه فقال أخبرنى عنك هل عرفت يوم قتل أخى محمد هاشمية قتلت أو هتكت؟ قال لا، قال فما معنى قولك

وسِرْب ظِباء من ذؤابة هاشم هتَفْن بدعوى خير حى وميت
أرد يدا مني اذا ماذكرته على كبد حرَّى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالهم ما تمنت

فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتني، وروعة فاجأتني، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني، واحسان شكرته فأنطقني، وسيد فقدته فأقلقني، فان عاقبت فبحقك، وان عفت فبفضلك، فدمعت عينا المأمون وقال قد عفوت عنك وأمرت بادرار رزقك واعطائك ما فات منها وجعلت عقوبتك امتناعى من استخدامك

غضب المعتصم عليه فى شىء جرى على النبيذ فقال والله لأؤدبنه، وحجبه اياما، فكتب اليه

غضب الامام أشد من أدبه وقد استجرت وعدت من غضبه
أصبحت معتصما بمعتصم أثنى الاله عليه فى كتبه
لا والذى لم يبق لى سببا أرجو النجاة به سوى سببه
ما لى شفيع غير حرمته ولكل من أشفى على عطبه

فلما قرىء عليه التفت الى الواثق ثم قال بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام، ما هو الا ان سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه، فقال له الواثق هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه، فرضى عنه وأمر باحضاره، وقيل انه انما كتب بها الى المعتصم لأنه بلغه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر وكتب بها الى المعتصم على يدى الواثق فأوصلها وشفع له فرضى عنه وأمنه فظهر اليه وهجا العباس بن المأمون فقال

خل اللعين وما اكتسب لا زال منقطع السبب
ياعُرَّة الثقلين لا دينا رعيت ولا حسب
حسن الامام شفائه جهلا حذاك على العطب

وأبوك قدمه لها لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنفـ س والتجرع للكرب
ما زلت عند أبيك منـ ـتقص المروءة والأدب

ومن قوله يصف مجلسا لصالح بن الرشيد وكان جالسا فى صحن حوله نرجس فى قمر طالع حسن

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى وما أراك أراكا
واذا اما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيـ ـك باشراق ذا ونفحة ذاكا
لأدومن ياحبيبى على العهـ ـد لهذا وذاك اذ حكياكا

قال على بن الجهم دخلت يوما على المتوكل وهو جالس في صحن خُلْده وفى يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر

بالشط لي سكن أفديه من سكن أهدى من الآس لى غصنين فى غصن
فقلت اذ نظما الفـ ـين والتبسا سقيا ورعيا لفأل فيكما حسن
فالآس لاشك آس من تشوقنا شاف وآس لنا يبقى على الزمن
أبشر تمانى بأسـ ـباب ستجمعنا ان شاء ربى ومهما يقضه يكن

فقال لى وكدت أنشق حسدا لمن هذا الشعر ياعلى؟ فقلت للحسين بن الضحاك ياسيدى، فقال لى هو عندى أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطا، فقلت وقد زاد غيظي فى الغزل يامولاى، قال وفى غيره وان رغم أنفك ومت حسدا، وكنت قدمدحته بقصيدة، وأردت انشادها يومئذ فلم أفعل وعلمت انى لا أنتفع مع ما جري بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة فأخرتها الى وقت آخر

ومن قوله

وكالوردة الحمراء حيا بأحمر من الورد يمشى فى قراطق كالورد

له عبثات عند كل تحية بعينيه تستدعى الحليم الى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن قوله

وابأبى مفحم لعزته قلت له اذ خلوت مكتئما
تحب بالله من يخصك بالـ ـود فما قال لا ولا نعما
ثم تولى بمقلتى خجل اراد رجع الجواب فاحتشما
فكنت كالمبتغى بحيلته برءا من السقم فابتدا سقما

ومن قوله

لا وحبيك لا أصا فح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استرا ح وان كان موجعا
كبدى من هواك أسـ قم من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى فىّ للسقم موضعا

قال على بن العباس الرومى حسين بن الضحاك أغزل الناس وأظرفهم حين يقول

يامستعير سوالف الخشف اسمع لحلفة صادق الحلف
ان لم أصح ليلى وياحزنى من وجنتيك وفترة الطرف
فحمدت ربى فضل نعمته وعبدته أبدا على حرف

ومن قوله فى مجلس للحسن بن سهل

ألست ترى ديمة تهطل وهذا صباحك مستقبل
وتلك المدام وقد شاقنا برؤيته الشادن الاكحل
فعاد به وبنا سكره تهون مكروه ما نسأل
فانى رأيت له نظرة تخبرنى انه يفعل

وقد أشكل العيش فى يومنا فياحبذا عيشنا المشـــكل

ومن قوله

انف عن قلبك الحزن باقتراب من السكن
وتمتـع بكـر طر فك فى وجهه الحسن
ان فيه شفاء صـــد رك من لاعج الحزن

وقال فى هوى له

عـالم بحبيـــه مُطرِق من التيه
يوسف الجمال وفر عون فى تعديه
لا وحق ما أنا فيـ ـه من عطف أرجيه
ما الحياة نافعة لي على تأبيـه
النعـيم يشغلَه والجمال يُطغيه
فهو غير مكترث للذى ألاقيه
تائه تزهـــده فىّ رغبتى فيه

ومن قوله فى هوى له

ان من لا أرى وليس يرانى نُصْب عينى ممثَّل بالأَمانى
بأبى من ضميره وضميرى أبدا بالمغيب يلتجيان
نحن شخصان ان نظرت ورو حان اذا ما اختبرت يمتزجان
فاذا ما هممت بالامر أوهمّ بشىء بدأته وبـــدانى
كان وفقا ما كان منه ومنى فكأنى حكيته وحكانى
خطرات الجفون منا سواء وسواء تحرك الأبدان

ومن قوله

فديت من قال لي على خفره وعضَّ من جفْنه على حوَره

سمع بشعرك المليح فما ... ينفك شادٍ به على وتره
حسبك بعض الذى أذعت ولا ... حسب لصب لم يقض من وطره
وقلت يا مستعير سالفة الخِشْـ ... ـف وحسن الفتور من نظره
لا تنكرن الحبيب من طرب ... عاود فيك الصبا على كبره

ومن قوله

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهري ... وعن تتابع أنفاسى وعن فكرى
لم يَخْلُ قلبي من ذكراك اذ نظرت ... عينى اليك على صحوى ولا سكرى
سقيا ليوم سرورى اذ تنازعنى ... صفو المدامة بين الانس والخفر
وفضل كأسك يأتيني فأشربه ... جهرا وتشرب كأسى غير مستتر
وكيف أشمله لثمى وألزمه ... نحرى وترفعه كفى الى بصرى
فليت مدة يومى اذ مضى سلفا ... كانت ومدة أيامى على قدر
حتى اذا ما انطوت عنا بشاشته ... صرنا جميعا كذا جارين في الحفر

ومن قوله

ايها النفّاث فى العقد ... أنا مطوى على الكمد
انما زخرفت لي خِدعا ... قدحت فى الروح والجسد
هات يا خدّاع واحدة ... من كثير قلة وقدِى
ليت شعرى بعد حلفك لى ... بوفاء العهد بعد غد
ما الذى بالله صيره ... بعد قرب فى مدي الأبد
مالأنس كان مبتذلا ... منك لى بالأمس لم يعد
إيه قل لى غير محتشم ... هل دهانى فيك من أحد
حبذا والكأس دائرة ... لهونا والصيد بالطرد
وحديث فى القلوب له ... أخذ يصدعن فى الكبد

يوم تعطيني وتأخذها دون ندماني يدا بيد
فاذا ألويت هيجني تلع من ظبية البلد
وإذا أصغيت ذكرني نشر كافور على برد
ذاك يوم كان حاسدنا فيه مغرورا على الحسد

لما نزل المعتصم بدير مرّان فى طريق غزوة له قال حسين

يادير مرّان لا عرّيت من سقم هيجت لى سقما يادير مرّانا
هل عند قسّك من علم فيخبرنا أم كيف يسعف وجه الصبر من بانا
حثّ المدام فان الكأس مترعة مما يهيج دواعى الشوق أحيانا
سقيا ورعيا لكرخايا وساكنها وللخنينة بالروحاء من كانا

ومن قوله لهوى كان له

تعز بيأس عن هواى فانني اذا انصرفت نفسى فهيهات عن ردى
إذا ختم بالغيب ودى فما لكم تدلّون ادلال المقيم على العهد
ولى منك بد فاجتنبنى مذمما وان خلت انى ليس لى منك من بد

لما ولى الواثق الخلافة أنشده حسين

أكاتم وجدى فما ينكتم بمن لو شكوت اليه رحم
وانى على حسن ظنى به لأحذران بحت أن يحتشم
ولى عند لحظه روعة تحقق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس أنى له محب وأحسبه قد علم
وانى لمغضٍ على لوعة من الشوق فى كبدى تضطرم
عشية ودعت عن مقلة سفوح وزفرة قلب سدم
فما كان عند النوى مسعد سوى العين تمزج دمعا بدم
سيذكر من بان أوطانه ويبكى المقيمين من لم يقم

وقال فيها يصف السفينة

الى خازن الله فى خلقه ... سراج النهار وبدر الظلم
رحلنا غرابيب زيَّافة ... بدِجلة فى موجها الملتطم
اذا ما قصدنا لقاطولها ... ودهمٌ قراقيرها تصطدم
سكنّا الى خير مسكونة ... تيممها راغب من أَمَم
مباركة شاد بنيانها ... بخير المواطن خير الأمم
كأن بها نَشْرَ كافورة ... لبرد نداها وطيب النسم
كظهر الأديم اذا ما السحا ... ب صاب على متنها وانسجم
مبرأة من وحول الشتاء ... اذا ما طمى وحله وارتكم
فما ان يزال بها راجل ... يمر الهُوَينا ولا يلتطم
ويمشى على رِسْله آمنا ... سليم الشِّراك نقى القدم
وللنون والضب فى بطنها ... مراتع مسكونة والنعم
غدوت على الوحش مغترة ... رواتع فى نورها المنتظم
ورحت عليها وأسرابها ... تحوم بأكنافها تبتسم

ثم قال يمدح الواثق

يضيق الفضاء به ان غدا ... بطَوْدَي أعاريبه والعجم
ترى النصر يَقْدُم راياته ... اذا ما خفقن أمام العلم
وفى الله دوَّخ أعداءه ... وجرد فيهم سيوف النقم
وفى الله يكظِم من غيظه ... وفى الله يصفَح عمن جرم
رأى شيم الجود محمودة ... وماشيم الجود الا قسم

فأمر له الواثق بثلاثين الف درهم واتصلت أيامه بعد ذلك ولم يزل من ندمائه ومن قوله يصف يوما من أيام الواثق

ياحانة الشط قد أكرمت مثوانا عودى بيوم سرور كالذى كانا
لا تفقدينا دعابات الامام ولا طيب البطالة اسرارا واعلانا
ولا تخالعنا فى غير فاحشة اذا يطربنا الطُّنبور أحيانا
وهاج زمرزنام بين ذاك لنا شَجْوا فأهدى لنا رَوْحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السقيا فألحق أولانا بأخرانا
سقيا لشكلك من شكل خصصت به دون الدساكر من لذات دنيانا
حفت رياضك جنات مجاورة فى كل مخترف نهرا وبستانا
لا زلت آهلة الأوطان عامرة بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

سابق أبا شهاب الشاعر فسبقه أبو شهاب فقال

كلوا واشربوا هنئتم وتمتعوا وعيشوا وذموا الكودَنَيْن[1] جميعا
فأقسم ما كان الذى نال منهما مدى السبق اذ جد الجراء سريعا

وهى قصيدة معروفة في شعره فقال أبو شهاب يجيبه

أيا شاعر الخِصيان حاولت خطة سبقت اليها وانكفأت سريعا
تحاول سبقى بالقريض سفاهة لقد رمت جهلا من حماي منيعا

فكان ذلك سبب التباعد بينهما وكانوا اذا أرادوا العبث بحسين يقولون له أيا شاعر الخِصيان فيجن ويشتمهم

كتب الى الحسن بن رجاء فى يوم شك وقد أمر الواثق بالافطار فقال

هززتك للصَّبوح وقد نهانى أمير المؤمنين عن الصيام
وعندى من قيان المصر عشر تطيب بهن عاتقة المدام
ومن أمثالهن اذا انتشينا ترانا نجتني ثمر الغرام
فكن أنت الجواب فليس شيء أحب الى من حذف الكلام

(١) الكودن الفرس الهجين

فوردت رقعته وقد سبقه اليه محمد بن الحرث بن بُسْخُنَّر ووجه اليه بغلام نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعة كتبها كما تكتب المناشير وختمها في أسفلها وكتب فيها يقول

سر على اسم الله ياأشـــكل من غصن لُجين
فى ثلاث من بني الرو م الى دار حسين
أشخص الكحل الى مو لاك ياقـــرة عينى
أَرِه العُنْف اذا استع صى وطالبه بدين
ودع اللفظ وخاطبـ ه بغمز الحاجبـين
واحذر الرجعة من وجـ هك فى خفى حنين

فمضى معهم وكتب الى الحسن بن رجاء جواب رقعته

دعوت الى مما حكة الصيام واعمـال الملاهى والمـدام
ولو سبق الرسول لكان سعيى اليك ينوب عن طول الكلام
وما شوقى اليك بدون شوقى الى زمن التصابى والغرام
ولكن حل فى نفر عسوف بمنشـور محـــل المستهام
حسين فاستباح له حريما بطرف باعث سببَ الحمام
وأظهر نخوة وسطا وأبدى فظاظته بترك للســـلام
وأزعجني بألفاظ غـلاظ وقد أعطيته طَرَفَىْ زمامى
ولو خالفتـه لم يخش قتـلى وقنعنى سريعاً بالحســـام

مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين مُزاحا أغضبه ، فجاوبه حسين جوابا غضب منه أبو أحمد أيضا، فمضى اليه حسين من غد فاعتذر اليه وتنصل وحلف، فأظهر له قبولا لعذره ورأى ثقلا فى طرفه وانقباضا عما كان يعهد منه فقال فى ذلك

لا تعجبن لمَلَّة صرفت وجـهَ الأَمير فانه بشر

واذ انبابك فى سريرته عقد الضمير نبابك البصر

دخل على الأمين بعقب وقعة أوقعها أهل بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم فهنأه بالظفر ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له فقال

أمين الله ثق بالله تعط العز والنصرة
كل الأمر الى الله كلاك الله ذو القدرة
لنا النصر باذن الله والكرة والفرة
وللمرّاق أعدائك يوم السوء والدبرة
وكأس تورد الموت كريهٍ طعمها مرة
سقونا وسقيناهم فكانت بهم الحرة
كذاك الحرب أحيانا علينا ولهم مرة

وقال فى جارية يهواها

رمتك غداة السبت شمس من الخلد بسهم الهوى عمدا وموتك فى العمد
مؤزرة السربال مهضومة الحشى غلاميّة التقطيع شاطرة القد
محنّأة الأطراف رُؤد شبابها مُعقربة الصدغين كاذبة الوعد
أقول ونفسى بين شوق وزفرة وقد شخصت عينى ودمعى على الخد
أجيرى على من قد تركت فؤاده بلحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب بالهوى مع قربكم وموت اذا أقرحت قلبك بالبعد
لقد فطِنت للجور فطنة عاصم لصنع الأيادى الغر فى طلب الحمد
سأشكوك فى الأشعار غير مقصر الى عاصم ذى المكرمات وذى المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا فيأمن قلبى منكمُ روعة الصد

أقطع المعتصم الناس الدور بسُرّ من رأى وأعطاهم النفقات لبنائها ولم يقطع الحسين شيئا فدخل عليه فأنشده قوله

يا أمين الله لا خطة لى ولقد أفردت صحبى بخطط
انا في دهياء من مظلمة تحمل الشيخ على كل غلط
صعبة المسلك يرتاع لها كل من أصعد فيها وهبط
بوّنى منك كما بوأتهم عرصة تبسط طرفى ما انبسط
أبتنى فيها لنفسى موطنا ولعقبى فرطا بعد فرط
لم يزل منك قريبا مسكني فأعد لى عادة القرب فقط
كل من قربته مغتبط ولمن أبعدت خزى وسخط

فأقطعه دارا وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها

كان يمشى مع أبى العتاهية فمرا بمقبرة وفيها باكية تبكى على ابن لها فقال أبو العتاهية

أما تنفك باكية بعين غزير دمعها كمد حشاها

أجزيا حسين فقال

تنادى حفرة أعيت جوابا فقد ولهت وصمّ بها صداها

ومن قوله لمن أعرض عنه

تتيه علينا أن رزقت ملاحة فمهلا علينا بعض تيهك يا بدر
لقد طال ما كنا ملاحا وربما صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر

طلب اليه المتوكل أن يدعو الفتح بن خاقان الى الصبوح بعقب علة كانت به فقال

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى قد لاح لى باكرا فى ثوب بذلته
ناديت فتحا وبشرت المدام به لما تخلص من مكروه علته
ذبّ الفتى عن حريم الراح مكرمة اذا رآه امرؤ ضدا لنحلته
فاعجل الينا وعجل بالسرور لنا وخالس الدهر فى أوقات غفلته

وله يصف أياما مضت له بالبصرة

تيسرى للامام من أمم ولا تراعى حمامة الحرم
قد غاب لا آب من يراقبنا ونام لا قام سامر الخدم
فاستصحبى مُسعِدا يراقبنا اذا خلونا فى كل مكتتم
تَبذَّلي بِذْلة تَقَرّبها العيون ولا تَحصَرى وتحتشمى
ليت نجوم السماء راكدة على دُجَى ليلنا فلم تَرِم
ما لسرورى بالشك ممتزجا حتى كأنى أراه فى حلم
فرحت حتى استخفنى فرحى وشِبْت عين اليقين بالتهم
أمسح عيني مستثبتا نظرى إخالنى نائما ولم أَنم
سقيا لليل أفنيت مدته ببارد الريق طيب النسم
أبيض مرتجة روادفه ماعِيب من فَرْقه الى القدم
اذ قصبات العريش تجمعنا حتى تجلت أواخر الظلم
وليلة بتها محسرة محفوفة بالظنون والتهم
أبثّ عبراته على غصص يرد أنفاسه الى الكظم
سقيا لقيطونها ومخدعها كم من لمام به ومن لمم
لاأ كفر الشيلين أزمنة مطيعة بالنعيم والنعم
وليلة القُفْص ان سألت بها كانت شفاء لعلة السقم
بات أنيسى صريع خمرته وتلك احدى مصارع الكرم
وبت عن موعد سبقت به ألثم درا مُفَلَّجا بفم
وابأبى من بدا بروعة لا وعاد من بعدها الى نعم
حتى اذا اهتاجت النواقس فى سُحرة أحوى أحمّ كالحمم
وقلت هبّا يا صاحبي ونبهت أبانا فهب كالزَّلَم
فاستنها كالشهاب ضاحكة عن بارق فى الاناء مبتسم

صفراء زيتية موشحة بأرجوان ملمع ضرم
أخذت ريحانة أراح لها دب سروري بها دبيب دمي
فراجع العذر ان بدا لك في العذر وان عدت لأمما فلم

وله فى هوى حجب عنه

ظن من لا كان ظنا بحبيبي فحماه
أرصد الباب رقيبين له فاكتنفاه
فاذا ما اشتاق قربي ولقائي منعاه
جعل الله رقيبيه من السوء فداه
والذى أقرح فى الشا دن قلبي ولواه
كل مشتاق اليه فمن السوء فداه
سيما من حالت الأحراس من دون مناه

كان له ابن اسمه محمد له أرزاق فمات فقطعت أرزاقه فقال يخاطب المتوكل ويسأل أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده

انى أتيتك شافعا بولى عهد المسلمينا
وشبيهك المعتز أو جه شافع فى العالمينا
يا ابن الخلائف الأولين ويا أبا المتأخرينا
ان ابن عبدك مات وا أيام تحترم القرينا
ومضى وخلف صبية بعراصة متلددينا
ومهيرة عبرى خلا ف أقارب مستعبرينا
أصبحن فى ريب الحوا دث يحسنون بك الظنونا
قطع الولاة جراية كانوا بها مستمسكينا
فامنن برد جميع ما قطعوه غير مراقبينا

اعطاك أفضل ما تؤ ... مل أفضل المتفضلينا

فأمر له المتوكل بما سأل فقال يشكره

ياخير مستخلف من آل عباس ... اسلم وليس على الأيام من باس
أحييت من أملى نضوا تعاوره ... تعاقب البأس حتى مات باليأس

أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه، فلم يطق ذلك لكبر سنه، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده هو يطيق الذهاب الى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك، فبلغه ذلك فدفع الى أحمد بن حمدون أبياتا قالها وسأله ايصالها، فأوصلها الى المتوكل وهى

أما في ثمانين وفيتها ... عذير وان أنا لم اعتذر
فكيف وقد جزتها صاعدا ... مع الصاعدين بتسع أخر
وقد رفع الله أقلامه ... عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة ... وألحد فى دينه أو كفر
وانى لمن اسراء الا ... ه فى الارض نصب صروف القدر
فان يقض لى عملا صالحا ... أثاب وان يقض شرا غفر
فلا تلحَ فى كبر هدنى ... فلا ذنب لى ان بلغت الكبر
هو الشيب حل بعقب الشبا ... ب فمن ذا يلوم اذا ما عذر
وانى لفى كنف مغدق ... وعز بنصر أبى المنتصر
يبارى الرياح بفضل السما ... ح حتى تبلد او تنحسر
له أكد الوحى ميراثه ... ومن ذا يخالف وحي السور
وما للحسود وأشباهه ... ومن كذب الحق الا الحجر

فلما أوصلها شيعها بكلام يعذره وقال لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها، فقال المتوكل صدقت وأمر له بعشرين الف درهم

ومن قوله فى آخر عمره

أصبحت من أسراء الله محتسبا فى الأرض نحو قضاء الله والقدر
ان الثمانين اذ وفيت عدتها لم تبق باقية مني ولم تذر

اشجع السلمى

هو أشجع بن عمرو من ولد الشَّريد بن مطرود السلمى يكنى أبا الوليد، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها الى بلدها فولدت هناك أشجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه فقدمت أمه البصرة تطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال، فماتت بها، وربى أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه، ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدّ فى الفحول، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه، وكان له أخوان أحمد وحريث وكان أحمد شاعرا ولم يكن لحريث شعر

ثم خرج أشجع الى الرَّقّة والرشيد بها فنزل على بني سُليم فتقبلوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر خاصة وأصفاه مدَحه فأُعجب به ووصله الي الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا، فأثري وحسنت حاله فى أيامه وتقدم عنده

قال أشجع شخصت من البصرة الي الرقة فوجدت الرشيد غازيا ونالتنى خلة، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائح ببابه من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم وأمرنا بالبكور يوم الجمعة، فبكرنا وأدخلنا وقدم واحد واحد منا يُنشد على الأَسنان، وكنت أحدث القوم سنا وأَرثَّهم حالا فما بلغ اليّ حتى كادت الصلاة تجب، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأَعمدة بين يديه سماطان، فقال لى أنشدنى، فخفت ان أبتدى من أول قصيدتى بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتني

ما أردت فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح في قصيدتى التى أولها

تذكر عهد البيض وهو لها تِرْب وأيام تصبى الغانيات ولا تصبو

فابتدأت قولى فى المديح

الى ملك يستغرق المالَ جوده مكارمه نثر ومعروفه سَكْب

وما زال هرون الرضا ابن محمد له من مياه النصر مشرب عُذْب

متى تبلغ العيس المراسيل بابه بنا فهناك الرُّحب والمنزل الرحب

لقد جُمعت فيك الظنون ولم يكن بغيرك ظن يستريح له قلب

جمعت ذوى الأهواء حتى كأنهم على منهج بعد افتراقهم رُكب

بنيت على الأعداء أبناء دُرْبة فلم يقِهم منهم حصون ولا دُرْب

وما زلت ترميهم بهم متفردا أنيساك حزم الرأى والصارم العضب

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحة وليس على من كان مجتهدا عتب

فضحك الرشيد وقال لي خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التشبيب وأمرنى أن أنشده التشبيب فأنشدته اياه ، فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لى بضعفها

قال أحمد بن سيار الجرجانى دخلت أنا وأشجع والتيمى وابن رزين الخراسانى على الرشيد في قصر له بالرقة وكان قد ضرب أعناق قوم فى تلك الساعة ، فجعلنا نتخلل الدماء حتى وصلنا اليه ، فأنشده أبو محمد التيمى قصيدة له يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم فنثر عليه مثل الدر من جودة شعره وأنشده أشجع قوله

قصر عليه تحية وسلام ألقت عليه جمالها الأيام

قصر سقوف المزن دون سقوفه فيه لأعلام الهدى أعلام

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت للملك فيه سلامة وسلام

نشرت عليه الارض كسوتها التى نسج الربيع وزخرف الارهام
أدنتك من ظل النبي وصية وقرابة وشجت بها الأرحام
برقت سماؤك فى العدو وأمطرت هاما لها ظل السيوف غمام
واذا سيوفك صافحت هام العدى طارت لهن عن الرؤوس الهام
تثني على أيامك الأيام والشاهدان الحل والاحرام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رُعْته واذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

اشترى جعفر بن يحيى المِرْغاب من آل الرشيد بعشرين ألف درهم ورده على أصحابه فقال أشجع يمدحه بذلك

رد السباخ ندى يديه، وأهلها منها بمنزلة السماك الأعزل
قد أيقنوا بذهابها وهلاكهم والدهر يوعدهم بيوم أعضل
فافتكها لهم وهم من دهرهم بين الجران وبين حد الكلكل
ما كان يرجى غيره لفكاكها يرجى الكريم لكل خطب معضل

جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له، فجاءه أعرابى من بنى هلال فاشتكى واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله يعطف المسئول، فقال له جعفر أتقول الشعر ياهلالى؟ فقال قد كنت أقوله وانا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخا، قال فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور، فأنشده قوله

لمن الديار بجانب الخمس كمحط ذى الحاجات بالنفس

حتى أتى على آخرها، فاندفع أشجع فأنشده مديحا له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها

ذهبت مكارم جعفر وفعاله فى الناس مثل مذاهب الشمس
ملك تسوس له المعالى نفسه والعقل خير سياسة النفس

فاذا تراءته الملوك تراجعـــوا جهـر الكلام بمنطق همس
ساد البرامك جعفر وهم الأولى بعد الخلائف سـادة الانس
ما ضر من قصد ابن يحيى راجيا بالســـعد حل به أم النحس

فقال له جعفر صف موضعنا فقال

قصور الصالحية كالعذارى لبسن ثيابهن ليوم عرْس
مُطلاّت على بطن كسته أيادى الماء وشْيا نسج غرس
اذا ما الطَّل أثر فى ثراه تنفس نَوره من غير نفس
فتغْبقه السماء بصبْغ وَرْس وتَصْبَحه باكؤس عين شمس

فقال جعفر للأعرابى كيف ترى صاحبنا ياهلالى ؟ فقال أرى خاطره طوع لسانه و بيان الناس تحت بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال بل نصلك يا أعرابى ونرضيه ، وأمر للأعرابى بمائة دينار ولأشجع بمائتين

ومن قوله فى الفضل بن يحيى

وما قدم الفضـل بن يحيى مكانه على غيره بل قـدمته المـكارم
لقد أرهب الأعداء حتى كأنما على كـل ثغر بالمنيـة قائم

لمـا خرج جعفر ليصلح أمر الشام نزل فى مضربه وأمر باطعام الناس فقام أشجع فأنشده قوله

فئتان باغية وطاغـية جلّت أمورهما عن الخطب
قـد جاءكم بالخيل سارية ينقلن نحوكمُ رحى الحرب
لم يبق الا أن تدور بكم قد قام هاديها على القطب

فأمر له بصلة ليست بسنية وقال دائم القليل خير من منقطع الـكثير ، فقال له ونزرك أكثر من جزيل غيرك ، فأمر له بمثلها ، وكان يجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه

قال اسحق الموصلى دخلت الى الرشيد يوما وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا قال لجعفر أترضى باسحق ؟ قال جعفر والله ما فى علمه مطعن ان أنصف ، فقال لى أى شيء تروى لشعراء المحدثين فى الخمر ؟ أنشدنى من أفضل ما عندك وأشده تقدما ، فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس ، فعدلت عنه الى غيره لئلا أخالف أحدهما ، فقلت لقد أحسن أشجع في قوله

ولقد طعنت الليل فى أعجازه ... بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلون على النعيم كأنهم ... قُضُب من الهندى لم تتثلم
وسعى بها الظبى الغرير يزيدها ... طيبا ويغشمها اذا لم تغشم
والليل منتقب بفضل ردائه ... قد كاد يحسر عن أغر أرثم (١)
فأذا أدارتها الأكف رأيتها ... تثنى الفصيح الى لسان الأعجم
وعلى بنان مديرها عِقْيانه (٢) ... من سَكْبها وعلى فضول المِعْصَم
تغلى اذا ما الشِّعْريان تلظّتا (٣) ... صيفا وتسكن فى طلوع المِرْزَم
ولقد فضضناها بخاتم ربها ... بكرا وليس البكر مثل الأيّم
ولها سكون فى الاناء وخلفها ... شغب يطوّح بالكمىّ المعلَم
تعطى على الظلم الفتى بقيادها ... عمدا وتظلمه اذا لم يظلم

وهذا من قصيدة مدح بها ابراهيم بن عثمان بن نُهَيك لما ولى الشُّرْطة واولها

لمن المنازل مثل ظهر الأَرْقَم ... قَدُمت وعهد أنيسها لم يَتْدُم
فتكت بها سنتان تعتورانها ... بالمُعْصِفات وكل أسحم مُرْزِم

---

(١) رثم الفرس كفرح كانت به رثمة وهي بياض بطرف أنفه فهو أرثم (٢) العقيان الذهب الخالص (٣) هما الشعرى اليمانية ويقال لها العبور بفتح العين وهي الكوكب الذى يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ، والشعرى الغميصاء وهي كوكب آخر يطلع في الذراع والمرزمان بخمان مع الشعريين

دِمن اذا استثبت عينك عهدها كرت اليـــك بنظرة المتوهم

ومنها

لبنى نهيك طاعـة لو أنها زجرت بهَضْب متالـع لم تكلم

قوم اذا غمزوا قَناة عـــدوهم حطموا جوانبها ببأس محطم

في سيف ابراهيم خوف دافـع لذوى النفاق وفيه أمن المسلم

ويبيت يكلأ والعيون هواجـع مال المضيـــع ومهجة المستسلم

ليـــل يواصله بضوء نهاره يقظان ليس ينام نوم النوم

شـد الخُطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذى لم يخـطم

لا يصلح السلطان الا شدة تَغْشَى البرىء بفضل ذنب المجرم

منعت مهابتك النفوس حـديثها بالشىء تكرهه وان لم تعـــلم

ونهجت فى سبل السياسة مسلكا ففهمت مذهبها الذى لم يفهم

فقال لي الرشيد قد علمت تعصبك على أبى نواس وأنك عدلت عنه متعمدا ولقد أحسن ولـكنه لا يقول أبدا مثل قول أبى نواس

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

فقلت له ما علمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين وانما أنشدت ما حضرنى ، فقال حسبك قد سمعت الجواب ، وكان فى اسحق تعصب على أبى نواس لشىء جرى بينهما

ومن قوله يعزى الفضل ابن الربيع عن ابنه العباس

لا تبكين بعين غير جائدة وكل ذى حزَن يبكى كما يجد

أى امرئ كان عباس لنائبة اذا تقنع دون الوالد الولد

لم يُدْنِه طمع من دار مخْزية ولم يُعَرِّ له من نعـــمة بلد

قد كنت ذا جَلَد في كل نائبة فبان مني عليك الصبر والجلد

لما تسامت بك الآمال وابتهجت بك المروءة واعتدت بك العدد

ولم يكن لفتى فى نفسه أمل ... الا اليك من أرضه يفد
وحين جئت أمام السابقين ولم ... يبعل عذارك ميدان ولا أمد
وافاك يوم على نكراء مشتمل ... لم ينج من مثله عاد ولا لبد
فما تكشف الا عن مولولة ... حرّى ومكتئب أحشاؤه تقد

ومن قوله يعزى الرشيد عن ابن له

نقص من الدين وأهله ... نقص المنايا من بنى هاشم
قدمته فاصبر على فقده ... الى أبيه وأبى القاسم

وقال فى شكوى شكاها جعفر بن يحيى

لما اشتكى جعفر بن يحيى ... فارقني النوم والقرار
ومرّ عيشى علىّ حتى ... كأنما طعمه المرار
خوفا على جعفر بن يحيى ... لاحقق الخوف والحذار
أن يعفه الله لا نحاذر ... ما أحدث الليل والنهار

كتب الى الرشيد وقد أبطأ عنه شىء أمر له به

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... لها عنق بين الرواة فسيح
بأن لسان الشعر ينطقه الندى ... ويخرسه الابطاء وهو فصيح

فضحك الرشيد وقال له ننطق لسان شعرك وأمر بتعجيل صلته

أقبل أشجع الي باب محمد بن منصور بن زياد فرأى ازدحام الناس عليه فقال

على باب ابن منصور ... علامات من البذل
جماعات وحسب البا ... ب نبلا كثرة الأهل

أنشد جعفر بن يحيى لما ولاه الرشيد خراسان

أتصبر للبين أم تجزع ... فان الديار غدا بلقع
غدا يتفرق أهل الهوي ... ويكثر باك ومسترجع

حتى انتهى الى قوله

ودَوِّيّة بين أقطارها ... مقاطيع أرضين لا تُقْطَع
تجاوزتها فوق ريحانة ... من الريح فى سيرها أسرع
الى جعفر نزعت رغبة ... وأى فتى نحوه تنزع
فما دونه لامرىء مطمع ... ولا لامرىء غيره مقنع
ولا يرفع الناس مَن حطّه ... ولا يضعون الذى يرفع
يريد الملوك مدَى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع
تأوذ الملوك بأبوابه ... اذا نالها الحدث الأفظع
بديهته مثل تدبيره ... متى رمته فهو مستجمع
وكم قائل اذ رأى ثروتى ... وما فى فضول الغنى أصنع
غدا فى ظلال ندَى جعفر ... يجر ثياب الغنى أشجع
فقل لخراسان تحيا فقد ... أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأمر له بألف دينار

ثم بدا للرشيد فعزل جعفرا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوجم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده

أمست خراسان تُعزَّى بما ... أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيد المعتلى أمرُه ... ولى عليه المشرق الأبلجا
ثم أراه رأيه أنه ... أمسى اليه منهمُ أحوجا
فكم به الرحمن من كربة ... فى مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال لقد هونت على العزل وقمت لأمير المؤمنين بالعذر فسلني ما شئت ، فقال قد كفانى جودك ذلة السؤال فأمر له بألف دينار أخرى

دخل على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين

وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فقال

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الأمة الوهاج
شربت بمكة فى رُبَى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

يعني النبعة، فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم، ولم يملك الخلافة أحد أبوه وأمه من بني هاشم الا أمير المؤمنين علي بن أبى طالب صلوات الله عليه ومحمد بن زبيدة

كان انقطاع أشجع الى العباس بن محمد بن على فقال الرشيد للعباس يوما ياعم ان الشعراء قد أكثروا فى مدح محمد بسببى و بسبب أم جعفر ولم يقل أحد منهم فى المأمون شيئاً وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه، فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه، فقال

بيعة المأمون آخذة بعنان الحق فى أفقه
أحكمت مرآتها عقدا تمنع المحتال فى نفقه
لن يفكّ المرء رِبْقتها أو يفك الدين من عنقه
وله من وجه والده صورة تمت ومن خلقه

فأتى بها العباس الرشيد وأنشده اياها فاستحسنها وسأله لمن هي ؟ فقال هى لى، فقال قد سررتنى مرتين باصابتك ما فى نفسي و بأنها لك وما كان لك فهو لى، وأمر له بثلاثين ألف دينار فدفع الى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه

وعد يحيى بن خالد أشجع وعدا فأخره عنه فقال له

رأيتك لا تستلذ المطال وتوفى اذا غدر الخائن
فماذا تؤخر من حاجتى وأنت لتعجيلها ضامن
ألم تر أن احتباس النوال لمعروف صاحبه شائن

فلم يتعجل ما أراد فكتب اليه

رُوَيْدك ان عز الفقر أدنى الىّ من الثَّراء مع الهوان

وماذا تبلغ الأيام منى بريب صروفها ومعى لسانى

فبلغ قوله جعفرا فقال ويلك ياأشجع هذا تهدد فلا تعد لمثله ، ثم كلم أباه فقضى حاجته فقال

كفانى صروفَ الدهر يحيى بن خالد فأصبحت لا أرتاع للحدثان
كفانى كفاه الله كل ملمة طلاب فلان مرة وفلان
فأصبحت فى رَغْد من العيش واسع أقلب فيه ناظرى ولسانى

ولى جعفر بن يحيى أشجع عملا فرفع أهله رفائع كثيرة وتظلموا منه وشكَوه ، فصرفه جعفر عنهم فلما رجع اليه انشأ يقول

أمفسدة سعاد على دينى ولائمتى على طول الحنين
وما تدرى سعاد اذا تخلت من الأشجان كيف أخو الشجون
تنام ولا أنام لطول حزنى وأين أخو السرور من الحزين
لقد راعتك عند قَطين سُعْدَى رواحل غاديات بالقطين
كأن دموع عينى يوم بانوا عيانا سَحُّ مطَّرد مَعين
لقد هزت سنانَ القول منى رجال رفيعة لم يعرفونى
هم جازوا حجابك يابن يحيى فقالوا بالذى يهوَون دونى
أطافوا بى لديك وغبت عنهم ولو أدنيتني لتجنبونى
وقد شهدت عيونهمُ فمالت علىّ وغيبت عنهم عيونى
ولما أن كتبت بما أرادوا تروع كل ذى غَمْز دفين
كففت عن المقاتل باديات وقد هيأت صخرة منْجَنون
ولو أرسلتها دمغت رجالا وصالت فى الأخية والشؤون
وكنت اذا هززت حسام قول قطعت بحجتى عَلَق الوتين
لعل الدهر يُطلق من لسانى لهم يوما ويبسُط من يمينى

فأقضى دينهم بوفاء قـــول وأثقلهم لصـــد بالديون
وقد علموا جميعا أن قولى قريب حين أدعوه يجيبنى
وكنت اذا هجوت رئيس قوم وسَمْتُ على الذؤابة والجبين
بخط مثل حرق النـــار باق يلوح على الحواجب والعيون
أمائلة بودك يابن يحيى رجالات ذوو ضِغْن مكين
يَشيمون السيوف اذا رأَوْنى فان وَلَّيت سُلَّت من جفون
ولو كشفت سرائرنا جميعا علمت مَنِ البريء من الظنين
علام وأنت تعلم نصح جيبى وأخذي منك بالسبب المتين
وعَسْفى كل مَهْمَهة خـــلاء اليك بكل يَعْمَلة أَمون
واحيائى الدجى لك بالقوافى أقيم صدورهن على المتون
تقرب منك أعدائى وأنأي ويجلس مجلسى من لا يليني
ولو عاتبت نفسك فى مكانى اذا لنزلت عندك باليمـــين
ولكن الشكوك نأَين عنى بودك والمصير الى اليقـــين
فان أنصفتـــني حرقت منهم بنضج الكى أَثباج البطون

أول ما نجم به أشجع انه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدث فقال أشجع فيه

اذكروا حرمة العواتك منا يابنى هاشم بن عبد مَناف
قد ولدنا كُمُ ثلاث ولادا ت خلطن الأشراف بالأشراف
مهدت هاشما نجوم قُصَىّ وبنو فالغ حجور عَفاف
ان أرماح بَهْثَةَ بن سليم بعجاف الأَطراف غير عِجاف
ولأَسيافهم فرى غير لَذّ راجع فى مراجع الاكتاف
معشر يطعمون من ذروة الشَّوْ ل ويسقون خمرة الاتحاف
يضربون الجبار في أخدعيه ويُسَقَّونه نَقيع الذُّعاف

فشاع شعره وبلغ البصرة ولم يزل أمره يترقى الى أن أوصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هرون الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء

ويروى أن الذى أوصله الى الرشيد الفضل بن الربيع وأنه أوصله له وقال له هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة ، فأمر باحضاره وايصاله مع الشعراء ففعل ، فمدح الفضل وشكر له ايصاله الى الرشيد فقال

غلب الرقاد على جفون المسهد ... وغرقت فى سهر وليل سرمد
قد جد بى سهر فلم أرقد له ... والنوم يلعب فى جفون الرقد
ولطالما سهرت لحبى أعين ... أهدى السهاد لها ولما أسهد
أيام أرعى فى رياض بطالة ... وَرَدَ الصِّبا منها الذى لم يورد
لهو يساعده الشباب ولم أجد ... بعد الشبيبة فى الهوى من مُسعد
وخفيقة الأحشاء غير خفيفة ... مجدولة جدل العِنان الأجرد
غضبت على أعطافها أردافها ... فالحرب بين ازارها والمُجْسَد
خالفت فيها عاذلا لي ناصحا ... فرشدت حين عصيت قول المرشد
أأقيم محتملا لضيم حوادث ... مع همة موصولة بالفَرْقد
وأرى مخايل ليس يخلف نَوْءها ... للفضل ان رَعَدت وان لم تَرْعُد
للفضل أموال أطاف بها الندى ... حتى جهدن وجوده لم يجهد
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالتى ... أوليتني فى عود أمرك والبد
أوصلتني ورفدتنى وكلاهما ... شرف فقأت به عيون الحسد
ووصفتنى عند الخليفة غائبا ... وأذنت لى فشهدت أفخر مشهد
وكففتنى منَّ الرجال بنائل ... أغنى يدى عن أن تمد الى يد

كان لأشجع جارية يقال لها ريم وكان يَجِد بها وجدا شديدا فكانت تحلف له ان بقيت بعده لم تعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، من ذلك قوله فى

قصيدته التى يرثى بها الرشيد

وليس لأحزان النساء تطاول ... ولكن أحزان الرجال تطول
فلا تبخلى بالدمع عنى وان من ... يضن بدمع عن هوى لبخيل
فلا كنت ممن يتبع الريح طرفه ... دبور اذا هبت له وقبول
اذا دار فىء أتبع الفىء طرفه ... يميل مع الأيام حيث تميل

وقال فيها أيضا

اذا غمضت فوقى جفون حفيرة ... من الأرض فابكيني بما كنت أصنع
تعزك عني عند ذلك سلوة ... وان ليس فيمن وارت الأرض مطمع
اذا لم ترى شخصى وتغنك ثروتى ... ولم تسمعى مني ولا منك أسمع
فحينئذ تسلين عني وان يكن ... بكاء فأقصى ما تبكين أربع
قليل ورب البيت يا ريم ما أرى ... فتاة بمن ولى به الموت تقنع
بمن تدفعين الحادثات اذا رمى ... عليك بها عام من الجدب يطلع
فحينئذ تدرين من قد رزئته ... اذا جعلت اركان بيتك تنزع

ومن قوله يمدح الفضل بن يحيى

بديهته وفكرته سواء ... اذا ما نابه الخطب الكبير
وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... اذا عىّ المشاور والمشير
وصدر فيه للهم اتساع ... اذا ضاقت بما تحوى الصدور

ومن قوله يرثى صديقا له

ويحها هل درت على من تنوح؟ ... أسقيم فؤادها أم صحيح؟
قمر أطبقوا عليه ببغدا ... د ضريحا، ماذا أجنّ الضريح
رحم الله صاحبى ونديمى ... رحمة تغتدى وأخرى تروح

غزا الرشيد بلاد الروم فخافه نقفور صاحبها فصالحه وخضع له اشد الخضوع

فرجع الرشيد الى الرقة، فلما سقط الثلج وأمن نقفور أن يغزى اغتر بالمهلة ونقض ما بينه وبين الرشيد، فعاد الرشيد وافتتح هِرَقلة وعاد الى الرقة فى آخر شهر رمضان فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع فبدرهم وأنشأ يقول

لا زلت تَنشر أعيادا وتَطويها ... تمضى بهـــا لك أيام وتثنيها
مستقبلا زينة الدنيا وبهجتهـا ... أيامنا لك لا تفنى وتفنيهـــا
ولا تقضت لك الدنياولا برحت ... يَطْوِى لك الدهر أياما وتطويها
ولْيَهْنِك الفتـح والأيام مقبلة ... اليك بالنصر معقودا نواصيها
أمست هِرَقْلَة تهوِى من جوانبها ... وناصر الله والاسلام يرميهـا
ملـكتها وقتلت الناكثين بها ... بنصر من يملك الدنيا وما فيها
ما روعى الدين والدنيا على قدم ... بمثـــل هرون راعيه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال لا ينشدنى أحد بعده

دخل على الرشيد ثانى يوم الفطر فأنشده

استقبل العـيد بعمر جديد ... مدت لك الأيام حبل الخلود
مصعِّدا فى درجات العـلا ... نجمك مقرون بسعد السعود
واطْوِ رداء الشمس ما أطلعت ... نورا جديدا كل يوم جديد
تمضى لك الأيام ذا غبطة ... اذا أتى عيد طوى عمر عيد

دخل أشجع على الرشيد فأنشده

أبت طَبَرِستان غير الذى ... صدعت به بين أعضائها
ضممت مناكبها ضمة ... رمتك بما بين أحشائها
سموت اليها بمثل السماء ... تدلى الصواعق فى مائها
فلما نظرت الى جرحها ... وضعت الدواء على دائها
فرشت الجهاد ظهور الجياد ... بأبنـائه و بأبنائهـــا

بنفسك ترميهم والخيول كرمى العقاب بأفلائها
نظرت برأيك لما هم تدون الرجال وآرائها

فأمر له بألف دينار

أقبل أشجع الى باب محمد بن منصور بن زياد فرأى ازدحام الناس عليه فقال

على باب ابن منصور علامات من البذل
جماعات وحسب البا ب نُبْلا كثرة الأهل

فبلغ محمدا بيتاه فقال هما والله أحب مدائحه الى

دخل أشجع على الرشيد حين قَدِم من الحج وقد مطر الناس يوم قدومه فأنشأ يقول

ان يمن الامام لما أتانا حلب الغيث من متون الغمام
فابتسام النبات فى أثر الغيث بنُوّاره كسراج الظلام
ملك من مخافة الله مُغْضٍ وهو مُغْضًى له من الاعظام
الف الحج والجهاد فما ينفك من سفرتين فى كل عام
سفر للجهاد نحو عدو والمطايا لسفرة الاحرام
طلب الله فهو يسعى اليه بالمطايا وبالجياد السوّام
فيداه يد بمكة تدعو ه وأخرى فى دعوة الاسلام

أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السواد وقد كان خرب وبطل ما عليه فقال أشجع يمدحه

أجرى الامام الرشيد نهرا عاش بعمرانه الموات
جاد عليه بريق فيه وسر مكنونه الفرات
ألقمه دِرّة لقوحا يرضع أخلافه النبات

ومن قوله يرثى الرشيد وقد توفى بطوس

غربت بالمشرق الشمـــــس فقل للعين تدمع
ما رأينا قـط شمسا غربت من حيث تطلع

اعتل يحيى بن خالد ثم عوفى فدخل الناس يهنئونه بالسلامة ودخل أشجع فأنشده

لقد قرعت شكاة أبى على قلوب معاشر كانوا صحاحا
فان يدفع لنا الرحمن عنه صروف الدهر والأجل المتاحا
فقد أمسى صلاح أبى علىّ لأهل الدين والدنيا صلاحا
اذا ما الموت أخطأه فلسنا نبالي الموت حيث غدا وراحا

فما أذن يومئذ لأحد سواه في الانشاد لاختصاص البرامكة اياه

دخل أشجع على ابن شُبْرُمة يعوده فأنشأ يقول

اذا مرض القاضى مرضنا بأسرنا وان صح لم يسمع لنا بمريض
فأصبحت لما اعتل يوما كطائر سما بجَنـاح للنهوض مَهِيـض

فشكره ابن شبرمة وحمله على بغلة له

جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البَجَلى فمنعه حاجبه وانتهره غلمانه فقال فيه

ألا أيهـــا المُشْلى علىَّ كلابه ولى غير أن لم أُشْلهن كلاب
رويدَك لا تعجل علىّ فقد جرى بجريك ظبى أعضب وغراب
علام تسد الباب والسر قد فشا وقد كنت محجوبا ومالك باب
فلو كنت ممن يشرب الخمر سادرا اذً الم يكن دونى عليك حجاب
ولكنه يمضى الي الحول كاملا ومالى الا الأبيضين شراب
من الماء أو من شَخْب دَهماء ثَرّة لها حالب لا يشتكى وحِلاب

مر أشجع وأخواه أحمد ويزيد وقد شربوا حتى انتشَوْا بقبر الوليد بن عقبة والى جانبه قبر أبى زُبيد الطائى وكان نصرانيا، والقبران مختلفان كل واحد منهما

متوجه الى قبلة ملته ، وكان أبو زبيد أوصى لما احتُضر أن يدفن الى جنب الوليد بالبَليخ ، فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ويتذاكرون أحاديثهما فأنشأ أشجع يقول

مررت على عظام أبي زبيد ... وقد لاحت ببلقعة صَلود
وكان له الوليد نديم صدق ... فنادم قبرُه قبر الوليـد
أنيسا أُلفة ذهبت فأمست ... عظامهما تأنسُ بالصعيد
وما أدري بمن تبدا المنايا ... بأحمد أو بأشجـع أو يزيد

فماتوا كما رتبهم فى الشعر أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد

ربيعة الرقى

هو أبو أُسامة ربيعة بن ثابت من موالى سليم ويكنى أبا شبابة وكان ينزل الرَّقة وبها مولده ومنشؤه فأشخصه المهدى اليه فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثوابا كبيرا وهو من المكثرين المجيدين وكان ضريرا وانما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقتـه بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ومع ذلك فما عدم مفضلا مقدما له . ومن قوله يمدح يزيد بن حاتم المهلبى ويهجو يزيد بن اسيد السلمى

حلفت يميناغير ذى مَثْنَوِيّة (١) ... يمين امرئ آلى بهـا غير آثم
لَشَتَّان مابين اليزيدين فى الندى ... يزيد سُلَيم والأغر ابن حاتم
يزيد سُلَيم (٢) سالم المال والفتى ... أخو الأزد للأموال غير سالم
فهمُّ الفتى الأزدى اتلاف ماله ... وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته ... ولكننى فضلت أهل المكارم

(١) مصدر بمعنى الاستثناء في اليمين أى حلفت غير مستثن في يميني

(٢) هو يزيد بن أسيد بضم الهمزة من بهثة بن سليم وأخو الازد وهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهب

فيأيها الساعى الذى ليس مدركا ... بمسعاته سعى البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم ... لفك أسير واحتمال العظائم
كفاك بناء المكرمات ابن حاتم ... ونمت وما الأزدى عنها بنائم
فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم ... فتقرعَ ان ساميته سن نادم
هو البحر ان كلفت نفسك خوضه ... تهالكت فى موج له متلاطم
تمنيت مجدا فى سُليم سفاهة ... أمانى خال أو أمانى حالم
الا انما آل المهلب غُرّة ... وفى الحرب قادات لكم بالخزائم
هم الأنف والخُرطوم والناس بعدهم ... مناسم والخرطوم فوق المناسم
قضيت لكم آل المهلب بالعلا ... وتفضيلكم حقا على كل حالم
لكم شيم ليست لخلق سواكمُ ... سماح وصدق البأس عند الملاحم
مُهينون للأموال فيما ينوبكم ... مناعيش دفّاعون عن كل جارم

قال رجل لربيعة يا أبا أسامة ماحملك على أن هجوت رجلا من قومك وفضلت عليه رجلا من الأزد ؟ فقال أخبرك ، أملقت فلم يبق لى الا دارى فرهنتها على خمسمائة درهم ورحلت اليه الى إرمينيه فأعلمته بمكانى ومدحته وأقمت عنده حولا فوهب لى خمسمائة درهم ، فتحملت وصرت بها الى منزلى فلم يبق معى كبير شىء ، فنزلت فى دار بكراء ، فقلت لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت هذا ابن عمى فعل بى هذا الفعل فكيف بغيره ؟ ثم حملت نفسى على أن آتيه ، فأُعلم بمكانى فتركنى أشهرا حتى ضجرت ، فأكريت نفسى من الحمالين

وكتبت بيتا فى رقعة فألقيته فى دهليزه والبيت

أرانى ولا كفران لله راجعا ... بخُفَّى حُنين من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعة فى يد حاجبه فأوصلها اليه من غير علمى ولا أمرى ، فبعث خلفى ، فلما دخلت عليه قال هيه أنشدنى ما قلت ، فتمنعت ، فقال والله لتنشدنى ، فأنشدته ، فقال والله لا ترجع كذلك ، ثم قال انزعوا خفيه ، فنزعا فحشاهما دنانير

وأمر لي بغلمان وجَوار وكُسا، ألا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك ؟ قلت بلى والله ، وسار شعري حتى بلغ المهدى فكان سبب دخولي اليه

قيل لأبى زيد النحوى ان الأصمعى قال لا يقال شتان ما بينهما وانما يقال شتان ما هما وأنشد قول الأعشى « شتان ما يومى على كُورها » فقال كذب الأصمعى يقال شتان ما هما وشتان ما بينها وأنشد لربيعة الرقى « لشتان ما بين اليزيدين » وفى استشهاد مثل أبى زيد على دفع قول مثل الأصمعى بشعر ربيعة كفاية له في تفضيله ، وذكره عبد الله بن المعتز فقال كان ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس لأن فى غزل أبى نواس بردا كثيرا وغزل هذا سليم عذب سهل

امتدح ربيعة العباس بن محمد بن على بقصيدة لم يسبق اليها حسنا وهى طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس يا ابن محمد ... قل لا وأنت مخلَّد ما قالها
ما ان أعُدّ من المكارم خصلة ... الا وجدتك عمها أو خالها
واذا الملوك تسايروا فى بلدة ... كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة ... حتى حللت براحتيك عِقالها

فبعث اليه بدينارين وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر الى الدينارين كاد يجن غيظا وقال للرسول خذ هذين الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة الي من حيث لا يدرى العباس ففعل الرسول دلك فأخذها ربيعة وأمر من كتب فى ظهرها

مدحتك مِدْحة السيف المحلى ... لتجرى فى الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعا ... كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء ... كأنى ان مدحتك قد زنيت

ثم دفعها الى الرسول وقال ضعها في الموضع الذى اخذتها منه فردها الرسول

فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الابيات غضب وقام من وقته فركب الى الرشيد، وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه وكان قد هم أن يخطب اليه ابنته، فرأى الكراهة فى وجهه فقال ما شأنك؟ فقال هجانى ربيعة الرقى ، فأحضر، فقال له الرشيد تهجوا عمى وآثر الخلق عندى ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال والله ياأمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء ولقد بالغت فى الثناء وأكثرت فى الوصف فان رأى أمير المؤمنين أن يأمره باحضارها، فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر الى القصيدة، فأمر العباس باحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس، فقال له الرشيد سألتك بحق أمير المؤمنين الا أمرت باحضارها ، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر باحضارها ، فأحضرت، فأخذها الرشيد واذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها وقال والله ماقال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبرّ ثم قال للعباس بم أثبته عليها ؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرض بريقه، فقال ربيعة أثابنى عليها ياأمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد انه قال ذلك من الموجدة على العباس فقال بحياتى يارقى بكم أثابك ؟ قال وحياتك ياأمير المؤمنين ما أثابني عليها الا بدينارين ، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر فى وجه العباس وقال سوءة لك أي حال قعدت بك عن اثابته ؟ ألأموال ؟ فوالله لقد مولتك جهدى ، أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعت، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفسك فعلت ذلك بك حتي فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني ونفسك؟ فنكس العباس رأسه ولم ينطق ، فقال الرشيد ياغلام أعط ربيعة ثلاثين الف درهم وخلعة واحمله على بغلة ، فلما حمل المال بين يديه وألبس الخلعة قال بحياتى يارقى لا تذكره في شعرك لا تعريضا ولا تصريحا، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج اليه وظهر له منه بعد ذلك جفاء كثير واطراح له

ذكر على ابن الحسين أنه رأى قصيدة لربيعة الرقى مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان قديم وكان مبسوطا في دار العباس العامة بسُرّ من رأى وهى

وتزعم انى قد تبدلت خُلّة ... سواها وهذا الباطل المتقول
لحى الله من باع الصديق بغيره ... فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستَصْرِم انسانا اذا ما صرمتنى ... بحبك فانظر بعده من تبدل

ومن تشبيبه بجارية يقال لها عثمة كانت لرجل من أهل قرقيسيا يقال له ابن مرار

أعتاد قلبك من حبيبك عيده ... شوق عراك فأنت عنه تذوده!
والشوق قد غلب الفؤادَ فقاده ... والشوق يغلب ذا الهوى فيقوده
فى دار مرّار غزال كنيسة ... عَطِر عليه خزوزه وبُرُوده
رِيم أغَرّ كأنه من حسنه ... صنم يحج ببيعة معبوده
عيناه عينا جُؤْذَر بصريمة ... وله من الظبى المربَّب جِيده
ما ضر عثْمة أن تُلِمّ بعاشق ... دَنِف الفؤاد متيم فتعوده
وتَلُدّه من ريقها فلربما ... نفع السقيم من السقام لَدوده

ومن قوله وفيه غناء

من لعين رأت خيالا مُطيفا ... واقفا هكذا علينا وقوفا
طارقا مَوْهِنا ألمّ فحيا ... ثم ولى فهاج قلبا ضعيفا
ليت نفسى وليت أنفس قومى ... يا يزيد الندى تقيك الحتوفا
ليس يخشى مُهَلَّبى كريم ... حاتمى قد نال فرعا مُنيفا

قال أبو بشر كنت حاضرا ربيعة الرقى يوما وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية فقالت تقول لك فلانة ان بنت مولاى محمومة فان كنت تعرف لها عُوذة فافعل، فقال اكتب لها أبا بشر هذه العوذة

ثقوا ثقوا باسم آلهى الذى ... لا يعرض السقم لمن قد شفى

أعيـذ مولاتى ومولاتها وابنتهـا بعُوذة المصطفى
من شر ما يعرض من عـلة فى الصبح والليل اذا أسدفا

فقلت له يا أبا ثابت لست أحسن أن أكتب ثقوا ثقوا فكيف أكتبها ؟ قال انضح المداد من رأس القلم فى موضعين حتى يكون كالنفث وادفع العوذة اليها فانها نافعة، فقلت ودفعتها اليها ، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهى لا تتمالك ضحكا فقالت له يا مجنون ما فعلت بنـا ؟ كدنا نفتضـح بما صنعت ، قال فما أصنع ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

ابو دهمان الغلابى (١)

شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولة بنى أمية وبنى هاشم ومدح المهدى وكان طيباً ظريفاً مليح النـادرة وهو القائل لما ضرب المهدى أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة

لولا الذى أحدث الخليفة فى العشـــاق من ضربهم اذا عشقوا
لبحت باسم الذى أحب ولكـــني امرؤ قد ثنانى الفرَق

ومن شعره وفيه غناء

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي وأخلفنى فيهـا الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبـه ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

قال رجل لأبى دهمان ألا أحدثك بظريفة ؟ قال بلى ، قال كنا عند فلان فمد رجـله هكذا فضرط ، ومد المحدث رجله يحكيه فضرط ، فقال له أبو دهمان يا هذا أنت أحذق خلق الله بحكاية

(١) غلاب كقطام اسم امرأة من العرب وبنو غلاب هم بنو الحارث بن أوس بن النابغة بن غنى بن حبيب بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية أهل بيت بالبصرة يعرفون ببنى غلاب وغلاب جد لهم من محارب بن خصفة

التيمى

هو عبد الله بن أيوب ، ويكنى أبا محمد ، مولى بني تيم ثم مولى بنى سُلَيم وكان له أخ يقال له أبو التَّيِّحان وكان كلاهما شاعرا ، وهما من أهل الكوفة من شعراء الدولة العباسية، وعبد الله أحد الخلعاء المُجَّان الوصافين للخمر ، وكان صديقا لابراهيم الموصلى وابنه اسحاق ونديما لهما ، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيد بن مَزْيَد فلم يزل منقطعا اليه حتى مات ، واستنفد شعره أو أكثره فى وصف الخمر وهو الذى يقول

شربت من الخمر يوم الخميـــس بالكأس والطاس والقَنْقَل (١)
فما زالت الكاس تغتالنـــا وتذهـــب بالأول الأول
الى أن توافت صلاة العشاء ونحن من السكر لم نَعقِل
فمن كان يعرف حق الخميـ س وحق المدام فلا يجهل
وما ان جرت بيننـــا مَزْحة تهيـــج مِراء على السَّلْسَل

وهو القائل

ولن أنتهى عن طَيِّب الراح أو يرى بوادي عظامى في ضريحى لاحـد
أضعت شبـــابى فى الشراب تلذذا وكنت امرأ غر الشباب أكابد

كان له ابن يقال له حيان ومات وهو حديث السن فجزع عليه وقال يرثيه

أودى بحيان ما لم يترك الناسا فامنح فؤادك من أحبابك الياسا
لما رمته المنـــايا اذ قصدن له أصبن منى سواد القلب والراسا
واذ يقول لى العُوّاد اذ حضروا لا تأس أبشر أبا حيان لا تاسَى
فبت أرعى بخوم الليل سكتئبا إخال سُنَّته فى الليل قرطاسا

(١) المكيال الضخم

وأول هذه القصيدة

يادير هند لقد أصبحت لى أنسا وما عهدتك لى يادير مئناسا

قال اسحق الموصلى قلت « وصف الصد لمن تهوى فصد » ثم أجبلت فمكثت عدة ليال لا يستوى لى تمامه فدخل علىّ التيمى فرآنى مفكرا فقال لى ما قصتك ؟ فأخبرته فقال « وبدا يمزح بالهجر فجد » ثم أتممتها فقلت

ما له يعدِل عني وجهه وهو لا يعدله عندى أحد

وخرجت الى مدح الفضل الربيع فقلت

قد أرادوا غِرّة الفضل وهل تطلب الغِرة فى خِيس الأَسد
ملك يدفع ما تخشى به وبه يصلح منا ما فسد
يفعل الناس اذا ما وعدوا واذا ما فعل الفضل وعد

وقال يرثى يزيد بن مزيد

أحق أنه أودى يزيد ؟ تبيَّنْ أيها الناعى المشيد
أتدرى من نعيت وكيف فاهت به شفتاك ؟ كان بها الصعيد
أحامى المجد والاسلام أودى ؟ فما للأَرض ويحك لا تميد ؟
تأمل هل ترى الاسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد ؟
وهل شيمت سيوف بنى نزار ؟ وهل وضعت عن الخيل اللبود ؟
وهل تسقي البلادَ عِشارُ مُزْن بدِرّتها ؟ وهل يخضر عود ؟
أما هُدّت لمصرعه نِزار ؟ بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحَه اذ حل فيه طريفُ المجد والحسب التّليد
أما والله ما تنفك عيني عليك بدمعها أبدا تجود
فان تجمُد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذي حَسَب جمُود

أبعد يزيد تختزن البواكى ... دموعا أو تصان لها خدود ؟
لتبكك قبة الاسلام لما ... وهت أطنابها وهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر ... له نشبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الامام لكل خطب ... ينوب وكل معضلة تؤود ؟
ومن يحمى الخميس اذا تعايا ... بحيلة نفسه البطل النجيد ؟
فان يهلك يزيد فكل حى ... فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا ... فتكن به وهن له جنود ؟
قصدن له وهن يحدن عنه ... اذا ما الحرب شبّ لها وقود
لقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

ومن قوله فى الفضل بن الربيع

الا انما آل الربيع ربيع ... وغيث حيا للمرملين مريع
اذا ما بدا آل الربيع رأيتهم ... لهم درج فوق العباد رفيع

ومن قوله فيه

لعمرك ما الأشراف فى كل بلدة ... وان عظموا للفضل الا صنائع
ترى عظماء الناس للفضل خشّعا ... اذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة ... وكل جليل عنده متواضع

وأول شعر عرف به قوله

طاف طيف فى المنام ... بمحب مستهام
زورة أبقت سقاما ... وشفت بعض السقام
لم تكن الا فواقا ... وهى فى ليل التمام

فغنى اسحق الموصلى به الرشيد فسأل عن قائله فقال له صديق لي شاعر ظريف يعرف بالتيمى ، فطلب وأمر بالحضور ، فسأل عن السبب الذى دعى له فعرّف ،

فأتم الشعر وجعله قصيدة مدح بها هرون ودخل اليه فأنشده اياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم وصار فى جملة من يدخل اليه بنوبة وأمر بأن يدون شعره

قال اسحق الموصلى دخلت يوما على عمرو بن مسعدة فاذا أبو محمد التيمى واقف بين يديه يستأذنه فى الانشاد، فقال ذاك الى ابى محمد (يعنينى) وكان على التيمى عاتبا، فكره أن يمنعه لعلمه بما بيننا من المودة ، فقلت له أنشده اذ جعل الأمر الي فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضا الى، فتبسم عمرو ،وأنشده التيمي

يا أبا الفضل كيف تغفل عني ام تخلّى عند الشدائد منى
أنسيت الأخاء والعهد والو د حديثا ؟ ما كان ذلك ظنى
أنا من قد بلوت فى سالف الدهـــر مضت شرّنى ولم تفنَ سني
فاصطنعنى لما ينوب به الدهـــر فانى أجوز فى كل فن
انا ليث علي عدوك ، سِلْم لك فى الحرب فابتذلنى وصلنى
أنا سيف يوم الوَغَى وسِنان ومِجَنّ ان لم تثق بمجن
أنا طَبّ فى الرأي في موضع الرأ ى معين على الخصيم المعنّ
وأمين على الودائع والسـر اذا ما هويت أن تأتمنى
ونديم اذا أردت نديمـــا ومغن ان لم يزرك مغن

فأقبل علىّ عمرو وهو يضحك وقال أتعلّم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديما ؟ فقلت له يكذب أعزك الله ، فقال أفى هـذا وحده أم فى الجميع ؟ فقلت اما فى هذا فأنا أحق كذبه والله أعلم بالباقى ثم أنشد

واذا ما أردت حجا فرحّا لة دليل ان نام كل ضفَنّ

فقال اذا عزمنا على الحج امتحناك فى هذا فانى أراك تصلح له، ثم أنشد

ولبيب على مقال أبى العبـ ـاس انى أرى به مَسّ جن

فقال ما أراه أبعد ، ثم قال

وهو الناصح الشفيق ولكن خاف هيج الزمان فازورّ عني
وظريف عند المزاح خفيف فى الملاهى وفى الصبا متثن
كيف باعدت أوجفوت صديقا لا ملولا لالا ولا متجن
صرت بعد الاكرام والانس أرضى منك بالترّهات مالم تهنّى
لم تخني ولم أخنك ولا والله ربى لا خنت من لم يخني
ان أكن تبت أوهجرت الملاهى وسلافا يجنّها بطن دنّ
فحديثى كالدر فصل بالياقو ت يجرى فى جيد ظبى أغنّ

ومما أنشد لنفسه

لا تخضعنّ لمخلوق على طمع لأن ذاك مضر منك بالدين
وارغب الى الله مما في خزائنه فانما هو بين الكاف والنون
أما ترى كل من ترجو وتأمله من الخلائق مسكين ابن مسكين

ومما مدح به محمد الأمين قصيدته التى أولها

لا بد من سكرة على طرب لعل رُوحا يُديل من كرب
فعاطنيها صهباء صافية تضحك من لؤلؤ على ذهب

يقول فيها يمدحه

خليفة الله خير منتخب لخير أم من هاشم وأب
أكرم بفرعين يجريان به الى الامام المنصور فى النسب
خلافة الله قد توارثها آباؤه فى سوالف الكتب
فهى له دونكم مورثة عن خاتم الأنبياء فى الحقب
يا ابن الذرى من ذوائب الشرف ال أقدم أنتم دعائم العرب

ولما أنشده اياها قال للفضل بن الربيع يحياتى أوقر له زورقه دراهم ، فقال نعم

ياسيدى فلما خرج طالبه التيمى بذلك فقال أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملا زورقك ثم صالحه على مائة الف درهم

مر التيمى بالحيرة على خمار كان يألفه وقد أسنّ التيمى وأرعش وترك النبيذ، فقال له الخمار ويحك أبلغ الامر بك الى ما أرى؟ فقال نعم والله لولا ذلك لاكثرت عندك ثم أنشأ يقول

هل الى سكرة بناحية الحيـــرة يوما قبل الممات سبيل
وأبو التَّيْحان فى كفه القر عة والرأس فوقه الاكليل
وعرار كأنه بيدق الشِّطْرَنـــج يفتنّ فيـه قال وقيل

كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم انى قد نظرت فى سنى فاذا انا ابن ثلاث وخمسين سنة وأنا وأنت لِدَة عام وان امرأ قد سار الى منهل خمسين سنة لقريب أن يَرِدَه والسلام ، فسمع التيمى هذا فقال

اذا ذهب القرن الذى أنت فيهمُ وخلفت فى قرن فأنت غريب
وان امرأ قد سار خمسين حجة الى منهل من وِرْده لقريب

أمر محمد الأمين للتيمى بجائزة عشرة آلاف دينار ثوابا عن بعض مدائحه فاشترى بها ضيعة بالبصرة وقال بعد ابتياعه اياها

انى اشتريت بما وهبت ليه أرضا أمُون بها قرابتيهْ
فبحسن وجهك حين أسأل قل يا ابن الربيع احمل اليه مية

فغنى بها الأمين فقال للفضل بحياتى احمل اليه مائة الف ، فدعا به فأعطاه خمسين ألفا وقال له الخمسون الأخر لك علينا اذا اتسعت أيدينا

خرج كوثر خادم محمد الأمين ليرى الحرب فأصابته رجة فى وجهه فجلس يبكى فوجد محمد لما جاءه به وجعل يمسح الدم عن وجهه وقال

ضربوا قرة عينى ومنَ آجلى ضربوه
أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

وأراد زيادة فى الأبيات فلم يواته فقال للفضل بن الربيع من ههنا من الشعراء؟ فقال الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمى ، فقال علىّ به ، فلما أدخل أنشده محمد هذين البيتين وقال أجزهما فقال

ما لمن أهوى شبيه فبه الدنيا تتيه
وصله حلو ولكن هجره مرّ كريه
من رأى الناس له الفضـــل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوه

فقال محمد أحسنت هذا والله خير مما أردنا ، بحياتى عليك ياعباس الا نظرت فان كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم وان كان جاء فى زَوْرق ملأته ، فأوقرت له ثلاثة أبغل دراهم

ولما قتل محمد الأمين خرج التيمى الى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له ، فصار لى الفضل بن سهل ولجأ اليه وامتدحه فأوصله الي المأمون ، فلما سلم عليه قال له المأمون ايه ياتيمى

مثل ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوه

فقال التيمى بل أنا الذى أقول ياأمير المؤمنين

نصر المأمون عبـ ـد الله لما ظلموه
نقضوا العهد الذي كا نوا قديماً أكدوه
لم يعامله أخـــوه بالذى أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة امتدحه بها أولها

جزعت ابن تَيْم أن أتاك مشيب وبان الشباب والشباب حبيب

فلما أنشده اياها وفرغ منها قال قد وهبتك لله عز وجل ولأخي أبي العباس «يعني الفضل بن سهل» وأمرت لك بعشرة آلاف درهم

ناهض بن نومة

هو ناهض بن نومة بن نصيح الكلابي من كلاب بن ربيعة بن عامر، شاعر بدوي فارس فصيح من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الرياشي وابو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة، وكان يهجوه رجل من بني الحرث بن كعب يقال له نافع بن أشعر الحارثي فأشرى عليه ناهض، فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس قصيدة ناهض التي اولها

الا يا اسلما يأيها الطَّلَلان ... وهل سالم باقٍ على الحَدَثان ؟
أبينا لنا حُيِّيتما اليوم اننا ... مبينان عن ميل بما تسلان
متى العهد من سلمى التي فتّت القوي ... وأسماء ان العهد منذ زمان
ولا زال يَنْهَلّ الغمام عليكما ... سبيل الرُّبا من وابل ودِجان (١)
فان أنتما بينتما أو أجبتما ... فلا زلتما بالنبت ترتديان
وجُرّ الحرير والفِرِنْد (٢) عليكما ... بأذيال رَخْصات الأكف هجان
نظرت ودوني قِيدُ رمحين نظرة ... بعينين انسانا هما غرقان
الى ظُعُن بالعاقرين كأنها ... قرائن من دَوْح الكثيب ثمان
لسلمى وأسماء البنين أكنّتا ... بقلبي كَنِينَيْ لوعة وضمان
عسى يُعقب الهجرُ الطويل تدانيا ... ويارب هجر معقب بتدان

(١) جمع دجن بالفتح وهو المطر الكثير (٢) ضرب من الثياب

خليليَّ قد أكثرتما اللوم فاربعا ... كفانيَ مابي لو تركت كفانى
اذا لم تصل سلمى وأسماء فى الصبا ... بحبليهما حبلى فمن تصلان؟
ودع ذا ولكن قدعجبت لنافع ... ومَعْواه من نَجرانَ حيث عوانى
عوى أسدا لا يزدهيه عُواؤه ... مقيما بلَوْذَى يَذْبُل وذِقان (١)
لعمرى لقد قال ابن أشعر نافعٌ ... مقالة موطوء الحريم مُهان
أيزعم ان العامرى لفعله ... بعاقبة يرمَى به الرَّجَوان (٢)
ويذكر ان لاقاه زلة نعله ... فجئ بالذى لم يستبن ببيان
كذبت ولكن يا ابن عُلْبة جعفر ... فدع ما تَمَنَّى زلت القدمان
أصيب فلم يُعْقَل وطُلَّ فلم يُقَد ... فذاك الذى يَخْزَى به الأبوان
وحق لمن كان ابن أشعر ثائرا ... به الطَّلّ حتى يحشر الثقلان
ذليل ذليل الرهط أعمى يسومه ... بنو عامر ضيما بكل مكان
فلم يبق الا قوله بلسانه ... وما ضر قول كاذب بلسان
هجا نافع كعبا ليدرك وِتْره ... ولم يَهْجُ كعب نافعا لأوان
ولم تَعْفُ من آثار كعب بوجهه ... قوارع منها وُضَّح وقَوان
وقد خضبوا وجه ابن عُلْبة جعفر ... خضاب نَجيع لا خضاب دهان
فلم يهج كعبا نافع بعد ضربة ... بسيف ولم يطعُنهمُ بسنان
فمالك مهجىً يا ابن أشعر فاكتعم ... على حجر واصبر لكل هوان
اذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمه ... فليس يُجلِّى العار بالهذيان
أبى قيس عَيْلان وعمي خِنْدِف ... ذوا البَذْخ عند الفخر والخَطَران
اذا ما تجمعنا وسارت وراءنا ... ربيعة لم يُعْدَل بنا أخوان
أليس نبي الله منا محمد ... وحمزة والعباس والعُمران

(١) اللوذ جانب الجبل ويذبل وذقان جبلان (٢) في المثل لا يرمى به الرجوان لمن لا يخدع فيزال عن وجه الى وجه وأصله الدلو يرمي بها رجوا البئر

ومنا ابن عباس ومنا ابن عمه علىّ امام الحق والحسنان
وعثمان والصديق منا واننا لنعلم أن الحق ما يعدان
ومنا بنو العباس فضلا فمن لكم هلمّوه أو لا ينطقن يَمان

فأنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن على بالبصرة وعنده خال له من الأنصار فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري أخرسنا أخرسه الله

وكان جده نصيح شاعرا وهو الذى يقول

ألا من لقلب فى الحجاز قسيمه ومنه بأكناف الحجاز قَسيم
معاود شكوى أن نأت أم سالم كما يشتكى جُنْحَ الظلام سَليم
سليم لصلّ (١) أسلمته لمابه رُقًى قل عنه دفعها وتَميم
فلم تَرِم الدار البُرَيصاء (٢) فالصفا صفاها فخلاها فأين تريم
وقفت عليها نازلا ناهجية اذا لم أردها بالزِّمام تعوم
كِنازا من اللاتى كأن عظامها جُبِرن على كسر فهن عُثوم (٣)

كان رجل من بني كعب قد تزوج امرأة من بنى كلاب فنزل فيهم، ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلقها، وأقام بموضعه فى بنى كلاب، وكانوا لا يزالون يستخفون به ويظلمونه، وان رجلا منهم أورد ابله الماء فوردت ابل الكعبى عليها فزاحمته فألقته على ظهره فتكشف فقام مغضبا بسيفه الي ابل الكعبى فعقر منها عدة وحلّأها عن الحوض، ومضى الكعبى مستصرخا بنى كلاب على الرجل، فلم يُصرخوه، فساق باقى ابله واحتمل بأهله حتي رجع الي عشيرته فشكا ما لقى من القوم واستصرخهم، فغضبوا له وركبوا معه حتى أتوا حِلّة بني كلاب فاستاقوا ابل الرجل الذى عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته وتداعت هى وكعب للقتال

(١) الصل الحية لا تنفع معها الرقية (٢) حية برصاء فى جلدها لمع بياض ويقال صل صفا اذا كانت منكرة (٣) عثم العظم المكسور عثما انجبر على غير استواء وناقة كناز كثيرة اللحم صلبة

فتحاربوا فى ذلك حربا شديدة وتمادى الشر بينهم حتى تساعي حلماؤهم فى القضية فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى ويرد الابل وترسل من العاقر عدة الابل التى عقرها للكلبى، فترادوا بذلك واصطلحوا وعادوا الى الالفة فقال فى ذلك ناهض

أمن طَلَل بأَخْطَب أَبْدَته ... نَجاء[1] الوبل والديم النِّصاح
ومر الدهر يوم بعد يوم ... فما أبقى المساء ولا الصباح
فكل محلة عنيت لسلمى ... لرَيْدان[2] الرياح بها نواح
تطل على الجفون الحزن حتى ... دموع العين ناكرة تراح

وهى طويلة يقول فيها

هنيئاً للعدى سَخَط ورَغْم ... وللفرعين بينهما اصطلاح
وللعين الرُّقاد فقد أطالت ... مساهرة وللقلب انتجاح
وقد قال العداة نرى كلابا ... وكعبا بين صلحهما افتتاح
تداعَوْا للسلام وأمر نُجْح ... وخير الأَمر ما فيه النجاح
ومدوا بينهم بحبال مجد ... وثدى لا أحذّ ولا ضباح
ألم تر أن جمع القوم يخشى ... وان حريم واحدهم مباح
وان القِدْح حين يكون فردا ... فيهصر لا يكون له اقتراح
وانك ان قبضت بها جميعا ... أبت ما سُمتَ واحدها القداح
كذاك تفرق الاخوان مما ... يُذلهمُ وفي الذل افتضاح
انا الخطّار دون بني كِلاب ... وكعب ان أتيح لهم مُتاح
انا الحامى لهم ولكل قَرْم ... أخٌ حامٍ اذا جد النِّطاح
انا الليث الذى لا يزدهيه ... عُواء العاويات ولا النُّباح

(١) النجاء الاسراع ونصح الغيث البلد سقاه حتى اتصل نبته فلم يكن فيه فضاء وأخطب جبل بنجد (٢) الريدانة الريح اللينة

سل الشعراء عني هل أقرت بقلبي أو عفت لهم الجراح
فما لكواهل الشعراء بُدّ من العَتْب الذى فيه لحاح
ومن توريك راكبة عليهم وان كرهوا الركوب وان ألاحوا

حدثت وقعة بين بنى نمير وبنى كلاب بنواحى ديار مُضَر وكانت لكلاب على بني نُمَير ، وان نميرا استغاثت ببنى تميم ولجأت الى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مُضَر، فمنع تميما من انجادهم وقال ما كنا لنلقى بين قيس وخِنْدِف دماء نحن عنها أغنياء وأنتم وهم لنا أهل واخوة فان سعيتم فى صلاح عاونّا وان كانت حمالة أعنّا فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها ، فقال ناهض في ذلك

سلام الله يامال بن زيد عليك وخير ماأهدى السلاما
تعلم أينا لكمُ صديق فلا تستعجلوا فينا الملاما
ولكنا وحىُّ بني تميم عداة لانرى أبداً سلاما
وإن كنا تكافقنا قليلا كحرف السيف ينهار انهداما
وهيْض العظم يُصبح ذا انصداع وقد ظن الجهول به التئاما
فلن ننسى الشباب المرد منا ولا الشيب الجحاجح والكراما
ونوحَ نوائح منا ومنهم مآتم ماتَجِفّ لهم سِجاما
فكيف يكون صلح بعد هذا يرجى الجاهلون لهم تماما
ألا قل للقبائل من تميم وخُصَّ لمالك فيها الكلاما
فزيدوا يابنى زيد نميرا هوانا انه يُدنى العظاما
ولاتبقوا على الأعداء شيئاً أعز الله نصركمُ ودام
وجدت المجد فى حيَّى تميم ورهط الهِدْلِق (١) الموفى الذماما
نجوم القوم مازالوا هُداة ومازالوا لآبيهم زِماما

(١) يريد الهدلق بن بشير أخا بنى عتيبة بن الحرث بن شهاب وابنيه علقمة وصباحا

هم الرأس المقدم من تميم وغاربها وأوفاها سناما
إذا ماغاب نجم آب نجم أغرّ ترى لطلعته ابتساما
فهذى لابن تومة فانسبوها اليه لا اختفاء ولا اكتتاما
وان رَغمت لذاك بنو نمير فلا زالت أنوفهم رغاما

وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تصب كلابا ولا نميرا فلما ظفرت كلاب قال لهم ناهض

الأهل أتى كعبا على نأى دارهم وخذ لانهم أنا سررنا بنى كعب
بما لقيت منا نُمير وجمعهم غداة أتينا فى كتائبنا القُلْب
فيالك يوما بالحمى لانرى له شبيها ومافى يوم شيبان من عتب
أقامت نمير بالحمى غير رغبة فكان الذى نالت نمير من النهب
رؤس وأوصال يُزَايِلِ بينها سباع تدلت من أبانَيْن والهضب
لنا وَقعات فى نمير تتابعت بضيم على ضيم ونَكْب على نكب
وقد علمت قيس بن عيلان كلها وللحرب أنباء بأنا بنو الحرب
ألم ترهم طرا علينا تحزبوا وليس لنا الا الردَينىّ من حزب
وانا لنقتاد الجياد على الوَجَى لأعدائنا من لامُدان ولاصقْب
ففى أى فج ماركزنا رماحنا مخوف بنصب للعدا حين لانَصْب

كان شاعر من بنى نمير يقال له رأس الكبش قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زمانا وتناقضا الشعر بينهما مدة ، فلما وقعت الحرب بين بني كلاب ونمير قال عمارة يحرض كعبا وكلابا ابنى ربيعة على نمير فى هذه الحرب التى كانت بينهم فقال :

رأيتكما يا ابنى ربيعة خرتما لعض الحروب والعديد كثير
وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما بالأمس قول جرير

فان أنتما لم تقدعا الخيل بالقنا فسيروا مع الأنباط حيث تسير
تسومكما بغيا نمير هضيمةً ستُنْجد أخبار بها وتغور

فارتحلت كلاب حين أتاها هذا الشعر حتى أتوا نميراً وهم فى هضبات يقال لهن واردات وفضحوا نميراً ثم انصرفوا فقال ناهض يجيب عمارة عن قوله

يحضضنا عمارة فى نمير ليشغلهم بنا وبه أرابوا (١)
ويزعم أننا خرنا وأنا لهم جار بمقربة أصابوا
سلوا عنا نميرا هل وقعنا بثروتها التى كانت تهاب
ألم تخضع لهم أسد ودانت لهم سعد وضبّة والرِّباب
ونحن نكرُها شعُثا عليهم عليها الشيب منا والشباب
رغبنا عن دماء بنى قُرَيع الى القلعين انهما اللباب
صبحناهم بأرْعَنَ مكفهرّ يدف كأن رايته العُقاب
أجش من الصواهل ذى دويّ تلوح البيض فيه والحراب
فأشعل حين حل بواردات وثار لنقعه ثَمّ انصباب
صبحناهم بها شعُث النواصي ولم يُفْتق من الصبح الحجاب
فلم نغمد سيوف الهند حتى تعيّلت الحليلة والكِعاب

نويب اليمامى

هو عبد الملك بن عبد العزيز السلولى من أهل اليمامة ، ونويب لقب له ، أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبى حفصة وذويهم ، ولم يفد الى خليفة ولا وُجِد له مديح فى الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكره ، وكان شاعرا فصيحا نشأ باليمامة وتوفى بها

(١) أرابه أقلقه وأزعجه

كان نويب يهوى امرأة من أهل اليمامة يقال لها سعدى بنت أزهر وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعره وراء وراء ، فمر بها يوما وهى مع أتراب لها فقلن هذا صاحبك ، وكان دميما ، فقامت اليه وقمن معها فضربنه وخرقن ثيابه فاستعدى عليهن فلم يُعْدِه الوالى فأنشأ يقول

ان الغوانى جرحن فى جسدى ... من بعدما قد فرغن من كبدى
وقد شَقَقْن الرداء ثمت لم ... يُعْدِ عليهن صاحب البلد
لم يُعْدِنى الأحول المشوم وقد ... أبصر ماقد صنعن في جسدى

فلما جرى له هذا بينه وبينها عقد لها فى قلبه رقة ، وكانت تتعرض له اذا مر بها ، واجتاز يوما بفنائها فلم تتوارَ عنه وأرَتْه أنها لم تره ، فلما وقف مليا سترت وجهها بخمارها فقال نويب

ألا أيها السارى الذى ليس نائما ... على تِرَة ان مت فى حبها غدا
خذوا بدمى سُعْدَى فسعدى منيتى ... غداة النَّقا صادت فؤادا مُقَصدا
بآية ما ردت غداة لقيتها ... على طَرْف عينيها الرداء المورّدا

ولقيها راحلة نحو مكة حاجة فأخذ بخطام بعيرها وقال

قل للتى بكرت تريد رحيلا ... للحج اذ وجدت اليه سبيلا
ما تصنعين بحجة أو عمرة ... لا تُقبلان وقد قتلت قتيلا
أَحْيِي قتيلك ثم حُجّي وانسكى ... فيكون حجك طاهرا مقبولا

فقالت له أرسل الخطام خيبك الله وقبحك ، فأرسله وسارت

ثم تزوجت سعدى فحجبت عنه فقال

الا فى سبيل الله نفس تقسمت ... شعاعا وقلب للحسان صدوق
أفاقت قلوب كن عُذِّبن فى الهوى ... زمانا وقلبى ما أراه يُفيق
سرقت فؤادي ثم لا تَرْجعينه ... وبعض الغوانى للقلوب سروق

عروف الهوى بالوعد حتى اذا جرت ... بينك غربان لهن نعيق
رددت جمال الحى وانشقت العصا ... وآذن بالبين المشتّ صدوق
ندمت على ألاَّ تكونى جزيتنى ... زعمت وكل الغانيات مذوق
لعلك ان تنأى جميعا بغلّة ... تذوقين من حر الهوى وأذوق
عصيت بك الناهين حتى لوانني ... أموت لما أرعى على شفيق

ومن مختار قوله فى سعدى قصيدة أولها

سنُرضى فى سُعَيْدَى عاذليا ... بعاقبة وان كرمت علينا

يقول فيها

لقيت سعيد تمشى فى جوارٍ ... بجَرْعاء النَّقَا فلقيت حَيْنا
سلبن القلب ثم مضَيْن عني ... وقد ناديتهن فما لوَيْنا
فقلت وقد بقيت بغير قلب ... بقلبى ياسعيدى أين أينا ؟
فما تجزين ياسعدى محبا ... يَهيم بكم ولا تقضين دينا
فقالوا اذ شكوت المطل منها ... لعمرك من سمعتَ به قضينا ؟
ومن هذا الذى ان جاء يشكو ... الينا الحب من سقَم شفينا ؟
فهن فواعل بى غير شك ... كما قبلى فعلن بصاحبَيْنا
بعروة والذى بسهام هند ... أصيب فما أقدْن ولا وَدَينا

ومن مختار قوله فيها

سل الأطلال ان نفع السؤال ... وان لم يَرْبَع الركب العجال
عن الخَوْد التى قتلتك ظلما ... وليس بها اذا بَطَشت قتال
أصابك مقلتان لها وجيد ... وأَشْنَبُ بارد عذب زلال
أعَارَكِ ماتبلت به فؤادى ... من العينين والجيد الغزالُ
أيا ثارات من قتلته سعدى ... دمى لاتطلبوه لها حلال

أرِقّ لها واشفق بعد قتلى على سعدى وان قل النوال
وما جادت لنا يوما ببذل يمين من سُعادَ ولاشمال

ومن قوله فيها

يابنت أزهر ان ثأرى طالب بدمى غدا والثار أجهد طالب
فاذا سمعت براكب متعصب يبغى قتيلك فافزعى للراكب
فلأنت من بين الأنام رميتنى عن قوس متلفة بسهم صائب
لاتأمنى شُمَّ الأنوف رميتهم وتركتِ صاحبهم كأمسِ الذاهب
من كان أصبح غالبا لهوي التى يهوَى فان هواك أصبح غالبى
قالت وأسبلت الدموع لتربها لما اغتررت وأومأت بالحاجب
قولى له بالله يطلق رحله حتى يزوَّد أو يروح بصاحب

وقال فيها أيضاً

أرّق العين من الشوق السهر وصبا القلب الى أم عمر
واعترتني فكرة من حبها ويح هذا القلب من طول الفكر
قدر سيق فمن يملكه ! أين من يملك أسباب القدر؟
كل شيء نالنى من حبها إن نجت نفسى من الموت هدَر

وقال

يالَلرِّجال لقلبك المتطرف والعين ان ترقأ بجد تذْرف
ولحاجة يوم العبير تعرضت كبرت فرد رسولها لم يُسْعف
يابنت أزهر ما أراك مثيبتى خيراً على ودى لكم وتلطفى
انى وان خبرت أن حياتنا فى طَرْف عينك هكذا لم تطرفى
لَيظَلّ قلبى من مخافة بينكم مثل الجناح معلقا فى نَقْنَف
وأظَلّ في مجرى الأحبة طالبا لرضاك مما جار إن لم تسعفى

كأخى الفلاة يغرُّه من مائها قطع السَّراب جرى بقاع صفْصَف
أهراق نطفته[1] فلما جاءها وجد المنية عندها لم تخلف

وقال

ما تزال الديار فى برقة النج دلسعدى بقَرْقَرَى تبكينى
قد تحيلت كي أرى وجه سعدى فاذا كل حيلة تُعْيينى
قلت لما وقفت فى سُدَّة البا ب لسعدى مقالة المسكين
افعلى بى ياربة الخِدْر خيرا ومن الماء شربة فاسقينى
قالت الماء فى الرّكىّ كثير قلت ماء الركى لا يكفينى
طرحت دونى الستور وقالت كل يوم بعلة تأتينى

حماد عجرد

هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة يكنى أبا عُمَرَ، أصله ومنشؤه الكوفة وكان يَبرى النبل، وعجرد لقب له ومعناه العريان لقب به لأن أعرابيا مر به فى يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان فقال له تعجردت ياغلام، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية الا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته فى أيام بني العباس

وكان خليعاً ماجنا متهماً فى دينه مرميا بالزندقة، وكان هو وحماد الراوية وحماد الزبرقان يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكانوا كأنهم نفس واحدة يرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حماد عجرد

وكان السبب فى مهاجاة حماد وبشار أن حمادا كان نديما لنافع بن عقبة فسأله بشار تنجيز حاجة له من نافع فأبطأ عنها فقال بشار فيه

(١) النطفة الماء القليل

مواعيد حماد سماء مخيلة تكشف عن رعد ولكن ستبرق
اذا جئته يوما أحال على غد كما وعد الكمون ماليس يصدق
وفى نافع عنى جفاء وانني لأطرق أحيانا وذو اللب يطرق
وللنقدى قوم فلو كنت منهم دعيت ولكن دونى الباب مغلق
وما زلت استأنيك حتى حسرتنى بوعد كجارى الآل يخفى ويخفق

فغضب حماد وأنشد نافعا الشعر فمنع بشارا فقال بشار

أبا عمر ما فى طلابيك حاجة ولا فى الذى منيتنا ثم أضجرا
وعدت فلم تصدق وقلت غدا غدا كما وعد الكمون شربا مؤخرا

فكان ذلك سبب التهاجي بين بشار وحماد ، وكان بشار يرمى حمادا بالزندقة وفى ذلك يقول

ابن نهبى رأس على ثقيل واحتمال الرؤوس خطب جليل
ادع غيرى الى عبادة الاثنين فانى بواحد مشغول
يا ابن نهبى برئت منك الى الله جهارا وذاك مني قليل

فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار وجعل فيها مكان « فانى بواحد مشغول » « فانى عن واحد مشغول » ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى ، فما زالت الأبيات تدور فى الناس حتى انتهت الى بشار فاضطرب منها وجزع وقال أشاط ابن الفاعلة بدمى والله ما قلت الا « فانى بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت فى الناس

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ورضا بأن ينقل الى كل واحد منهما ما عنه الشعر فدخل يوما الى بشار فقال له ايه يافلان ماقال ابن الفاعلة ؟ فأنشده

إن تاه بشار عليكم فقد أمسكت بشارا من التيه

فقال بشار بأى شىء ويحك ؟ فقال

وذاك إذ سميته باسمه ولم يكن حرا نسميه

قال سَخِنت عينه فبأى شيء كنت أعرف ؟ ايه ، فقال

فصار انسانا بذكرى له مايبتغى من بعد ذكريه ؟

فقال ما صنع شيئاً ، ايه ويحك ، فقال

لم أهجُ بشارا ولـكنني هجوت نفسى بهجائيه

فقال على هذا المعنى دار وحوله حام وتمام الأبيات

لم آت شيئا قط فيما مضى ولست فيما عشت آتيه

أسوأ لي فى الناس أحدوثة من خطـأ أخطـأته فيه

فأصبح اليوم لسَبّى له أعظم شـأنا من مواليـه

وقال بشار لراوية حماد ماهجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده

ألا من مبلغ عني الـــــذى والده برد

فقال صدق ابن الفاعلة فما يكون ؟ فقال

إذا ما نسب الناس فلا قبل ولا بعد

فقال كذب أين هذه العرَصات من عقيل ؟ فما يكون ؟ فقال

وأعمى قلطبان[1] ما على قاذفه حـــد

فقال كذب بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال

وأعمى يشبه القرد اذا ما عمى القرد

فقال والله ما أخطأ حين شبهنى بقرد ، حسبك حسبك ، ثم صفق بيديه وقال ما حيلتى ؟ يرانى فيشبهنى ولا أراه فأشبهه ، وتمام الابيات

دنىّ لم يرح يوما الى مجد ولم يغْدُ

ولم يحضر مع الحضا رفى خير ولم يبـد

(١) القلطبان الذى لا يغار

ولم يخشَ له ذم ولم يرج له حمد
جرى بالنحس مذ كان ولم يجر له سعد
هو الكلب اذا مات فلم يوجد له فقد

قال محمد بن النطاح كنت شديد الحب لشعر حماد عجرد فأنشدت يوما أخى بكر بن النطاح قوله

أسأت في ودى لمن أسانا اساءة لم تبق احسانا
قرعت سني ندما سادما لو كان يغني ندمي الآنا
ياضيعة الشعر ويا سوْءتا لى ولأزمانىَ أزمانا
من بعد شتمى القرد لا والذى أنزل توراة وقرآنا
ما أحد من بعد شتمي له أنذل منى كان من كانا

فقال لى لمن هذا الشعر ؟ فقلت لحماد عجرد ، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر

ما يضر البحرَ أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر

ثم قال يا أخي ايش هذا الشعر ؟ فنسيانه أزين بك والحر من كان أستر على قائله ، وقال على بن مهدى أجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار الا أربعون بيتا معدودة ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه وكانا يجتمعان عليها فسقط حماد وهُتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقى بشار على حاله لم يسقط عرف مذهبه فى الزندقة فقتل به

ومن أغلظ ما هجا به حماد بشارا

نهاره أخبث من ليله ويومه أخبث من أمسه
وليس بالمقلع عن غيه حتى يوارى فى ثرى رمسه

كان حماد صديقاً ليحيى بن زياد فأظهر تورعا وقراءة ونزوعا عما كان فيه

وهجر حمادا وأشباهه فكان اذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتكه ومجونه، فبلغ ذلك حمادا فكتب اليه

هل تذكرنْ دَلَجِي اليـ ـك على المضمَّرة القلاص
أيام تعطيـــنى وتأ خذ من أباريق الرَّصاص
ان كان نسكك لا يتـم بغـير شتمى وانتقـاصى
أو كنت لست بغـير ذا ك تنال منزلة الخـلاص
فعليك فاشتمْ آمنـــا كل الأَمان من القصاص
واقعـــد وقم بى ما بدا لك فى الأَدانى والأَقاصى
فلطـالمـا زكيتـنى وأنا المقيم على المعاصى
أيام أنت اذا ذكـر ت مناضل عني مناص
وأنا وأنت على ارتـكا ب الموبقات من الحِراص
وبنا مواطن ما بنـا فى البر آهلة العراص

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد فنسب حمادا الى الزندقة ورماه بالخروج عن الاسلام فقال حماد فيه

لا مؤمن يعرف ايمـانه وليس يحيى بالفتى الكافر
منافق ظـاهره ناسـك مخالف البـاطن للظـاهر

كان حماد صديقاً لحريث بن أبى الصلت الثقفي وكان يعيبه بالبخل وفيه يقول

حريث أبو الفضل ذو خبرة بما يصلح المعد الفاسدة
تخوف تخمـة أضيافه فعودهم أكلة واحدة

ومن قوله يرثى الأسود بن خلف وفيه غناء

قلت لحنّانة دَلوح تِسحّ من وابل سفوح
جادت علينا لها رباب بواكف هاطل نصوح

أمي الضريح الذى أسمى ثم استهلى على الضريح
على صدى أسود الموارى فى اللحد والترب والصفيح
فاسقيه ريا وأوطنيه ثم اغتدى نحوه وروحى
اغدى بسقياه فاصبحيه ثم اغبقيه مع الكسوح
ليس من العدل أن تشحى على امرىء ليس بالشحيح

ومن قوله

الا قل لعبد الله انك واحد ومثلك فى هذا الزمان كثير
قطعت اخائى ظالما وهجرتني وليس أخى من في الاخاء يجور
أديم لأهل الود ودى وانني لمن رام هجرى ظالما لهجور
ولو أن بعضى رابني لقطعته وانى بقطع الرائبين جدير
فلا تحسبن منحى لك الود خالصا لعز ولا أنى اليك فقير
ودونك حظى منك لست أريده طوال الليالى ما أقام ثبير

نزل حماد على محمد بن طلحة فأبطأ عليه بالطعام فاشتد جوعه فقال فيه حماد

زرت امرأ فى بيته مرة له حبـاء وله خيـرُ
يكره أن يتخم أضيافه ان أذى التخمة محذور
ويشتهى ان يؤجروا عنده بالصوم والصالح مأجور

كان حماد صديقا لحفص بن أبى بردة ، وكان حفص أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه، فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتناشدون ويتحدثون، فأخذ حفص يطعُن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد

لقد كان فى عينيك ياحفص شاغل وأنف كثيل العود عما تتبع
تتبع لحنا فى كلام مرقش ووجهـك مبنى على اللحن أجمع
فأذناك اقواء وأنفك مكفأ وعيناك ايطاء فأنت المرقع

مرض حماد فلم يعده مطيع بن اياس فكتب اليه

كفاك عيادتى من كان يرجو ثواب الله فى صلة المريض
فان تحدث لك الأيام سقما يحول جريضه دون القريض
يكن طول التأوه منك عندى بمنزلة الطنين من البعوض

ومن قوله وفيه غناء

إنى أحبك فاعلمى إن لم تكونى تعلمينا
حبا أقل قليله كجميع حب العالمينا

ومن قوله فى عيسى بن عمر وكان صديقا لحماد وكان يواصله أيام خدمته للربيع فلما طرده الربيع واختلت حاله جفاه عيسى، وانما كان يصله لحوائج يسألها له الربيع فقال فيه حماد

كم من أخ لك لست تنكره مادمت من دنياك فى يسر
متصنع لك فى مودته يلقاك بالترحيب والبشر
يطرى الوفاء وذا الوفاء ويلْ حَى الغدر مجتهداً وذا الغدر
فاذا عدا والدهر ذو غِيَر دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض باجمال مودة من يَقْلِي المقلّ ويعشق المثرى
وعليك مَنْ حالاه واحدة في العسر اما كنت واليسر
لاتخلطنهمُ بغيرهمُ من يخلط العِقيان بالصُّفْر

وأنشد بشار قول حماد عجرد

أخي كُفَّ عن لومى فانك لاتدرى بما فعل الحب المبرح فى صدرى
أخى أنت تَلْحانى وقلبك فارغ وقلبى مشغول الجوانح بالفكر
دوائى ودائى عند من لو رأيته يقلب عينيه لأقصرت عن زجرى
فأقسم لو أصبحت فى لوعة الهوى لأقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى

ولكن بلأنى منك انك ناصح وانك لاتدرى بأنك لاتدرى

فطرب بشار ثم قال ويلكم أحسن والله، من هذا ؟ قلوا حماد عجرد، قال أوه وكلتمونى والله بقية يومى بهمّ طويل والله لا أطعم بقية يومى طعاما ولاصومن غما بما يقول النبطى مثل هذا

قصد حماد يحيى بن زياد وهو على الأهواز وقال فيه

فمن كان يسأل أين الفعال فعندى شفاء لذا الباحث
محل الندى وفعال النهى وبيت العلا فى بني الحارث
فلا تعدلن إلى غيره لعاجل أمر ولا رائث
فان لديه بلا منة عطاء المرحل والماكث

وقال فيه أيضاً

يحيى امرؤ زينه ربه بفعله الأقدم والأحدث
إن قال لم يكذب وإن ودلم يقطع وان عاهد لم ينكث
أصبح فى أخلاقه كلها موكلا بالأسهل الأدمث
طبيعة منه عليها جرى فى خلق ليس بمستحدث
ورّثه ذاك أبوه فيا طيب ثناء الوارث والمورث

فوصله يحيى بصلة سنية وحمله وكساه وأقام عنده مدة ثم انصرف

قال محمد بن الفضل السلولى لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشى وأنا راكب، فقلت له انطلق بنا الى المنزل فانى الساعة فارغ لنتحدث وحبست عليه الدابة، فقطع شغل عرض لي لم أقدر على تركه فمضيت وأنسيته ، فلما بلغت المنزل خفت شره فكتبت اليه

ابا عمرا غفرها هديت فانني قد أذنبت ذنبا مخطئا غير عامد
فلا تجدن فيه على فانني اقر باجرامى ولست بعائد

وهبه لنا تفديك نفسى فانني أرى نعمة أن كنت لست بواجد
وعد منك بالفضل الذى أنت أهله فانك ذو فضل طريف وتالد

فأجابنى عن الأبيات

محمد يابا الفضل ياذا المحامد ويا بهجة النادي وزين المشاهد
وحقك ما أذنبت منذ عرفتنى على خطأ يوما ولا عمد عامد
ولو كان ما أنفيتنى متسرعا اليك به يوما تسرع واجد (١)
ولو كان ذو فضل يسمى لفضله بغير اسمه سميت أم القلائد

فبينا رقعته فى يدي أنا أقرؤها اذ جاءنى رسوله برقعة فيها

قد غفرنا الذنب يابن الفضل والذنب عظيم
ومسيء أنت يابن الفضل فى ذاك مُلِيم
حين تخشانى على الذنب كما يخشى اللئيم
ليس لي ان كان ما خفت من الأمر حريم
انا والله ولا أفخر للغيظ كظوم
ولأصحابى ولا ريبة بَرّ ورحيم
وبما يرضيهمُ عني ويرضينى عليم

كان لحماد اخوان ينادمونه فانقطع عنه الشراب فقاطعوه فقال ليعضهم

لست بغضبان ولكنني أعرف شأنك ياصاح
أأن فقدت الخمر جانبتنى ما كان حبيك على الراح
قد كنت من قبل وأنت الذى يَعنيك امسائى واصباحى
وما أرى فعلك الا وقد أفسدنى من بعد اصلاحى
انت من الناس وان عبتهم دونكها منى بافصاح

(١) أى لو كان لك ذنب ما صادفتنى مسرعا اليك بالمكافأة

اجتمع سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل ومعهم حماد وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان ونازل على عقبة بن مسلم وقد أمن ، وحضر الغداء فقيل سهم بن عبد الحميد يصلى الضحى ، فانتظر وأطال سهم الصلاة فقال حماد

الا أيهذا القانت المتهجد ... صلاتك للرحمن أم لي تسجد
أما والذى نادى من الطور عبده ... لَمِنْ غير ما برّ تقوم وتقعد
فهلا اتقيت الله اذ كنت واليا ... بصَنْعاء تَبرى من وَليت وتَجرُد
ويشهد لي أنى بذلك صادق ... حريث ويحيى لي بذلك يشهد
وعند أبى صفوان فيك شهادة ... وبكر وبكر مسلم متهجد
فان قلت زدنى فى الشهود فانه ... سيشهد لى أيضا بذاك محمد

فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادرا فقال له قبحك الله يازنديق فعلت بى هذا كله لشرهك فى تقديم أكل وتأخيره ، هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى

كان حماد صديقا لأبى خالد الأحول فأراد الخروج الى واسط وأراد وداع أبى خالد ، فلما جاءه حجبه وقال له هو مشغول فى هذا الوقت فكتب اليه

عليك السلام أبا خالد ... وما للوداع ذكرت السلاما
ولكن تحيـــة مستطرب ... يحبك حب الغَوِىّ المداما
فان كنت مكتفيا بالكتا ... ب دون اللِّمام تركت اللماما
أردت الشخوص الى واسط ... ولست أطيل هناك المقاما
والا فأوص هداك المليـــك بوابكم بى وأوص الغلاما
فان لم أكن منك أهلا لذاك ... فلا لوم لست أحب السلاما
لأنى أذم اليك اللئـــام ... أخزاهم الله طـــرا أثاما
فانى وجـــدتهمُ كلهم ... يميتون حمدا ويحيون ذاما

سوى عصبة لست أعنيهمُ كرام فانى أحب الكراما
وأقلل عديدهمُ ان عددت فما أكثر الأرذلينا اللئاما

حضر حماد ومطيع بن اياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة فتمازحا فقال حماد

يامطيع يامطيـــع أنت انسان رقيع
وعن الخير بطىء والى الشر سريع

فهجاه مطيع ، فقال له حماد والله لولا كراهتى لتمادى الشر ولجاج الهجاء لقلت لك قولا يبقى ولكن لا أفسد مودتك ولا أكافئك الا بالمديح ثم قال

كل شىء لى فداء لمطيع بن اياس
رجل مستملح فى كل لين وشماس
عِذل روحى بين جنبـــيّ وعينيّ براسى
غرس الله له فى كبدى احلى غراس
لست دهرى لمطيع بـــن اياس ذا تناس
ذاك انسان له فضـــل على كل أناس
فاذا ما الكاس دارت واحتساها من أحاسى
كان ذكرانا مطيعا عندها ريحان كاسى

لما ولى عيسى بن عمرو امارة البصرة من قبل محمد بن أبى العباس لما خرج عنها عليلا قال له حماد عجرد

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرو ذى المساعى العظام فى قَحطان
والبناء العـــالى الذى طال حتى قصرت دونه يدا كل بان
يا ابن عمرو عمرو المكارم والتقـــوي وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعـــل اللـــه له منك حرمة الجيران

لا يصلى ولا يصوم ولا يقـــرأ حـرفا من محـكم القرآن
طهر المصر منـــه يأيها المو لى المسمى بالعـدل والإحسان
وتقرب بذاك فيه إلى اللـــه تفز منه فوز أهـــل الجنان
يا ابن برد اخسأ اليك فمثل الـكلـــب فى الناس أنت لا الإنسان
ولعمرى لأنت شر من الـكلـــب وأولى منـه بكل هوان

مر حماد بقصر سيرين فاستظل من الحر بين سدرتين كانتا بأزاء القصر وسمع إنسانا يغنى فى شعر مطيع بن اياس « أسعدانى يانخلتى حلوان » فقال

جعل الله سدرتى قصر سيرين فـداء لنخلتى حـلوان
جئت مستسعدا فلم يسعدانى ومطيع بكت له النخلتان

وعد محمد بن أبى العباس حمادا أن يحمله على بغل ثم تشاغل عنه فكتب اليه حماد

طلبت البذل ممن خـــلقت كفاه للبـذل
ومن ينفى عن الممحـــل بالجُود أذى المحَل
ألا يا ابن أبى العبا س ياذا النائل الجَزْل
أما تذكر يامولا ى ميعادك فى البغـل
وذاك الرجس فى الدار جليس لأبى سـهل
يريك الحزم فى الاخلا ف للميـــعاد والمطل

كان عثمان بن شيبة مبخّلا وكان حماد يهجوه ، فجاء رجـل كان يقول الشعر الى حماد فقال له

أغنى من غناك ببيت شـعر على فقرى لعثمان بن شيبة

فقال

فانك إن رضيت به خليلا ملأت يديك من فقر وخيبة

فقال له الرجل جزاك الله خيراً فقد عرفتنى من أخلاقه ماقطعني عن مدحه

وصنت وجهي عنه، ومن قول حماد يهجو مطيع بن اياس

عجبت للمدعى فى الناس منزلة وليس يصلح للدنيا ولا الدين
لو أبصروا فيك وجه الرأى ماتركوا حتى يشدوك كرها شد مجنون
مانال قط مطيعاً فضل منزلة الا بأن صرت أهجوه ويهجونى
ولو تركت مطيعاً لا أجاوبه لكان مافيه لامافات يكفينى

وقال حماد فى داود بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن عامر يمدحه ويعزيه عن أبيه

إن أرجي الأنام عندى وأولا هم بمدحى ونصرتى داود
ان يعش لى أبو سليمان لا أحـ ـفل ما كادنى به من يكيد
هد ركنى أبوك فقد سد بك اليوم ركنى المهدود
قائل فاعل أبيّ وفيّ متلف مخلف مفيد مبيد
وفتى السن فى كمال ابى خمسين دهاء واربة بل يزيد
وهو الذائد المدافع عني وعزيز ممنع من يذود

ولى أبو جعفر المنصور محمد بن أبى العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عَجْرَد وحكم الوادى ودحمان فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاث، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، وكان ابن أبى العباس كثير الطيب يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود، فلقبوه أبا الدِّبْس وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة

صرنا من الربح الى الوكس إذ ولى المصر أبو الدبس
ماشئت فى لؤم على نفسه وجنسه من أكرم الجنس

ولما أقام وكان يهوى زينب بنت سليمان بن على فخطبها فلم يزوجوه لشىء كان فى عقله وكان حماد وحكم الوادى ينادمانه فقال محمد لحماد قل فيها شعرا، فقال فيها حماد على لسان محمد بن أبى العباس وغني فيه حكم

زينب ماذنبي وماذا الذى عصيتمُ فيه ولم تغضبوا
والله ماأعرف لى عندكم ذنبا ففيم الهجر يازينب
إن كنت قد أغضبتكم ضلة فاستعتبونى إننى اعتب
عودوا على جهلى بأحلامكم إنى وإن لم أذنب المذنب

ولمحمد بن أبى العباس شعر فى زينب وغنى فيه حكم وهو

قولا لزينب لو رأيت تشوقى لك واشتراقى
وتلفتى كيما أرا ك وكان شخصك غير خاف
وشَمِمت ريحك ساطعا كالبيت جُمِّر للطواف
فتركتنى وكأنما قلبى يُغَرَّز بالاشافى

ومنه

زينب مالى عنك من صبر وليس لى منك سوى الهجر
وجهك والله وان شَفَّنى أحسن من شمس ومن بدر
لو أبصر العاذل منك الذى أبصرته أسرع بالعذر

ومنه

أحببت من لا ينصف ورجوت من لا يسعف
نسب تليد بيننا ووادنا مستطرف
بالله أحلف جاهدا ومصدق من يحلف
انى لأكتم حبها جهدى لما أتخوف
والحب ينطق ان سكت بما أجن ويعرف

ومنه

أسعد الصب يا حكم وأعنه على الألم
أجميل بأن يرى نائما وهو لم ينم

لائمى فى هوي زيـــنب أنصف ولا تـلم
لبس الجسم حـــلة فى هواها من السقم

ومنه

يا قمر المِرْبد قد هجت لى شوقا فما أنفك بالمربد
أراقب الفرقد من حبكم كأننى وكلت بالفرقـد
أهيم ليلى ونهارى بكم كأننى منكم على موعـد
علقتها رَيّا الشَّوَى طَفلة قريبة المولد من مولدى
والله ما أنساك فى خلوتى يانور عينى ويا مسهدى

وكان محمد بن أبى العباس نهاية فى الشدة فعاتبه يوما المهدى فغمز محمد ركابه حتى انضغطت رجل المهدى فى الركاب ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده فأخرجها المهدى حينئذ وكان يلوى العمود ثم يلقيه الى أخته ريطة فترده وفيه يقول حماد

أرجوك بعد أبى العباس اذ بانا يا أكرم الناس أعْراقا وعيدانا
فأنت أكرم من يمشى على قدم وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو مج عود على قوم عُصارته لمج عودك فينا المسك والبانا

ولما أراد الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال

أيا وقعة البين ماذا شببت من النار فى كبد المغرم
رميت جوانحه اذ رميت بقوس مسددة الأسهم
وقفنا لزينب يوم الوداع على مثل جمر الغضا المضرم
فمن صرف دمع جرى للفراق وممتزج بعـــده بالدم

وقال حماد يشيب بزينب على لسان محمد

الا من لقلب مستهام معذب بحب غزال فى الحِجال مربَّب

يراه فلا يستطيع ردا لطرفه اليه حذار الكاشح المترقب
ولولا مليك نافذ فيه حكمه لأدى وصالا ذاهبا كل مذهب
وعيرت بالكتمان بعد صراره فبحت بما ألقاه من حب زينب

فبلغ الشعر محمد بن سليمان فنذر دمه ولم يقدر عليه لمكانه من محمد ومات محمد فى أول سنة خمسين ومائة فقال حماد يرثيه

صرت للدهر خاشعا مستكينا بعد ما كنت قد قهرت الدهورا
حين أودى الأمير ذاك الذى كنـــت به حيث كنت أدعى الاميرا
كنت اذ كان لي أجير به الدهـــر فقد صرت بعده مستجيرا
يا سمى النبى يا ابن أبى العبا س حققت عندى المحذورا
سلبتنى الهمومُ اذ سلبت منـــك سرورى فلست أرجو السرورا
ليتني مت قبل موتك لا بل ليتني كنت قبلك المقبورا
انت ظللتنى الغمام بنـــعما ك ووطأت لى وطاء وثيرا
لم تدَعْ اذ مضيت فينا نظيرا مثل مالم يدع أبوك نظيرا

لما مات محمد بن أبى العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله فى أخته زينب من الشعر فعلم انه لا مقام له معه بالبصرة فاستجار بقبر أبيه سليمان ابن على وقال فيه

من مقر بالذنب لم يوجب اللـــه عليه بسىء اقرارا
ليس الا بفضل حلمك يعـــتد بلاء وما يعد اغترارا
يا ابن بنت النبى احمد لا اجـــعل الا اليك منك الفرارا
غير أنى جعلت قبر ابى أيـــوب لي من حوادث الدهر جارا
وحرىّ من استجار بذاك القـــبر ان يأمن الردى والعثارا
لم أجد لى من العباد مجيرا فاستجرت التراب والأحجارا

لست أعتاض منك فى بغية العـــزة قحطان كلها أو نزاراً
فأنا اليوم جار من ليس فى الأر ض مجير أعز منه جواراً
يا ابن بنت النبي ياخير من حطـــت اليه الغوارب الأكواراً
أن أكن مذنباً فأنت ابن من كا ن لمن كان مذنباً غفاراً
فاعف عني فقد قدرت وخير الـــعفو ما قلت كن فكان اقتداراً
لو يطيل الأعمار جار لعجز كان جارى يطول الأعماراً

وقال أيضاً

يا ابن عم النبي وابن النبيّ لعـــلىّ إذا انتمى وعلى
أنت بدر الدجى وشمس إذا أظـــلم فاسود كل بدر مُضِي
وحبا الناس فى المحول إذا لم يجُد غيث الربيـع بالوَسْمِيّ
إن مولاك قد أساء ومن أعـــتب من ذنبه فغير مسىّ
ثم قد جاء تائبا فاقبـل التو بة منه واقبـله يا ابن الوصى

فقال والله لأَبُلَّنَّ قبر أبى من دمه ، فهرب حماد إلى بغداد فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره وقال لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجوه

قل لوجه الخَصِيّ ذى العارانى سوف أُهدى لزينب الأشعارا
قد لعمرى فررت من شدة الخو ف وانكرت صاحبىَّ نهارا
وظننت القبور تمنع جارا فاستجرت التراب والأحجارا
كنت عند استجارتى بأبى أيـــوب أبغي ضلالة وخسارا
لم يجرنى ولم اجد فيه حظا أضرم الله ذلك القبر نارا

وقال فيه

يا ابن ســـليمان يامحمد يا من يشترى المكرمات بالسمن
ان فخرت هاشم بمكرمة فخرت بالشحم منك والعُكَن

لؤمـــك باد لمن يراك اذا أقبلت فى العارضين والذقن
ليتك اذ كنت ضيقا نكزا لم تُدْعَ من هـــاشم ولم تكن
جداك جدان لم تُعَب بهما لكنما العيب منك فى البدن

فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال والله لا يُفلتنى أبدا وانما يزداد حنقا بلسانه ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا

قيل ان حمادا مضى الى الأهواز فأقام هناك مستترا وبلغ محمدا خبره فأرسل، مولي له الى الأهواز فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة وقيل انه خرج من الأهواز يريد البصرة فمر بشيراز فى طريقه فمرض بها فاضطُر الى المقام بها بسبب علته فاشتد مرضه فمات هناك ودفن على تلعة ، وكان بشار بلغه أن حمادا عليل ثم نعى اليه قبل موته فقال بشار

لو عاش حماد لهونا به لكنه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو فى السياق فقال يرد عليه

نبئت بشارا نعانى وللمو ت برانى الخالق البارى
يا ليتنى مت ولم أهجُه نعم ولو صرت الى النار
وأى خزى هو أخزى من أن يقال لي يا سبّ بشار

فلما قتل المهدى بشارا بالبطيحة اتفق أن حمل الى منزله ميتا فدفن مع حماد على تلك التلعة فمر بها أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا فوقف على قبريهما فقال

قد تبع الأعمى قفا عجرد فأصبحا جارين فى دار
قالت بقاع الأرض لا مرحبا بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تنائيهما ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك فى النار والكافر فى النار

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع
أوله شعراء بنى أسد

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	مسلم بن الوليد
٣٤	شعراء ربيعة
٣٤	شعراء بكر
٣٤	أبو العتاهية
٧٣	عبد الصمد بن المعذل
٧٩	منصور النمري
٨٤	بكر بن النطاح الحنفى
٩٢	يحيى بن طالب الحنفى
٩٤	العباس بن الأحنف
١٠١	معقل بن عيسى
١٠٢	أبو شراعة
١١٠	أبو الأسد
١١٣	ليلى بنت طريف
١١٤	على بن الخليل
١٢٠	أبان اللاحقى
١٢٥	شعراء تغلب
١٢٥	العتابى
١٣٢	الرقاشى
١٨٤	شعراء تميم
١٨٤	أبو محمد اليزيدى
١٤٢	محمد بن أبى محمد
١٤٦	ابراهيم بن أبى محمد
١٤٩	أحمد بن محمد بن أبى محمد
١٥٢	ابن قنبر
١٥٥	عمارة
١٥٨	ابن مناذر
١٦٨	العمانى
١٧٣	عكاشة بن عبد الصمد
١٧٧	أبو مالك النضر بن أبى النضر التميمى
١٧٩	شعراء قيس
١٧٩	مساور الوراق
١٨٣	محمد بن حازم
١٩٤	حسين بن الضحاك
٢١٨	أشجع السلمى
٢٣٤	ربيعة الرقى
٢٣٩	أبو دهمان الغلابى
٢٤٠	التيمى
٢٤٧	ناهض بن توبة
٢٥٣	نويب اليمامى
٢٥٧	حماد عجرد

A.U.B. LIBRARY

الاصفهانى ،ابو الفرج على بن الحسين
[الاغانى. مختارات ١٩٢٥] مهذب الاغ
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01046189

American University of Beirut